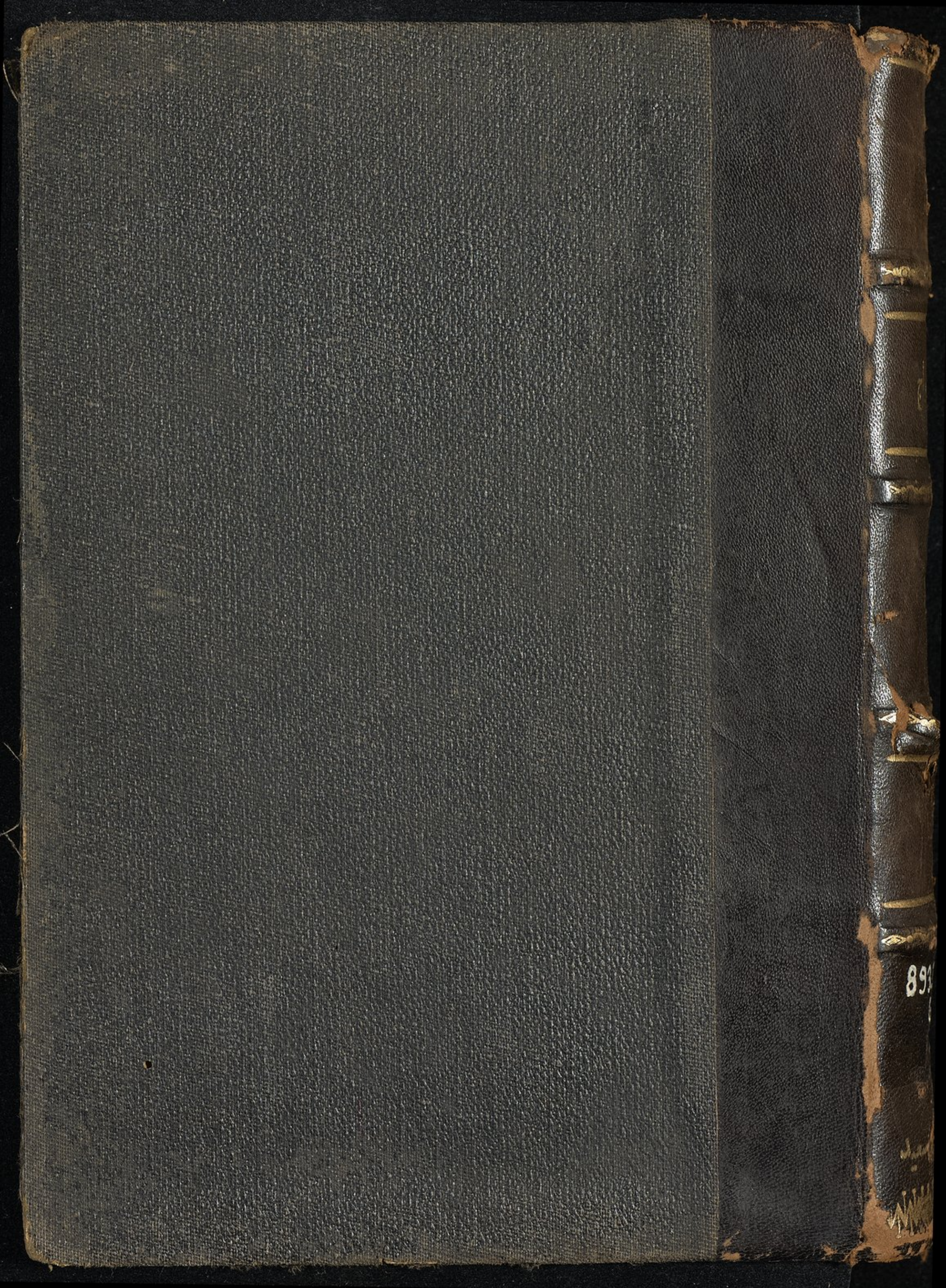
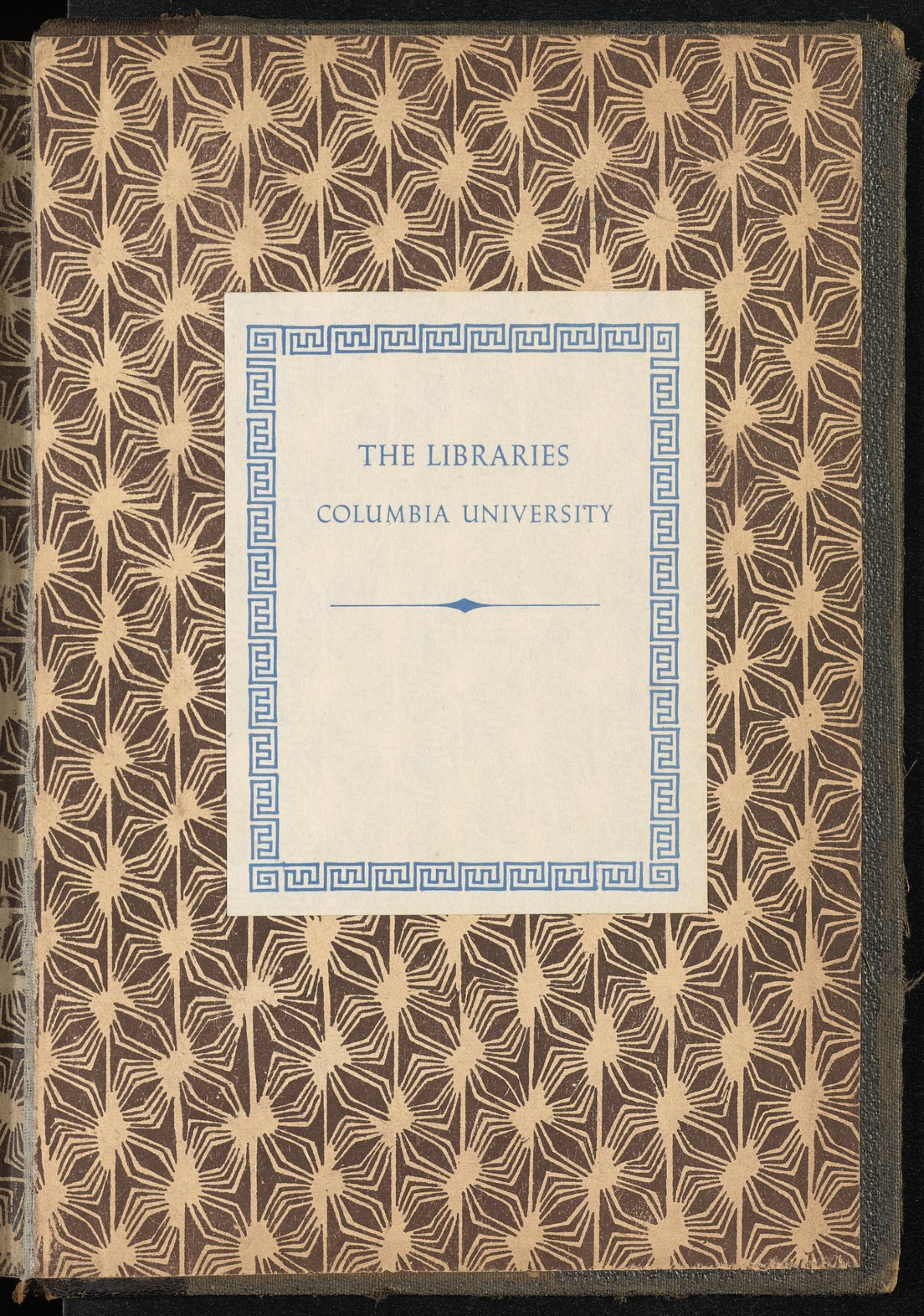
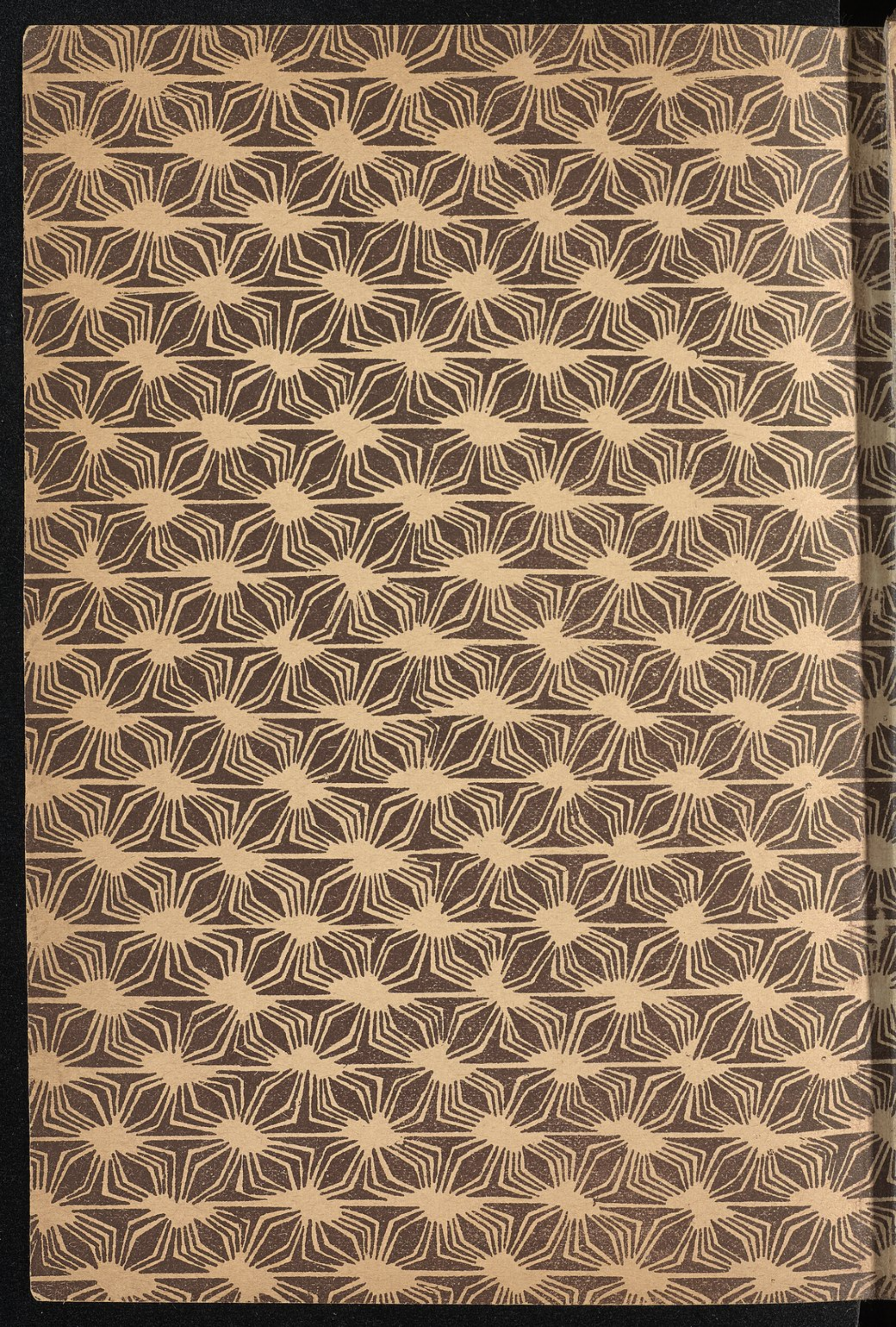



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



قانون الزواج

لا يستغني عنه طلاب الزواج والمتزوجون

اكبر كتاب عربي

يحتوي على نواميس الزواج الطبيعية وشروطه الصحية والفيسيولوجية
واغرب حوادث المتزوجين الطبيعية والطبية
وآخر النظريات فيما يختص بتعليل الجنس او الاذكار والايناث
وبيان الادوآء المتعددة وطرق علاجها التي تبتلى بها الاعضآء التناسلية
وعنها تنشأ العنة والعقم
والتدابير والوسائل الصحية الخاصة بالحمل والولادة والمولود

وفيه ٣٢ رسماً

بقلم

الياس الغضبان

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

خطبة الكتاب

لأمرٍ لا تدركهُ العقول ولا تحدهُ الابصار ولا ينالهُ الخيال نوعت الطبيعة مخلوقاتها الحية في نشئها وميزتها في التركيب والجنس بتكوينها من ذكورٍ واناث . واحكمت بين الجنسين ذلك الجاذب الشديد أو الميل الغريزي الذي يرتبط بهِ الاثنان ويتجاذبان ، وعليهِ يتوقف التناسل واستمرار الانواع الحية في قيد الوجود

يلقي المرء منا نظرةً على اعمال الطبيعة المدهشة وخلقاتها البديعة ومصنوعاتها السامية فيجد كل عملٍ من اعمالها وذرةٍ من ذراتها مؤيداً بنظاماتٍ ونواميس ومواقيت يهتدي بهديها ويجري بموجبها ولا يتعداها . واذا كان الانسان حتى عصرنا الحاضر لم يتوصل بما اوتيهِ من عقلٍ وادراكٍ ومعرفة الى حل رموز الطبيعة وكشف اسرارها واستجلاء غوامضها . فهو مع ذلك قد بلغ بمباحثهِ الدقيقة واختباراتهِ المتواصلة الى ادراك بعض السنن والقوانين التي اشترعتها الطبيعة وسارت عليها في اعمالها وايدت بها كل فريقٍ من مخلوقاتها . ولمَّا

كان الحب الجنسي او الفعل التناسلي او بكلمةٍ واحدة « الزواج » هو عملٌ طبيعي صرف . فلا بدَّ من ان يكون لهُ قانون ونظام كسائر الاعمال الطبيعية

تأتي العجماوات الفعل الجنسي بغريزتها طبقاً للناموس الذي سنتهُ الطبيعة والزمن الذي حددتهُ لها . ولمَّا كان الانسان في عصورهِ الاولى اشبه بالحيوان واقرب عهداً بالبهم فلا شكَّ بانهُ كان يقضي الفعل الجنسي عندما كانت تشير اليهِ الطبيعة أو العقل بقضآئه . لا سيما وان عريهُ لم يكن باعثاً على تأثرهِ الجنسي وميلهِ المتطرف . بل كان طوع أمر الطبيعة في اهوآئهِ الحبية وحركاتهِ وسكناتهِ الجنسية . حتى انهُ الى يومنا الحاضر كلَّما كانت الامة على الفطرة بعيدةً عن الحضارة وعريقةً في البداوة كلَّما كانت اقل تطرفاً بالفعل التناسلي واكثر ميلاً للزواج الشرعي

نرى الانسان كلما توغّل في مجاهل المدنية وتعلق باسباب الانانية كلَّما اعرض عن الزواج الشرعي ومال الى الفساد وتطرف بالفحش والدعارة . أو قضى الزواج القانوني على عكس الناموس الذي سنتهُ الطبيعة لهُ واقرهُ العلم وايدهُ الاختبار . ومع هذا نجد الطبيعيين والمصلحين والشارعين وقادة الافكار وعلماء الاجتماع صامتين وغير مكترثين لهذا الدآء الجنسي او الخلل الاجتماعي . مع اننا نشاهدهم بخلاف ذلك مهتمين بالامور التي هي دون الزواج واقل منهُ بكثير . وهم الذين يقيمون المؤتمرات ويؤلفون النقابات ويوالون الاجتماعات

وينشئون الرسائل والمؤلفات لتحسين فنون الصناعة والزراعة ونتاج الحيوان . ولا يلتفتون الاَّ من شذَّ منهم وندر الى فن الزواج وتحسين نسل الانسان . وأيم الحق انهم ملومون على هذا القصور والتقصير اللذين لم نجد لهم فيهما وجهاً للمعذرة

كان قديماً مشترعو اليونان وحكماؤهم وفلاسفتهم يسنون الشرائع ويوضعون القوانين ويصدرون الأوامر الخاصة بالزواج والتي بها يتحسن النسل وترتقي الامة . وهم يفرضون اشد العقوبات والقصاصات على مخالفيها والعابثين بها . حتى ارتقت الامة في زمانهم بتركيبها الجسمي والعقلي وفاقت سائر الامم المعاصرة لها . فلماذا لا نجاريهم في مضمارهم وننسج على منوالهم ونحن في عصرٍ قد اتسعت فيهِ دائرة العلوم والفنون والاكتشافات حتى لم تعد تذكر بازآئهِ تلك الاعصر الخوالي

قام في الاعصر المتأخرة بعض جهابذة العلماء والفيسيولوجيين الغربيين وانشأوا كتاباتٍ متعددة ومؤلفاتٍ خطيرة فيما يختص بالزواج أو الحب الجنسي . واسهبوا بها في بيان المنافع التي يجنيها البشر من زواجٍ يأتي منطبقاً على النواميس الطبيعية والشروط الفيسيولوجية . والمضار التي يبتلى بها اولئك الاغرار الذين لا يراعون لهُ قانوناً . لا سيما وانهُ المدار الذي عليهِ يتوقف ارتقاء النسل أو تسفله ، والباعث على تقدم الامة أو تأخرها . وقد ايدوا ذلك بالادلة والبراهين والشواهد والاختبارات والاحصاآت الثابتة الاكيدة التي لا تحتمل الشك ولا تدع ريباً لمستريب . لكنهُ لسوء الحظ لم يزل حتى يومنا

الحاضر الذين يستفيدون من تلك الكتابات والمؤلفات ويعملون بموجبها قليلين مع ما هي عليهِ من الاهمية والخطارة . ذلك لان السواد الاعظم من طلاب الزواج لا يلتمسون منهُ سوى اللذة والاثرآء أو الجاه وقلَّ من يراعي فيهِ نواميس الزواج وشروطهُ الاصلية . فضلاً عن قانون مدنيتنا العصرية الذي لم يشأ تقييد الحرية الشخصية في أمر الزواج بل انهُ اباح الزيجات التي لا يوافق عليها العقل ولا يسمح بها قانون الصحة والتي لا ينتج عنها غير الشقآء والتعاسة

* * *

تشتدّ فيَّ الرغبة بين حين وآخر ان اتحف ابنآء جلدتي الناطقين بالضاد بمؤلفٍ علمي يتشوق لمطالعتهِ الخاصّة فضلاً عن العامّة . لعلمي باننا في حاجةٍ قصوى الى المؤلفات العلمية وعلى الاخص الطبيعية منها . وهي التي توسع دائرة عقل الامة وتبعث فيها روحاً جديدة وتجتث منها كثيراً من الافكار السخيفة والميول التعصبية والعادات الخرافية والوهمية التي هي منشأ انحطاطها وداعيةٌ لشقآئها وتعاستها . وذلك باطلاعها على النتائج العلمية والأمور الحقيقية التي توصل اليها بحث العلمآء واثبتها البرهان وأيدها الحس والاختبار

وبعد أن اعملت الفكرة في انتخاب الموضوع وتقديم الاهم على المهم ، رأيت اننا في حاجةٍ قصوى الى مؤلفٍ يبحث في نواميس الزواج الطبيعية وشروطهِ الصحية والفيسيولوجية شاملٍ لاحكم الارآء واصح

الاختبارات التى توصل اليها العلمآء من متقدمين ومتأخرين . حافل بالمعلومات العلمية والوسائل الصحية الحديثة التي لا يستغني عن معرفتها والعمل بموجبها طلاب الزواج والمتزوجون . اخصهُ وأننا في زمان اصبح القوم فيهِ مقصرين بأمر الزواج كل التقصير ومتطرفين اشد التطرف لدى قيامهم بهذا العمل الحيوي وتأديتهم هذا الفرض الخطير . وهو الذي تتوقف عليهِ سعادتهم أو تعاستهم وهناء أو شقآء خلفهم من بعدهم

ولمَّا كانت كتب علمآء العرب التي اشتملت على بعض مباحث فيما يتعلق بنواميس الزواج الطبيعية والصحية لم تعد تفي بالحاجة وليس بين مؤلفاتنا الحديثة كتابٌ جامع للموضوع ووافٍ بالمرام . فقد خطر لي ان اسد هذه الثلمة بوضع هذا المؤلف الذي دعوتهُ بقانون الزواج معتمداً بذلك على اهم كتب علمـآء الغرب الحديثة التي وفت هذا الموضوع حقهُ من البحث والاستقرآء ، وعلى معلوماتي وملحوظاتي الخاصة وما عثرت عليهِ في مؤلفاتنا العربية . وقد توخيت فيهِ بنوعٍ خاصٍ ما كان انسب لبيئاتنا واوفق لطبائعنا واقرب الى عاداتنا

وعليهِ ازف اليوم الى قرآء العربية سفراً جليلاً وكتاباً مفيداً يتخذهُ طلاب الزواج نبراساً منيراً يستضيئون بنورهِ ويهتدون بهديهِ ويأتمرون بأوامرهِ وينتهون بنواهيه . وبهِ يعلم كلٌّ منهم بتركيب بنيتهِ واستعدادهِ الشخصي والزمن الذي يجب عليهِ ان يقضي فيهِ هذا الفعل الطبيعي والفرض الحيوي ، منتخباً الزوج الانسب لمزاجهِ والاوفق لسنه ويكون للزوجين مقياساً ينسجان على منوالهِ ويجريان على سننه

في سلوكهما الزوجي ، يتقي كلٌّ منهما الاحوال المضرة والملاذ المتطرفة التي تضر بهما و بنسلهما ايضاً . وليمضيا حياتهما الزوجية في اطيب عيشٍ واهنأ غبطةٍ ويخلفا نسلاً صحيحاً في قواهُ الجسمية والعقليـة بهِ ترتقي الامة و يفتخر الوطن

و يجد فيهِ الشبان والكهول والشيوخ الشهوانيون من النصائح المفيدة والعبر المؤثرة فيما يتعلق بالفعل الجنسي والميل الحبي ليتجنب كلٌّ منهم التصرفات التي تنافي النواميس الطبيعية والآداب القومية و بها ينجو من الادوآء الخطرة والامراض الوبيلة التي يبتلى بها الجسم وتتنغص الحياة

وفي التالي يطلع فيهِ المحقق والمحامي ومن يتولى القضآء في الدعاوي الزوجية على الشوائب الطبيعية والادوآء المرضية التي عنها تنشأ عنّة الرجل وعقم المرأة ، والتي تحول دون قضآء الفعل الجنسي وتخليف النسل . الى غير ذلك من الاحوال والاسباب والشرائع المتعددة التي تتعلق بالزواج . ليكون كلٌّ منهم اسد رأياً واعدل حكماً في الشؤون الزوجية التي يتولى الدفاع عنها او القضآء بها

هذا واني استميح ممن يقف على كتابي هذا ان يطالعهُ على انفرادٍ ويتروى فيهِ بتمعنٍ ناظراً اليهِ بعين الانصاف غاض الطرف عما يحويهِ من التعابير والهفوات . ليتزود بنصائحهِ ويجني ثمار فوائدهِ بدون ان يشغلهُ العرض عن الجوهر وتستوقفهُ القشور عن اللباب

الياس الغضبان

القاهرة في غرة يناير سنة ١٩١٣

الفصل الاول

﴿ نظرة عامة في الزواج ﴾

يتوقف أمر تكوّن الانواع البشرية واستمرارها في عالم الوجود على غريزة التوليد والرغبة في النسل . وتتم هذه الغريزة باتحاد الجنسين اتحاداً فيسيولوجياً ينتج عنهُ التناسل وهو اعظم عملٍ من اعمال الطبيعة واول باعثٍ على دوام الجنس البشري في عالم الاحياء

يتم عقد الزواج بين الرجل والمرأة في جميع الهيئات الاجتماعية بمقتضى الشرائع والقوانين الموضوعة له . وهي التي من شأنها ان تعود بالنفع والخير على الزوجين والأسرة معاً . ولا بدَّ من وجود عاطفةٍ بين الزوجين ليشعر كلٌّ منهما بلذةٍ وانشراحٍ في قيامهِ مع الآخر . ثم تظهر مفاعيل هذه العاطفة في النسل المولود منهما وهما اللذان يتساعدان ويتعاضدان على تهذيبهِ وتأديبهِ مادياً وادبياً ، ليكون عضواً سالماً ومفيداً في المجتمع البشري

وعلى ذلك فالزواج ينمي ويوطد في الزوجين محبة البنين ، وينشط

فيهما الشعور بما يجب على كلّ منهما نحو الآخر وبما يلتزم بهِ كلاهما نحو الأسرة . بحيث تحب الزوجة زوجها وتعتني بهِ ويقابلها الزوج على ذلك بشغفهِ بها والذود عنها . ولا تقف منافع الزواج عند هذا الحد بل ما خلا ذلك هو الوسيلة الوحيدة لتنكب طرق الفساد وتجنبها ، والباعث الاكبر على تعديل الشهوات النفسية وتلطيف حدتها ، والواقي للاخلاق النبيلة من التسفل والابتذال ، وللشرف المكتسب من التدني والامتهان

امّا اذا الفتنا الطرف نحو الشرائع الطبيعية، والمدنية الراقية ، وجدنا ان حقوق الزوجين في نظرها واحدة . وهو المبدأ الذي نشاهدهُ في كل يوم يزداد رسوخاً وثباتاً . فاذا كان الرجل هو ملك المخلوقات البشرية فالمرأة هي ايضاً ملكتها المحبوبة . وعن هذه المساواة في الحقوق تتولد طاعةٌ متبادلة وحياةٌ زوجية متناسبة تسفران عن ظل سعادةٍ وارفة يتفيء بها لفيف الأسرة لترتع في رياض السلام والهناء

نرى انهُ من الغدر وعدم الصواب ان نحكم ببقاء صلة الزواج مرتبطة ولا نقضي بحلها ، اذا خان احد الزوجين شريكهُ ونقض شرطاً او اكثر من شروط العقد التي تكفل الاثنان بمراعاتها والمحافظة عليها . وصفوة القول ان عقد الزواج هو أمرٌ خطيرٌ للغاية لا يجوز للزوجين ان يوقّعا بسرعةٍ عليهِ قبل البحث واحكام الرويّة فيه . ويشير كتاب الحكمة الى ذلك بقولهِ « عليك قبل الزواج ان تتبصر جيداً فيما تصنع لانهُ على هذا اليوم يتوقف أمر نجاتك او هلاكك

اعتبر الفلاسفة والشارعون في جميع الازمنة الزواج هو الحالة الطبيعية للرجل والمرأة البالغين سن الزواج . واعتبروا هذه السن بعد مرور جملة اعوامٍ على زمن البلوغ . اذ تكون اعضاء الجسم قد نالت معظم نموّها واصبحت صالحةً للقيام بوظيفة التناسل خير قيام . ذلك لان الزواج يتطلب سناً موافقة ونموًّا كاملاً وقوىً كافية وشعورًا اكثر ثباتاً من شعور الحب والغرام

كان يقول بول دي كوك ان من يتزوج زواج الحب هو نظير الشخص الذي يقيم في مكانٍ حرارتهِ اربعين درجةً بدون ان يفكر انهُ قد يمكن ان تسقط الحرارة الى ما تحت الصفر — وكان بول ستاهل يشبه المتزوج بدون حبٍ بشخصٍ ينفي ذاتهُ باختيارهِ الى سيبريا بدون ان يحمل معهُ ما يوقد بهِ ناره

وليس الزواج بنافعٍ ايضاً لاولئك الاشخاص الذين قد اتلفوا عمرهم وصحتهم ومالهم في مواطن الدعارة ومواخير الفساد بل انهُ بعكسهِ يكون سبب شقاءهم ومجلبة تعاسة زوجتهم و بنيهم معاً . وماذا يرجى من امثال هؤلاء الاشخاص الذين قد امضوا زهرة شبابهم واجمل ايامهم في وهاد الغرور ومسارح الفحش

امَّا بالنظر الى ما قررتهُ خبرة ارباب العلم من متقدمين ومتأخرين ان خير مدةٍ للزواج واثمرهِ معاً هي على العموم من سن الخامسة والعشرين الى الاربعين للرجل ومن الثامنة عشرة الى الثلاثين للمرأة . وما خلا ذلك فالزواج المعقود قبل هذا العمر يعد زواجاً

باكراً والمعقود بعدهُ زواجاً متأخراً . وان الذي تتجاوز فيهِ كثيراً سن احد الزوجين عن الآخر يسمى زواجاً متفاوتاً او غير متناسب

الزواج الباكر — يرتكب الوالدون اعظم خطاءٍ لدى تزويجهم بنيهم وبناتهم قبل ان تنمو بنيتهم نمواً كاملاً . وما ذلك الّا لان الفتيان الحديثي السن تنتهك قواهم وتخمل همتهم ويفتر نشاطهم من جرآء مباشرةٍ جنسية متوالية تدفعهم اليها حدة شهواتهم واميالهم التناسلية . فهم اذا خلّفوا فلا ينسلون سوى نسلٍ هزيل وضئيل وبذلك يجنون على المجتمع البشري جنايةً لا تغتفر

وكذلك لا يلبث الزوجان زمناً طويلاً على هذه الحالة حتى يحل فيهما العقم وهو نتيجة الانحطاط وفقدان القوى التناسلية . فوقتئذٍ يأخذ التنابذ والتباغض مبدأهُ فيهما وهما لا يزالان في شرخ الصبا وغضاضة العمر . اذ يذهب كل منهما باحثاً عن الوسائل المتنوعة التي تنشّط شهواتهُ وتوقظها من غفلتها

امّا الزواج الباكر فهو بنوعٍ خاص اضرّ بالمرأة من الرجل . ذلك لان التهوّر والجهل اللذين يأتيهما الاهل في تزويج ابنتهم قبل السن المقررة لزواجها يؤخر نموّ قواها التي هي في سبيل النشوء ويكون باعثاً على تشويه قامتها وتشنيع جيدها . فضلاً عن ان رحمها الذي لم يبلغ بعد نموّهُ التام لم يكن في وسعهِ ان يحوي جنيناً وافي الحجم ، ولا ان يقدم لهُ كل ما يحتاجهُ لتمام نموّه . وفي التالي ان ضعف اواصر

احشائها وقلة اتساع حوضها وضيق المخرج الذي سيجتازهُ الجنين عند مولدهِ كل هذه الاسباب كثيراً ما تكون خطرةً على المولود والوالدة ايضاً . ذلك لانهُ ليس من المحتمل ان فتاةً لم تبلغ بنيتها كامل نموّها في امكانها ان تلد مخلوقاً تام البنية ، وهو مما يستحيل حدوثهُ ولا من يوافق عليه . حتى ان كثيراً من الفتيات اللواتي قضوا عليهنَّ بالقران الباكر ، كانت يد المنون في غالب الاحيان تقصف اغصان قدودهنَّ الرخصة عقبى ولادات شاقّة . او ان تتسبب لهنَّ من جرائها ادوائ وآلامٌ مبرّحة يضطر جسمهنَّ اللطيف الى تحملها مدةً طويلة من الزمن

امّا اليوم فقدأدركت الامم المتمدنة حقيقة الأمر، وعلمت بمضار الزواج الباكر ، ولم تعد تلتفت الى سن الزواج التي حددتها الشريعة . بحيث اننا نشاهد في انكلترا وفرنسا وايتاليا و بلجيكا ان متوسط سن الزواج هو سن ٣١ للرجال و٢٥ للنساء وذلك بناءً على الاحصائيات التي اجروها من هذا القبيل

الزواج المتأخر — ان اعضاء الرجل التناسلية الذي ناهز سن الخامسة والخمسين ، وكذلك المرأة التي بلغت سن الاربعين ، لم تعد تمتلك حيوية سن الشبيبة ونشاطها . ذلك لان النشاط الحيوي الذي استمر في كلا الاثنين مدة السنوات العشر الماضية مقيماً في اعضائهما التناسلية على حالهِ ، أخذ اليوم في تناقصهِ المتوالي المحسوس . وما هذا الاَّ على سبيل الاطلاق العام . لانهُ بالنظر الى التركيب والمزاج

والحالة الصحية والسلوك المعتدل تبكّر مدة الانحطاط في البعض وتتأخر في الآخرين . وفي اثنائها لم يعد الانتصاب تاماً وثابتاً في الرجل ، ولم يعد زرعهُ المنوي يفرز بغزارةٍ ويقذف بعنف . ومن المحتمل ان يكون قد فقد قليلاً من صفاتهِ الحيوية ، مع عدم الالتفات الى حالة جسم الرجل الصحية اذا كانت لم تزل جيدةً فلا بدَّ مع ذلك من ان يكون استعدادهُ التناسلي قد فتر فيهِ ولم يعد يشعر بهِ بتلك الحدة والحمية السابقتين

وكذلك تظهر ذات المفاعيل في المرأة ماخلا الشاذَّات منهنَّ . بحيث انهُ لم يعد الحب الجنسي يحمي ادمغتهنَّ ولا الفعل التناسلي يحرك اميالهنَّ . واذا ما ظهرت عليهنَّ في بعض الاحيان لوائح الاهوآء الحبية فما هي الاَّ انعكاساتٌ ضئيلة عن مرآة مخيلتهنَّ وهواجسهنَّ الماضية . ذلك لان السمن يبدأ مفعولهُ غالباً في النسوة اللاتي قد ناهزن سن الخامسة والثلاثين حتى الاربعين . ومما هو معلوم بان السمن هو رمزٌ للانحطاط التناسلي في الغالب . فضلاً عن كون نسآء هذه السن قلما يفتكرن بالفعل الجنسي ويملن اليهِ اذا كان ازواجهنَّ لم يحركوا فيهنَّ عاطفتهُ وينبهوا اعضآءهن الراقدة في غفلتها . ومجمل القول ان الاعضآء التناسلية لكلا الجنسين تفقد في السن التي سبقت الاشارة اليها قسماً وافراً من نشاطها المتقد الذي كانت تمتلكهُ في سن الخامسة والعشرين

ويظهر مما تقدم ان ثمر الزواج المتأخر لا بدَّ من ان يأتي

اضعف واقبح من النسل الذي يولد في نشأة الحياة و إِبّان قوى العمر . ومن منا لم يشاهد اولاد الشيوخ من كلا الجنسين وكيف ان ظهورهم محدبة ، ورؤوسهم غائرة بين كتفيهم ، واذرعهم كثيرة الطول ، ويديهم غليظة ، وساقاتهم مقوّسة ، بادية عليها لوائح الضعف ودلائل الكساح . وهؤلاء اكثر ما نشاهد امثالهم في ساحات المدن وامهات الحواضر

يجب على الشريعة التي تحدد العمر الأصغر للزواج ان تحدد ايضاً العمر الاكبر له . ولا تسمح بزواج يأتي مضرةً وخطراً على الوالدين والمولود والهيأة الاجتماعية ايضاً . واذا ذهبت مدعية بان بعض الاشخاص يتزوجون في سن الكبر ويخلفون اولاداً اصحاء نظير ديلسبس مثلاً . فهؤلاء هم من الشواذ الني لا يجب اهمال النفع العام في سبيلهم ولا تضحية القسم الاوفر من البشر على مذابحهم

الزواج المتفاوت او الغير المتناسب — تشمل الكآبة وعدم اللياقة وقلة التأدب هذا الزواج عادةً ، ومن الواجب ان الشرائع والقوانين الوضعية تحرمهُ ولا تسمح به . ذلك لان ضررهُ يعود على الزوج الفتيّ العمر وعلى بنية البنين اذا ما انتج نسلاً

اما الشبان الذين يدفعهم الغرور وحب الاثرآء الى زواجهم بنسآء كهلات ، فهؤلاء يفقدون سريعاً قوتهم ونشاطهم . وما ذلك الاَّ لانهم يقترنون بزوجاتٍ يكنَّ في الغالب شبقاتٍ متقدات المزاج . وكذلك بالمثل يذبل جسم الفتيات اللواتي يتزوجنَّ بالشيوخ اما لكونهن

يستسلمن بكرهٍ لهؤلاء الشيوخ الشبقين ، واممَّا لان الذي يستعيضه ازواجهنَّ من القوة والنشاط تفقدهُ اجسامهنَّ الغضة . واذا تصادف وانتج هذا الزواج فماذا ياترى يُرجى من نسل مولود في احوال كهذه . سيما وقد اتفق جميع الفيسيولوجيين على ان النسل الذي ينسلهُ الاشخاص المسنّون يأتي ضعيفاً هزيلاً تنقصهُ الحيوية الكافية ، ويكون عرضةً لادواء الكساح والباسور وخلافهما . حتى ان القسم الاكبر منهُ لايبلغ من العمر الدور الثاني (١) والذين يعيشون و يستطيعون الثبات تكون حياتهم في الغالب حياة حزنٍ وألم

ولقد كانت الشريعة الرومانية فيما مضى اقسى من الشريعة الحاضرة لانها كانت تحرم انعقاد مثل هذه الزواجات الغير المتناسبة ، وقد حددت لذلك حدوداً ليس في امكان من يبغي الزواج ان يحيد عنها او يخل بها

امَّا بالنظر الى البلوغ فان التلمود قد حدد سن الثالثة عشرة و يوم واحد للرجال ، وسن اثنتي عشرة و يوم واحد للمرأة . ولا ينظرون الى هذه السن بل يتقدمونها متى اكتست الاعضاء التناسلية بالشعر . لكنهُ لا يمكن ان يكون عمر الولد المتزوج اقل من تسع سنين و يوم واحد ولا الابنة المتزوجة اقل من ثمان سنين و يوم واحد . فاذا انتقلنا من التعاليم الاسرائيلية الربانية الى الشرائع السبارطية أو الاثيناوية خطونا خطوةً واسعةً وشاهدنا البون شاسعاً . ذلك لان الرجل في سبارطة لم

(١) الدور في حياة الانسان هو سبع سنين

يكن يتزوج قبل سن ٣٧ وفي اثينا قبل سن ٣٥ ولم يكن مباحاً للبنات ان يعقدن قراناً قبل سن العشرين . أمَّا في الهند ففي استطاعة الرجال ان يتزوجوا في سن الرابعة عشرة والنسآء في سن الثامنة . وقد اقترن صاحب الشريعة الاسلامية بزوجتهِ خديجة اذ كانت في سن السابعة وابتنى عليها في سن التاسعة كما ذكر ذلك ابن عبد ربه في عقدهِ وخلافه . فيشاهد مما تقدم كم كان تقدير سن الزواج متبايناً عند المشترعين الاقدمين

امَّا في يومنا الحاضر فالقانون المدني الفرنساوي لا يسمح للرجل بان يعقد زواجاً قبل سن الثامنة عشرة الكاملة ، وللمرأة قبل سن الخامسة عشرة الكاملة . غير ان علمآء الصحة والفيسيولوجيين لا يقبلون بتحديد المشترعين الاقدمين ولا المتأخرين بل انهم يبرهنون بشواهد متعددة عن الاضرار التي تنتج عن هذا التحديد . وفي رأيهم ان سن البلوغ شيء وسن الزواج شيء آخر

كان الجرمانيون الاقدمون لا يتزوجون قبل بلوغهم سن الخامسة والعشرين ولم يكن منهم من يعرف امرأةً قبل هذه السن . ولهذا كانوا ذوي بنيةٍ قوية ادهشت الرومانيين . ومما يُشاهد حتى يومنا الحاضر في القطر المصري وعلى الخصوص في الارياف ، انهم يزوجون بعض البنين او البنات وهم دون سن البلوغ . وكم شاهدت امثال هؤلاء الاحداث العرسان الذين كانوا يحضرون الى القاهرة مع اهلهم لمشترى معدات الزواج ومنهم من لم يبلغ السن التاسعة ، لكنهم

بعد ايام قلائل سيصبحون ازواجاً وزوجات

يشاهد المرء في عالمي النبات والحيوان علامات رديئة تشمل الثمر والنتاج الباكرين اي اللذين يأتيان قبل اوانهما . مثال ذلك ان الشجرات الفتيّة التي تثمر باكراً تستمر ابداً ضئيلة وهزيلة . وكذلك الحيوانات التي تنتج ولم تكن قد بلغت نموّها الكامل فانها تلد صغارها قليلة القوى سريعة الهلاك . وبمثل ذلك يحصل في الجنس البشري

غير ان الذي يقضي بالعجب ولم نرَ لهُ سبيلاً للمعذرة ، ان الرجل الذي يبذل غاية مجهودهِ ومنتهى خبرتهِ في تحسين اثمار حدائقهِ ونتاج مرابضهِ يقصّر في عكس ذلك ولم يكترث لاتخاذ الوسائل الباعثة على تحسين نسلهِ وترقيته . ولقد قال بالزاك ان الزواج علمٌ لكنه مما يؤسف لهُ ان بين جميع المعارف البشرية نرى علم الزواج هو الاقل منها تقدماً والاوفر تأخراً . وقال السير فرنسيس غلتن في هذا الصدد وهو انهُ لو زار احد سكان الكواكب الارض واخبرتهُ بان علماء الارض يهتمون باصلاح نسل الغنم والبقر ولا يهتمون باصلاح نسل البشر لخالك تمزح أو تهزئ . ولكنّ الامر كذلك كما هو حاصلٌ بالحقيقة . ثمَّ اردف على هذا بقولهِ : انهُ لولا ميل الانسان الفطري الى التقدم والارتقاء ولولا الآداب الدينية والاجتماعية لكان نوع الانسان احط جداً من كثير من انواع الحيوان

مما يقضي بهِ العقل ويؤيدهُ الاختبار ان يعقد الزواج بين مزاجين مختلفين . اي ان يقترن الصفراويون باللمفاويين ، والدمويون

بالعصبيين وهلمَّ جرًّا . بحيث قد تلاحظ ان النسل المولود من اختلاطٍ كهذا يأتي متوفرة فيهِ القوة والصحة . لان الجمع بين مزاجين متعاكسين ينتج على العموم مزاجاً مختلطاً هو اقل استعداداً لقبول العلل الجسمية والعقلية التي من الجائز ان يكون الوالدان متخلقين بها

فعلى الوالدين الذين في يدهم أمر تزويج بنيهم ان لا يقصّروا في مراعاة الشرائع التي اقرتهـا الطبيعة او يهملوها ، اخصهُ فيما يتعلق بالسن والمزاج . ذلك لان هنآء الزوجين وصحة وسعادة الأسرة متعلقةٌ بها ومتوقفة عليها

من المسائل الهامة التي قلما يحفل بها المتقدمون الى الزواج ويلتفتون اليها ، هي الحالة الصحية او المرضية التي يكون الخطيبان متصفين بها . ذلك لان جلَّ ما يبتغيهِ المتقدمان الى الزواج في وقتنا الحاضر هو الاثرآء والجاه والرفعة . وقلَّ من يحسب حساباً لشوائب البنية والادوآء الاقل والاكثر خطراً التي تحول دون هنآئهما ، والتي لم يعد من ثمَّ في الامكان تلافيها والتغلب عليها

وليس لنـا ان نؤمل في يومنا الحاضر بان يسن الشارعون قانوناً يحرّمون فيهِ زواج الاشخاص المعتلين وذوي العاهات والذين ينطوي جسمهم على جراثيم احدى العلل الوراثية الخطرة . اولئك الذين يأتي نسلهم ممثلاً ذات العلل الموروثة التي تتسلسل بواسطتهم من السلف الى الخلف . ومن الواجب ايضاً منع الابنة عن الزواج اذا كان تركيبها الطبيعي رديئاً . بحيث قد اظهر الاختبار ان المرأة

التي يقل اتساع مقدم حوضها او مؤخره عن ثلاث عقدٍ مثلا فهذه لا تستطيع ان تلد ولادةً طبيعية ، ولا بدَّ من مساعدة الاوايل الطبية على ولادتها . فضلاً عن ان العملية التي يعملونها لها تكون في الغالب سبب عذابها وخطراً على حياتها . ويتفق احياناً ان يذهب الجنين ايضاً ضحيةً في سبيلها . فيجب على الاهل الذين يلاحظون نقصاً موروثاً او مكتسباً في تركيب بنيهم او بناتهم ان يشاوروا طبيباً حاذقاً قبل تزويجهم ليوضح لهم النتائج التي ربما تحصل لهم من جراء زواجهم . وهذا هو خيرٌ لهم ولنسلهم من بعدهم ، واجتنابٌ لجملة مكارهٍ مؤلمة سوف تنتابهم وتحل فيهم . ولكن لنكد الطالع قلَّ من الاهل من يلتفت الى ذلك ويعتبر بهذه العبر . لا بل ان الجهل والانانية هما اللذان يدفعانهم الى الاضرار بنسلهم وبالمجتمع البشري معاً . ومن العبث ان نؤمل من الوالدين ان يكونوا حكماء في أمر تزويج بنيهم الذين عليهم تتوقف سعادتهم او شقاؤهم . وما زال الأمر كذلك فعسى ان الهيأة الحاكمة كما هو حاصل في بعض مقاطعات اميركا ان تتوسط في هذا الشأن بما لها من النفوذ والسيطرة وتسن قانوناً تمنع بهِ الزواج الغير المتناسب وزواج الاشخاص المبتلين ببعض العلل الارثية . وبذلك نكون قد خطونا خطوةً واسعة في سبيل تحسين الجنس البشري وترقيته

اصدر مؤخراً مجلس شورى القوانين في ولاية بنسلفانيا من اعمال جمهورية اميركا قراراً من مقتضاهُ انه لا يسوغ اعطاء رخصة

لاي شخص يريد الزواج الاَّ اذا قدّم كلٌّ من الطالبين الخاطب والمخطوبة الى الكاتب المنوط بهِ رخص الزواج شهادةً من طبيب معتمد يشهد بها ويعترف باقصى تحرياتهِ بان الطالبين غير مصابين بدآء السل الرئوي او الصرع او الجنون او البلاهة ونحوها من الامراض الوراثية

لكنهُ مما يؤسف لهُ ان وضع قانونٍ كهذا لا بدَّ من ان تصادفه مقاومات شتَّى وحملات شديدة بدعوى انَّ لهُ مساساً بالحرية الشخصية. الاَّ ان هذه الدعوى تسقط من تلقآء ذاتها متى عُلمت الغاية منها. وهي تضحية صالح بعض افرادٍ قلائل في سبيل نفع الجنس البشري اجمع. واننا لمتأكدون انهُ لا يمضي على هذا القانون قرن من الزمن حتى تظهر للعيان مفاعيلهُ المفيدة ونتائجهُ الحسنة. لان الشريعة التي تهتم في ترقية الانسان طبيعياً وهي الاساس لارتقائهِ عقلياً هي من اجل الشرائع واسماها. وبعكسها تلك التي تتجاوز عن الامور الصحية والفيسيولوجية فهذه نعدها شريعة مقصرة وناقصة. والاغرب من ذلك ان الشريعة التي لا تبيح الطلاق مطلقاً وتتمسك بقول من ازوجهُ الله لا يفرقهُ انسان، هي بالذات تتساهل بأمر الزواج ولا تتحرى حالة الزوجين قبل ان تعقد زواجهما. فهل بعد ذلك جناية اشد فظاعة وحكم اكثر صرامة من هذا. فضلاً عن الشقآء والويلات والمفاسد المتعددة التي تستحكم حلقاتها مدى العمر بين كثير من الأسر وتكون هذه الشريعة الجائرة هي المسببة لها

زعم كثيرٌ من الفلاسفة والحكمآء بان من جملة الاسباب المساعدة على ترقية الامم واسعادها ما في قانون زواجها من التفوق والافضلية . وهذا مبدأ يوافق عليهِ جميع اصحاب العقول الراجحة و يؤيدهُ كثيرٌ من الحكام والمسيطرين . لان الزواج في نظر الاطبآء والفيسيولوجيين ليس هو فقط الصفة المتممة للفعل الجنسي ، بل هو الوسيلة لاتمام نمو الاعضآء . فضلاً عن انهُ ضروري لحصول التوازن بين الوظائف العضوية والخصائص العقلية

ومما قررهُ كثيرٌ من مشاهير العلمآء المشهود لهم بالمعرفة والخبرة بنآءً على ما اجروهُ من البحث والاحصآء ان ادوآء الجنون والصرع والسودآء والمانيا والهيستيريا والآلام الرحمية وسئم الحياة الذي يدفع كثيراً المبتلى بهِ الى الانتحار ، وخلاف ادوآءٍ محزنة أليمة . فهذه جميعها يشتد وقعها بنوعٍ خاص على جماعة العازبين ولا تصيب المتزوجين الاَّ نادراً . هذا فضلاً عن المنية التي تنتاب في مدةٍ معيَّنة العازبين اكثر من انتيابها الاشخاص المتزوجين

واذا رغب المرء ان يطَّلع على اسباب هذه الافضلية التي يتمتع بها الاشخاص المتزوجون ، فضلاً عما يلازمهم من الهواجس و يحيط بهم من الاتعاب التي ترافق الحياة الزوجية عادةً فاننا نبينها في الآتي

اولاً : ان ما يبديهِ الزوجان من النشاط الجسمي والعقلي حفظاً لكيان أسرتهما ورغبةً في هنآئها ورفاهها ، هو ذلك الذي يشحذ غرار الوظائف العضوية و يحفظ في توازنٍ تام حالة التحليل والتمثيل

اللذين عليهما مدار امر الصحة والعافية

ثانياً : يقضي الزوجان ملاذ الزواج باعتدالٍ وانتظام وهي الوسيلة التي تبعد عنهما الضعف والانحطاط وتكسب بنيتهما افرازاً جديداً وتزيل عنها الافرازات المتعفنة فيها والفائضة عليها

ثالثاً : يشترك الزوجان في احتمال مشاق الحياة والقيام باعبآئها ، ويتشاطران سرآءها وضرآءها ، ويأتيان العناية والمساعدة اللازمتين لكل منهما ، ويتبادلان الحب والودادوالانعطاف والعزآء اذا اقتضى الأمر . وذلك مما ينشط فيهما الهمة ويشحذ العزيمة

فهذه هي بوجهٍ عام منافع الزواج في اسمى حالاتها واجلّ مظاهرها وما على الذين يبغون الحصول عليها والتمتع بها ، الا ان يعقدوا زواجهم بحسب القوانين المقررة لهاوالمنصوصة عنها ، ويحترسوا من ان يهملوها او يفرطوا بها

⟶✲✲✲⟵

الفصل الثاني

﴿ في مفاعيل الزواج الطبيعية والعقلية ﴾

لا توجد على الاطلاق ملذةٌ اسرع حدوثاً واعظم وقعاً في النفس من ملذة الحب ، فهي في لحظةٍ واحدة تبسط مجموع الجسم وتسر قوى النفس بدون ان يحتاج الأمر الى استاذٍ ليعلمنا فن الحب واساليبه . ذلك لان الطبيعة قد غرزتهُ فيناوطبعتهُ على صفحات قلوبنا

نرى ميل الجنسين للزواج شديداً جداً وهذا الميل بينهما كناموس الجاذبية بين الاجسام. وان سنَّة اتحاد الجنسين في الزواج هي من اعظم السنن التي يتمتع بها عالم الاحياء . وان الرجل والمرأة هما المخلوقان الممتثلان لها ايضاً نظير باقي المخلوقات ، وليس في وسعهما اهمالها والتخلي عنها ، اخصهُ في ابَّان العمر وسن الزواج . بدون ان يتأثر فيهما نظام البنية وتضطرب احوالها و يضطران ان يتحملا ما قل او كثر من الآلام والاهواء ومنازع الاشتياق . الأمر الذي يجعل للزواج تأثيراً عظيماً على صحة اجسام واخلاق وصفات كلا الجنسين

ولقد اسلفنا القول عن العزَّاب انهم دائماً معرّضون لجملة ادوآء قلما تصيب المتزوجين . فضلاً عن المنية التي لها النصيب الاوفر عند العازبين . ذلك لان من جملة افضليات الزواج هي الشيخوخة التي لم يخفَ أمرها عن الاقدمين ، اذ كانوا ينصبون التماثيل لالهة الزواج وينقشون على قاعداتها هذه الكلمات « الى الالهة هيمن [1] التي تؤخر الشيخوخة »

امَّا اذا ظنَّ البعض بان البتولية تحفظ زاهي اللون وتبقي على ملامح الجسم وغضاضتهِ ، فقد ساء ظنهم وطاش سهمهم وكانوا من اكبر المخطئين . وهذا الخطأ اكثر ما تقع فيهِ العذارى الكهلات . لان المرأة البتول التي يبلغ جسمها منتهى نموهِ لا تبطئ قليلاً حتى تبتلى صحتها بضروب الانحرافات والادوآء ، كالبثور الجلدية والارياح السوداوية وخلافها ، وهي التي من الدّ اعدآء حسنها وجمالها . اذ يذبل بهآؤها وتقل غضاضتها وتتغير صحتها كلما تأخرت عن امتثالها لسنَّة الطبيعة ولم تفها حقها . وبعكس ذلك المرأة المتزوجة وعلى الخصوص التي حملت فهي تتمتع بنضارةٍ جديدة وصحةٍ متلألئة لا تحلم بها العذرآء التي تجاوزت سن الزواج

امَّا العزوبة الدائمة والبتولية المطلقة عند الرجال على العموم ، فما هي الاَّ ضربٌ من المحال واسمٌ لا مسمى له . وانهُ اذا استمر البعض عزاباً فما ذلك الاَّ ليتركوا لهم وسيلةً يتمتعون بها بملاذ الحب وملاهي

(١) هيمن الهة الزواج كما في اساطير الاقدمين

الغرام ، بدون ان يكلفوا انفسهم تحمل اثقال الزواج الشرعي وايفآء مطالب الاسرة . فهم كالنباتات الطفيلية او الحيوانات الحلمية اصحاب كسل وانانية . او اشبه ببعض الحشرات المضرة التي لا تجرأ على بنآء عش لها فهي تقيم في عش الغير . وكذلك العزّاب فهم خطرٌ على انفسهم وعلى المنازل التي يزورونها ومضرةٌ بالهيأة الاجتماعية التي هم جزءٌ منها. ولقد جار فرنكلين على العازب بتشبيههِ اياهُ بشقة المقص التي لا تصلح لشيءٍ بدون شقيقتها فليرموها او يطرحوها في وعآء قطع الحدايد القديمة

يظهر من احصائيات كثير من الاطبآء العلمآء من فرنساويين والمانيين وانكليز ، ان الوفيات بين العازبين على تقدير مدةٍ من الزمن وهي من سن الخامسة والعشرين الى الخامسة والاربعين تبلغ ٢٨ في المائة ، مع ان بين الرجال المزوجين في ذات العمر والمدة ما هي سوى ١٨ في المائة فقط

ثمَّ انهُ بالنظر الى ٧٨ رجلاً متزوجاً يبلغون سن الثانية والاربعين ليس الاَّ اربعون عازباً يبلغون هذا العمر ، ويتسع الفرق كلما تقدم العمر . حتى انهُ لا يظل في قيد الحياة في سن الستين من مائة رجل غير ٢٢ عازباً يقابلهم ٤٨ متزوجاً . ويستمر في سن الثمانين تسعة اشخاص مزوجين يقابلهم ثلاثة عزّاب فقط

واليك الاحصآء الذي اجراهُ العالم كاسبر من برلين :

يموت في المائة انسان				عازبين		مزوجين	
				رجل	امرأة	رجل	امرأة
من سن	٢٠	الي	٣٠	٤٥,١	٢٦,٥	٥,٦	٤,٧
«	٣٦ «	«	٤٥	٢٧,١	٢٤,٥	١٧,٩	١٦,٥
«	٤٥ «	«	٦٠	١٥,٦	١٩,٢	٢٩.٢	٢٢,٦
«	٦٠ «	«	٧٠	٨,١	١٥,٠	٢٢,٠	٢٢,٥
«	٧٠ «	«	٨٠	٤,٥	١١,٦	١٩ ٤	٢٢,٩
«	٨٠ «	«	٩٠	١,٤	٤,١	٧,٠	٩,٦
«	٩٠ «	«	١٠٠	٠ ٠	٠,٧	٠,٨	١,٢

ومما اثبتهُ فلريت بناءً على مباحثهِ وتحرياتهِ في سجلات وفيات جملة عواصم ان بين مائة منتحر يشاهد ٦٧ عازباً . واكد جورجه ان بين ١٧٢٦ مجنوناً يشاهد ٩٨٠ عازباً . ويظهر من الاحصائيات الجنائية انهُ في كلماية جانٍ يشاهد ٦٢ عازباً

امّا الادوآء المتعددة المسببة عن عدم ايفاء الاعضاء التناسلية حقها في السن التي قررتها الطبيعة لها، فانهم يذكرون من ذلك دآء الشبق والانتصاب والغلمة والهيستريا والصرع والجنون . . . . ومن الجهة الاخرى الملنخوليا والهزال والارق والكابوس والاحلام الحبية والعادة السرية . . . وكل هذه ادوآء رديئة تشوّه على العموم كيان المخلوق البشري وتتركهُ في اقبح المناظر

تحدث العزوبة في خصائص المرأة العقلية تأثيراً رديئاً، حتى ان عدد الفتيات والنسوة العوازب في ملاجيء المجانين يفوق حد التصور

وبالاحصاء الذي اجروهُ سنة ١٨٢٢ في ملجا السايستريار في باريس انهم وجدوا من بين ١٧٢٦ مجنونة ١٢٧٦ امرأة عازبة

ويجد المطالع فيما بعد بياناً وافياً عن الادواء العصبية التي تصيب غالب العذارى ذوات المزاج المتقد اللواتي ينذرن العفة ، كيف ان المرء ينظر الى الواحدة منهنَّ وهي في غضاضة العمر وريعان الصبا فيرى لونها كمداً وعينيها ذابلتين تحيطهما تلك الهالة الزرقاء ، وسيرها مضطرباً وهي اشبه بالزهرة الذابلة التي تنقصها القوة المنعشة . تطرق ببصرها الى الارض ويخمق قلبها متوالياً وتتخلل تنفساتها الحارة تلك التنهدات العميقة الصادرة عن اقصى فؤادها . فضلاً عن رداءة هضمها وتطلبها اصناف المأكولات الغريبة النوع الشاذة المذاق . واذا ما استمرت على تلك الحالة السيئة من الذبول والنحول فلا يمضي عليها زمن حتى تنتابها المنية وتقصف غصن بنيتها الرخص . فما على الأهل الاَّ ان يزوجوها بذلك الشاب الذي تتخيلهُ وتصبو اليهِ في منامها ويقظتها . فوقتئذٍ تذهب عنها تلك الغموم والهواجس وتعلو جبهتها سيماء البشر ولوائح الانشراح ، وتستعيض وجناتها لونهما الوردي ويسري في عروقها وشريانانها ذاك الدم الغزير الذي يضمن لها الصحة وينبه فيها عامل القوة والنشاط .

اورد القائد السبارطي بوزانياس حادث الانقلاب الغريب الذي احدثهُ الزواج في زوجة اريستون . وذلك انها كانت فتاة قبيحة المنظر مقطبة الطلعة مبتلاة بالهيستيريا ، وانهُ في حين ما اصبحت زوجةً

تغيرت حالتها وكادت تضارع بجمالها هيلانة زوجة منلاس ملك سبارطة التي بسببها حدثت حرب طروادة الشهيرة

ونظير ذلك الشاب العازب الذي تتقد فيهِ الشهوات وتزعجهُ الهواجس وتتركهُ عبوساً منقبضاً صامتاً ، اذا كان لم يجد لهُ وسيلةً لتفريجها وليس لهُ أملٌ بقضائها . بحيث انهُ متى ظهرت عليهِ امارات الاهوآء الحبية وثار ثائرها بكيفيةٍ غير معتدلة ، فوقتئذٍ اعطهِ شريكةً يستطيع بها ان يبدد هواجسهُ واهوآءهُ ويودع عندها تلك الحيوية المتدفقة من جميع جوارحهِ ومسامّهِ ، مستخدماً اياها في استمرار جنسهِ بين عالم الاحياء عوضاً من تبديدها جزافاً بدون فائدة

ومما لا يقبل الشك ان لفيفاً من الرجال والنسآء ذوي المزاج الشبق المتقد كان لا بدَّ من نزوعهم الى اصناف الدعارة وضروب التهتك ، لولا ان زواجهم هو الذي خضد شوكة شهواتهم وفل حدّ نشاطهم التناسلي الذي كان متسلطاً عليهم ومتحكماً فيهم . سيما وان التاريخ لا يضن علينا بذكر كثير من الاشخاص ذوي الاميال الحبية المتقدة اولئك الذين قد استمروا مدةً طويلة بدون ان ينالوا مرغوبهم فكانت اهوآؤهم تحرقهم وتوردهم حتفهم

ومن هؤلاء يرديكاس احد قواد اسكندر الكبير وهو الذي استحكمت حلقات الهزال في جسمهِ وكاد يشرف على التلف لولا ان ابوقراط ابا الطب قد اكتشف بنظرهِ الثاقب سبب هزالهِ وداعي انحطاطهِ وهو تعلقهُ بالفتاة فيه . الأمر الذي دعا الاسكندر ان يجبر

والد الشاب على تزويجه بها في الحال

وكذلك انطيوخس فانهُ كان يذوب صبابةً بستراطانيس سرّية والدهِ، وكاد يواريهِ اللحد لولا ان يقف الطبيب اراز سترات على حقيقة سر هـذا الفتى. وقد اعلم والدهُ سلوقس بان ولدهُ لا يستمر يومين في قيد الحياة اذا لم يحظَ بمن يعبدها ويتهالك في حبهـا. ولقد عمل الوالد باشارة الطبيب وسمح لابنـهِ بان تزف ستراطانيس اليه. ووقتئذٍ نال الشفاء وعادت اليهِ صحته

كانت احدى بنات الاشراف تتهالك في هوى شابٍّ من السوقة وضيع النسب. وقد دعي جالينوس الطبيب لمعالجتها فاكد لوالدها بان ابنتهُ مشرفةٌ على الموت لا محالة اذا أخّر تزويجها بمن تهواهُ وتذوب في حبه. وقد ارتعدت فرائص الوالد لدى سماعهِ هذا القول، لكنهُ اضطر الى تزويجها بهِ في ذات اليوم، لينتشل حياة ابنتهِ من انياب المنون التي كانت تهدد كيانها

ذكر ستوريخيوس في تأليفٍ لهُ عن الزرع المنوي ان شاباً عاشقاً اقسم بنفسهِ لدواعٍ غرامية على ان يستمر عازباً طول حياته. وعلى ذلك فقد ابتلي بمرضٍ في جسمهِ وعقله. اذ كانت الفاظهُ واشاراته من جرّآئهِ قبيحة للغاية لا تنطبق مطلقاً على القسم والنذر اللذين نواهما. ولمَّا عرض ذاتهُ على الطبيب، فقد اعلمهُ هذا صريحاً بان داءهُ قبيحٌ ليس لهُ سوى علاجٍ واحد وهو الزواج. واذ ذاك لم يعد في وسع المريض الاَّ ان يعمل بمشورة طبيبه. ولمَّا تمَّ زواجهُ طفق يبكي بحرقةٍ

وتلهف . فلمَّا رأى اصحابهُ منهُ ذلك أخذوا يسكنون ثائرهُ بقولهم لهُ ان فعل الزواج ليس هو بالخطأ والأمر المعيب . امَّا هو فقد اردف والأسف ملؤ فؤآدهِ بقولهِ لهم : انكم لم تصيبوا في دعواكم لان الذي يبكيني هو عدم اتخاذي هذا الدوآء من زمنٍ مضى

اورد احـد المؤلفين في كتابٍ لهُ عن فيسيولوجية الاهوآء النفسية تاريخ فتاةٍ من اسرةٍ مشهورة بالتديّن الباطل ، كان اهلها يدفعونها الى الرهبانية بالرغم عن ارادتها . ولمَّا كانت هذة الفتاة ذات مزاجٍ رحمي متقد ، فقد اصابها هزالٌ مفرط أخذت تنتقل على اثرهِ في مراتب دآء الهيستريا والغلمة ، وكادت تذهب ضحية اميالها المتقدة التي كانت تحرقها وتفترسها . لولا ان اهلها شاوروا الدكتور أليبار في امرها وهذا لم يصف لها غير الزواج العاجل وفي نظرهِ هو الدوآء الوحيد لها. وسيجد المطالع قصتها في الفصل الخامس عشر من هذا المؤلف

ذكر جالينوس تاريخ ذلك الرجل الذي تأثر جدًّا من وفاة زوجتهِ وقد عزم على ذاتهِ ان لا يقترب بعدها من امرأة. الا انهُ قد أصيب بعد مدةٍ بعسر الهضم وبالغم اللذين لا يعلم لهما سبباً. فاضطر بعد ذلك الى ان يتجاوز عن نذرهِ ويهيم بامرأةٍ ثانية ويتزوجها وعلى أثر هذا عادت اليهِ صحته

ومن جملة منافع الزواج انهُ يلطف الاخلاق ويدمث الطبائع . حتى ان راضة الحيوانات يزلّون الوحوش الضواري ويكبحون جماحها بتقريب احدى اناثها منها . فالنمر لا يظلُّ نمراً بقرب انثاه . وان

الرجل مهما كان ثائراً وغضوباً يصير محتشماً وانيساً بالقرب من المرأة . ويشاهد المرء احياناً عذارى وايامى شرسات الطباع لا تلين اخلاقهن وترق طباعهنَّ الاَّ بالزواج

ولا احد ينكر منافع الزواج الادبي ايضاً. فكم من النسآء الحكيمات والعاقلات اللواتي اسعدن ازواجهنَّ ، وكم من الرجال العظمآء الذين تسببت شهرتهم بما اتوهُ من الاعمال الباهرة وكان ذلك بمساعدة زوجاتهم لهم . فصاحب الشريعة الاسلامية مثلاً قد استفاد من المساعدة التي ابدتها نحوهُ خديجة زوجتهُ الاولى التي كانت لها الثقة التامة بهِ وهو اذ ذاك في سن الخامسة والعشرين . وكذلك اناسٌ كثيرون مدينون الى زوجاتهم بجانبٍ عظيم مما احرزوهُ من الرفعة والمجد . وذلك نظير ديزرائيل الوزير العظيم ، وميشيله المفكر الغويص ، ودوده الروائي الشهير وكوري مخترع الراديوم وكثيرون خلافهم . وهذا بقطع النظر عن العدد العديد من المشاهير الناكري الجميل الذين لم يعترفوا بما كان لنسآئهم من الفضل واليد الطولى في أمر نجاحهم وشهرتهم

وفي التالي ان الزواج هو الوسيلة الوحيدة التي بها تنتظم الشهوة التناسلية وتسير في الطريق الطبيعية لها ، وهو الذي في امكانه تعديلها وتقنينها . وسيشاهد المطالع في هذا الكتاب ان اطفاء الميل الجنسي ونظيرهُ اطلاق العنان لهُ هما خطران عظيمان على الشخص وعواقبهما وخيمة . ذلك لان قانون نظام البنية يقضي بان تتمرن جميع الاعضآء تمريناً معتدلاً متناسباً ، فاذا قضينا على احد الاعضآء منا براحةٍ مطلقة

فلا تلبث باقي الاعضاء حتى تتألم من جراء ذلك . ومتى اختلّت الموازنة بين وظائفها تغيرت صحتنا وحلّت فينا الادواء والعلل . وعلى ذلك فالفعل الجنسي هو ضروري للرجل والمرأة معاً . فاذا تخلّيا عنهُ بالكلية فيتضرران مادياً وعقلياً

ومجمل القول ان الاميال الجنسية اذا باشرها المرء باعتدالٍ فهي ضروريةٌ لحفظ نظام الصحة . ذلك لانها تلطف الاهواء الحادّة ، وتقلل من الضجر والقلق والخمول ، وتمنع الاحلام الثائرة التي تقلق النائم وتحرّم عليهِ لذة الكرى . وكذلك تسهل حركة الوظائف العضوية وتفرح النفس وتشرحها ، وتمنح الجسم الحرية والانعطاف ، وتجعلهُ نشيطاً وخفيفاً في تأدية اعماله ، وتحمل الرجل على الود وحسن الالتفات والكرم . بحيث انهُ مما يجب معرفتهُ والتصريح بهِ ان عذوبة الزواج هي خير مسكّنٍ وملطف لآلام ومرائر هذه الحياة

الفصل الثالث

﴿ في علائق الزوجين الادبية ﴾

ان الاسباب التي يرتبط بها الزوجان يجب ان يكون مصدرها الود الخالص والحب المتبادل والعناية الزائدة والانعطاف الاكيد. ما خلا الامانة الصادقة التي يجب ان يتخذاها شعارهما والتي عليها تتوقف سعادتهما وهناء عيشهما. واذا تطرّأ لسوء الطالع على هذه الامانة وهنٌ أو حلَّ بها ضعفٌ لاسبابٍ لم تكن بالحسبان، فيلزم والحالة هذه ان يلجأ احد الزوجين الى الفلسفة ويستعين بها على اعادة تلك الامانة الى نصابها وسابق عهدها. ذلك لانها هي الرابط الأدبي الوحيد الذي يرتبط بهِ الزوجان، والصخرة الاساسية التي عليها يرتكز بناء زواجهما. فاذا اتفق وفقدت هذه الصخرة فلا يلبث ذلك البناء حتى يتداعى على الأثر ويسقط بسقوطهِ الهناء والسعادة. لانهُ اذا شكَّ المرء في عفة زوجتهِ فيسوقها الى الرذائل اذا كان فيها استعدادٌ لها، ويجرحها جرحاً بليغاً لا يندمل مدى العمر اذا كانت هي عفيفةً ومصونة

على انهُ متى حلّت المظنة محلّ الامانة ، فاذ ذاك تنضب عيون الحب والود وتبدو في سماء المنزل الزوجي سحابةٌ كثيفة تحجب باذيالها تلك الايام النيّرة الزاهرة التي كان الزوجان يرشفان فيها كؤوس الغبطة والمسرة . وتأخذ من ثمَّ ان تتأصل جرثومة الغيرة في حديقة بيتهما ولا تلبث قليلاً حتى تحمل تلك الاثمار المرَّة المذاق التي يجنيها الزوجان ويستطعمانها معاً . ومن هذا الحين يبتدي كلٌّ منهما بان يحذر الاخر ويتوقى منه . وعليهِ فالمرأة تزدري بزوجها وترى ان عشرتهُ اصبحت غير محتملة . وكذلك الزوج تفقد منهُ الثقة بزوجتهِ ويبتدي بان يرتاب بها لادنى حركةٍ واشارة . فتلقاهُ يبحث عن جميع الوسائل التي بها يمكنهُ ان يقصي عنهُ الريب والتخوّف . وتختلف هذه الوسائل في كل امّةٍ وتكون اقل او اكثر بربريةً بالنظر الى عاداتها واحوالها ومقامها الاجتماعي والمدني

وعلى ذلك يحجز المشارقة على النسوة المشتبه بهنَّ ، والهنود يخزمونهنَّ (١) . وكان فيما مضى الايتاليون والاسبانيون والبورتغاليون يقفلونهنَّ ويخصصون على مراقبتهنَّ عجوزٌ تلازمهنَّ ولا تفارقهنَّ بتاتاً . وان احزمة العفة التي عمَّ استعمالهـا عنـد هؤلاء الشعوب لم تلاق وقتئذٍ في فرنسا نصيباً وافراً . ذلك لان رجالها هم اقل غيرةً واكثر فلسفةً من رجال باقي الامم . وهم يعلمون بان الحلقان والاقفال والاحزمة والمزالج لا تعيق المرأة عن قضاء رغائبها واميالها ، وهي التي من طبيعتها

---

(١) اي ان يقفلوا اعضاءهن التناسلية بحلقة يدخلونها فيها

ان تعمل دائماً ما يحرّمون عليها عمله . وكفى بهذا ان يحرّموا عليها أمراً حتى تلقاها تتقد رغبةً وميلاً لعمله . وهذا الضعف المتأصل فيها لا شك بانهُ آيلٌ اليها بالارث عن أمها حوآء ! . . . . وعلى ذلك يفضل الفرنساويون لا بل كل رجل عاقل وحازم الانتهار والتهديد او العفو والتسامح على قفل النسآء وخزمها . الأمر الذي جعل ان تكون نسآء فرنسا اكثر امانةً وصوناً من اغلب نسآء الامم وعلى الخصوص نسآء الامم المتمدنة

امَّا حزام العفة وان لم يلقَ انتشارًا عند الفرنساويين وقد قضى برفضهِ الرأي العام ولم يحفل بهِ ، فمع ذلك قد قام فيهم بعض الرجال المعتوهين وغالبهم من الشيوخ المسنين الذين رغبوا في استعماله . وقد حدث في تلك الاثنآء في فرنسا حادثٌ من هذا القبيل كانت له ضجةٌ شديدة وجآء كبرهانٍ قاطع على عدم فائدة حزام العفة وقلة نفعه وهو هذا

زُفّت عذرآء مصونة الى رجلٍ كهل من عليّة القوم وخاصتها كان يصحبها معهُ الى الحفلات والمجتمعات العمومية التي اعتاد على الذهاب اليها منذ صباه ، ولم يعد في امكانهِ تركها والتخلي عنها . وقد تصادف ان زوجتهُ الفتاة اصبحت هدفاً لنظرات ضابطٍ جميل الطلعة رشيق القدّ كان يتبعها دائماً بنظرهِ ويشملها بالتفاتهِ مقتفياً خطواتها ايّان سارت وحيثما اقامت . امَّا هي فلم تكن تهتم لهُ وتوجّه اليهِ التفاتاً فلمَّا جاوز الحدّ على غير جدوى منها ، تهددتهُ بالشكوى اذا استمر

على ازعاجها ومعاكستها ولم يرتجع عن غيهِ وغروزه . ولمَّا كان الرجال الغيورون من طبعهم المظنة بالسوء ، وان هذا الزوج قد داخلتهُ الشبهة في عفاف زوجتهِ متوهماً خلاف الحقيقة . لذلك طفق يزدجرها ويرصد العيون حولها ، ولم يترك باباً للغيرة الا ولجهُ ولا وسيلةً للتضيق على زوجتهِ الا واستعملها . حتى توصَّل اخيراً الى الاتيان بحزامٍ ذي قفل واكرهها على استعمالهِ وتحمله . فلما رأت هذه المسكينة ما توصّل اليهِ زوجها وكيف انهُ يجبرها على احتمال هذا الحمل الثقيل بكف النظر عن طعنهِ في صونها وامانتها بدون حقٍ ولغير داعٍ . فعلى ذلك ضمرت في نفسها السوء وتوصّلت الى أخذ رسم المفتاح واوصت على واحدٍ نظيره . واذ ذاك كتبت الى ذلك الضابط الذي لم يعد يفكر بها ضاربةً لهُ موعداً للاجتماع . ولمَّا جاء الموعد واجتمعت بهِ قدمت اليهِ مفتاح الحزام وهي تقسم بشرفها وحياتها انها كانت حتى الساعة امينةً ونزيهة . وانهُ من حين ما توهم زوجها بغيرتهِ البربرية الفائقة حد التصور ان يصونها ويكون حارساً على عفتها فقد صممت النية على بذلها واضاعتها

وبعد ان قضت هذه الزوجة الفتاة مرغوبها ونالت مرامها ندمت على ما فرط منها . لكنهُ لم تعد تجدي الندامة نفعاً بعد تنفيذها ما كانت تنويهِ لزوجها من الانتقام

فعلى الرجال ان يحترسوا جهدهم ويبذلوا سعيهم في تدبير أمور نسائهم واكتساب مودتهنَّ . واياهم ان يستعملوا الغلظة في معاملاتهنَّ

والفظاظة في معاشرتهنَّ ، وان يتجنبوا تلك الوسائل القاسية البربرية التي يأتيها الأقوام المتوحشون في معاملة نسآئهم ، فهي في الغالب وخيمة العواقب تأتي بعكس المقصود . ذلك لان المرأة تأتمر بأوامر الرجل وتنتهي بنواهيهِ وتكون لهُ ألزم من ظلهِ وأطوع من بنانهِ ، اذا هو اكتسب ودها وعرف كيف يحافظ عليه

ويجب على الزوج ان لا يستمر متغيباً عن منزلهِ وغير مكترث بأمر زوجتهِ ، بل عليهِ ان يكون انيسها في اوقات فراغهِ ومهتم بالامور الزوجية ما تستحقهُ من الاهتمام . يحكى عن باستور انهُ في اليوم المخصص لزواجهِ وفي الميعاد المعين للانتقال الى مركز الحكومة للتوقيع على عقد الزواج وجدهُ اصحابهُ الذين استبطأوا غيابهُ في معملهِ مهتما جداً باحدى التجارب . ولقد لاقوا بعض العنآء في جعلهِ ان يمتثل لهم ويترك ماهو منهمكٌ فيهِ وينتقل معهم الى المكان الذي تقام فيهِ حفلة الزواج

على انهُ اذا كان لبعض رجال العلم والفن شيءٌ من العذر في تقصيرهم ببعض المطالب الزوجية وهم الذين يكونون دائبين على الخدمة العامَّة ونفع الانسانية. فما عذر اولئك الاشخاص الذين يقضون جلّ اوقات فراغهم وشطراً من سواد ليلهم او جلهُ وهم مكبون على منضدات الميسر وموائد الحانات تاركين زوجاتهم وبنيهم بين جدران المنزل لا انيس لهم ولا جليس الاَّ بعض الخدم ، هذا اذا كانوا من ارباب اليسار

وعليهِ فالمرأة هي شريكةٌ للرجل يجب عليهِ ان يؤانسها ويعتني بها ولا يهمل أمرها . وكذلك ان يحميها ويحترمها ولا يطعن بعفافها لوهمٍ باطلٍ يطرأ على مخيلتهِ، أو حركةٍ تبدر منها على غير انتباهٍ منها فيشتبهُ فيها . لانهُ اذا اغضبها وأبكاها وأساء اليها بغير حق فيكون أحط من الوحوش الضواري التي تلاطف اناثها ولا تؤذيها



الفصل الرابع

﴿ في حفظ الصحة الجسمية ﴾

ان الافراط ونظيرهُ التفريط هما العاملان المضرَّان للكيان البشري والمساعدان على هدمهِ واتلافه . ولا يحتاج هذا القول الى دليلٍ أو برهان . لانهُ من الامور الواضحة التي لم يعد ينكرها او يجهلها انسان . غير انهُ لسوء الحظ قلَّ من يعتبر بهذه القاعدة ويتخذها قياساً لهُ يسير بموجبها في سبيل هذه الحياة . بحيث ان مزاولة القوى الجسمية والعقلية والتمتع بها باعتدالٍ حسبما تقتضيهِ سن المرء ومقامهُ الاجتماعي ، تسهل عليهِ عمل الوظائف العضوية وتصون علاقاتها النسبية وتزيدهُ صحةً وسلامة . وتطيل لهُ ايام الشبيبة الجميلة ، وهي الكنز الذي يتلفهُ وينفق منهُ قسمٌ كبيرٌ من البشر بدون حسابٍ ولا تروّي

في المسكن الزوجي

يجب ان يكون المسكن متسعاً مطلق الهوآء خالياً من الرطوبة بعيداً عن كل مستودعٍ تنبعث منهُ العفونة والنتانة

ويجب ان تحوي غرفة النوم لشخصين فقط على اربعين مترًا مكعباً من الهوآء النقي على اقلّ تقدير . حتى اذا ما أُغلقت منافذها في اثنآء النوم لا يفسد فيها الهوآء من جرآء عمل الرئتين والأبخرة التي تنبعث من الجسم . ولا يجب ايضاً اهمال تبديل الهوآء في غرف النوم في أي فصلٍ كان من فصول السنة

في الملبوسات

يجب ان تكون ملبوسات كلا الجنسين كافية الاتساع لكيلا تعيق حركات الجسم ووظائف الاعضآء على اختلافها . وان تكون رقيقةً أو خفيفة بالنظر الى الفصل بدون ان تتجاوز الحد في كليهما . ذلك لان الملابس المدفئة جداً تجعل الجسم اكثر تأثراً بالبرد وعرضةً لادوآء متعددة تتأتى عن توقف تبخرات الجسم . وقد برهن الاختبار على ان الأشخاص الذين قد تعودوا منذ صباهم على الملابس الخفيفة يستطيعون احتمال تقلبات الطقس اكثر من سواهم . سيما وانهُ يجب تغيير ملابس الجسم الداخلية مرتين في الاسبوع واكثر من ذلك اذا اقتضى الأمر

امّا عادة حصر المعدة والتضييق على الكبد للظهور بقدٍّ نحيل وخصر ضئيل، فهي من العادات الباعثة على الاسف والموجبة للسخرية. ذلك لانهُ من باب اولى ان ينتهي الصدر المتسع بخاصرتين تناسبانهِ ، وليس مستحسناً ان تقوم قاعدتهُ على شكلٍ مغزلي لم يتوفر فيهِ

القياس النسبي . وهذا الاصطلاح الضار هو المسبب لجملة اوجاع وادوآء يبتلى الشخص بها ويكون المشدّ هو الممثل ادوارها

تزداد اضرار المشدّ اخصهُ اذا كان رديَّ الصنع غير ملائم البنية . ولقد اتفق جميع اطبآء المعمور على ان المشدّات ذات القطع المعدنية أو القرنية هي مضرةٌ للفتيات نظير ما تضر الأقمطة للاطفال . واذا ألقى المرء نظرةً في ساحات المدن ومجتمعات الحضارة على كثير من الصدور المهصورة القدّ المشوهة الشكل ، او على عددٍ وافرٍ من الفتيات اللواتي بين سن الثامنة عشرة والعشرين وليس لجيدهن على العموم حجم ومحيط بنات الريف، ولا لاثدآئهن البروز الكافي، فضلاً عن كونها صغيرة الحلم ومرتخية ومترهلةً قبل اوانها ، فالمشدّ هو الملوم بذلك . واذا وجدنا بين ساكنات المدن نسآءً كثيراتٍ هزيلات الجسم مشوّهات القدّ وليس لهنّ اثدآء ليغذين بها اطفالهنّ ، فضلاً عن كونهنّ امّهات . فالى المشدّ يجب علينا ان نعزو بعض هذه النتائج المحزنة والشوائب الاليمة . واذا رأينا كثيراتٍ تغتالهنّ يد المنون بدآء السل وهنّ في شرخ الصبا ومقتبل العمر . فالمشدّ لا ينجو ايضاً من التهمة وليس هو بريئاً من ذلك

أمّا اليوم فقد أخذت الرغبة تقل شيئاً فشيئاً في ترفيع القدّ وابتدأت السيدات بان يستعضن عن المشدات ذات القطع المعدنية والقرنية بخلاف مشدّات صحية ، تشد القدود بدون ان تضيق عليها وتعيق حركات الجسم . وأملنا بالامهات العاقلات ان يدركن مقدار الضرر الذي

يصيب بناتهنَّ من جرآء المشدَّات الصلبة فلا يسمحن لهنَّ بملبوسها . وكذلك ان يمنع الازواج نسآءهم في اول ظهور علامات الحمل عن لبس هذه المنطقة القتَّالة التي تلحق اذاهـا بالحامل ومحمولها معاً

في الرياضة والراحة

لا بدَّ لعضلات الجسم من العمل وذلك لحفظ الصحة وسلامة البنية ، وان العمل هو المحرك لجميع الاعضآء والباعث على تنشيط قوى وظائفها . أمَّا بالنظر الى الاشخاص المترفين القليلي العمل فلا بدَّ لهم من الرياضة وركوب الخيل والرقص ولعب الكرة والسفر والقنص وهي الوسائل التي تساعدهم على حفظ صحتهم ودوام نشاطهم — امَّا السوقة والصناع فهؤلآء يأتون رياضتهم في اثنآء تأدية اعمالهم اليومية وهي لهم من الرياضات الجيّدة والمفيدة اذا كانوا لا يجهدون انفسهم كثيراً الى درجة التعب المفرط

وتلزمهم الراحة بعد قضآء اعمالهم ليستعيض جسمهم ما فقدهُ في الكد والجد . ويجب ان تكون مدة راحتهم على نسبة الاعمال التي أتوها والاتعاب التي كابدوها . حتى انهُ من الضرورة ان يتوقف المرء عن العمل متى أخذ النصب من جسمهِ مأخذهُ وابطأت حركاتهُ ولم يعد يستسهلها . وهذه هي القاعدة التي يجب ان يراعيها كل انسان ويتخذها مقياساً لهُ في العمل والرياضة اللذين يأتيهما . بحيث انهُ اذا كانت الراحة غير كافيةٍ ليعوض بها الانسانُ ما فقدهُ ، وكان في

كلّ يومٍ يضيف تعباً جديداً على تعبهِ الماضي . فاذ ذاك تتلف موازنة قواهُ و يحلّ بهِ الوهن وينتابهُ المرض على أثر ذلك لا محالة

في الماكول والمشروب

يجب ان يكون المأكول والمشروب من الاصناف الجيدة ويتناول منهما المرء بمقدارٍ معتدل ليأتي الهضم سهلاً وسريعاً . ولا شيء يضر بالصحة نظير الشراهة ، لان الافراط بالاكل والشرب يتعب المعدة و يسبب عسر الهضم ، ومن جرآئهِ تتأثر الاعضآء التناسلية ايضاً . حتى ان اشهر الاطبآء من متقدمين ومتأخرين قد اختبروا ذلك واثبتوا فيما يختص بالمأكول والمشروب القواعد التالية او ما يناسبها

— اختر المأكولات الجيدة والسهلة الهضم

— اضبط على قدر الامكان الساعة التي تتناول فيها الطعام وإِيّاك ان تكلف ذاتك الى الأكل بدون ان تشعر بالحاجة اليه

— كل بتأني وأمضغ جيداً حتى تمتزج اللقمة باللعاب و بذلك يقلّ اجهاد المعدة

— دع بين كل غذآء وآخر برهة خمس أو ست ساعات ، لان المعدة تلزمها الراحة نظير باقي الأعضآء ذات الوظائف الدورية

— امزج على قدر المستطاع في مأكولاتك اللحوم بالخضر، لانه لمّا كان الانسان يأكل كلا النوعين لم تعد تفيدهُ التغذية بالاقتصار على احدهما صرفاً . بل ان خير طعامهِ ما اشترك فيهِ النوعان باعتدال

— لا تفرط بالغذآء بل بعكسهِ اترك المائدة وفيك شهوةٌ قليلة للطعام

— تجنب جميع المأكولات المتعددة الاصناف وذات التوابل الوافرة تلك التي تحدث الشهوة الصناعية . لان هذه الاطعمة تهيج المعدة لكنها تسبب لها فيما بعد الوهن والكسل

— تجنب الاغذية المتوفرة الألوان فانها مضنية للجسم

— لا تتخذ لك مشروباً غير المآء القراح وتجنب جميع المشروبات الكحولية والمخمّرة اذا كنت في غنىً عنها . لانهُ قد تبين ان استعمال المشروبات الكحولية وأخصهُ الافراط فيها تسبب للصحة اضراراً كبيرة اكثر من الامراض العادية . ولا يقتصر مفعول هذه المشروبات على تهييج المعدة وتصليب غشآئها المخاطي واتلاف قوتها الهاضمة وابتلآئها في المستقبل باوجاعٍ وآلام مزمنة . بل انهُ ما خلا ذلك يمتدّ تأثيرها السيىء الى الدماغ ويبتدىء العقل بان يتخدر رويداً رويداً ويصبح الشخص بليداً غبياً ويسقط في حالةٍ وحشية تشاهد امثالها في الغَالب بين عامّة الناس

— اعمل حركةً رياضية قبل و بعد الغذآء لتحرك شهوة الطعام اولاً وتنشط وظيفة الهضم ثانياً

— لا تعرّض ذاتك الى الاعمال العقلية ولا الى الملاذ الحبية في حالة الامتلآء

— واخيراً يجب ان يكون العشآء خفيفاً وقبل النوم بساعتين على الأقل

في اليقظة والنوم

يمتثل جميع المخلوقات الحيّة من النبات حتى الانسان الى سنّة اليقظة والنوم الطبيعيين . ذلك لان اليقظة هي مدة الحياة العملية او انفاق القوى ، والنوم هو مدة الحياة الطوعية او تجديد القوى . وهذا الأخير هو ضروري على الاطلاق لراحة الوظيفة المحركة وتجديد القوى العصبية التي يفقدها المخلوق في اثنآء اليقظة . بحيث انهُ كلما كان النوم اهدئ واقل اضطراباً كلما زاد بهِ تجدد القوى . وبعكسهِ لا تتجدّد قوى البنية بهِ مطلقاً متى كان شاقاً ومضطرباً . فيقتضي والحالة هذه ان لا يتوانى المرء في البحث عن الاسباب التي تقلق سباتهُ ليستظهر عليها بالوسائل الصحية والعلاجية . لانهُ اذا طرأ على النوم تغييرٌ او حلّ فيهِ نقصٌ فاذ ذاك تعتل الصحة على الأثر ويحلّ الضعف في قوى الجسم . ومما ذكرهُ الطبيب هوفيلان الشهير في ذلك : ان حرمان المرء من النوم يتلف قواهُ الداخلية والخارجية ويقودهُ الى شيخوخةٍ باكرة قبل اوانها

وعليهِ فالانسان الذي يستسلم مختارًا او مضطرًا لاعمالٍ جسمية او عقلية شاقّة ، ولا يخصص لهُ الوقت الكافي للنوم ليعوض بهِ عما كابدهُ من الاتعاب العقلية والجسمية . يضطر ان يحتمل النتائج السيئة الأليمة التي تنتابهُ من جرّآء تفريطهِ في قواهُ واهمالهِ أمر صحته

غير انهُ اذا كان تفريطهُ في النوم يعرّض صحتهُ للخطر ويسبّب

لها الضرر، فالافراط فيهِ ايضاً ليس هو باقلّ من ذلك اذىً ومضرّة. ذلك لان الانسان الذي يكثر من النوم ترتخي قواهُ ويحل فيه الكسل ويفقد نشاطهُ وينبو حدّ شعورهِ وتقل دورات جسمهِ ويعسر فيهِ تمثيل الموادّ وتنسد احياناً مجاري بدنه . ويكون ذلك باعثاً على التغيير العظيم الذي يحلّ فيهِ والنزلات الشديدة التي تنتابهُ وتتوالى عليه

في الوقت المناسب للنوم

نرى الطبيعة ذاتها تدل المخلوقات الحية على الوقت المناسب الذي يجب ان تخصصهُ لليقظة والنوم. وفي نظرها ان الوقت المناسب للعمل هو منذ شروق الشمس حتى غروبها . والوقت الافضل للراحة هو عندما يفد جيش الليل ويرخي سجوف ظلامهِ على الارض . غير ان بعض الطبقات في الهيأة الاجتماعية تعكس الآية وتقلب النظام الطبيعي، وذلك باحيائها الليل ونومها النهار. الأمر الذي يؤثر على صحتها تأثيرًا فعّالاً ويسبب لها بعض الاضرار . ويكفي لذلك ان يقابل المرء بين وجوه سكان المدن ووجوه القرويين ليقضي حكمهُ في اي الأشخاص منهما يمتلكون افضل الصحة والتركيب

مدة النوم

يجب ان تكون مدة النوم بوجهٍ عامّ من ست الى سبع ساعات ولا يجوز مطلقاً ان تتجاوز الثمان . ويزعم البعض ولعلهم مصيبون في

زعمهم بان السبات من خمس الى ست ساعات كافٍ للمتقدمين في السن، ومن ست الى سبع ساعات للذين في مقتبل العمر. وان الذي ينام ثمان ساعات يخصص للكسل ساعةً من يومه

امّا الوسائل الصحية التي تكسب المرء نوماً هادئاً ومفيداً فاننا نجملها في البيان الاتي

— لا تنم والمعدة مثقلة بكثرة المأكولات

— اقصِ عن ذاكرتك الافكار المكدّرة التي ضيقت عليك النفس في اثناء النهار فانها باعثة على الاحلام المزعجة والكوابيس المضنية

— لا بأس من مطالعتك قليلاً بعض الفكاهات قبل التقدم الى الرقاد فانها تدعو اكثر الناس الى النوم

— يجوز للأشخاص العصبيي المزاج المعرّضين في بعض الاحيان الى الأرق المستطيل ان يستحموا بماءٍ فاتر قبل النوم. لكنهُ يجب عليهم ان لا يلجأوا الى هذه الوسيلة الاَّ بعد ان تكون قد خابت لديهم باقي الوسائل الصحية

— يجب ان تكون غرفة النوم متسعةً منزهةً عن الرطوبة خاليةً من الروائح على اختلافها حتى ومن الطيبة ايضاً . ومما هو معلوم ان روائح الزهور والعطور تسبب اضطراباً للنائم وألآماً في رأسهِ حتى والأرق ايضاً

— ويقتضي ان لا يكون الفراش وثيراً او صلباً جداً، ولا كثير الحرارة أو البرودة . وهو كافي الاتساع ليستطيع المرء ان يمدّد فيه

جسمهُ افقيا . ويكون الرأس مرتفعاً قليلاً عن مساواة الجسم

امّا خير الوسائل للحصول على النوم المطلوب فهو عمل الجسم وهدوء البال في اثناء النهار ، وان يسود السلام في وسط الأسرة والعشيرة اللتين يقيم الشخص بينهما

في الرياضة العقلية

ان التفوق الذي احرزهُ الرجل والمرأة على سائر المخلوقات الحية سببهُ نموّ عضوهما الدماغي نموًّا اعظم مما سواهُ جعلهما ان يكونا سلطاني الخليقة . فيترتب عليهما والحالة هذه ان لا يهملا شأن هذا العضو بل يروضاهُ ويشحذاهُ ويجتهدا بدون انقطاع في توسيع دائرة افكارهما وتصوراتهما . وذلك بواسطة الدرس والمطالعة وقدح زناد الفكر والقياس والاستنتاج . شرطاً ان يكون ذلك باعتدالٍ وان يتوقف المرء عن اجهاد الفكر متى شعر من نفسهِ بالوهن والتعب

امَّا الرياضة العقلية فانها تتناول جميع خصائص العقل كالذاكرة والحاكمة والمخيلة وهلمّ جرًّا ..... وهي تسمو بالنفس وترفعها عن الدنايا وتنمي فيها الشعائر النبيلة والخلال الكريمة ، وتسير بالانسان في الطريق المستقيمة ، وتجعلهُ ان يكون محبوباً عند قومهِ نافعاً لابناء جلدتهِ معززاً بين انسبائهِ وعشرائه . فضلاً عن انها تقوي الاسباب التي يرتبط بها الزوجان وتحملهما على ان يخصا بنيهم بالتأديب الحسن والتربية اللائقة . وهو الفرض المقدّس الذي يلتزم به كل امرءٍ نحو

مواطنيهِ والجنس البشري عموماً . سيما وان الرياضة العقلية هي موردٌ لجملة انواع المسرة والسعادة التي يكون الانسان الجاهل محروماً منها

فعلى الرجال والنسآء ان يروضوا عقولهم جيداً اخصهُ بالأدبيات والحكم ، لان الانسان وان تلألأ بجمال منظرهِ وروائع ظواهرهِ ، فهو لا يستطيع ان يعجب عشرآءهُ ويدهش رفقآءهُ الاَّ بحسن خلالهِ وجميل بواطنه . لان العقل هو الذي يجمّل المرء ويحيي قواهُ وينعش جسمه . وان المرأة التي حرمتها الطبيعة بعض الشيء من الزينة الطبيعية لها في العقل اكبر مجال لتتحلى بعددٍ عديد من الخلال والمزايا النبيلة التي تفوق كثيراً البهآء والجمال الظاهريين . سيما وان العقل هو الوسيلة الوحيدة التي يكتسب بها الانسان كلّ شيءٍ على وجه البسيطة من حبّ وشرف ومجد وثروة وهنآء وسعادة وامثالها

الفصل الخامس

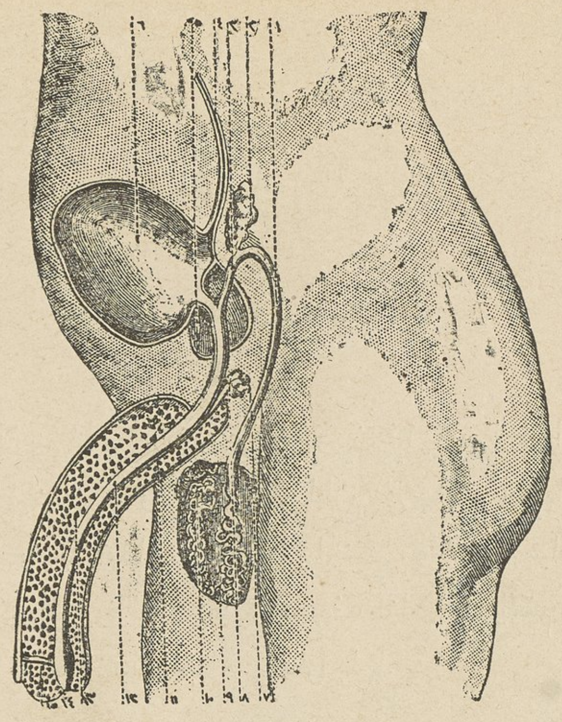
﴿ في الاعضآء التناسلية ﴾

لا بدَّ لنا من ان نأتي على لمحةٍ وجيزة فيما يختص باعضآء التناسل لكلا الجنسين ، وذلك لايقاف المطالع على شكل تركيبها وحال نظامها وكيفية عملها في اثنآء الفعل الجنسي . وتبيان الاسباب التي تغيّر اشكالها ووظائفها وتسبب لها ضعف الباه والعنة والعقم ، وباقي الادوآء المتعددة الخاصة بها والتي تطرأ عليها

القسم الاول

﴿ في اعضآء الرجل التناسلية ﴾

تقسم اعضآء الرجل التناسلية الى اعضآء ناقلة وهي التي تنقل السائل المنوي ومنها القضيب . والى عضوين يفرزان وينضجان هذا السائل وهما الخصيتان . والى عضوين يخزنان المنيّ وهما الحويصلتان المنويتان وهلمّ جرّا . . . . انظر الرسم ١



الرسم ١

اعضاء الرجل التناسلية

١ الحبل المنوي — ٢ الحويصلتان المنويتان — ٣ القناة القاذفة
٤ الحالب — ٥ البروستانة — ٦ المثانة — ٧ غدة كوبر — ٨ راس البربخ
٩ الخصية — ١٠ البربخ — ١١ البصلة الاحليلية — ١٢ الاحليل —
١٣ الجسم الكهفي — ١٤ الصماخ البولي — ١٥ الحشفة

القضيب — ويسمى ايضاً بالذكر وهو عضوٌ يبلغ طولهُ من ٧ الى ٩ عقد وقطرهُ من ١٢ الى ١٥ خطاً (١) ويتركب من ثلاثة

(١) تقسم العقدة الى ١٢ خطاً

اقسام اصلية . اولها : الحشفة وهي مكوَّنة من نسيجٍ اسفنجي قابلة الانتصاب ومغطى قسمٌ منها بالقلفة التي يصل بينهما القيد من الأسفل . وان معظم الشعور باللذة التناسلية مركزه حيال القيد وتاج الحشفة . ثانيها : الاحليل وهو يبتدي من عنق المثانة وينتهي برأس الحشفة بفتحةٍ صغيرة عامودية تدعى بالصماخ البولي . سيما وان نسيج هذه القناة هو قابل الانتصاب وما الحشفة الاَّ تمددٌ منه . ثالثها : الاجسام الكهفية وهي مكونة من نسيجٍ خلوي رقيق الحواشي تتخلل تشبكاتهِ أوعيةٌ دموية كثيرة التمدد . وتتصل جميع هذه الخلايا ببعضها البعض بكيفيةٍ يملئها الدم دفعةً واحدة ويحدث فيها الانتصاب . غير ان الذي يجعل للجسم الكهفي صفةً خاصة بهِ ، هو ان الاوردة والشرايين لا تتقابل فيهِ ابداً بشبكةٍ شعرية دقيقة نظير باقي اعضاء الجسم ، بل ان مرور الدم الوريدي في الشرايين يحصل فجأة . بحيث تُشاهد بالعين المجردة تشعبات الشرايين متقابلةً بفوّهات الاوردة المتسعة

غدة البروستات — وهي التي تحيط باسفل الاحليل أو القناة البولية وتقذف في اثناء التهييج التناسلي سائلاً لبنياً يدعى بالمذي وهو الذي يسبق قذف المنيّ ويصحبه . وان هذا السائل البروستاتي هو الذي تقذفهُ الخصيان ليس الاَّ

الخصيتان — وهما غدتان بيضيتا الشكل تقيمان في كيسٍ يدعى

بالصفن مكوَّن من خمسة اغشيةٍ يفصل الأخير منها داخل الخصية الى ثلاثمائة او أربعمائة فصيص أو مخدع صغير. وتتركب المادة التي تملأ هذه الخلايا من اوعيةٍ منوية مشتبكة يجمعها نسيجٌ خلويٌ رقيقٌ جداً. واذا قدرنا طول المجاري المنويّة المقيمة في كل فصيص بخمسة امتار فقط، فيزيد طول مجموعها عن الكيلومتر ونصف. وتتبع المجاري المنوية لدى خروجها من فصيصاتها سيراً ملتوياً وتتجه نحو مؤخر الخصية، حيث ينقص عددها وتزداد سعتها الى ان تنتهي بالبربخ

ويكون طول الخصية في البالغين خمسة سنتيمترات وعرضها ثلاثة، واليسرى منهما مدلاَّةٌ اكثر من اليمنى بقليل، ووزنهما معاً من ٢٥ الى ٣٢ غراماً في البالغين

أمَّا الخصيتان فهما شاهدا الرجولية ورمزا القوة، ولم يكن مباحاً في الشريعة الرومانية فيما مضى ان يأتي الرجل شهادةً اذا كان محروماً منهما. وتُشاهد في بعض الاولاد خصيةٌ واحدة فتكون الاخرى لم تزل في بطنهِ ولم تهبط منه. وربما بقيت الاثنتان معاً في البطن كما يشاهد غالباً في الخناث. امَّا اذا ذبلت احداهما او انجرحت أو انقطعت، فالاخرى تقوم مقامها. اذ يحوي كلٌّ منهما جميع الخصائص المجتمعة في الاثنتين. وشوهدت اشخاصٌ كان لهم اكثر من خصيتين أي ثلاث أو اربع والوقائع الطبية مشحونةٌ من امثال ذلك. غير ان هؤلاء عوضاً من ان يثمروا كثيراً لداعي تعداد خصاهم فهم يكونون بعكس ذلك عنّينين

المجاري الناقلة — تتكوّن من المجاري الصغيرة الاصلية التي تستحيل عند مخرجها من الخصية الى اثني عشر مجرىً واسعاً ، وهي المجاري الناقلة التي تنتهي بالبربخ وهو القناة الطويلة الناقلة التي يبلغ طولها نحو سبعة امتار. وتبتدي من المجاري الناقلة وتنتهي بالقناة الناقلة او الحبل المنوي

الحبل المنوي — تذهب من ذيل البربخ قناتان لكل خصيةٍ واحدة منهما ، وهما الحبل المنوي الذي يمر بالقناة الاربية ومنها الى الحوض فالى قرب عنق المثانة ، حيث يصير بين المستقيم من الوراء والمثانة من الامام ، وينفتح في الحويصلتين المنويتين

الحويصلتان المنويتان — يكون حجم كلٍّ من الحويصلتين المنويتين بحجم الجوزة الصغيرة ، ومركزهما بين المثانة والمستقيم ، ووظيفتهما خزن السائل المنوي وتقديم مقدارٍ معيَّنٍ منهُ عند الانزال . وهما يفرزان مادةً مخاطية لزجة تمتزج بالمنيّ وتخرج معه

القناة القاذفة — وهي مجرى قصير يذهب من الحويصلة المنوية ويجتاز البروستاتة وينفتح في اعلى المجرى البولي في نقطة تدعى بالجبل الحقيقي . في اثناء التشنج التناسلي تدفع الحويصلة المنوية في القناة القاذفة جزءًا من السائل الذي تحويه . وتفرغهُ هذه القناة على التعاقب في المجرى البولي . ومنهُ يندفع الى الخارج بواسطة تشنج العضلات القاذفة

المنيّ — هو سائل ثخين القوام ليفي ضارب الى البياض ذو رائحةٍ موثّرة تشبه رائحة ماء الجافل او زهر الشاه بلوط (ابو فروة) وهو يتركب من ثلاث مواد . الاولى : المادة السائلة . والثانية : الدموية او الآكية . والثالثة : من جراثيم تسمى بالذرات المتحركة او البزيرات المنوية

امّا البزيرات المنوية فشكلها ليفي ولكل منها رأس بيضي وذنب متحرك وتراها العين بواسطة المجهر مضطربةً متحركةً بسرعةٍ تارةً الى الأمام وطوراً الى خلف ، متبعةً خطةً ليست بواحدة . بحيث يمر البعض منها فوق البعض وتشتبك وتصطدم وتفترق وتضطرب متواصلاً بدون انقطاع ، وهي كانها صور مصغرة عن نقف الضفدع انظر الرسم ٢ و ٣

الرسم ٢
البزيرات المنوية التي تشاهد بالمجهر في نقطة من الزرع المنوي

الرسم ٣
البزيرات المنوية مكبرة

وتعيش الجراثيم الكائنة في نقطة المنيّ جملة ساعات في الهواء الطلق . وتعيش مدة اربع وعشرين ساعة اذا اعتني بحفظ النقطة في حرارة تشبه حرارة الجسم . اذ تختلف حياتها نظراً للاحوال التي تكون

فيها . وقد اكّد كثيرٌ من الفيسيولوجيين ان البزيرات المنوية التي تدخل اعضاء الانثى التناسلية تعيش فيها اكثر من ثمانية ايام

ويقتل هذه البزيرات البرد والحرارة والحموضات والقلويات والمخدرات والقوابض وسائل المهبل المخاطي الكثير الحموضة وسائل الرحم المخاطي الكثير القلوية . وسيرى المطالع فيما بعد انهُ من الجائز ان يتأتى عقم الأنثى ايضاً عن هذين السببين الاخيرين

تقيم البزيرة المنوية في جزءٍ من المائة من نقطةٍ منوية . فاذا كانت في هذا الجزء جرثومةٌ حية فهي كافية لعمل التلقيح وتوليد مخلوق جديد

وتتكوّن البزيرات في البربخ من المجاري المنوية ، وتكون في الاول محبوسةً في خلياتٍ صغيرة تتولد فيها . ثم تكسر غلافها بعد تمام نموّها وتتصل بالمجاري المنوية ومنها تجتاز الحبل المنوي حتى تبلغ الحويصلتين المنويتين وهما خزاناها الطبيعيان

يرتأي فيثاغوروس ان زرع الرجل المنوي هو زبد احسن دم فينا . وبالنظر الى افلاطون هو سائل النخاع الشوكي الحلو . ويرتأي ألكيمون انهُ الجزء الانقى من الدماغ . ويخال ديموقريط وابو قراط انهُ المادة المأخوذة من جميع جسمنا . ويزعم ابيقورس بانهُ اكسير وخلاصة او مختصر نفسنا وجسمنا . وقد توهم خلاف فلاسفةٍ نظير ارسطو انهُ افراز آخر غذاءٍ فينا . غير ان الحقيقة ما هو الا افراز صرفٌ ولا يجب اعتبارهُ الاَّ نظير الدم الذي يؤخذ منَّا

لمّا تأخذ الوظيفه التناسلية مبدأها في الجسم تحدث فيهِ تغييرات هامّة جدًّا ، اهمها نمو البنية و بروز شعر الذقن وتبدّل النبرة الصوتية وظهور النشاط الجسمي ...... وهي النتائج التي يسببها افراز المنيّ. سيما ويحدث امثال هذه التغيّرات بوجه التقريب في غالب الحيوانات. وبعكسهِ يستمرّ المخلوق الذي ينزعون منهُ الاعضآء التناسلية محروماً من هذه الخصائص مدى حياته

الانتصاب — يتسبب نعوظ القضيب بوجهٍ أعمّ من جرآء امتلآء الحويصلتين المنويتين وتمدد الخصيتين . ويحصل الانتصاب بتدفق الدم في جسم القضيب الكهفي . ومتى امتلأت الخلايا الكهفية لم يعد للدم سبيلٌ للرجوع بواسطة الاوردة التي تكون ابوابها مغلقةً وهي في حالة التشنج . فينتج عن ذلك تضخم القضيب وتصلبه . وينتصب ما قلَّ او كثر بالنظر الى كمية الدم المجتمعة في الاجسام الكهفية . ويساعد على ذلك وجود عضلاتٍ عند قاعدة القضيب تتشنج وتجعل الانتصاب شديداً . وتنفتح ابواب الأوردة ويجري فيها الدم رويدًا رويداً تفرغهُ الاجسام الكهفية متى زال التشنج والتهيج . واذ ذاك يتبدد التضخم ويسقط القضيب ويعود الى راحتهِ السابقة

اجرى جون هنتر تجاربهِ في الكلاب ليتأكد امر الانتصاب فكان يشد وريدي الحشفة ويترك الشرايين مطلقة . فكانت تمتلئ الاجسام الكهفية رويدًا رويدًا بالدم ويحصل الانتصاب . ومتى أبطل الشد كان يجري الدم في الاوردة

ومن السهل ان يضغط الرجل قضيبهُ بواسطة مشدٍّ ليحصل من ذلك انتصابٌ وقتيّ ، فاذا كرّر هذا الضغط واستعملهُ بين وقتٍ وآخر فلربما تسبب عنهُ انتفاخ الاجسام الكهفية وعاد الانتصاب الى الأشخاص الذين فقدوهُ من مدة . ذلك لأن الاعضآء التناسلية التي قُضي عليها من زمنٍ بعيد براحةٍ تامَّة ، تفقد الخاصة التي عليها مدار وظائفها ، وذلك ما يحصل عادةً للعلمآء والاشخاص الغارقين دائماً في بحرٍ من التفكر والتأمل العويصين . بحيث ان مجموع نشاطهم الحيوي يتجه الى دماغهم وينسون انفسهم انهم رجالٌ ويستمر عضوهم التناسلي في هزالٍ مطبق

ومما يساعد على الانتصاب ايضاً تضخم الاحليل والحشفة وكذلك المخيخ والنخاع الشوكي . لأن الاشخاص المصابين بالارتخاء الظهري هم محرومون من الانتصاب بالكلية

ولقد اظهرت اختبارات لونجي وسيكالا تأثير المخيخ والنخاع الشوكي في الانتصاب . وليس هذا التأثير هو الفعَّال وحدهُ ، بل ان الدماغ بجملتهِ والجهاز الغددي والمجموع العضلي لها ايضاً نصيبٌ في ذلك

نسب علمآء التشريح المتقدمون سبب الانتصاب الى الاجسام الكهفية والعضلات الناصبة، ولم يحفلوا كثيراً بانتفاخ الاحليل والحشفة. مع ان الاختبار قد اظهر جلياً كون الانتصاب الشديد والنشيط في زمن الشبيبة ، والانتصاب العامودي وهو الاتمّ ، لا يحصل الاَّ بما

لنسيج الاحليل والحشفة من النفوذ وقابلية الترشيح . ويفقد الانتصاب قليلاً من عزمه نحو سن الاربعين والخامسة والاربعين ، لان هذا النسيج لم يعد هكذا نافذاً وان كان الدم لم يزل يملأ الاجسام الكهفية جميعها . امَّا في الرجال الذين بلغوا سن الخمسين وما فوق فهؤلآء يتضخم قضيبهم بامتلآء اجسامهِ الكهفية امتلاءً غير كامل . ولم يعد انتصابهُ عامودياً لداعي بعض ما فقدهُ الاحليل والحشفة من نشاطهما السابق

وكذلك يزداد عزم الانتصاب او يقلّ بالنظر الى تركيب العضو الذكري ، لان انتصاب القضبان القصيرة والغليظة اشدّ عزماً واطول مدةً من انتصاب القضبان الدقيقة والطويلة . وان افضل القضبان انتصاباً هي ذات الشكل المغزلي اي الغليظة القاعدة والتي تدق تدريجاً حتى تبلغ الحشفة . فهذه تحتفظ بخاصية الانتصاب حتى سن الشيخوخة اذا كان اصحابها لم يفرطوا في ماضي ايامهم واتخذوا الفعل الجنسي باعتدال . امَّا القضبان الدقيقة القاعدة الغليظة الرأس فهذه بعكسها تصاب بضعف الانتصاب باكراً

ولا يتمتع القضيب وحدهُ بخاصية الانتصاب، بل انهُ يحدث لبعض اعضآء الجسم شيءٌ من ذلك . لكنهُ بكيفية جزئية متى تهيجت بواسطة الذغذغة أو الفرك . وهي حلم الاثدي . وفي النسآء الشفران الصغيران وغشآء الفرج الوعآئي وعلى الخصوص البظر . فهذه جميعها تتضخم وتتصلب لدى اللمس او الفرك . سيما وان غشآء بعض النسآء العضلي

الذي يحيط بالقناة الفرجية لهُ خاصية تقبضية تحصر القضيب لدى الجماع وتسبب للمرأة شعوراً زائداً . الاَّ ان ذلك في النسآء نادر

الجماع او الفعل الجنسي — تكون الحياة لدى الجماع كأنها مجتمعةٌ في الجهاز التناسلي وتبلغ جميع الوظائف العضوية معظمها في اثنآئه. بحيث تسرع الدورة الدموية ، ويخضل اديم الجسم ، ويتقطع النفس ، وتهيج الغدد العصبية ، وتبلغ حاسّة اللمس اقصى درجات شعورها ، وتتقبض جميع العضلات السفلى وعضلات الحوض وتهتز متشنجة . وفي وسط هذا الاختلاج العامّ يحصل قذف المنيّ او الانزال على دفعاتٍ متقطعة . وتصحب القذف في البعض تنهداتٌ عالية وتشنجاتٌ شديدة . وفي البعض اصواتٌ ورجفاتٌ تقرب من الصرع شبهاً . وامَّا النسآء اللواتي يتقن بحدّةٍ الى الشهوة التناسلية يشعرن احياناً بتشنجاتٍ تماثل نوب الهيستريا . لذلك يترتب على الرجل والمرأة ذوي المزاج التناسلي الحادّ ان يترويّا في الامر لتعديل حدة هياجهما التي تضر دائماً بالغاية المقصودة من الزواج

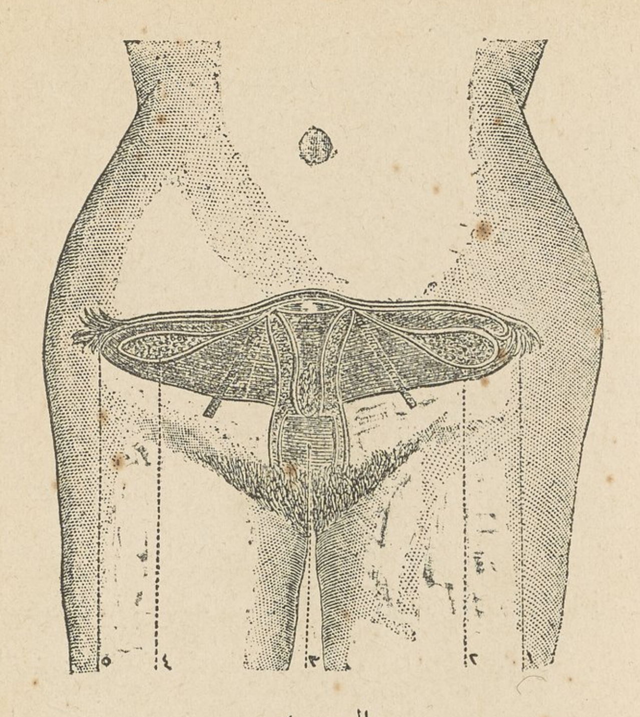
وينقضي الهياج بعد القذف بهنيهةٍ ويسكن الانتصاب ويعقبهُ الفتور بسرعةٍ كلما اشتدت اللذة وزادت حدتها . واذ ذاك تبطيءُ الدورة الدموية والتنفس ، وتكمد العينان بعد ان كانتا قبل قليلٍ برّاقتين ، وينكمش الجفنان ، ويضعف الصوت ، ويقل ثبات الساقين ، وتنتهك قوى الجهاز المحرك ، ويشعر الشخص بضعفٍ عامّ يصلحهُ الغذآء وتجدد قواهُ الراحة والنوم

القسم الثاني

﴿ في اعضآء المرأة التناسلية ﴾

هي في الخارج فتحةٌ عامودية تدعى فرجاً محاطةٌ بالشفرين الكبيرين ويليهما الشفران الصغيران والبظر ومدخل المهبل الخارجي . وهي في الداخل المهبل والرحم والبوقان والمبيضان . انظر الرسم ٤ ومما تجب ملاحظتهُ في هذه الاعضآء ان حسن تركيبها وسهولة اجرآء وظائفها هي من الشروط الاساسية التي لا بدَّ منها لحصول التلقيح والحمل . وبعكسهِ ان ادوآءها وقلة نظامها هي بوجه التقريب مجلبة العقم دائماً

الشفران الصغيران — يقيمان داخل الشفرين الكبيرين ويتكونان من الغشآء المخاطي الذي يبطن داخل الفرج ، ويمتدّان الى رأس البظر وتتكوّن منهما حشفتهُ ويتحدان بقيده . ويتخللهما نسيجٌ قابل الانتصاب وهما يتضخمان باللمس والدغدغة . ويختلف قياسهما بالنظر الى سن الانثى ونوعها البشري والاقليم المولودة فيه . فهما صغيران ولونهما وردي ولا يتجاوزان فلق الفرج في العذرآء الفتاة ، ويطولان ويخرجان من الفرج ويفقدان لونهما الوردي ويذبلان ويكتسبان



الرسم ٤

اعضاء المرأة التناسلية

١ و ٥ البوقان — ٢ و ٤ الميبضان — ٣ الفرج والمهبل والرحم

لوناً سنجابياً في كثيرٍ من النسآء المتزوجات وعلى الخصوص اللواتي ولدن البنين . امّا في بعض جهات افريقيا وعلى الخصوص في نسآء البوشيمان فانهما يمتدان اكثر من المعتاد حتى يبلغ طولهما من ثمان الى عشر عقد ، و يتدليان على الفخذين و يكون نظير ذلك في نسآء الهوتنتوت وكان المصريون من عرب واقباط يقصون هذين الشفرين متى

طالا في نسآئهم . وكان فيما مضى اشخاصٌ كثيرون يتعاطون هذه العملية ويتجولون في الاحيآء والمنعطفات منادين باعلى صوتهم « القصاص القصاص يا نسوان » فكان الزوج الذي طال في زوجتهِ هذان الشفران يدخل القصاص الى منزلهِ ليقص القطعة المتدلاة منها ، وفي بضعة ايام كان يلتحم الجرح فيها

البظر — وهو عضو الشهوة في المرأة ومصغّر القضيب الذكري لهُ ذات التركيب والشكل لكنهُ يخالفهُ بعدم وجود المجرى البولي فيه . وهو متكوّن من جسم كهفي وحشفة وقلفة وعضلتين قابلتي الانتصاب . ويكون ذابلاً وساكناً في اثناء الراحة وينتصب لادنى لمسٍ واحتكاك . وهو مجلبة اللذة التناسلية وقت المباشرة الجنسية . فاذا قطعوهُ بعمليةٍ جراحية من بعض النسآء او كان فيهنَّ اثرياً في منتهى الصغر ، فتقل فيهنَّ اللذة التناسلية ويكون شعورهنَّ بها جزئياً وليس كلياً

ويبلغ البظر في بعض النسآء بخلاف المعتاد طولاً فائق الحد . فقد شوهدت ابظارٌ كان طولها من ستة الى عشرة سنتيمترات وحجمها غليظاً يشبه العضو الذكري تماماً . وقد اورد الاستاذ بكلر في وقائع الجامعة الطبية الباريسية حادث امرأةٍ كانت ذات بظرٍ طويل نظير قضيب الرجل ولم يكن يقل انتصاباً عنه . على انهُ اذا اتفق وكان حجم البظر فايق الحد فيكون في الغالب نقصٌ في باقي الاعضآء التناسلية ، وهذا هو سبب الخنوثة التي وفيناها حق البيان في كتابنا

تاريخ الانسان الطبيعي الذي شرحنا فيه شواذّ الاعضاء التناسلية وتاريخ الخناث الاكثر شهرةً (١)

اشتهرت نساء لنز بوس في الاعصر الخوالي بطول وانتصاب بظورهنَّ حتى كنَّ يأتين فيما بينهنَّ ملامساتٍ شهوانية قبيحة . وقد اصبح طول البظر والشفرين الصغيرين ارثياً في بعض جهات اسيا وافريقيا واخصهُ في القطر المصري ، حتى انهم يقطعونها لكي لا تعيق الفعل الجنسي . ويسمون هذه العملية بختانة الاناث التي بها يتساوى الجنسان ولم يعد ثمة داعٍ لان يعيّر احدهما الآخر

المهبل — هو قناةٌ غشآئية يبلغ طولها من ثمانية عشر حتى عشرين سنتيمتراً ، وعرضها من ثلاثة الى ستة سنتيمترات ، تبتدئ منفتحةً من جهة الفرج السفلي وتنتهي مشتبكةً في عنق الرحم . وتتكوَّن من غشآئين احدهما وعآئي كثير التمدد تغطيهِ عضلة المهبل القابضة ، والآخر مخاطي يغشيهِ عددٌ وافر من الثنيات والغدد اللعابية . وتقيم عند مدخل المهبل بين ثنيات غشآئهِ المخاطي غدتان صغيرتان تفرزان سائلاً دسماً ضارباً الى البياض لترطيبهِ وتطريته . ففي اثنآء الجماع أو من جرآء الملامسة أو التصور ايضاً تفرز هاتان الغدتان سائلاً قليلاً أو غزيراً بالنظر الى مزاج الانثى وتركيبها . حتى ان النسآء الشهوانيات في اثنآء التهييج الجنسي تقذف هذا السائل على دفعاتٍ متقطعة

---

(١) هو الكتاب الجليل الفائدة الذي يبحث في نشوء الانسان وترقيه ، وفي تواريخ المخلوقات الشاذة محتوياً على قصصهم الغريبة ورسومهم المدهشة

ويشاهد عند مدخل المهبل تمددٌ من الغشآء المخاطي يسمى بالبكارة ، ففي النسآء العذارى اللواتي لم يباشرن الملامسة والمقارنة الجنسية يكون هذا المدخل فيهنَّ ضيقاً . سيما وانهُ بالاشتراك مع باقي تجعدات المهبل يحصل التهييج واللذة في اثنآء الجماع . وكلما كانت البكارة أي هذا الغشآء أو التمدد اظهر واكثر تصويراً في المرأة كلما ثبت أدبها وتأكدت عفتها . وبعكسهِ اذا كانت أثرية ، فيستدل في الغالب على ان هيكل الزهرة فيها قبلَ تقدماتٍ كثيرة . وينفتح في اعلى المهبل المبول او الصماخ البولي وهو في النسآء اعرض واقصر بكثيرٍ مما في الرجال

ويتمدد المهبل تمدداً هائلاً أثنآء المخاض ويرجع بعد الوضع شيئاً فشيئاً الى حالتهِ السابقة . فاذا اعتنت المرأة بذاتها فانهُ يضيق لدرجةٍ لم يعد يظهر فيها انهـا كانت والدة . وبعكسهِ اذا اهملت الاعتنآء الصحي او اضرتها تلك الصفات التي تصفها لها عادةً النسوة الغبيات فتنجذب اعضآؤها التناسلية بشدَّةٍ عند الوضع وتفقد خاصتها القابضة وتستمر متسعةً بكيفيةٍ غير مستحسنة وشكلٍ غير مقبول . وسيجد المطالع في الفصل الثاني والثلاثين من هذا المؤلف بيان الاعتنآء الصحي الذي يجب على الوالدة ان تشمل بهِ اعضآءها التناسلية لدى الوضع لتحفظ بهِ غضاضتها وتعيدها الى سابق عهدها

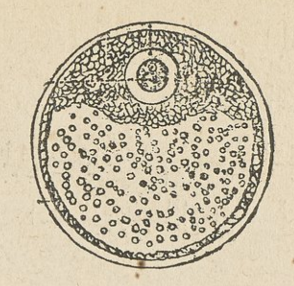
ولا بدَّ من حالةٍ نسبية بين الاعضآء التناسلية لكلا الزوجين ، فالمهبل المتسع جداً هو احياناً سبب عقم المرأة وعدم ميلها الجنسي وقلة

ميل الرجل اليها . وكذلك القضيب المتناهي الطول من الجائز ان يجرح عنق الرحم ويسبب لهُ اضراراً خطرة . وبعكسهِ القضيب الصغير جداً فانهُ سبب قلة الميل وأحياناً عدم حصول التلقيح . وتمكن معالجة هذا الاختلال وعدم التناسب بالوسائل الصحية المبينة في فصل العقم

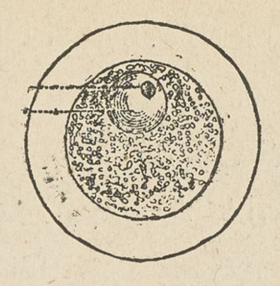
المبيضان — هما مجموع البويضات البشرية ومركز كلّ منهما في ثنية كلّ من الرباطين العريضين اللذين يرتبط بهما الرحم من كلتا جهتيه . ويكون طول المبيض الواحد نحو ثلاثة سنتيمترات ، وعرضهُ سنتيمتر ونصف ، وكثافتهُ ثلاثة ارباع السنتيمتر وثقلهُ من اربعة الى ثمانية غرامات

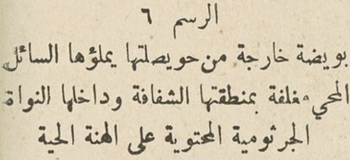
ويكون سطح المبيض مسنّماً قليلاً في النسآء القابلات الحمل . ويتألف من خمسة عشر حتى عشرين حويصلة تدعى حويصلات غراف باسم مكتشفها الاول . لكنهُ يتلاحظ بالمجهر عددٌ كبير من النقط الصغيرة التي سوف تتكوّن منها الحويصلات لتحلّ محل التي تطرحها المرأة في اثنآء كل حيض

امّا البويضة البشرية فانها مادّة بروتوبلاسمية كروية الشكل لا ترى الاَّ بالمجهر، تتألف من غشآء خارجي شفاف داخلهُ المح او السائل وفيهِ كريات وحبيبات عائمة . وداخل المح تُشاهد الهنة الجرثومية القابلة التلقيح (انظر الرسم ٥ و ٦)



الرسم ٥
الحويصلة التي داخلها
البويضة البشرية



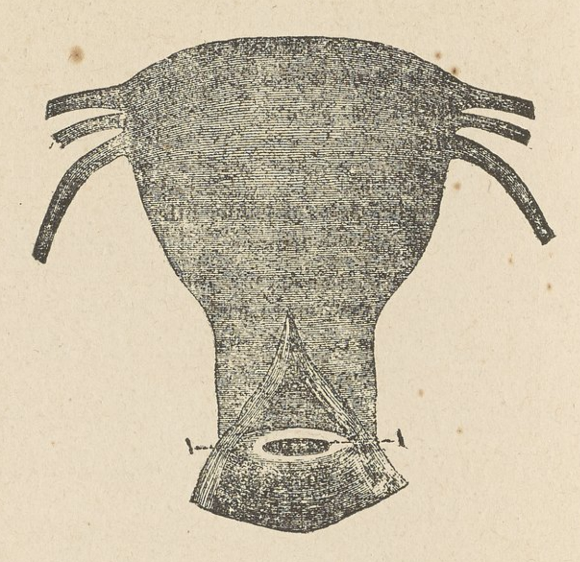


الرسم ٦
بويضة خارجة من حويصلتها يملؤها السائل
المحي مغلفة بمنطقتها الشفافة وداخلها النواة
الجرثومية المحتوية على الهنة الحية

البوقان — وهما قناتان مخروطتا الشكل طول كلّ منهما من اثني عشر حتى اربعة عشر سنتيمترًا . يتصلان من جهتيّ الرحم وينفتح كلّ منهما من الطرف الآخر على شكل مضرب حول المبيض . ليقبض على البويضة ويأتي بها الى الرحم في اثناء الحيض الشهري . وذلك بحركةٍ هدبية يأتيها الغشآء المخاطي الذي يبطن القناة

الرحم — وهو كيسٌ عضلي بشكل كمثراةٍ مفلطحة مركزهُ في التجويف الحوضي بين المستقيم من خلفهِ والمثانة من أمامه . طولهُ نحو سبعة سنتيمترات ، وعرضه ثلاثة ، وزنتهُ خمسة وثلاثون غراماً وما فوق ، وذلك بالنظر الى المرأة اذا كانت عذرآء أو متزوجة وصحيحةً أو معتلة . ويبطن داخلهُ غشآءٌ مخاطي وفي اسفلهِ ثقبان متطرفان يتصلان بالبوقين . ويبتدي مقدمهُ بعنق مستطيل يتصل بالمهبل ، وهو يتألف من اليافٍ عضلية مرنة قابلة التمدّد وأخرى قابلة

جسم الرحم



الرسم ٧

الانكماش والتقبض . فهو يتسع مدة الحمل بمقدار حجم الجنين ويتقلّص عند الوضع ليدفع الجنين مع محتوياتهِ الأخرى الى الخارج . فهو المعمل العجيب الذي تتم فيهِ في مدة تسعة اشهرٍ ادوار وتطورات الجنين البشري . الى ان يدفعهُ الى هذا العالم مبرهناً عن عظمة الطبيعة وأفعالها الغريبة المدهشة (انظر الرسم ٧)

امَّا الوظائف التي يقوم الرحم بتأديتها وهي نظير الحيض والحمل وكذلك الشعور المتناهي المتخلق بهِ هذا العضو جعلت ابوقراط ان يرتأي كون الرحم هو المسبب لجميع ادواء المرأة . واذا كانت

الاعضاء التناسلية لا تبلغ نموّها الكامل في سن البلوغ فان الرحم بنوعٍ خاصّ يستمر في نموّهِ المتوالي حتى سن العشرين

وها قد بسطنا للمطالع بيان الاوايل العجيبة التي تعمل لتخليد النسل وتسلسل المخلوقات البشرية فلا يهزأ بهذا البيان الاَّ الاشخاص المراءون العديمو الشعور الذين يغضون اجفانهم لدى نظرهم رسومها ويصمون آذانهم وقت التكلم عنها ، وهم يأتون من ضروب الموبقات التي يندى لها جبين الانسانية خجلاً وحياءً . هذا واننا في عصرٍ قد سطعت فيهِ انوار العلم والعرفان فلم يعد للخجل السطحي والحياء الكاذب موضعٌ في قلوب المطالعين الذين اكثرهم من محبي الحقائق لا الاوهام . ولم يعد يعيب هذه الاوايل التي كانت في كلّ زمن معتبرةً كاشرف عضوٍ في تركيب بنيتنا ، الاَّ المتطرفون بالتعبد الكاذب والورع الباطل وذوو العقول السخيفة

ولقد أصاب مونتاين بقولهِ جهاراً : « أليس بالحقيقة بهماً اولئك الذين ينعتون الفعل الذي وهبهم الحياة بالفعل البهيمي » مع ان الاقدمين كانوا اكثر منا حكمةً وأقل وسواساً ، وهم الذين كانوا يقدمون التعظيم الى الاعضاء التناسلية وينصبون لها التماثيل في الهياكل والمنازل ويتقلدون رسومها للزينة . وليس الوثنيون هم الذين كانوا يحترمونها ويجلون قدرها فقط بل ان التوراة والانبياء وجهت اليها اعظم المدائح وأعلنت عنها كونها جديرة بالاعتبار والاحترام

كانت شريعة موسى تحكم على المرأة التي تمسك الرجل من

اعضائهِ التناسلية بقطع اليد اذا لمستها باحتقارٍ او غدر . وكذلك تقضي على الخصي بكونهِ غير مستحقٍ الدخول في جمعية الآخرة . وهي ايضاً تحرم كما تحرم شريعة العهد الجديد قبول احد الاشخاص بين خدمة الدين اذا كانت في اعضائهِ التناسلية شائبة

وتتمةً لما تقدم نورد ههنا المقابلة الكائنة بين الاعضاء التناسلية لكلا الجنسين ، وهو ان كل عضوٍ في الرجل يقابلهُ عضوٌ يماثلهُ في المرأة ، وهو البيان الذي اوردناهُ في كتابنا تاريخ الانسان الطبيعي

مقابلة الاعضاء التناسلية لكلا الجنسين

آلة الرجل التناسلية		آلة المرأة التناسلية
الخصيتان	يقابلهما	المبيضان
المجاري المنوية	يقابلها	البوقان
الحويصلة المنوية	«	الرحم
القناة القاذفة	«	قناة البوق
الحبل المنوي	يقابله	مجاري غدد المهبل
القضيب	«	البظر
الصفن	«	الشفران الكبيران والصغيران

الفصل السادس

﴿ نظرة فيسيولوجية ﴾

في التأثيرات التي احدثتها الاعضآء التناسلية في الامم المتقدمة والمتأخرة

كانت جماعات الامم في الاعصر الخوالي يقدّمون عبادتهم واحترامهم الى الكائن الذي يتوسمون فيهِ الخير او الذي يهابون شرّهُ ويحذرون سطوته . ومن هذا القبيل ايضاً كانوا يقدمون اعظم الاحترام الى الاعضآء التي هي مصدر كيانهم وعلة وجودهم والتي بزغت لهم منها الحياة . سيما وانهُ لم يكن رسم هذه الاعضآء يطرف ابصارهم ويغض جفونهم ويلحق بهم العار . بل انهم عرفوها واجمعوا رأيهم عليها كونها من الاعضآء المخصصة لايلاد البنين ودوام النسل واللذة الجنسية . وعلى ذلك كان الهنود يقيمون اعياد اللينغام او العضو الذكري ويمثلونهُ بآلةٍ كبيرة يحتفلون بها دينياً . وكان العبقريون (ارباب الفنون) يصبون البرونز وينحتون الحجارة الفاخرة ليصنعوا منها اشكال اللينغام التي كانت النسآء يتخذنها زينةً لهنَّ . فضلاً عن المتعبدين والنساك الذين كانوا يعلقونها في اعناقهم ويزينون بها شعورهم

ويستعملون منها اساور. وكانوا يقيمون في الهياكل لينغامات هائلة كانت النسآء يتقدمن نحوها وينطرحن امامها ساجدات ٍ مبتهلات ٍ ليزول عقمهنَّ ويصرن حاملات . حتى انه في يومنا الحاضر يقيم حيال الهياكل بعض الفقرآء (الجوكية) وهم المستجدون الدينيون نصف عراةٍ ويقدمون الى النسآء لينغامهم ليقبلنه . وان بعض النسآء العقيمات لا يترددن في تقبيل هذه الحرزة بشفاههنَّ ويرمين صدقتهنَّ الى الفقير واملهنَّ من ذلك بالحصول على النسل (١)

غير انهُ اذا كانت هذه الوسائل الدينية التي تأباها اخلاقنا والتي نعدها في منتهى السفالة والقبح هي محركٌ تناسلي بالنظر الى النسآء الهنديات فالرقص الفحشي الذي تأتيه الرقاصات الهنديات هو أيضاً مهيج مؤثر في رجال تلك الجهات . بحيث انهُ لا يوجد هيكلٌ حتى ولا معبدٌ حقير الاَّ وفيهِ جوقة رقاصات يعود معظم ما يربحنهُ من النقود على الكهنة خدام الهيكل — ويعتبر البراهمة المرأة نظير الحقل والرجل كالبذار فاذا بُذر الحقل سبع سنين وظلَّ عقيماً فيتخلوا عنهُ ليستثمروا

---

(١) توفي في مدينة حلب منذ بضع سنوات رجل مجذوب يسمى علو محرّف علي وكان يقرب شبهاً من فقراء الهند . يتنقل في الشوارع والاسواق عاري الجسم بالكلية صيفاً وشتاءً وهو يلعب بآلته التناسلية على مرأى من الحاضرين والمارّين والحكومة راضية عنه لانها لم تحجز عليه في بيمارستان المتوهين . وكان بعض الجهلة يعدونه من الصالحين ، لذلك كانوا يتقربون منه ويتصدقون عليه . وقد عمر ما ينيف عن السبعين حولاً وقد شيعت جنازته يوم وفاته بمشهد حافل مشى فيه بعض الوجوه والخاصة

خلافه . اي يطلق الرجل زوجتهُ بعد سبع سنين اذا لم تلد له نسلاً ليتزوج بسواها

وكان قدماء المصريين يحفرون على جميع ابنيتهم ومعالمهم رموز التناسل البشري ويغلب على الظن بان غايتهم من ذلك هي اكثار النسل واسترقاقه على مقتضى شريعة البلاد . امَّا هيرودوتس وفيثاغورس وافلاطون وخلاف فلاسفة يونانيين الذين علموا بما كانت تشير اليهِ هذه الرموز قد لزموا جانب الصمت ولم يشيروا الى ما كان يجري في تلك الازمنة من هذا القبيل . اما التاريخ فانهُ يذكر لنا ما كان يلاقيهِ الرجال والنسآء من الجلد في هيكل إِزيس وان الغاية التي يلتمسونها من الجلد امرها معلوم . وفي التالي كان المصريون يقدمون نوعاً من العبادة الى العضو الذكري الذي كانوا يسمونهُ فالوّس . وكانت تلك العبادة تستجلب جمهور الناس الى مندس وممفيس واليفانتيس حيث كانت تجري هنالك الافعال القبيحة التي ليس في وسعنا ان نأتي على لمحةٍ منها

وكذلك كان الاشوريون والبابليون والفرس يكرمون الزهرة باسماءٍ مختلفة نظير سالمبو ، ميتراس ، ميليتا ، اترغاتيس وهلمَّ جرًّا ... وانهُ في الهياكل العديدة المخصصة الى هذه الإِلهة كان الفالّوس يتقبل العبادات والتقدمات التي يأتيها جمهورٌ كبير شغفٌ بالملاذ الجنسية . ويكفينا تاريخ ساردانابال وانهماكهِ في الشهوات عن الانتقال الى ما هو ابلغ منها

ولقد أخذ اليونان عن الديانة المصرية ما يلائم اخلاقهم وعاداتهم وتخلوا عما رأوهُ في منتهى القبح والسفالة . وعلى الاثر ملؤوا الاولمب بالآلهة كالمشتري وابولون وباخوس وبرياب ..... واخصهُ بالإلهات المتعددة البديعة الشكل نظير جينون وبالّوس وهيبه وعلى الخصوص الزهرة وهي الرسم الابدع شكلاً للجمال الطبيعي . ويأتي بعد ذلك عددٌ من نصف الإلاهات أو عرائس المآء وكل واحدة منها ابدع شكلاً واوفر جمالاً من سواها . فكان سكان جبل الأوليمب ينزلون بين وقتٍ وآخر الى الارض وما كانوا يخالون انفسهم انهم يخالفون طبيعتهم بتقديمهم عبادتهم الى اصنامٍ صناعية لا حياة لها ولا حركة

وبناءً على ما ذكرهُ العلاَّمة لأرشر ان الزهرة هي الإلهة التي كانت تمتلك اوفرالهيا كل في مملكتي اليونان . حتى ان عدد المعالم المشادة لتعظيمها كان يفوق الستين ، وكانت بلاد قيصرية وبافوس وغيد وقبرس ولزبوس واضاليا واماسونت . . . . تقدم لها عبادةً خصوصية واليها تختلف الجماهير المتعددة من سائر البلدان . سيما وان بلاداً كثيرة يونانية وعلى الخصوص اثينا وقرنثية كانت تحتفل باعياد الزهرة وذلك بتزيينها نسآء بديعات الجمال ليس لهنَّ نظائر في وقتنا الحاضر

بيد انهم لم يكونوا فيما مضى يكرمون الزهرة لكون عبادتها تلطف الحواس فقط ، بل لخوفهم من غضبها ايضاً الذي يعقبهُ ذلك القصاص الهائل وهو دآء الغلمة . وكانوا يستشهدون على ذلك ببنات

الملك بروستوس اللواتي ابتلين بهذا الدآء القبيح لانهنَّ احتقرن عبادة الزهرة ولم يقدّمن لها الكرامة الواجبة . فكنَّ يتجولن وهنَّ نصف عاريات ٍ في جهات البيلوبنيز تفترسهنَّ تلك النار المتأججة في اعضآئهنَّ التناسلية ولم يكن في استطاعتهنَّ اطفآءها

وكان للإِله برياب في امهات مدن اليونان مذابح وتماثيل كثيرة ، وقد كتبوا على بعض تماثيلهِ اسم هرمس . وهي مركوزة كفاصلٍ في الطرقات والاحيآء . وكانت تحتفل النسآء في برياييس من اعمالٍ طروادة وفي ادرنه وقورنثية واثينا بعيد هذا الإِله . وذلك بملاذٍ قبيحة كنَّ يشتركنَّ بها مبادلةً . امَّا الاثيناويون وهم الشعب الارقى مدنيةً من باقي الشعوب اليونانية فقد اكثروا في مدينة اثينا وحدائقها تماثيل الإِله هرمس برياب . وقد اتفق ان القبيادوس بن كلينياس وهو في عصرهِ من الذين يهزأون بمعتقدات العامَّة ، بينما كان خارجاً ليلاً مع بعض الشبان الاغرار من محل انسٍ اوعز الى رفقآئهِ بأن يكسروا العضو التناسلي الهائل لكل تمثالٍ كانوا يصادفونهُ في طريقهم من تماثيل الإِله برياب . ولمَّا فعلوا ذلك كان الاستيآء ثاني يوم في المدينة عظيماً الأمر الذي سبب الى القبيادوس ان يحكموا عليهِ بالموت . وهذا اكبر دليلٍ على الاحترام الذي كانوا يقدمونهُ الى رمز التناسل

ولقد اوحت عبادة الزهرة إِلهة الحب وباخوس إِله الخمر الى فريق كبير من الشعرآء والفلاسفة بتلك التصورات الخيالية ، فجعلتهم

يتغنون باناشيد الصبابة والراح . وقد تكلم أريستون عن الزهرة وكاهناتها بالفاظٍ ومعانٍ مستهجنة للغاية . وكان يخال ديوجينوس وكراتيس ان الفعل الجنسي اذا قُضي جهاراً على مشهدٍ من الملأ ليس فيهِ اقل ضرر

وكانت اثينا وقرنثية المدينتين اليونانيتين اللتين قد انصبَّ القوم فيهما بكل قواهم على ملاهي الحب والغرام بهمةٍ لا تعرف الفتور والملل ، وفيهما اجتمعت اجمل محظيات المعمور. فكانت تختلف اليهما الروّاد من كل الجهات كاختلافهــا في عصرنا الحاضر الى مشرق الحضارة عاصمة الفرنسيس . فضلاً عن انهما كانتا ميدانين للفنون الجميلة والمخترعات البديعة . وقد خلف لنا الاستاذ ألقيفرون اسماء وصفات اشهر محظيات تلك الاعصر اللواتي شاد القوم لكثيرٍ منهنَّ هياكل وخصوا جمالهنَّ بالتكريم اللائق بالآلهة

ولم يكن الرومان بوجه الاجمال سوى مقلدي اليونان لكنهم فاقوا معلميهم بعبادة الزهرة . ولم تتوصل أمةٌ من الامم الى الاميال الحبية التي توصلوا اليها . بحيث فاقت هياكل الزهرة في ايامهم هياكل المشتري . وكانت جماهير المتعبدين يختلفون اليها ويلازمونها بدون انقطاع . وكانوا يمثلون في سائر الجهات الآلهة باخوس وبرياب وبان بعلامات الرجولية المفرطة ، حتى اصبح الفالّوس (١) عندهم رسماً مكرماً قد اتخذتهُ نساء رومية على شاكلة المصريات كعوذٍ ومصنوعات

(١) العضو الذكري

للزينة . وكانت ارباب الفنون تصنع على شكلهِ ادوات المائدة والمطبخ نظير الكؤوس والاواني والمصابيح والمقاعد وهلمَّ جرًّا ..... وكان المهندسون البناءُون يكثرون من اشكالهِ في هندسة الدور والمعالم . حتى ان مفارق الطرق والمقاعد الحجرية المركوزة تجاه المنازل كانت على شكل الفالّوس . وكانوا ينصبون على ابواب المدن وفي الحدائق والحقول وفي ساحات الاحياء الكبيرة فالوسات هائلة مراعاةً للذوق المتبع في ذلك العصر

وكانوا يحتفلون في اول يوم من الفصل الربيعي بعيد الزهرة وفيهِ تختلف النساء المتزوجات والعذارى البالغات الى جبل الكيرينال . اذ كان فيه فالوّس هائل مصنوع من خشب شجر الليمون ، فكنَّ يحملنهُ على مناكبهنَّ ويأتين به بموكبٍ حافل الى هيكل الزهرة أريسين ، وهنَّ ينشدن الاناشيد ويترنمن بالاغاني المهيجة . وبعد ان يقمن هنالك بضع ساعاتٍ يأتين في خلالها بعض الافعال المتطرفة كنَّ يحملن ثانيةً هذا الصنم على عواتقهن ويعدن بهِ الى جبل الكيرينال

وكان الرومان ما خلا ذلك يحتفلون بعددٍ وافرٍ من المواسم والاعياد التي كان التهيج الجنسي بالغاً فيها اقصى غايته ، وفيها يقدمون الى كلا الجنسين اصناف المنبهات الفعالة . وان جميع الكتبة اللاتين الذين تكلموا عن هذه الاعياد واشاروا اليها في مؤلفاتهم قد وصفوها بالحفلات التي لم تكن الخلاعة تقف فيها عند

حدّ . حتى اتفق معظمهم على هذا الرأي وهو ان التهيج الجنسي كان الميل المتغلّب في ذلك العصر . بحيث كان جميع النبلاء والقواد واواسط الناس والسوقة حتى العبيد عائشين تحت سلطة المؤثرات الجنسية . ولم تبلغ انواع التهتك والخلاعة والفسق والفحش في الازمنة الماضية ما بلغتهُ في عصر القياصرة الاواخر . واذا طالع المرء ما كتبهُ بيترون عن عيد التريملقيون لظهر لهُ جلياً انهُ لم تبلغ أمةٌ على وجه المعمور بدون ان نستثني من ذلك امم الاشوريين والبابليين من ضروب الفسق والفحش ما بلغت اليهِ امة الرومان الفاسدة التي لم تبطئ قليلاً حتى صارت فريسة القوم البربر

وكانت المسيحية قد انتشرت بعد سقوط دولة الرومان وقمعت كثيراً من الميول الجنسية والاهوآء الحبية وذلك باحتقارها الزواج وتقديسها العزوبة . وقد بالغت في الأمر بكيفيةٍ لاتلائم الكيان البشري وتتفق معه . حتى ان تلك الاهوآء التي قُضي عليها بالضغط في زمن التصوف والتوغل في العبادة قد هبت مستيقظةً من جديد ، لكنه عوضاً من ان يأتيها القوم جهاراً كما كان يجري في زمن الوثنية فانهم كانوا يقضونها في الخفآء والتستر . وانهُ فضلاً عن القوانين الصارمة والحواجز المتنوعة أخذت تظهر شيئاً فشيئاً نحو القرن العاشر للميلاد . وما زالت مجدةً في نموّها وتفشيهـا حتى ظهرت الاهوآء الجنسية في اشدمظاهرها في القرن السادس عشر في زمن اولئك القوم الذين كانوا على شاكلة ريارو وفرنيز وبورجيا ، والذين غطوا بفحشآئهم وتهتكهم

وجرائمهم جميع القبائح والموبقات التي اقترفها من قبلهم حكام الرومان الاقدمون

وظهر في التالي نحو القرن السابع عشر بضعة فلاسفةٍ توصلوا بشجاعتهم الادبية الى مقاومة تلك الرذائل التي يأتيها العظمآء وذلك بحملهم عليها حملةً شعوآء . وانهُ فضلاً عن الاضطهاد الذي لاقوهُ واصيبوا بهِ كان خلافهم يحلّون محلهم ويقومون بتكملة ذلك العمل العظيم الذي باشرهُ اسلافهم واوقفوا حياتهم عليه . ومن ذلك الحين دخلت الانسانية في حياةٍ جديدة . وكان الفضل لاؤلئك العلمآء المؤدبون الذين ظهروا في القرن الخامس عشر واليهم يُعزى تشييد بنآء الحياة الاجتماعية الجديدة . فهم الذين قد حملوا على تلك البدع واحدةً فواحدة فابادوها وكافحوا تلك الافاعي الخرافية نتاج الجهل والغباوة فقضوا عليها . ونشروا ألوية النور على تلك الشعوب التي ظلت زمناً طويلاً متسكعةً في اودية التيه ودياجير الظلام (١)

---

(١) وتوجد حتى يومنا الحاضر شيعة تدعى بالنصيرية تقطن شمالي سورية لها اعتقاد تخفيه عن الناس . وقيل ان من جملة معتقداتها تكريمها فرج المرأة او آلتها التناسلية

الفصل السابع

﴿ في البكارة وغشآئها ﴾

ان بعض الشعوب المنحطة في سلّم المدنية كقوم الغوه والكاليكوت ومدغسغر والفيليبين . . . . . لا يهمهم ان يجنوا بانفسهم زهرة البكارة من الزوجة التي يقترنون بها ، بل انهم يفوضون ذلك الى الكهنة او خلافهم . وقد ذكر غوملّي كاريري في كتاب سياحتهِ حول الارض في اواخر القرن الثامن عشر ، انهُ شاهد في جزر الفيليبين اناساً اختصاصيين ينقدونهم راتباً كبيراً ليقوموا بازالة بكارة البنات ، لانهم يعتبرونها كحاجز يحول دون ملاذ الرجل . وقد ابطل الاسبان هذه العادة بعد استيلآئهم على تلك الجزر . وجآء في رحلة المستر تشرتشل في اواسط افريقيا انهُ يقال من ان السودانيين لا يشترطون البكارة في نسآئهم

وكان المملوك عند الفينيقيين هو الذي يقوم بهذه الوظيفة . وهي التي كانت في بعض مقاطعات الهند خاصةً بالكهنة و بالبراهمة فقط ، حتى لم

تكن للبعض منهم مهنةٌ سواها . وكانوا يعتبرون العذارى كأنهنَّ غير طاهراتٍ فيلتزمن ان يؤدين كفّارةً يومية الى ان تطهرهنَّ نفس فاضلة . ولا غيار على هؤلآء الاقوام في ذلك مازالت تعاليمهم الدينية وتقاليدهم الخرافية هي التي توحي اليهم وتأمرهم بذلك . وقيل ان اولاد نايل في الجزائر يمدحون الابنة التي عرفت رجالاً كثيرين قبل زواجها

ومما يؤسف لهُ ان يكون القسم الاكبر من المصريين حتى يومنا الحاضر اذا تزوّج احدهم دخلت معهُ امرأةٌ تسمى بالبلاّنة لتساعدهُ على فض البكارة ، وذلك بكيفيةٍ بربرية نمسك القلم عن بيانها . امَّا المتنوّرون منهم والذين نالوا قسطاً من العلم فانهُ لحسن الحظ قداستنكروا هذه العادة الشنعآء واقلعوا عنها

ويقدس سائر الشعوب بوجه التقريب البكارة ويعتبرونها كانها الكنز الذي لا يحق لاحدٍ امتلاكهُ الاَّ من يعقد زواجهُ على الابنة . حتى ان غالبهم يرفضون قبول العروس التي لم تظهر فيها علامة البكارة

وتوجد حتى يومنا الحاضر جملة شعوبٍ في آسيا وافريقيا يلجأون الى وسائل اقل أو اكثر بربرية ليجبروا البنات بها على حفظ بكارتهنَّ الى يوم الزواج . ففي بلاد النوبة ودارفور تخيط الام فرج بناتها وهنَّ صغيراتٍ ولا تترك لهنَّ سوى فتحةٍ صغيرة في الاسفل ليجري منها البول والحيض الشهري . واذا حان يوم زواجها فانهم يفلقون لها بحدٍّ قاطع الشفرين اللذين اصبحا ملتصقين . امَّا في الهند وفي

بعض جهات افريقيا فانهم يكتفون بان يخزموا العذارى الفتيات . وذلك بان يدخلوا حلقةً معدنية حيال الشفرين الكبيرين بكيفيةٍ يمتنع معها ادخال اي شيءٍ فيهنَّ . ويتخذ الجركس لبناتهم حزاماً جلدياً يسد فتحة الفرج ولا يدع فيهِ غير خرقٍ صغير لمخرج البول والطمث الشهري . وبعد نهاية حفلة العرس يشهر العريس مديتهُ ويقطع بها حزام البكارة

امَّا الامم المتمدنة فتعتبر البكارة بحقيقة قيمتها وبذات افضليتها لكنها تدع الابنة ان تحافظ عليها باختيارها ولاتلجئها الى تلك الوسائل الوحشية القاسية

غشآء البكارة — ان ما اتفقوا على تسميتهِ بغشآء البكارة ليس هو بالحقيقة غشآءً ، بل انهُ ثنيةٌ من غشآء المهبل المخاطي مكونةٌ عند مدخل القناة الرحمية وفيها فتحةٌ سفلى تكون اثرية في سن الطفولية ثم تتسع شيئاً فشيئاً في زمن البلوغ لتكون مخرجاً لدم الحيض

غير ان هذا الغشآء الذي كان معتبراً في كل الازمنة دليل البكارة هو غير منتظمٍ ولا يجري دائماً على وتيرةٍ مضطردة . بحيث يزداد تارةً نموّ هذه الثنية فتعود شبه غشآءٍ قائمٍ بذاتهِ ، وتكون طوراً قليلة النموّ وفيها فتحةٌ سفلى واسعة — ففي البنات العذارى المعرّضات لحيضٍ شهري غزير او الى السوائل البيضآء او الى الالطاف (اي العادة السرّية) تزول على التقريب فيهنَّ هذه الثنية . وان الشواهد والاختبارات تثبت ذلك في كل يوم

غشآء البكارة على انواعه



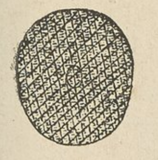
الرسم ٧
غشآء البكارة



الرسم ٨
بقايا البكارة
او اللحيمات الآسية



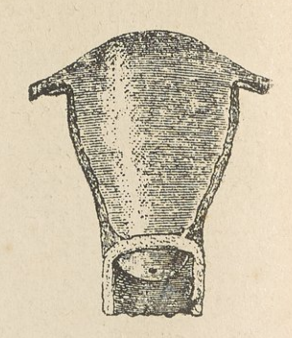
الرسم ٩
غشآء البكارة
المسدود

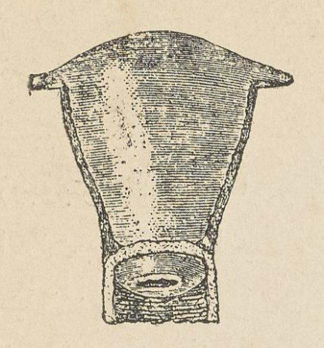


الرسم ١٠
غشآء البكارة
الصفيق والصلب

يؤكد ريولان وبيناي انهُ لا شيء في دائرة الطب تعسر معرفتهُ نظير مسألة البكارة . ويرتأي كوجاس انهُ ليس في الامكان بوجه التقريب الحصول على علاماتٍ واضحة تثبت وتؤكد غشآء البكارة . وقد حصلت جملة مناظرات فيما يختص بهذا الغشآء بين علماء التشريح ، منهم كثيرون انكروا وجودهُ ، وخلافهم كثيرون اثبتوه . ولم يكن مدار اختلافهم الاَّ على كلمة غشآء . امَّا الحقيقة التي لا ريب فيها كما يرتأي دوبي : ان غشآء البكارة ما هو الاَّ ثنيةٌ مكوّنةٌ من غشاء المهبل المخاطي ، تكون واضحةً في البنات العذارى اللواتي لم تحصل لهنَّ مباشرةٌ او لمسٌ او سوائل بيضآء ، وقد تكون في بعضهنَّ معدومةً بتاتاً لنقصٍ في نموّها

تعتبر الطبقة الجاهلة عند بعض الشعوب ان انصباب الدم لدى اول جماع هو برهانٌ قاطع على البكارة . ولذلك تلقاهم يعرضون على مرأى من المجتمعين القميص او المنديل المخضب بدم العروس .


الرسم ١١
عنق رحم العذرآء


الرسم ١٣
عنق رحم الوالدة

وبعدئذٍ يضعونهُ في علبةٍ ليكون محفوظاً عندهم نظير ذخيرة . وان العروس التي لا تظهر فيها هذه العلامة الدالة على بكارتها يردونها خجلةً الى اهلها . غير انهُ قد يندر ذلك لان الامهات تحتاط لهذا من قبل ونحن موردون بعض الشيء من هذا القبيل

تفحص الوالدة او احدى النسآء الخصيصات اعضآء الابنة التناسلية قبل زواجها ببضعة ايام ، فاذا لاحظت ان مدخل مهبلها متسعٌ يلج فيهِ القضيب بدون تمزيقٍ ولا اهراق دم ، فهي تجهّز مثانة سمكةٍ او قطعة معي رقيقة . وبعد ان تملئها دم حمامةٍ او أرنبةٍ تسلمها الى الابنة وتوصيها بان تدسها خفيةً في جوف مهبلها قبل ان تتقدم الى سرير الزواج . وبذلك تنطلي الحيلة على الزوج وتأتي كبرهانٍ قاطع على بكارة الزوجة

ولم يزل بعض الاشخاص في جميع البلاد المتمدنة يتطلبون حتى

عصرنا الحاضر امثال هذه البراهين الدموية . فاذا لم يجدوا أثراً للدم فيرسخ في ذهنهم انهم قد اقترنوا بزوجةٍ ثائب ، ويكون ذلك داعياً لقلقهم ونغص عيشهم . ولو انهم ادركوا حقيقة الأمر وعلموا بانهُ ربَّ زوجةٍ بتولٍ بالفعل لكنها ضعيفةٌ نحيفة او مبتليةٌ بالسوائل البيضآء اذا اقترنت برجلٍ ذي قضيبٍ صغيرٍ ودقيق لا يحصل لها تمزيقٌ ولا سيلان دم . وكذلك الفتياتُ اللواتي يندفعن الى الالطاف والملامسات السرية تصير اعضآؤهنَّ التناسلية متسعةً وان كنَّ لم يزلنَ ابكاراً لم يمسهنَّ رجل . بحيث تُفضّ بكارتهنَّ بدون ان يسيل منهنَّ اقل دم . ويتفق ان ابنةً تسقط وهي صغيرةٌ على اعضآء تناسلها وتتمزق بكارتها ويخرج منها دمٌ طفيف لا يلتفت اليه . في حالةٍ كهذه يُظن ايضاً بالابنة السوء وتكون هي بريئةٌ منه

ولقد برهن اخيراً الاستاذ باران دوشاتيل بكيفيةٍ لا تقبل النقض على ان كثيراً من المومسات بعد ان تركن تلك المهنة القبيحة وتزوجنَّ زواجاً شرعياً قد اظهرن تلك العلامة الدموية . وان فتياتٍ استسلمن الى الفحش قبل سن البلوغ وفقدن بكارتهنَّ بدون اهراق دم . وقد ذكر في مؤلفهِ « مومسات باريس » عن فتاتين اتهمتا رجلاً بانهُ قد اهانهما بقولهِ لهما انهما من المومسات . وطلبتا من المحكمة ان ترسل طبيباً شرعياً لفحصهما لتظهر برآءتهما من هذه التهمة الشنعآء . كأنهما كانتا عالمتين بسر المسألة . و بعد الفحص الدقيق وجد الطبيب ان بكارتهما لا تزال فيهما كأنهما بتولان . الا ان البوليس السري

قد اقتفى أثرهما وعلم بأنهما مومسين بالفعل

اورد ديستراك ٤٧ شاهداً على حصول الحمل مع وجود البكارة ومن قولهِ انهُ في بعض الاحوال يحصل الجماع على اكملهِ وبعنفٍ وتستمر البكارة سليمةً لمرونتها . وقد اورد اساتذةٌ عديدون على ذلك شواهد لا عداد لها

ان لبعض الفساق المتوغلين في ضروب الفحشآء ميلاً لفض البكارة ، حتى ان بعض القوّادات في العواصم الكبيرة كباريس مثلاً يقدمن الى امثال هوءلآء السفلة لقآء مبلغٍ كبيرٍ من المال بناتاً يزعمن بأنهنَّ ابكارٌ وليس هنَّ في الغالب كذلك ، بل ان بكارتهنَّ مصطنعة . سيما وان استعمال البكارة الصناعية كانت معروفةً من القديم وهي لم تزل مستعملةً في عصرنا الحاضر بذات الكيفية التي كانوا يلجأون اليها فيما مضى . اورد صاحب كتاب جامع اللذة (١) انهُ لتجديد البكارة يؤخذ شب وعفص وخلاف اشيآء قابضة وتسحق وتنخل وتطبخ بالمآء وتطلي بها المرأة اعضآءها التناسلية ، فاذا اشتد تكميشها اخذت قطعة مصرانٍ وجعلت فيها دم فرخٍ وتحمّلت بها وقت الحاجة وبهذه الكيفية تستعيض المرأة بكارتها متوالياً

ويتضح من كل ما تقدم انهُ لا يجب ان يثق الرجال كثيراً بظهور الدم كبرهانٍ قاطع على البكارة ولا ان يرتابوا عند عدم ظهورهِ

---

(١) وهو محمد بن حسن بن عبد الله بن هلال وتوجد نسخة خطية من مؤلفه تاريخها سنة ٧٧١ هجرية في دار الكتب الخديوية في القاهرة

بعفاف الابنة وسيرتها الماضية . فان هذه العلامة هي كثيرة الالتباس ومما تجوز الحيلة فيها . وحبذا لو ابطل الناس الهمج عادة اشهار منديل البكارة بعد الزواج وهي العادة التي لم تزل موجودةً عند يهود الجزائر وتونس وعرب البادية وعند عامة المصريين وهي من اقبح العادات وادناها

فض البكارة — يحصل في البنات الجيدات التركيب لدى فض بكارتهن َّ تمزيقٌ قليل في مدخل المهبل او سلخٌ جزئي . ويكون التمزيق غير متساوي الاطراف يسيل منهُ دمٌ طفيف . واذا اتفق في بعض الحالات الاستثنائية وكان القضيب فائق الحد المعتاد واولجهُ الزوج بعنفٍ فيحدث رضاً وتمزيقاً في ثنيات المهبل يتسبب عنهما نزيف دمٍ قليل لكنَّ ذلك نادرٌ جداً

وتتولد بعد فض البكارة على اطراف غشآء المهبل الممزق او المسلوخ حبيبات تسمى باللحيمات الآسية (انظر الرسم ٨) لكنهُ يعسر جداً تمييزها وسط تجعدات وحبيبات مدخل المهبل المتعددة . ويرافق فض البكارة غالباً تمدّد مدخل المهبل ورضٌ واحمرار، واحياناً انتفاخٌ واحساسٌ متناهيان في الاعضآء التناسلية

ومن جملة علامات البكارة التي كان يعتمد عليها الرومان الاقدمون ، هي ان يقيسوا عنق الفتاة ليلة زفافها قبل اختلائها مع العريس بخيطٍ . ثمَّ يحفظونهُ الى ثاني يوم ليقيسوا بهِ عنقها ثانيةً عند خروجها من خدرها . فاذا وجدوا ذات القياس فيستدلون بذلك على كونها قد اضاعت بكارتها من قبل . واذا لاحظوا انهُ لم يعد الخيط

كافياً ليطوق عنقها بحيث قد زاد قطرهُ مدة الليلة البارحة فكانوا يعلنون بكارتها . الأَّ انهم قد ابطلوا هذه الطريقة فيما بعد لما يحتملهُ الخيط من التمدد او عدم ضبط القياس

سيما وانهم كانوا يقيمون حفلةً مقدسة عند فض البكارة ، وفي أثنآئها كانوا يستغيثون بالآلهة لترأسها . وان اول إلهٍ يستنجدونهُ هو إِله البكارة واليهِ يقدمون حزام العروس . ثم يستغيثون بإِله الاحتمال ليحضر ميدان الزواج . ومن ثم بإِله اللَّذة ليضاعف لذة الزوجين وبالتالي بإِله المعونة وهو الآخير كلما حصل مانعٌ متأتٍ عن غشآء البكارة او اي عائقٍ ما يحول دون قضآء الفعل الجنسي . امَّا في يومنا الحاضر فلم يعد احدٌ يستغيث بالآلهة حتى ولا يستنجد عاطفة الحب

القسم الاول

﴿ في بتر اعضآء التناسل ﴾

كانت الاعضآء التناسلية بالنظر الى العصور والعادات معرَّضةً الى ضروبٍ شتّى من العمليات الجراحية . وذلك تارةً بقصد النظافة والتقشف وطوراً لارضآء غيرة الرجال المستبدين والازواج المجذوبين

الختانة — امر المشترعان موسى اولاً ومحمد ثانياً اتباعهما بان يختتنوا قلفتهم وذلك كوسيلةٍ للنظافة في البلاد الحارّة . غير ان هذه

العادة كانت موجودةً قبل موسى بزمان ومتبعةً عند الاشوريين والبابليين والاثيوبيين والمصريين والسريان . . . . . وقد جارى موسى العادة المتبعة عند هؤلاء الشعوب . ولم يكن القصد من الختانة الاَّ تجنب التهيج الذي يسببهُ الافراز المجتمع حيال تاج الحشفة المغطاة دائماً بالقلفة . الاَّ انهُ ليس جميع البشر يولدون وفتحة قلفتهم ضيقةٌ، وليس الجميع قذرين مُعرضين عن النظافة . فاذا كانت الختانة مفيدةً للبعض فهي عديمة الفائدة للآخرين . لا بل ينتج عنها شيءٌ من الضرر على قول البعض لانها تسبب تصلّب اديم الحشفة وعنهُ تنتج قلة الاحساس عند الجماع التي ربما الجأت الرجل الى التماس مهيجات اكثر مفعولاً ووسائل غير مشروعة

كان المشترعون الاقدمون يحترمون اعضاء الرجل التناسلية حتى ان فوهي لم يسن شريعةً خاصة بقلفة الشعوب الصينية . وترك زوراستر الفرس احراراً في محافظتهم على القلفة . وحرَّم سولون وليكورغ على اليونانيين الختانة . وكذلك بولس الرسول لم يعلق عليها اهمية بل انهُ ارتأى في جملة مواضع من رسائلهِ ان اتباعها أو تركها سيان

ولم يشدد في أمر الختانة الاَّ المشترعان موسى ومحمد وهما اللذان أمرا في تضحية القلفة . وقد ساعد الاسلام والاصطلاح على انتشار الختانة في القسم الاكبر من آسيا وفي سائر افريقيا تقريباً

امَّا الاثيوبيون والمصريون واقوام البنان وقسم كبير من القبائل الافريقية وجملة شعوب في الهند فانهم لا يكتفون بختانة الذكور

بل انهم يختنون الإِناث ايضاً . وذلك بقطعهم المستطيل من الشفرين الصغيرين وجملة البظر تقريباً . ومما يتلاحظ ان الشفرين الصغيرين في نسآء هـذه الجهات يتمددان أخصهُ بعد الوضع تمدداً قبيحاً . ويستطيل في نسآء الهوتنتوت الشفران الصغيران ويتمددان ويتدليان على الفخذين حتى انهما يعيقا الفعل الجنسي ، ففي حالاتٍ كهـذه يستحسن قطعهما

الخزم — وهو ان يثقبوا قلفة الرجل من جهةٍ الى أخرى او شفري المرأة الكبيرين ويدخلوا في الثقبين امَّا حلقة او فرع قفل صغير وذلك لمنع الاشخاص عن الجماع . ولدى بعض الامم في افريقيا وآسيا طريقة للخزم اضبط . وذلك ان يأتوا كما تقدم القول بسلخة اديمٍ لكل شفرٍ ويخيطوهما بهما ولايتركوا سوى فتحةٍ ضيقةٍ لمجرى البولِ والحيض . وبعد ما يلتحم الشفران ينسلون الخيطين فتستمر الابنة مسدودة الفرج ومحرومة منهُ الى يوم الزواج . ومتى جآء ذلك اليوم يشق الزوج بمديته صلة الالتحام ويقطف ببربريتهِ وخشونتهِ زهرة البكارة التي حفظوها لهُ بهذا الشكل الوحشي

ولم يحفل اليونان بمثل هذه الوسائل الخشنة بل انهم كانوا اوفر أدباً واكثر ثقةً بنزاهة نسآئهم من ثقتهم بمزالج واقفال خدورهنَّ . ولا شك بانهم كانوا محقين في ذلك

امَّا الرومان الذين فاقوا جميع الامم بالفحش والغيرة على النسآء فكانوا يعملون لعبيدهم وبالمثل لبنيهم انواع الخزم المختلفة . بحيث كانت

القابلات تخزم البنين الذين يشتبهون بسلوكهم . واذا لم تكفِ هذه الوسيلة فكانوا يحجزون القضيب داخل قرابٍ خشبي لهُ خرقٌ لمخرج البول . وقد اورد وينكيمان وصف تمثالين صغيرين قديمين كانا يمثلان شخصين من ارباب التمثيل مخزومين . وهذان التمثالان كبرهانٍ عما نقلهُ الينا المؤرخون فيما يختص بالمغنّين . وذلك ان اصحاب دورٍ التمثيل في عصر القياصرة كانوا يجبرون الممثلين على تحمّل الخزم لحفظ طلاوة صوتهم وسلامته . وذلك بحرمانهم من كل لذةٍ جنسية . امّا في يومنا الحاضر فاذا قضوا على الممثلين بالخزم فلا نظن ان يلاقي فن التمثيل طلاباً كثيرين . ولقد اتهم جوفينال كبار السيدات الرومانيات بانهنَّ كنَّ يخزمن عشاقهنَّ بحلقةٍ ذات قفل ويبقين المفتاح معهنَّ . وكذلك العرب لم يعدموا هذه الطريقة ايضاً فقد ذكر صاحب جامع اللذة انهُ كان لابي الخطاب بن صباح جاريةٌ تهواهُ فحملها الشغف بهِ والغيرة عليهِ ان عملت قفلاً وانفذتهُ اليهِ مع رسولٍ وطالبتهُ بان يقفل على قضيبه . امّا هو فقد اجاب الرسول بقولهِ لهُ عد اليها وقل لها ان تطيل شعر شفريها الكبيرين لاعقدهما واختم عليهما فاذا رضيت بذلك قبلت انا ايضاً بالقفل

كان فيما مضى بعض الجمعيات الرهبانية في الشرق يخزم اشخاصها اعضاءهم التناسلية . امّا في يومنا الحاضر فلم يعد يُشاهد فيهِ امثال هؤلاء النساك الاَّ في الهند في طائفة الفقراء المتعصبين اؤلئك الذين يحملون في قلفهم حلقةً كبيرة اشبه بالخلخال

الخصى — نشأ في الشرق فن الخصي اي حرمان الرجل من جنسه . فقد ذكر ديودور عن السريان والمصريين انهم كانوا يقضون بالخصي كقصاص للفساق والذين يقترفون جناية باسيفاس ويقال ان الماديين هم اول من اتبع نسآءهم بلفيف الخصيان . وقد تبعهم على الأثر اهل اشور وفارس . بحيث كانت سادات اسيا يأمرون بخصي عددٍ عديد من الابنآء التعسآء ليدخلوهم في حاشيتهم . كما انهُ لا توجد حتى يومنا الحاضر سراية او حرمٌ الاَّ وفيهما عددٌ من الخصيان القائمين بخدمة النسآء وحراستهنَّ . ولمَّا انحطت مدينة رومية في زمن قياصرتها الأواخر كان اغنيآء الرومانيين يشترون خصياناً وخناثاً للخدمة الجنسية . واصبحت في اثنآء حكم امبراطرة اليونان تجارة الخصيان صفقةً رابحة . حتى اضطر يوستينيانوس ان يقضي بالخصي على اؤلئك الذين يخصون بنيهم — وقد حكم البرلمان الباريسي بموجب شريعة تاليون وهي العين بالعين والسن بالسن على الذين خصوا ابيلار بان يخصيهم الجلاد — وكانت الشريعة الساليكية (١) تقضي بالخصي على العبيد الذين يفاجئونهم مضجعين مع سيداتهم — وكانت شريعة غليوم الفاتح تقضي بالخصي على كل امرءٍ اغتصب ابنةً بكراً — امّا الشريعة الفرنساوية الحالية فقد حرّمت الخصي في البند ٣١٦ من قانونها الجنائي وهذا نصه « ان كل شخصٍ اتى جناية الخصي يحكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة . واذا مات الشخص المخصى من

---

(١) شريعة فرنساوية قديمة كانت تحرم على النساء وبنيهن تبوء عرش المملكة

جرآء ذلك قبل مضي اربعين يوماً على هذه العملية يحكم على الخاصي بالموت

وزعموا بان كهنة الإلهة قيبيل كانوا يخصون انفسهم قبل دخولهم في خدمة الكهنوت وقد سقط جميع المؤرخين في هذا الخطأ وذلك لاعتقادهم بالاحاديث النقلية . غير ان الحكيم الذي يغوص على الحقائق ويستنتج بالبرهان لا تنطلي عليهِ تلك الاكاذيب . اذ يعلم ان الرقص الخلاعي والتهيج الحبي اللذين كان يأتيهما هؤلآء الكهنة لا يتفق ابداً مع حياة الخصيان الخاملة والبليدة

ولقد دفع الاخلاص والتقوى كومبالوس الى ان يخصي ذاتهُ لينجو من الاهوآء الخطرة التي كانت تثير فيهِ باعث الشوق نحو ملكته — وفي القرن الثاني للميلاد اتبع اوريجيانوس المتحمس مثل نديم انطيوخس سوتر ليبرهن عن عفتهِ لكل من شكَّ بها . ثمَّ كان لهذين الخصيين المشهورين كثيرٌ من المقلدين حتى اضطر احد البابوات ان يبدد هذه الطريقة التي سرت عدواها بين تلاميذ اوريجيانوس . ثمَّ ظهرت في مدة حكم الامبراطور أركاديوس فرقة الابيليان وهم الذين نذروا على انفسهم بان يعيشوا مع النسآء بدون ان يولد لهم بنون . ولم يعد لهؤلآء الملحدين واعدآء الطبيعة من اثر من حين ما علموا بالقانون الذي وُضع لقصاصهم

وظهرت من ثمَّ في جهات جزيرة العرب بدعةٌ أخرى أشدّ هولاً مما تقدمها . لم يقتصر انصارها المعتوهون على خصي انفسهم تدريجاً

بل انهم كانوا يخصون جميع الاشخاص الذين يصادفونهم . و بعد ان ارتكبوا جملة جرائم من هذا القبيل قامت الامة ضد هؤلآء المجانين اعدآء الطبيعة الالدآء وقتلت الرؤسآء منهم فتفرق باقي الاعضاء

ذكر المؤرخ بروكوب ان سادات بلاط الامبراطور يوستينيانوس كانوا يتطلبون كثيراً من الخصيان الفتيان حتى ارتفعت قيمة هؤلآء وبيعوا بثمن غالٍ . فلما شاهد احد ملوك الاباسج رواج تجارة الخصيان وكونها من التجارات الاوفر ربحاً فكان يغتصب بالقوة اولاد رعيتهِ الجميلي المنظر ويأمر بخصيهم وتصديرهم للمبيع في اسواق القسطنطينية

وزاد فنّ الخصي وحرمان الرجل من خاصية جنسهِ انتشاراً عظيماً ولاقى نجاحاً باهراً في مدة خلفآء المسلمين . ولمَّا كان السلطان يفوّض الى الخصيان خدمة نسآئهِ وحراسة سرايته . فكانت الامرآء واعيان الدولة يقلدونهُ وينسجون على منواله . حتى صارت الخصيان تعد بالمئات والآلاف . وانتشرت عادة الخصي في اكثر جهات اسيا وافريقيا وكم من الضحايا البشرية ذهبت في سبيلها وكرست على مذبحها

ولم تتوقف غيرة رجال الشرق المستبدين عند هذا الحد بخصيهم الذكور فقط بل انهم تجاوزوهُ الى ابعد من ذلك وهو خصيهم الاناث . بحيث انهم كانوا يشقون بطن الفتيات ويستأصلون المبيضين منهنَّ ليجعلوا هؤلآء التعيسات عديمات الشهوة الجنسية . وكذلك يقطعون بظرهنَّ من اصلهِ ويجمعون الشفرين الكبيرين ويخيطونهما حتى يمتلكوا مخلوقاتٍ لا جنس لها ولا شهوة وتفوق الخصيان

الذكور. ويقال انهُ اذا اجروا عملية الخصي في رجل بالغٍ تبقى لهُ جميع الشهوات والاحساسات التي كان متمتعاً بها قبل خصيه

ونحو القرن الحادي عشر دخل فن الخصي في البلاد الرومانية فكان يُشاهد والدون قساة القلوب عديمو الشفقة يخصون اولادهم ليلحقوهم بدور التمثيل حيث يقومون بتمثيل ادوار النسآء ليكتسبوا بذلك مرتباً كبيراً

امَّا في عصرنا الحاضر فقد بطل فن الخصي في الممالك المتمدنة ولم يعد للخصيان وجودٌ الاَّ في بعض سرايات تركيا والقطر المصري ولم يزل مع ذلك عددهم وافراً لا يستهان به . بحيث انهُ لمَّا قاموا بخلع السلطان عبد الحميد وجدوا في قصره يلدز ما ينيف عن مائة وخمسين خصياً

غير ان الفحش والبغآء والامراض التناسلية التي تزداد انتشاراً من يوم الى آخر في امهات المدن ومواطن التمدين ، والتي تسبب دآء العنّة لكثيرٍ من الاشخاص قبل السن المعتادة ، هي نوعٌ من الخصي الاختياري الذي سيأتي الكلام عنهُ في فصل العنّة

الفصل الثامن

في صحة الاعضآء التناسلية والتعاليم المختصة بالفعل الجنسي

اذا رغب المرء ان يحفظ اعضآءهُ التناسلية صحيحةً ونشيطة ، عليهِ ان لا ينهكها بعملٍ متواتر متواصل . بل عليهِ ان يعتني دائماً بنظافتها وطهارتها وذلك بغسلها يوميّاً ليزيل عنها الاقذار التي تفرزها والمواد التي تعلق بها . وكذلك يلزم للمرأة بنوعٍ خاصّ ان تستعمل النظافة باعتنآءٍ ومراراً متكررة ، لان تركيبها يستدعي ذلك . وخير الغسول ما كان بالمآء البارد او الفاتر حسبما يقتضيهِ الفصل ، ولا بأس اذا اضيف اليهِ بعض نقط كولونيا جيدة . ويجب ايضاً عدم استعمال الخلول وسائر المجهزات العطرية القابضة فانها تيبس وتجعد وتغير لون اغشية الاعضآء وتفقدها الى الابد تلك الغضاضة الجذّابة التي تمتلكها

على الزوج العاقل ان يتخذ باعتدالٍ الملاذ الزوجية وإِياهُ ان يفرط بها . ذلك لان الافراط يخبّل الجسم ويؤَثر على العقل . ومجمل القول انهُ اذا اراد الزوج ان يضاعف ملاذهُ ويطيل مدتها ، فعليهِ ان يقتصد بالانفاق منها ولا يعمل على تبديدها

ويتطلب الفعل الجنسي ملاطفةً وهدوًّا وتستراً ليفيهِ المرء حقه ويقضيهِ على غاية ما يرام . ذلك لان الفزع والضجة ونظيرهما القذارة والكراهة هي من الاسباب التي تعاكسهُ وتحول دون اتمامه . وما على الزوج الأَّ ان يتطلب اللذة من زوجتهِ بواسطة الكلام العذب وعبارات الحب ليجذبها اليهِ بلطفٍ وينال منها مرغوبه . واياهُ ان يتخذ العنف والغلظة المسببين لاعراضها عنهُ ونفورها منه . ويقول صاحب كتاب جامع اللذة انَّ من طلب ما عند النسآء بالغلظة لا يزداد منهنَّ الاَّ بعداً ، وان الذي يجرّيء النسآء على الفساد غفلة الرجل وكثرة الاموال

وعلى الزوج ان يقضي الفعل الجنسي بوداعةٍ ومداراةٍ ، وليس بتلك الحدة البحرانية التي من الجائز ان تجرح الاعضآء وتضرّ بالتلقيح وتترك في مخيلة المرأة أثراً تشعر بهِ بالألم كلَّما اقترب منها فيما بعد وان لم تكن ثمة داعٍ لذلك

وعلى الزوج انْ لا يضني ذاتهُ باتخاذهِ الجماع ديدناً ، بل عليهِ ان يتجنبهُ ويمتنع عنهُ متى اشارت اليهِ الطبيعة بالامتناع . ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا في قانونهِ انهُ لا يجب ان يُجامع الاَّ على شبق صحيح لم يهجهُ نظرٌ أوتأملٌ اوحكّةٌ اوحرقة . بل انما هاجهُ كثرة المنيّ وامتلآؤهُ » اي عليهِ ان ينتظر ولا يعود الى الجماع قبل ان تكون الطبيعة قد جددت فيهِ ما فقدهُ من جرآئهِ

ويلزمهُ ان يقصي عن مخيلتهِ الافكار المهيجة والاميال الجنسية

الغير المعتدلة ، فهي من اكبر اعدآء البالغين واشدها ضرراً بهم . واياهُ ان يتعمد الافكار المهيجة والهواجس الغرامية والمنظورات المنبهة . بل عليهِ ان ينتظر العضو التناسلي ليستيقظ من غفلتهِ من تلقآء ذاته . وهي الوسيلة التي يحتفظ بها على خصائصهِ الطبيعية زمناً طويلاً

سألوا ابو قراط الحكيم كم مرةٍ يستطيع الرجل ان يباشر في الاسبوع . أجابهم مرةً واحدة . قالوا وإن كان هذا قليلاً . أجابهم مرتين . قالوا وإن كان هـذا قليلاً ايضاً . أجابهم ان روحكم فيكم اذا شئتم فاخرجوها منكم

وفي هذا المعنى قال اين سينا في ارجوزتهِ المشهورة :

احفظ منيّك ما استطعت فانهُ ماءَ الحيـاة يراق في الارحامِ

وقال في موضعٍ آخر :

ثلاثٌ هنَّ من شركِ الحمامِ وداعية الصحيح الى السقامِ
دوام مدامةٍ ودوام وطيءٍ والقآء الطعامِ على الطعامِ

فليحذر الزوج الصراع الحبي حالاً بعد الامتلآء من غذآء وافر . ذلك لان التشنج الشديد الذي يحدثهُ الانزال اي القذف المنوي في مجموع الجسم ، قد يتفق ان تتوقف من جرآئهِ الوظيفة الهضمية ويتسبب عنهُ امتداد الامعاء وداء النقطة احياناً

ويجب ان يمتنع المرء عن الفعل الجنسي في حالة انحراف الصحة وتوعك المزاج او المرض . لانهُ اذا كان الجماع صحياً للاشخاص الاصحاء فهو بعكسهِ مضرٌ بالاشخاص المرضى والمهزولين

ثمَّ انهُ متى كان الرأس قلقاً والاعضاء تعبةً فمن الصواب أن تُؤَجل المباشرة الجنسية الى يومٍ آخر . ذلك لان التعب الذي يحدثه هذا الفعل لا بدَّ من ان يضاعف تعب الزوج الموجود فيهِ

وكذلك يجب على الاشخاص المصدورين وهم عادةً مولعون بالحب الجنسي ان يرتدعوا عن الاميال الحبية جهد طاقتهم لانها تسبب اعظم الاضرار لضعفاء الصدور

ثمَّ انهُ وان يكن في استطاعة المرأة ان تستسلم للجماع تكراراً واكثر تواتراً من الرجل ، فهي مع ذلك قنوعةٌ في الغالب واقل تشوقاً منه . ولا شك بانها مصيبةٌ في ذلك ، سيما وقد برهن الخبيرون على ان اللواتي يفرطن بهِ كنَّ عرضةً لادواء المبيضين والرحم المؤلمة ولتلك العلة الهائلة التي يدعونها بالسرطان

يذكر اولو الخبرة ان المأكولات والمشروبات التي تحمي الدم وتعجّل في دورتهِ ، لا تفعل في الشخص الاَّ تهيجاً وقتياً فضلاً عن انها تجعلهُ في استعدادٍ لضعف الباه والعنّة . وعليهِ فالاشخاص الذين يفرطون بالمشروبات الكحولية والاطعمة الحارّة فانهم يفقدون قبل الزمان المعتاد قواهم التناسلية . وكذلك تناول الاغذية المضعفة والمشروبات الشديدة الحموضة فهي بالمثل تخمد حرارة القوى التناسلية

ويترتب على الزوج ان يحترم بعض الحالات الجسمية والعقلية التي تكون فيها زوجتهُ ، وهي نظير مدة الحيض الشهري والتعب وانحراف المزاج والاكدار وارزاء الحياة . . . . . وان لا يتطلب منها

امراً ليست هي مستعدة للقيام بهِ والاجابة عليهِ . وانهُ اذا اجبرها واكرهها وتصادف وحصل التلقيح فلا شك بان يأتي الثمر متأثراً من الحالة التي كانت فيها حاملهُ وقت الحمل . وهذا ما نبينهُ مفصلاً في الفصل الخامس عشر من هذا المؤلف

وعلى المرء أن يتجنب العفة التامة الطويلة المدة ، وبالمثل الافراط الجنسي . لان هذا التطرف في الحالتين المتناقضتين يتلف العضو التناسلي ويأتي بذات النتيجة ، وهي الارتخاء وضعف الباه والعنّة . لذلك يجب على الازواج الحكماء ان لا يطلقوا لانفسهم عنان الاهواء الجنسية ولا يعرضوا عنها بتاتاً . بل يلزمهم اذا اقتربوا من هيكل الحب ان يتنحوا عنهُ وفي اقتدارهم ان يخصوهُ بتقدمةٍ اخرى

تتطلب مدة الحمل انتباهاً زائداً وعنايةً فائقة ، لهذا يجب على الازواج ان يمتنعوا عن المباشرة الجنسية مدة شهري الحمل الاولين ، ومنذ ابتداء الشهر السابع الى ما بعد الوضع ، وذلك لخير الحامل وجنينها معاً . لان التهيج الذي يسببهُ الجماع في الشهرين الاولين من الجائز ان يعيق نموّ التصوير الجنيني ويسبب في بعض الاحيان الاجهاض . وكذلك من الجائز بعد ابتداء الشهر السابع ان تجرح المباشرة الرحم وتسقط الجنين قبل اوانه

فهذه هي التعاليم التي يجب على الازواج اتباعها ، اولئك الذين يرغبون من صميم فؤادهم ان يحافظوا على خصائص بنيتهم زمناً طويلاً ، ويخلفوا بنين حسني التركيب اصحاء الاجسام

الفصل التاسع

﴿ في الحيض الشهري ﴾

يُستدل على بلوغ الابنـة بتلك العلامـة الاولى وهي الزغب الحريري الذي ينبت في جهة عانتها ، ويُستدل على استعدادها للتناسل بذاك الدم الذي يصدر من رحمها ويسيل من فرجها ويدعى بالحيض الشهري

ويختلف بدء ظهور الحيض بالنظر الى الاقليم والطقس والتركيب والمركز الاجتماعي . . . . . التي تكون الابنة فيها . ففي البلاد الحارّة يأخذ الحيض مبدأهُ من السنة التاسعة الى الثانية عشرة . وفي البلاد الباردة من السادسة عشرة الى العشرين . وفي البلاد المعتدلة في متوسط المدتين السابقتين . وكذلك تحيض بنات المدن وعلى الخصوص الحواضر الكبرى قبل بنات البادية والريف . ومما ذكرهُ البان دوران انهُ في جماعة الاسكيمو في شمالي اميركا ينقطع حمل النسآء في مدة الشتآء وينقطع معهُ الحيض وذلك من تأثير شدة البرد

امَّا مدة الحيض الاعتيادية فمن ثلاثة الى اربعة ايام في النسآء الجيدات التركيب واذا قصرت او طالت عن ذلك فتكون على خلاف المعتاد . وتتسبب امَّا عن فقر الدم او ضعف الرحم او هزال عموم الجسم . ويأتي الحيض اوفر مقداراً واطول مدةً في النسآء الليمفاويات الكسولات والقليلات الحركة . واقل من ذلك في النسآء الدمويات النشيطات العاملات . وكذلك هو اوفر في النسآء النحيفات والشهوانيات مما هو في النسآء الدسمات وعديمات الميل

ويقدرون متوسط مقدار الدم الذي يسيل في كل حيضٍ بمايتين وخمسين غراماً . غير انهُ يختلف هذا المقدار كثيراً بنقصٍ او زيادة لجملة اسباب . ومن الخطأ الشائع عند عموم الناس اعتقادهم بان دم الحيض هو دمٌ مفسود مع انهُ نظير الدم الذي يسري في الاوعية الشريانية ما خلا هذا الاختلاف فقط . وهو ان مادة الفيبرين التي فيهِ هي اقل (١) من المعتاد

امَّا الرائحة النتنة التي تنتشر من بعض النسآء في اثناء الطمث فتحصل من مفرزات الغدد والدم الذي ينفسد في اللفافة . وان اللواتي يعتنين بانفسهنَّ ويبدلن اللفافة لا تنتشر منهنَّ رائحةٌ كريهة اصلاً

ليس لمدة الحيض الدورية اقل علاقةٍ باوجه القمر كما تظنهُ العامّة ، فهو حالةٌ طبيعية نظير باقي الاحوال الحيوية التي لها صفةٌ دورية . واكبر دليلٍ على عدم علاقة القمر بها انهُ اذا اتخذنا عدداً كبيراً من

---

(١) وهي المادة الليفية التي تتكوّن منها العضلات

النسآء لوجدنا الكثيرات منهنَّ يبتدئ الحيض معهنَّ في اي يوم كان من الشهر (١)

ولقد تضاربت اقوال العلمآء في أمر الحيض الشهري وسببهُ وليس هنـا محلٌّ لايراد آرائهم بشأنه . اما الرأي الغالب فهو انهُ لمَّا تبلغ الانثى وتأخذ بويضاتها بالنضج متوالياً فانهُ كلما نضجت بويضةٌ او اكثر تتضخم اعضاؤها التناسلية ويتسبب عن ذلك سيلان الحيض

القسم الاول

﴿ في بيض المرأة الشهري ﴾

قبل ظهور الحيض الشهري ببضعة ايام تنتفخ حويصلة من حويصلات غراف وهي التي تغلف البويضات البشرية وتنفلق وتخرج منها البويضة التي تكون قد بلغت تمام نضجها ، فتلتصق بالبوق وتسقط في الرحم . ثم تحدث قطبةٌ في المبيض في المحل الذي خرجت منه .

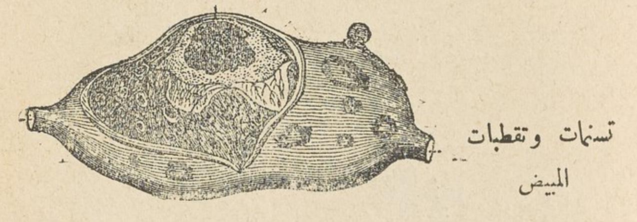
---

(٢) طالعنا للدكتور ستوبر احد اطباء الالمان تأييده الاعتقاد الذي لم يزل سائداً من زمن ارسطو فيما يتعلق بتأثير القمر على الحيض . مستنداً بذلك على فحصه ٥٨٢٨ امرأةً كشف عليهنّ ٦٨ مرةً في مدة عشر سنوات في مستوصف عمومي . تبين له من ذلك ان القمر كان يفعل مفعولاً هاماً فيما يتعلق بظهور الحيض ، لان غالب هذه النساء كنّ يحضن في التربيع الاول مع ان القسم الاقل منهنّ جداً كان يصادف حيضهنّ مع الهلال او البدر

وهذا هو العمل الذي يدعونهُ ببيض النسآء الشهري (انظر الرسم ١٤)

البيض الشهري

تمزّق حويصلة من حويصلات غراف وخروج البويضة المسببة الحيض



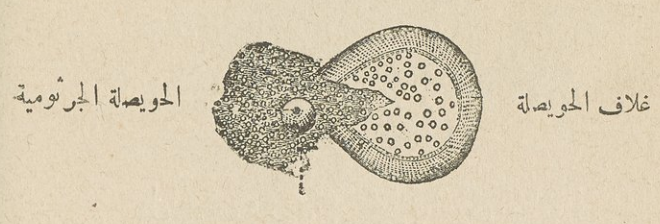
الرسم ١٤

ويحدث عمل المبيض ومرور البويضة في البوق انتفاخاً في غشآء الرحم المخاطي وتحلباً دموياً في سطحهِ يسيل الى الفرج ويخرج منه. واذا استأصلوا المبيضين بعمليةٍ جراحية امّا لعلةٍ او لتقوم المرأة مقام الخصي الذكر، كما يجرون مثل ذلك لبعض النسآء في الهند. فوقتئذٍ ينقطع الحيض ولا تعود تأتي لهنَّ العادة الشهرية بتاتاً

ويقول دوبي يجب على العلمآء الذين يذكرون انَّ في كل مبيضٍ من ١٥ الى ٢٠ بويضة ان يضيفوا الى ذلك ماخلا البويضات التي تحدث فيما بعد. لانهُ بالنظر الى سنَّة البيض الشهري اذا كانت المرأة لا تمتلك سوى اربعين بويضةً فقط، فهي تصبح عقيمةً بدون ادنى ريبٍ بعد اربعين بيضاً. أي بعد بلوغها بثلاث سنين و بضعة اشهر، وهذا ضربٌ من المستحيل. وحقيقة الأمر ان المبيض هو عضوٌ غددي يأتي وظيفتهُ نظير باقي الغدد، فكلما

نضجت فيه بويضةٌ وانفصلت عنهُ استعاض عنها بخلافها ، وذلك في اثناء كافة المدة الطبيعية التي تكون المرأة قابلة التلقيح فيها (انظر الرسم ١٥)

طرد البويضة من الحويصلة الميضية



الرسم ١٥ البويضة

ويزعم رملي دوسون بان مبيضي المولودة الانثى يشتملان عند ولادتها على كميةٍ كبيرة من البويضات الغير الناضجة التي يبلغ عددها ٧٠,٠٠٠ ولا يزيد على ذلك وقت البلوغ ، اذ ينقطع بولادة الطفلة تكوّن بويضاتٍ جديدة

تكون عيون النسآء في اثناء كل حيض ذابلةً كمدة ، وكذلك لون بشرتهنَّ وشعرهنَّ اقل اشراقاً ، وهنَّ اكثر عرضةً للانفعالات النفسية . ذلك لانهنَّ ينزعجن ويتقطب محياهنَّ لاقل معاكسةٍ تصادفهنَّ . وما ذلك الاَّ لان اخلاقهنَّ في تلك الاثنآء تكون سيئة كئيبة ميّالة الى الراحة والسكينة . فلهذهِ الاسباب المتعددة يجب على الزوج ان يضاعف اعتناءَهُ بزوجتهِ ويتجنب معاكستها وتكديرها

الأمر الذي يوقف فيها سيلان الطمث ويسبب لها اضراراً بصحتها لا ينتبهان بها

مما يتلاحظ في البهائم ان الطبيعة تعمل في كل سنةٍ في اجسامها اختماراً وفي طباعها اضطراباً . بحيث توجّه الى اعضآئها التناسلية دماً ومادةً تسبب لها النعظ . وهذه المادة في البهائم هي نظير ما نسميهِ في المرأة حيضاً . فلا عجب اذا بحثت البهائم في ذلك الوقت اكثر من سواهُ عن الذكر ، وقد دلتها الطبيعة على انهُ خير دوآءٍ لنعظها واضطرابها

وتشعر النسآء على العموم بالميل الجنسي بضعة ايامٍ قبل ظهور الحيض ، وما ذلك الاَّ لان الطبيعة قد جعلت هذه المدةَ هي الاكثر ملائمةً للتلقيح . ومتى أخذ الحيض مجراهُ ينطفي هذا الميل فيهنَّ ليظهر من جديد بعد انقطاع سيلان الطمث تماماً . ذلك لان الرحم في اثنآء الحيض يكون متهيجاً تلزمهُ الراحة ، وكذلك المرأة في حالةٍ تقضي عليها بالتستر والابتعاد عن الرجل

امّا تركيب دم الطمث فهو على التقريب نظير الدم الشرياني ما خلا مادة الفبرين التي تنقصهُ قليلاً كما تقدم القول . ويُستعاض عما ينقصهُ من الفبرين بمقدارٍ اوفر من المواد المخاطية التي تصل اليهِ بدون ريب من غشآء المهبل المخاطي . ومما يقضي بهِ العقل انهُ يستحيل ان يحتوي الدم المعد لتغذية الجنين على ادنى صفة فاسدة . مع ان كثيراً من النسآء يعتقدن على العموم بان الحائض تفسد بعض السوائل كاللبن والمشروبات وخلافها اذا لمستها واقتربت منها . ولمّا

كانت اعتقادات العامَّة تخفي احياناً بعض الحقائق وان تكن بعيدة الحدوث . بحيث ان اطباء خطيرين قد لاحظوا هذه الخاصية في بعض النسآء وتحققوا أمرها وكانوا شهوداً عياناً عليها . ومما ارتآهُ الطبيب فلبو متسائلاً بقولهِ : لماذا الابخرة المتصعدة في بعض الاحيان من امرأةٍ حائض لا تستطيع ان تفسد سائلاً سهل الفساد نظير اللبن او بعض السوائل . مع انهُ من المحقق ان الدم الذي يستمر محفوظاً مدةً من الزمن في اعضاء المرأة التناسلية القذرة يمكن ان يكتسب بفسادهِ خصائص اقلّ أو اكثر مضرّة . سيما وانهم يذكرون من هذا القبيل عدداً كافياً من ادوآء السوائل البيضاء والسائل الصديدي التي تسببت لبعض الاشخاص من جرآء مباشرتهم نسآء في اثنآء الحيض ، مع انهنَّ كنَّ سليماتٍ من تلك الادوآء

امَّا مباشرة الحائض فهي من الامور الدنيئة المخالفة للصحة ، ويبتعد غالب الرجال عن النسآء في تلك الاثنـاء ، وليس الاَّ بعض الاشخاص ذوي الذوق المفسود والشهوة المرذولة اولئك الذين يقتربون من النسآء وهنَّ حائضات . سيما وان بعض شرائع المدنية القديمة كانت تقضي على النسآء بان يمضين مدة الحيض في العزلة . وقد ابتعد لابان عن ابنتهِ راحيل اذ كان يفتش عن الاصنام التي خبأتها في حداجة الجمل وجلست فوقها . كما جاء في سفر التكوين ص ٣١ ع ٣٤ . وكذلك وضع موسى اشد العقوبات على من يقرب امرأة حائض . كما ورد في سفر اللاويين ص ١٥ و ١٩ . وقد اعتاد بعض

الامم الشرقية ان يحجزوا المرأة مدة حيضها . وتحمل المرأة العمومية في جهات كثيرة من جنوب افريقيا علامةً تنبّه الرجل بالابتعاد عنها . وكذلك يؤشر طبيب الحكومة في القطر المصري في الشهادة التي يعطيها للمومس بعد الكشف عليها انا حائضٌ اذا وجدها طامثاً

القسم الثاني

﴿ في خلل الحيض الشهري وزيغانه ﴾

يتعرض الحيض لانواع الخلل وعدم الانتظام ويكون في مثل هذه الاحوال مضرًّا بالصحة وبالتلقيح معاً . وقد يزيغ الحيض عن مجراهُ الطبيعي فيخرج من الانف والنقط الدمعية وحلمة الثدي او الحلمتين معاً . ومن البنان وباب المستقيم وخلاف جهاتٍ من الجسم ويدعونهُ بالحيض النيابي . وكذلك لا يجري الحيض مطلقاً في النساء المترفات بانتظام . بل ينقطع في البعض منهنَّ عند ظهورهِ تقريباً . ثمَّ يظهر ثانيةً بعد عشرة او خمسة عشر يوماً . ومنهنَّ من لا يحضن الاَّ قليلاً جداً وخلافهنَّ مقداراً وافراً وهن اللواتي يسقطن في هزالٍ مضنٍ من فرط الدم الذي يفقدنه . وتُشاهد انواع هذا الخلل على التقريب في النساء المتمدنات المترفات اللواتي يحيين الليالي في المراقص ودور

التمثيل ويفرطن بالمشروبات الحارّة كالشاي والقهوة وخلافهُ . بعكس القرويات بوجهٍ عامّ اللواتي يتمتعن بصحةٍ جميلة لا تحلم بها نسآء الحواضر الكبرى

ويجب التثبت من حالة الحيض قبل الزواج اذا كان سيرهُ طبيعياً وبانتظام ، لانهُ بخلاف ذلك لابدَّ من وجود علةٍ او تشوهٍ في تركيب الاعضآء التناسلية . سيما وان انتظام الحيض هو ميزان الصحة والدليل على قابلية التناسل . وان خلل الحيض او زيغانهُ او انقطاعهُ من الاعراض السيئة التي يجب مقاومتها واصلاحها في الحال

ولا بأس من ايراد بعض الاسباب التي تسبب الخلل للحيض. منها الاغذية الرديئة الحارّة او المضعفة ، والافراط بالمشروبات الكحولية او الخل والشاي والقهوة والفواكه الغير الناضجة والمسهلات والمدرّات الطمث . والافراط بالملاذ التناسلية والرقص والتعرّض فجأةً لتقلب الطقس ، وشرب المثلجات عند مايكون الجسم مبتلاً بالعرق ، وتسقيط الرجلين في المآء البارد والتعرض للاحزان والاكدار المزعجة والمهيجات الملازمة وهلمّ جرًّا ....

وقدشاهدوا ان للجنون تأثيراً عظيماًعلى وظيفة الحيض . ففي ١٩٢ مجنونة من سن السابعة عشرة الى السادسة والاربعين اللواتي لاحظهنَّ الاستاذ سكين مدة ستة اشهر متوالية ، وجد ان منهنَّ ٢٧ فقط كنَّ يحضن بانتظام و٣٠ لم يحضن ابدًا وما تبقى منهنَّ كنَّ يحضن بغير انتظام

ولقد اسلفنا القول انهُ من حين ما تشعر المرأة بتأخرٍ او خلل

او قلة انتظامٍ في حيضها ، فخير وسيلة لحفظ صحتها ان تتلافى ذلك باقرب ما يمكن ولا تنتظر الى الشهر التالي كما تفعل نسآء كثيرات اللواتي ينتظرن الطبيعة لتجهز لهنَّ الدواء بدون ان يمدنها باقل مساعدة . مع انهُ يترتب على كل امرأةٍ حكيمة وعاقلة ان لا تتأخر في مثل هذه الحالة عن مشاورة طبيبها وقيامها بتنفيذ ما يصفهُ لها بكل دقةٍ وانتباه

وليس للصفات الطبيــة المختصة بمعالجة الحيض واعادة سيرهِ بانتظام محلٌ في موءلفٍ كهذا . ومع ذلك اننا نورد واحدةً منها تلك التي اقرّها الطب واتت بفائدةٍ عظيمة وهي هذه

توضع قبــل بضعة ايام من حلول مدة الحيض عادةً اربع علقاتٍ صغارٍ على الفرج في القسم الداخلي اي فوق الشفرين الصغيرين . وفي وقت ما تسقط العلقات تسد الثقوب بكريات اغاريقون (١) كي تمنع خروج الدم وتوقف سيلانه . ثمَّ توضع على اعلى الفخذ وداخلهُ لزقة خردلٍ تستمر الى ان يحمر الاديم جيداً . و بالتالي تُستعمل مرتين في اليوم وعلى مدة ثلاثة ايام حقنٌ مهيجة في المهبل وهكذا تركيبها :

سائل الامونياك (روح النشادر)	٤	غرام
مغلي الشعير المبرّد	٢٥٠	»

ومن النادر ان لا ينتظم سيلان الحيض بعد هذه المعالجة ويكره كثيرٌ من النسآء وعلى الخصوص الفتيات وضع العلق ،

---

(١) هو نوع من الفطر الاغاريقي (Agaric)

فيجوز والحالة هذه قبل استعماله ان تعمل المرأة حماماً مجلسياً حرارة مائه ٣٠ درجة بالمقياس المئيني (سنتيغراد) وذلك على مدخل الفرج. وكذلك ان تسقط رجليها بماء الخردل، وتعمل كاسات هوآء على خارج الفخذين، وتتخذ بعض المسهلات والحقن المهيجة. وبالتالي تعرّض فتحة فرجها لبخار ماءٍ مغلي وتجاه نارٍ حامية وكل ذلك لتهيجه. واذا لم تنجع هذه الوسائل المتنوعة ولم ينتظم الحيض الشهري فلا بدَّ من استعمال الطريقة السابقة

القسم الثالث

﴿ في زمن الحيض ﴾

ان الزمن المتوسط الذي فيهِ تتم وظيفة الحيض هو من خمس وعشرين الى ثلاثين سنة وذلك في النسآء الاوروبيات ونسآء الجهات المعتدلة في اسيا اللواتي يبتدي معهنَّ الحيض من سن الثالثة عشرة حتى الثامنة عشرة وينقطع فيهنَّ من سن الاربعين الى الخمسين. اذ تكون المدة المخصصة لتناسلهنَّ هي من خمس وعشرين الى ثلاثين حولاً وما هذا التقدير الاَّ تقريبي ويحتمل شواذّاتٍ كثيرة

ويبتدي الحيض في نسآء الجهات الحارّة من سن التاسعة الى الاثنتي عشرة وينتهي من سن الخامسة والثلاثين الى الاربعين ما خلا الشاذّات منهنَّ

يتلاحظ في بعض الاشجار انها تحمل الثمر بدون ان يتقدمه زهر.. وكذلك بعض النسآء قد اصبحن حوامل بدون ان تظهر فيهنَّ عادة الحيض . ومن امثال هؤلآء غورجياس زوجة ابو قراط وهو الذي ذكر عنها ذلك . وعلى كلٍّ ان زهر النسآء يسبق الحمل دائماً وهو في الغالب الدليل على حصول التلقيح

وقد ذكروا ايضاً ان حملاً متواصلاً من الجائز ان يقطع الحيض تماماً . وذلك ان ايّماً روسية من بلدة نيني نوفوغودور لم ترَ عادة الحيض معها لاول مرةٍ الاَّ نحو سن السادسة والثلاثين ، بعد ان رزقت ستة عشر مولوداً اكثرهم توائم . وقد تزوجت في سن الخامسة عشرة بدون ان تحيض . ثمَّ كانت فيما بعد إمَّا حاملاً أو مرضعاً بدون ان يحصل للحيض وقتٌ للظهور . لكنهُ عند وفاة زوجها ظهرت معها وظيفة الحيض وأخذت تسير بانتظام . سيما وان التصاق الشفرين الصغيرين وانسداد غشآء البكارة (راجع الرسم ٩) او فوهة الرحم او ضيق عنقهِ او تقرّحهِ والتهابهِ او ان تكون فيهِ اورامٌ او تقيّحٌ بسبب كيهِ بحجر جهنم منعاً للحبل . فجميع هذه الاسباب تمنع الدم من الخروج حتى تقتضي لذلك عمليةٌ جراحية وعلاجاتٌ لازالة الحواجز

وفي التالي ان السمن المفرط يقل معهُ الحيض شيئاً فشيئاً الى ان ينقطع اخيراً بالكلية قبل السن المعتادة ، فاذا تعالجت المرأة لازالة السمن ونجع فيها العلاج ، فمن الجائز ان يعود اليها الحيض اذا كانت سنّها تساعدها عليه

الفصل العاشر

﴿ في التبرّج العصري ﴾

يقول المثل الافرنجي ان المرأة التي تمتلك النظام والاقتصاد والنظافة هي خيرٌ من التي تمتلك الحسن والغنى، وهذا القول هو الحقيقة بعينها التي لا تحتمل ادنى شكٍ ولا ريب

ولا تقتصر النظافة على اطراف الجسم الظاهرة وما وقعت عليهِ العين من ملبوسٍ وزينةٍ فقط، بل يجب ان تتناول جميع الجسم من اديمـهِ الى سائر منافذه. وعلى الاخص اعضاء المرأة التناسلية التي يلزمها اشد العناية والاهتمام. ذلك لان الافرازات الغددية والمخاطية التي تندي المهبل والفرج بدون انقطاع، اذا كانت المرأة لا تغسل اعضاءها يومياً فتتكوّن منها مادةٌ نتنة تنبعث منهـا الروائح الكريهة التي تدعو الزوج الى النفور منها والاعراض عنها. وذلك بخلاف النظافة والغضاضة اللتين اذا تحلّت بهما هذه الاعضاء كانت من الاسباب التي تجذب الرجل وتقربهُ من امرأته

امّا خير الغسولات وافضلها لهذه الاعضاء فهي الماء الطبيعي المضاف اليهِ بعض نقط ماء الكولونيا الحقيقي . ويجب على النسوة اللواتي يرغبن في المحافظة على غضاضة اعضائهنّ ان يحترسن من استعمال المجهزات القابضة او الحلول العطرية فهذه ضررها اكثر من نفعها لانها تيبّس غشاء المهبل المخاطي وتصلبهُ ، وتبدّل لون الشفرين الصغيرين الوردي باللون الرصاصي

جعل بعض الامم الشرقية أمر نظافة الاعضاء التناسلية من الفروض الدينية فكان ذلك داعياً لنجاتهم من عللٍ أليمة متنوعة اتلفت من امم الغرب خلقاً كثيراً . غير اننا اذا نظرنا الى النظافة في الامة المصرية بوجهٍ عامّ فنراها مهملة جدًّا اذا ما قلنا مفقودةً بالمرّة . مع ان الدين الاسلامي الذي يدين بهِ غالب الاهلين والذي من احاديثهِ ان النظافة من الايمان يأمر بها

تدل ظواهر نساءٍ كثيراتٍ على كونهنّ نظيفاتٍ جدًّا ، وذلك لاعتنائهنّ بأمر ما ظهر من اعضائهنّ وملابسهنّ . امّا ما استتر منهنّ وما اختفى فيكون في حالةٍ توجب الأسف والاشمئزاز

تُبتلى اعضاء المرأة بالسوائل البيضاء فتفقدها رونقها وغضاضتها وثباتها ثمَّ تجعلها مترهلةً متسعة كامدة اللون . فضلاً عن انها تضعف الجسم وتكسف لون اديم البشرة . فهي اذاً من ألدّ اعداء المرأة لانها تبعد عنها زوجها وتجعلهُ ان يميل الى سواها . سيما وان السوائل البيضاء من الادواء المستعصية التي لا يمكن شفاؤها والتخلص منها بسرعة

وعليهِ متى اتسع المهبل امَّا لداعي الوضع او من جرآء الافراط بالملاذ الجنسية او من تأثير السوائل البيضآء فانهم يشيرون باستعمال الغسول والدهان التاليين

مآء لسان الحمل	١٥٠ غرام
تنين	٥ «
صبغة عطرية	٢٥ «

وذلك ان تُغسل تلك الجهة بهذا المجهَّز مدة دقيقة وتنشف بمنشفة ناعمة ثمَّ تُطلى بدهان العذرآء وهذا تركيبهُ

كريما باردة	٥٠ غرام
تنين	٢ «
مآء ورد	١٥ «

ولا تكفي هذه الغسولات والدهانات بالمرام اذا كانت المرأة لا تمتنع عن الاسباب الباعثة على السوائل البيضآء التي هي من ادوآء نسآء الحضر خاصة . ذلك لان الملاذ الليلية كالمراقص وحفلات التمثيل والسهر وخلافها ، تعيدهذه السوائل الى الظهور بعد اختفآئها . وان المحافظة على قانون الصحة هو خير دوآءٍ لها والافراط بالملاذ على انواعها هو اكبر باعثٍ عليها

الفصل الحادي عشر

﴿ في علائق الزوجين الطبيعية او القران الجنسي ﴾

اوجدت الطبيعة في القران الجنسي ذلك الجاذب اللذيذ الذي يجذب احد الجنسين نحو الآخر ، وذلك صيانةً لغريزة الميل التناسلي التي عليها يتوقف أمر تسلسل المخلوقات ودوام النسل

أمَّا الرجل العاقل والحكيم فانهُ لا ينظر في القران الجنسي الى اللذة الزائلة فقط ، بل انهُ يرجو من ذلك لذةً اعظم منها وهي احراز النسل وتخليف الذرية . وهي الغاية التي يجب على المرء ان يوجه اليها كل اجتهادهِ ومنتهى استعدادهِ ، و بذلك يكون قد قام بالواجب الذي يلتزم بهِ نحو أسرتهِ خصوصاً والجنس البشري عموماً . لان سعادة الأسرة او تعاستها يتوقف قسمٌ كبيرٌ منها على استعداد الزوجين المادي والعقلي و كيفية سلوكهما في اثناء الزواج

و يُطلق اسم القران الجنسي على المباشرة الحبية التي تتم بين الزوجين لقضاء الفعل التناسلي . وتكون وظيفة الرجل في هذا الفعل

هي ادخال العضو الذي يصبّ السائل الملقّح ووظيفة المرأة هي قبوله . ويرافق المباشرة دائماً شعور لذةٍ ما خلا بعض الاحوال المرضية التي تكون الاعضاء التناسلية مبتلية بها . ويفقد الرجل جانباً عظيماً من قوتهِ العصبية ويحصل لهُ اهتزازٌ شديد في اثناء القذف وهو ما يدعوهُ ابن سينا بدرجة الانزال . امَّا القوة العصبية التي تفقدها المرأة فهي اقلّ من الرجل الاَّ ان اهتزازها يكون اطول مدة

ولكي تأتي المباشرة مثمرةً يجب ان يكون القضيب أو العضو الذكري مركزاً للاحتقان الدموي الذي يسبب لهُ الانتصاب ويخصه بالصلابة والعزم ، وهما الضروريان لتمزيق ودفع الحواجز التي يمكن ان تعترض سبيلهُ وتمنع ولوجهُ في اعضاء المرأة . ومتى تمَّ الولوج يمتد تهيج القضيب الى جميع اقسام العضو التناسلي . بحيث تفرز الخصيتان السائل المنوي بغزارةٍ وترسلهُ الى الحويصلتين المنويتين ، وتنقبض هاتان الحويصلتان وتصبهُ في المجرى القاذف ، وهذا يدفعهُ الى الاحليل او المجرى البولي . ويبلغ في تلك الاثناء التهيج اقصى غايتهِ ، اذ تقذف تلك التقبضات الارتعاشية على دفعاتٍ متوالية بالسائل المنوي الى خارج الاحليل فيتشرب منهُ عنق الرحم . ومتى انتهى القذف يتوقف تهيج القضيب ويتبدد احتقانهُ شيئاً فشيئاً ثمَّ يعود الى ارتخائهِ السابق . واذ ذاك ينتهي دور الرجل . ويعقب تنهداتهِ الغرامية انحطاطٌ في قواهُ وذبولٌ مستعذب تتبدد فيهِ اللذة بين امواج الشهوة ، فيخال الرجل كما ارتأى ذلك جالينوس ان شهاباً من

مشعل حياتهِ قد مرَّ باحشآء المرأة مع السائل المنوي ليشعل حياةً جديدة
ويحصل في اعضآء المرأة التناسلية ذات التهيج لكنهُ على اوسع مسافة . اذ ينتصب البظر وينتفخ الشفران الكبيران والصغيران ويفعل نسيج المهبل القابل النعظ مفعولهُ ، وان غشآء المهبل المخاطي المتهيج من جرآء احتكاكهِ بالعضو الذكري يفرز باشتراكهِ مع باقي الغدد افرازاً لزجاً ليطري المهبل ويساعد على ولوج القضيب . ويأتي هذا الافراز احياناً غزيراً ومندفقاً شبه سائلٍ لبني ، الأمر الذي دعى كثيراً من الاشخاص القليلي الالمام بالفيسيولوجية البشرية ان يخالوا جهلاً منهم ان للمرأة آلةً قاذفة . مع انهُ لا يحتوي مطلقاً جهازها التناسلي على حويصلاتٍ منوية او مجاري قاذفة

امَّا اللذة التي تشعر بها المرأة في اثنآء الجماع فيعود قسمٌ كبيرٌ منها الى الذغذغة الحاصلة فوق البظر والى الاحتكاك في نسيج المهبل والشفرين الصغيرين القابلة النعظ وهي التي تزيد في اللذة . غير ان الاهتزاز الشهواني هو اخف في المرأة من الرجل ، لكنهُ بعكس ذلك اطول مدةً فيها . ويصادف ان بعض النسآء تتأثر ملتذةً لادنى مباشرةٍ وهنَّ العصبيات ذوات التصور الحادّ . مع ان العدد الاكبر منهنَّ وهنَّ الليمفاويات الدسمات الاجسام ذوات الجهاز العصبي القليل التأثر يتطلبن مداعبةً طويلة المدة ليحصل معهنَّ الاهتزاز التناسلي . سيما وان الحدة المفرطة وبعكسها البلادة الزائدة بالنظر الى الملاذ الحبية يضران كلاهما بعمل التلقيح . وسنأتي على بيان هذا في فصلٍ آخر

امّا النشاط التناسلي فيتوقف أمرهُ على جنس المخلوق وسنهِ ومزاجهِ والطقس الذي هو فيه . فالطيور مثلاً هي ذات نشاطٍ تناسلي اشد حرارةً من الحيوانات الولودة . ذلك لان الديك الجيد يستطيع ان يسفد من خمس عشرة الى عشرين دفعةً في اليوم — وفحل الحمام خمس مراتٍ في الساعة — والعصفور الدوري ست مرات . مع ان القرد والوعل وهما الحيوانان الشهوانيان لا يسفدان اناثهما سوى ثلاث او اربع مرار في اليوم وعلى اوقاتٍ محدودة . امّا الانسان الذي قد تسلط بمخيلتهِ على غريزتهِ الطبيعية على ما يظهر ، فانهُ عوضاً من ان يتبع سنن الطبيعة ونواميسها ، فاننا نجدهُ يتجاوز الحدود المقررة لطبيعتهِ ومزاجهِ ، ويفرط كثيراً بالملاذ التناسلية اخصهُ في زمن شبيبته. بحيث يأتي افراطهُ هذا بالنتائج المحزنة التي تؤثر على تركيب جسمهِ وعقلهِ وتقصّر مدة استعدادهِ التناسلي . ذلك لان للآلة التناسلية اكبر علاقةٍ بحياة الشخص ، وتفعل مفعولها بسرعةٍ في مجموع بنيته . وعليهِ فالاشخاص الذين تنتهك قوى اعضائهم التناسلية يصابون بمثل ذلك في كيان جسمهم وعقلهم . ومن منّا لم يشاهد اولئك الشبان الاغرار الذين لم يتجاوزوا الثلاثين ربيعاً وقد ضعفت قوتهم وتثاقلت خطواتهم وتجعدت جبهتهم وحلّ بهم الهرم قبل اوانه . واذا بحثنا عن سبب انحطاطهم هذا العاجل لالفينا الزهرة إِلهة الحب التي اوقفوا عليها قلوبهم وكرّسوا لها حياتهم هي التي تهدم كيانهم وتجهز لهم حفرة اللحد بيدها

وصفوة القول ان الوظيفة التناسلية هي نظير سائر وظائف الجسم يجب ان تمتثل الى القواعد الصحية اذا رغب المرء ان يحفظها سليمةً زمناً طويلاً . فاذا اهمل قواعدها ولم يراعِ صحتها وانهكها تكراراً فاذ ذاك يضعف عضوهُ التناسلي ويفقد نشاطهُ وقوته

القسم الاول

﴿ في القواعد الصحية الخاصة بالفعل الجنسي حسب ادوار الحياة ﴾

تقسم حياة الرجل التناسلية الى ثلاثة ادوار. يشمل اولها سنّي المراهقة والبلوغ الى سن العشرين — ويشغل ثانيها مدة النشاط التناسلي وهي من العشرين الى الاربعين او الخامسة والاربعين — ويبتدي ثالثها بالخامسة والاربعين وينتهي بالستين أو الخامسة والستين واحياناً بعد ذلك . وهذا الدور هو زمن الانحطاط التناسلي . وعليهِ فالرجال الذين قد تدبروا في الأمر وساروا بحكمةٍ في اثناء الدورين الاولين يحفظون ايضاً في مدة الدور الثالث استعداداً تناسلياً كافياً بالمرام وحرياً بالاعتبار

امّا الاطباء النطاسيون والفيسيولوجيون الخبيرون الذين وجهوا اهتمامهم نحو الاعضاء التناسلية وبحثوا في أمر وظائفها وصحتها قد اثبتوا بعد الاستقراء والاختبار القواعد التالية

من سن العشرين الى الثلاثين — يستطيع الرجل المتزوج ان يقضي الفرض الزوجي مرتين الى اربع مرار في الاسبوع ، وذلك ان يترك يوماً للراحة بين مرةٍ وأُخرى . امَّا ما يأتيهِ الشبان الاغرار بافراطهم بالفعل الزوجي مراراً متكررة في اليوم فعليهم ان يستعدوا للأسف والحسرات في مستقبل ايامهم

من سن الثلاثين الى الاربعين — يجب على الزوج ان يكتفي بمرتين فقط في الاسبوع

من الاربعين الى الخمسين — ان يقتصر على مرةٍ واحدة فقط

من الخمسين الى الستين — ان يقتصر على مرةٍ واحدة كل خمسة عشر يوماً . وابعد من ذلك اذا لم يكن يشعر بضرورة الجماع

ومن الواجب أن يمتنع الرجل عن الجماع عند حلول الشيخوخة الثانية ، بحيث ان الرجل الستيني يترتب عليهِ ان لا يذهب الا نادراً الى مذبح الزهرة ليقدم عليهِ تقدمتهُ الحقيرة . لان الزرع المنوي في اثناء هذا الدور من الحياة يبطىء جداً في تكوّنهِ ، فيجب على الرجل السبعيني والحالة هذه ان يمتنع عن المباشرة الجنسية التي تنهك قواهُ وتضر بمجموع بنيته . وان يحترس من تلك الاهواء الغرّارة التي يولدها فيهِ التصوّر الشهواني الذي يطرأ على مخيلته . وان يتبصر في في حقيقة الأمر ، وهو ان الانتصاب الضعيف الذي يلاقيهِ والذي يصحبهُ الألم اكثر من اللذة ، لابدَّ من ان يضغط على صحتهِ ويقصر

في حبل أجله . وان الشواهد المتعددة على وفاة شيوخٍ كثيرين في اثناء او عقبى مباشرةٍ جنسية ليست بنادرة

امّا التعاليم الصحية الخاصة بالمرأة فهي بوجه التقريب نظير السالفة وهي الخاصة بالرجل ، ماخلا بعض تعديلٍ في السن والمزاج . ذلك لان المرأة وان يكن في استطاعتها ان تطيل مدة الفعل الجنسي وتأتيهِ تكراراً اكثر من الرجل ، لداعي ان ما تفقده ُ يقلّ عما يفقده . فهي مع ذلك يجب عليها ان تكون قنوعةً بملاذ الزواج ، وهذه القناعة هي التي ستحفظ لها في مستقبل ايامها غضاضة ملامحها التي يتلفها سريعاً افراطها بالملاذ الجنسية . لان الشهوات السرية التي يأتيها بعض النسآء النافرات من ازواجهنَّ والمعرضات عنهم ، هي افعالٌ خطرة تنبه اعصابهنَّ وتجعلهنَّ في استعدادٍ للسوائل البيضآء ، ولتهيّج اعضآئهنَّ التناسلية واصابتهنَّ بالادوآء العصبية . فعلى المرأة العاقلة ان تكتفي بما يستطيعه ُ زوجها ولا تطلب زيادةً على ذلك . واذا اتفق وكان زوجها نشيطاً قوياً ميالاً للافراط بالجماع ، فيلزمها والحالة هذه ان تكون حكيمةً وتبذل غاية مجهودها وسلطتها لتخفف حدته ُ وتخمد نيرانه . وذلك بتفهيمهِ واقناعهِ بان افراطهُ بالفعل الجنسي ليس هو فقط متلفاً لخصائصهِ التناسلية قبل اوانها بل انهُ مضرٌّ بالنسل الذي يخلفهُ ايضاً

القسم الثانى

جدول في النشاط التناسلي وانحطاطه حسب ادوار الحياة الفيسيولوجية

— **الحداثة** — تنمو الاعضاء التناسلية في هذه السن وتستمر بكماء اذا لم تلاقِ بعض الملامسات المعيبة التي توقظ فيها الاحساس من غفلته

— **الصبا** — وذلك من سن العاشرة حتى الرابعة عشرة وفيها تكون الاعضاء ذاهبةً دائماً في نموّها ، وينتصب القضيب بين حين وآخر ولكن بدون ان تظهر فيهِ الشهوة بعد . هذا اذا كان بعض المراهقين الذين اعتادوا مزاولة العادة السرية لم يعدوا رفقاءهم الصغار. وتسمى هذه المدة بسن الاستمناء التي ينمو فيها المخيخ باتلاف الدماغ وهي التي تدفع نحو القبر كثيراً من الصبيان المبتلين بهذه العادة . وسيأتي الكلام في جملة اماكن من هذا المؤلف على نتائج الاستمناء واضرارهِ السيئة

— **البلوغ** — تبتدي هذه المدة بسن الرابعة او الخامسة عشرة وتنتهي بسن الواحدة والعشرين . وفي هذه المدة لم تكن الخصيتان بلغتا نموّهما الكامل لكنهما مع ذلك تفرزان السائل نوي . وتتولد الشهوات في الشخص في هذه الاثناء وينبهها فيهِ وقوع

نظرهِ على الجنس الآخر. بحيث انهُ لادنى تصوّرٍ دماغي تهيج اعضآؤهُ التناسلية وينتصب قضيبه. ويكون البالغ لجهلهِ السرّ الذي يجري في اعضائهِ عرضةً للاوهام وفريسةً للشهوات الباطلة. وتلقى وجههُ تارةً يصفرّ وطوراً يحمرّ، ثمَّ يرتجف جسمهُ ويخفق فؤادهُ لدى قيامهِ في حضرة فتاةٍ أو امرأةٍ شابّة بدون ان يعلم سبباً لذلك. غير انهُ لا يبطيء قليلاً حتى تأخذ مظاهر الجمال تشغل عقلهُ، ونيران الصبابة تشعل فؤادهُ وتسري في عروقه. ووقتئذ تتجه جميع افكارهِ وهواجسهِ نحو معبودتهِ واسيرة لبه. فيحوّل اليها انظارهُ ويبسم لها في احلامهِ ويبعث اليها بتلك التنهدات الحارّة الصادرة عن قلبٍ مشتعلٍ بنيران الحب والصبابة. واذ ذاك تستيقظ فيهِ الغريزة التناسلية ويسعى مجتهداً في قضآئها. فسعدآء اولئك الذين لا يندفعون بكل قواهم نحو الاميال الشهوانية، بل يقتصدون في نشاطهم الجنسي ويذخرونهُ الى العمر الذي يكون فيهِ سواهم قد اضاعوهُ ولم يعد في امكانهم استرجاعهُ والتعويض عنه

الشبيبة — وهي المدة التي بين سن العشرين والثلاثين وفيها يبلغ نشاط القوى الجنسية اسمى درجتهِ والآلة التناسلية منتهى نموّها. وقد اكتسب المنيّ جميع صفاتهِ الحيوية واصبح الرجل اهلاً لجيّد النسل. وهذه هي سن الزواج والملاذ الزوجية. اذ في اثنآئها يستطيع المرء بالنظر الى قواهُ واستعدادهِ ان يقدم الى الزهرة في الاسبوع تقدمتين او ثلاث بشرط ان لا يزيد ابداً عليها، اذا كان

يرغب ان يحتفظ بنشاطهِ الطبيعي ولا يفرّط به . سيما وان اتلاف المنيّ بكثرةٍ لا ينهك قوى جسمهِ فقط بل من الجائز ان يصيب قواهُ التناسلية ايضاً

الرجولية — تبتدي بسن الثلاثين وتنتهي بالخمسين وفيها تبلغ وظائف الرجل العضوية اسماها لكنَّ اهوآءهُ التناسلية تكون اقلّ حدّةً وافكارهُ اكثر رزانةً وجدًّا . فتلقاهُ يوجّه اهتمامهُ ليضمن لهُ ولأسرتهِ مركزاً اذا كان متزوجاً . وفي هذه المدة يجب على الرجل ان يقنّن على قدر طاقتهِ ملاذهُ الحبية ولا يخصص لها الاَّ اوقات فراغهِ ، اخصهُ اذا كان رب أسرة . وهو الفرض الذي يجب على كل امرئٍ صحيح الجسم ان يفيهِ في هذا العمر ليقضي ملاذهُ مرةً أو مرتين في الاسبوع بين ذراعي زوجةٍ شرعية يهمها نفعهُ وخيره . ولا ان يبدد اوقاتهُ ويتلف صحتهُ بالتنقل من خليلةٍ الى سواها . واذا اتفق وتململت زوجتهُ من هذه الخطة وعدتها جائرةً ولم ترضِها وذلك ما ندر ، فيقتضي لهُ ان يبسط لها المسألة ويوضح لها بتعقلٍ الاسباب التي تضطرهُ الى الاقتصاد بالملاذ الجنسية . واذا أبت زوجتهُ ان تعتبر باقوالهِ وترضى بها ، فويلاً لذلك الزوج فانهُ زوجٌ لامرأةٍ متهتكة تكاد تحرقها وتفترسها اهوآؤها التناسلية . لكنهُ لحسن الحظ ان مثل هؤلآء النسآء ذوات المزاج المتهيج هنَّ نادراتٌ جدًّا

سن الهبوط — وذلك من سن الخمسين الى الستين وهي المدة التي لم يعد الجهاز التناسلي متسلطاً على الاعضاء ، وقد اصبحت الضروريات التناسلية فيها اخف من ذي قبل ، والانتصاب اقلّ عزماً ، الى ان يصير في نهايتها رخواً وقصير المدة . فلكي ينتصب القضيب يتطلب عادةً مهيجاتٍ مادية وعقلية . فضلاً عن انهُ يسقط في الحال لأ قل اشمئزاز وخوف . واذ يكون الرجل في هـذا العمر قد احرز ثروتهُ ونال مركزهُ في الهيأة الاجتماعية ، فيبتدي بان يبحث على قدر طاقتهِ لينعم بهما في اواخر ايامهِ وخريف عمره

سن الشيخوخة الاولى — وهي سن التأسف والحسرات ، تبتدي نحو الواحدة والستين وتنتهي بالاكثر في اواخر السابعة والستين الى السبعين . وفي تلك الاثناء لم يعد يشعر الرجل الا نادراً بضرورة الميل الجنسي ، وان العاقل من لا يهيج اميالهُ بالافكار والتصورات الشهوانية ، لعلمهِ بان كل لذةٍ يأتيها من هذا القبيل تؤثر في مجموع بنيتهِ وتفقدهُ قوى اعصابهِ ، وتسبب لهُ آلاماً في العضلات تلازمهُ طويلاً ولا تفارقهُ بسرعة . فلهذا يقتضي لهُ ان يتجنب على قدر استطاعتهِ تلك اللذة المضنية التي لم تعد من ملاذ عمره

سن الشيخوخة الثانية — تبتدي بسن السبعين واحياناً قبل ذلك وتنتهي بالهرم او الموت وهي مدة العلل والاوجاع ، وفي اثنائها لم يعد الرجل كفوءاً للتناسل وقد تغضّن اديمهُ وابيض شعرهُ وتقوس

ظهرهُ تحت حمل السنين التي مرت بهِ والايام التي اثقلت كاهله . وقد كلّت حواسهُ ما عدا حاسّة الذوق ، ولم تعد آلتهُ التناسلية الخامدة تلاقي مهيجاتٍ موءثرة لايقاظها من غفلتها . سيما وقد تقلصت خصيتاهُ ونقص حجم قضيبهِ ولم يعد يرد الدم الى جسمهِ الكهفي . وقد امتنع عليهِ الانتصاب واذا اتفق وحدثت شهوةٌ في الرجل الثمانيني فيكون مصدرها المخيلة ، ماخلا بعض الشواذّات النادرة . وقد أخذ سراج حياتهِ ينطفي فيهِ شيئاً فشيئاً وتجدهُ في كل يومٍ يدنو من اللحد ويتقدم الى ابواب الآخرة

القسم الثالث

﴿ في الاعتبارات الفيسيولوجية والادبية المختصة بالانحطاط التناسلي ﴾

يحدث الانحطاط التناسلي بوجهٍ عامّ نحو سن السادسة والخمسين الى الخامسة والستين ، وبعض الاحيان قبل او بعد هذه المدة ، بالنظر الى تركيب الشخص واستعدادهِ وكيفية سلوكهِ الماضي . ويحدث الحب الطبيعي في سن الرجولية من جرآء امتلآء الحويصلتين المنويتين ، واذ ذاك يكون الفعل الجنسي مفيداً للصحة . امّا في زمن الانحطاط التناسلي فيكون مصدر المنبه التناسلي الدماغ خاصة . وفي هذه الاثناء يصير الرجل شهوانياً وذلك عند مشاهدتهِ خصائصهُ

التناسلية تضعف فيهِ من يوم الى آخر . اذ يبتدي بالبحث عن الخليلات ليقضي معهنَّ ملاذهُ التي حلَّ الضعف بها والتي سيفقدها عن قريب . غير ان ذلك يكون داعياً لضعفهِ وفقد قواهُ باسرع وقت . بحيث يقل فيهِ الانتصاب ويتعسر عليهِ شيئاً فشيئاً وان دماغهُ يطلب قضاء اللذة واعضاءهُ التناسلية ترفضها ولا تساعدهُ عليها . فوقتئذٍ يطرق باب المهيجات الاكثر سفالةً وبغاءً لتمكنهُ من قضاء شهواتهِ ، وليقدم على مذبح الزهرة تلك التقدمات الحقيرة التي لم يعد يملك سواها . وحبذا لو علم ذلك الشيخ الجاهل المتحرق على قضاء الشهوات الجنسية بان كل مرةٍ يقدم فيها ذبيحةً الى هذه الإلهة يكرّس لها قطعةً من قواهُ المنهوكة وحواسهِ الكليلة . ألم يشعر بتعب جسمهِ وضعف اعضائهِ على مدةٍ طويلة بعد قضائها . سيما وان اللذة التي يتطلبها ويرغب فيها لم تعد تشبه لذة ايامهِ الماضية التي لم يكن يصحبها وجعٌ ولا ألم

لمَّا شاخ سوفوكاس الفيلسوف كان اذا سألهُ سائل ألا تزال تبيح لنفسك ملاذ الحب . فكان يجيبهُ على ذلك اني قد تركتها من زمنٍ بعيد وابتعدت عنها بكل ارتياحٍ نظير ابتعادي عن صديقٍ شرس ومتوحش . ذلك ما اوردهُ شيشرون في كتابهِ عن الشيخوخة . ويوجد مثلٌ اسباني مفادهُ انهُ اذا تركت الزهرة شهراً تركتك ثلاثة اشهر

فيا ايها الشيخ المغترّ الجاهل إعلم بان سلاحك قد تلف ولم يعد

في امكانك ان تردهُ الى حالتهِ السابقة . ومن العبث ان تحاول شحذهُ واصلاحه ، لان تعبك يذهب سدًى و بدون فائدة . إقلع عن مخيلتك ذكرى النشاط التناسلي الذي ذهبت ايامهُ ولم يعد لهُ من معاد ، واصغِ بسمعك لهاتف العقل الذي يشير عليك بان توجه خصائصك نحو الافعال النافعة . فاذا احتقرت نصائحهُ وما زلت تلقي بنفسك في مهاوي الشهوات الجنسية فويلٌ لك ، لان الاهوآء المهيجة يزداد رسوخها في دماغك بدون ان تستطيع اقصآءها عنك . وستشعر عن قريب بالنتائج السيئة التي تجنيها بالرغم عنك ولم يعد في امكانك التخلص منها الاَّ بالموت

القسم الرابع

﴿ في الملاذ الجنسية هل هي اشد في الرجل أم في المرأة ﴾

تضاربت اراآء المتقدمين والمتأخرين في ايٍّ من الرجل والمرأة اشدهما لذةً وان لم يرجَ من هذا البحث امرٌ هامٌّ او فائدةٌ تذكر . امّا في يومنا الحاضر فلم يعد احدٌ يهتم بهذه المسألة بعد ان اظهر الاختبار الفيسيولوجي حقيقتها واتى على حلها

امَّا اللذة الجنسية او الاهتزاز التناسلي فهي نتيجة تهيجٍ فائق في الاعضاءِ التناسلية تحصل في الرجل عند القذف او الانزال وعند

المرأة لدى الافراز الذي تفرزهُ غدد مهبلها . وهو في بعض النسآء ذوات المزاج الشهواني اقرب شبهاً بالقذف الذي يحصل للرجل . والذي بهِ تتأثر المخيلة والشعور التناسلي على التبادل . ذلك لان الاشخاص ذوي المخيلة القابلة التهيج وبالمثل أولئك المتمتعين بنشاطٍ تناسلي فائق الحد، فهؤلاء تلازمهم الاهوآء والتصورات الغرامية وهم يبحثون دائماً على قضآئها . ويُشاهد اكثر هؤلاء الاشخاص بين سكان الحواضر وارباب الترف والبطالة

امَّا في الارياف والقرى حيث يكون الرجال والنسآء منكبين على الاعمال البدنية ، فتكون المخيلة فيهم قليلة النموّ ، لذلك لا تلازمهم الشهوات وتبلغ منهم درجة اهل الحضر . ذلك لان رجال البادية يقضون الفعل الجنسي بشكلهِ الطبيعي قضآءً للحاجة ، ولا تشعر النسآء على العموم سوى بانشراح اقل او اكثر نشاطاً بالنظر الى مزاجهنَّ ، وغالبهنَّ لا يتأثرن ولا تظهر عليهنَّ علامات اللذة ، ولا يمنعهنَّ ذلك من ان يحملن ويلدن مواليد كثيرة . لانهُ ليس للذة التناسلية علاقةٌ بالتلقيح كما يجد المطالع ذلك فيما يلي ، بل هي ضروريةٌ فقط لايجاد الجاذب بين الجنسين الذي عليهِ يتوقف دوام النسل

ينفق الرجل من خصائصهِ العقلية والجسمية في سبيل الجماع اكثرمما ينفقهُ في سبيل باقي اعمال حياتهِ . لانهُ يقتضي للجماع انفاق القوى العصبية اكثر من سواه . وتظهر لذة الرجل التناسلية باسمى حالتها بتهيجٍ ارتعاشي وتشنجٍ عمومي يعقبها في الحال هبوطٌ وضعفٌ في قوى عضلاته

ولقد اثبت الفيسيولوجيون ومن جملتهم العلاّمة مولّر ان الرجل يشعر بلذة الحب الجنسي باشد تأثرٍ مما تشعر بهِ المرأة . غير ان مدة لذتهِ اقصر منها بكثير . وهم يستندون في دعواهم هذه على الاعتبارات التالية

يأتي الرجل الفعل الجنسي دائماً بصفةٍ رئيسية وبكونهِ هو الداعي اليهِ ، متى كانت اعضاؤهُ مستعدةً له . وتضطر المرأة ان تسمح لهُ بهِ بدون ان تكون اعضاؤها قد بلغت ذات الحالة التي هو فيها . فينتج عن ذلك ان عملها يكون من قبيل المطاوعة لهُ اذا كان فعلهُ قصير المدة . وبعكسهِ اذا طالت مدتهُ فان رضرضة الشفرين الصغيرين وذغذغة البظر والاحتكاك اللطيف الذي يحصل في المهبل ، يزيد تهييج آلتها التناسلية ويبلغ في مجموعها منتهى حالته . وعندئذٍ لا تبطئ الشهوة عن التدفق من هذا التهييج العمومي . ولمّا كانت المرأة تمتلك جهازاً تناسلياً اوسع نطاقاً مما للرجل ومخيلةً احدّ وشعوراً اعظم ، فهي تختلج وترتجف في اثناء القران الجنسي وتتلذذ منشرحةً في كل المدة التي يدوم فيها التهييج التناسلي

امّا هياج لذة الرجل فليس لهُ سوى مدة القذف فقط . ذلك لان الحركة الارتعاشية التي هزت مجموع بنيتهِ يعقبها على الأثر هبوطٌ عامّ على نسبة شدة اللذة التي ذاقها وشعر بها . امّا ما يظنهُ البعض بان المرأة هي اكثر اتقاداً وشعوراً باللذة من الرجل ، فهذا من قبيل الوهم المتأتي عن كون المرأة مستعدةً دائماً لقضاء الفعل الجنسي بالنظر

الى تركيب اعضآئها التناسلية . مع ان الرجل لا يستطيع ذلك ما لم يسبق لهُ الانتصاب . واذا نظرنا الى المرأة الشهوانية فنجدها في الغالب مدفوعةً الى مزاولة الفعل الجنسي متوالياً . امَّا من جرآء مخيلتها الفاسدة او بحدة دماغها بدون ان تلاقي في ذلك تعباً . واذ ذاك يلزمها جملة رجال لارضآئها ، لان رجلاً واحداً مهما كان نشيطاً ومستعداً لا يكفيها . وكل هذا لا يبرهن ابداً على انها تشعر بحاجةٍ اشد من الرجل وعلى كون لذتها اوفر حدةً منه . بل بعكسهِ ان اهوآء الرجل اكثر تسلطاً عليهِ وهو الذي يتطلب دائماً منها . واكبر برهانٍ على ذلك قضايا الاغتصاب التي تشغل المحاكم فهي دائماً موجهةٌ ضده وصادرة احكامها في حقهِ

ويرتأي فينيت عكس ذلك ولا اخالهُ مصيباً وقد ذكر « انهُ اذا كان الرجل اشد حرارةً من المرأة وحائزاً على باقي الصفات التي ينعتونهُ بها فليس هو مع ذلك اكثر شهوةً منها . لان الحب لا يزعج بالاكثر الاَّ ضعاف العقول . وان حب الرجل منظمٌ بحكم عقلهِ بخلاف حب المرأة الذي هو بلا نظامٍ ولا قياس . وان تصوّر النسآء احدٌ من الرجال وهنَّ غالباً مقيمات في البطالة وقد توفرت لهنَّ اسباب الحب . ومما لاحظهُ على ذلك انهُ اذا كانت الحيوانات الاكثر شهوةً هي الاصغر جسماً والاقصر عمرًا وهذا مما لا يقبل الشك . فالمرأة هي اذاً اكثر شهوةً من الرجل لانها بوجهٍ عامّ اصغر جسماً واصغر عمرًا منه »

وفي التالي ان شدة اللذة في الجنس الواحد او الآخر تتوقف على مزاج الشخص وسنهِ واستعدادهِ وسلوكهِ والمحيط الذي يكتنفهُ ويعيش في وسطهِ . ومن ثمَّ تتعلق شدة الشعور والتهييج الشهواني بمخيلة الشخص الوقادة و بمقدار الاميال الحبية التي يشعر بها نحو الآخر

وصفوة القول ان اللذة التي يشعر بها الرجل هي اقصر مدةً لكنها اشد مفعولاً ، وان لذة المرأة هي اقل شدةً لكنها اطول مدة — ومما هو كقاعدةٍ وبرهانٍ قاطع بوجهٍ عامّ انهُ كلما كانت الملاذ اشد تأثيرًا كلما كانت اقصر مدةً . وانهُ من جملة ما أشار اليهِ الاقدمون برموزهم ان المشتري وجينون قد اتخذا تيريزياس الذي كان حاوياً كلا الجنسين كحكمٍ ليقضي لهما بايّ من الرجل والمرأة يشعر باكثر لذةٍ في الفعل الجنسي . وقد اجاب تيريزياس على ذلك بان المرأة هي التي تشعر بالاكثر. ولقد اساء هذا الجواب جينون فانتقمت منهُ بحرمانهِ حاسة النظر. امَّا ما عناهُ هذا العرّاف من دون شك بقولهِ : هو ان مجموع اللذة التي تذوقها المرأة بالنظر الى مدتها تفوق جملة اللذة التي يشعر بها الرجل . وهذه هي الحقيقة الساطعة التي لا ريب فيها

١

نصائح للزوجات

يود الرجل ان تقتسم زوجتهُ هناءَهُ وسعادتهُ ، وتزداد ملاذهُ

التناسلية على قدر ما تتأثر منها امرأتهُ وتشاركهُ بها . ومتى شملتها سكرة اللذة في ذات الوقت الذي تشملهُ فيهِ ، فيخال لهُ ان حياتهُ تتطاير منهُ وتستقر في اطيب الملاذ . وذلك في اثناآء التهيج السابق للاختلاج الغرامي الذي يشترك بهِ كلا الاثنين معاً

يوجد كثيرٌ من النسآء اللواتي يذبن غراماً وخلافهنَّ بعكسهنَّ ليس للحب تأثيرٌ فيهنَّ ، واللواتي يستسلمن للفعل الجنسي بدون ميل لهُ كأنهنَّ قطع الجليد . فمثل هؤلآء النسآء يكنَّ خطراً على ازواجهنَّ لانهنَّ يسببن لهم ان يذهبوا مفتشين على الخليلات ليجدوا عندهنَّ لذتهم المنشودة التي لا ينالونها من نسآئهم . الأمر الذي يسبب الاختلافات الكثيرة التي تحصل بين الزوجين وتكون نتيجتها احياناً التقاطع والهجران او الطلاق . سيما وان غالب الرجال لا يراعون الحالة الجسمية والعقلية التي تكون فيها نسآؤهم . فهم يرغبون ويتطلبون ان تقضى اهوآؤهم كيفما كانت الحال ومهما اختلفت الظروف وكم من شقاقٍ استحكمت حلقاتـهُ بين الزوجين وكان هذا الامر سببه

فعلى الزوجات ان يعملن بهذه النصائح ويقضين رغائب ازواجهنَّ ليزدادوا تعلقاً بهنَّ . واذا اتفق ولم يكن عندهنَّ في ذلك الحين الميل الذي يرجوهُ الازواج منهنَّ ، فليضغطن على انفسهنَّ مرضاةً لهم . ولا بأس اذا استعملن لدى الاقتضآء المكر وتظاهرن بمظاهر الانشراح ، فان مكراً كهذا مباحٌ لهنَّ متى كان في قصد

ارضاء الزوج والمحافظة على تعلقهِ بهنَّ . ولتتأكد الزوجات انهُ يجب عليهنَّ ان يلبّين بطيبة خاطر و بدون ترددٍ مايطلبهُ الازواج منهنَّ بعنفٍ وليعلمن بان الرجل اذا اتقدت فيهِ الشهوة يصبح شرساً واحياناً وحشياً

ولتكن المرأة حكيمة باطفآئها لهيب هذه الحمى الجنسية المستعرة نارها فيهِ ، فتلك خير وسيلةٍ تتقي بها النتائج السيئة التي يجوز ان تلاقيها من جرآئها . وهذه هي خير النصائح لمن يرغب في المحافظة على سلام وسعادة الحياة الزوجية

٢

نصائح للرجال

على الرجال الذين يرغبون في المحافظة على مودة نسآئهم ان يخففوا من تعنتهم واستبدادهم في قضآء اميالهم . وعليهم قبل ان يطلبوا بشكلٍ تنفيذي ما تأمرهم بهِ اهوآؤهم ، ان يتلطفوا مع زوجاتهم بالعبارات الحبية التي بها يختبرون حالتهنَّ الطبيعية واستعدادهنَّ العقلي . ثمَّ ان يلاحظوا ايام البؤس ويحترموها ولا يزعجوا نسآءهم باهوآئهم والضغط عليهنَّ في تلك الاثنآء التي تكون نفوسهنَّ حزينة وحواسهنَّ غير مستعدةٍ للتلذذ والانبساط . فمتى وجدوا فيهنَّ نفوراً وكرهاً فلا بأس من تأجيل ذلك الى فرصة اخرى . واياهم ان يتخذوا العنف والغلاظة فيما لا يسمحن لهم بهِ ، بل عليهم ان يحترسوا من ذلك ويتجنبوه . لان المرأة التي يغضبها زوجها من الجائز ان

تذهب مفتشةً لها بين ذراعي احد الخلان على ما لم تجدهُ عند زوجها . لهذا يجب عليهم ان يترووا في الأمر ملياً فتلك نقطةٌ تستحق ان يوجهوا اليها كل عنآئهم والتفاتهم

وليكونوا دائمـاً لطفآء نحو نسآئهم وليوقظوا برقَّةٍ ولطفٍ احساسهنَّ الغافل من رقدتهِ ، ويطيبوا مسامعنَّ بتلك الكلمات العذبة والعبارات الحبية ، باستعمالهم معهنَّ مهيجات النفس والجسم بوقتٍ واحد . ومتى بددت ملاطفتهم ومداعبتهم اللذيذتان ذلك الجمود المستحوذ عليهنَّ ، واوقدتا فيهنَّ جزوة الرغبة والشهوة ، فوقتئذٍ لم يعد داعٍ ليتململوا وينفروا من بلادتهنَّ

٣

في الاحوال الاصلح للتلقيح

لم نقصد من ايراد امثال هذه التفصيلات الاَّ النفع العامّ وايقاف الزوجين على بعض الملحوظات التي تلزمهم معرفتها . سيما وان مؤلفنا هذا ليس هو بقصةٍ تقرأ علناً على الملأ و بين الجماعة ، بل هو كتابٌ علمي يطالعهُ الزوج او الزوجة ومن هو مرشَّح للزواج كلٌّ منهم على انفرادٍ في قصد التزوّد من القوانين والنصائح اللازمـة للزواج . وما غايتنا من ذلك الاَّ ان نبين الوسائل الاصلح للتلقيح الجيد الذي عليهِ تتوقف راحة الحامل وتركيب النسل الجيد

امَّا الحالة الطبيعية للجماع في الجنس البشري فهي الكيفيـة

الافقية . لكنهُ يتفق احياناً كثيرة ان الشهوة بعد ان تكون قد اكتفت من الحالة المألوفة فتنحط الى العادات الحيوانية او تتخذ لها الكيفيات التي هي اقل او اكثر ازعاجاً ، والمضرّة دائماً بالتلقيح . واننا لنمسك القلم عن بيان الاوضاع المختلفة التي ابتدعتها المحظية سيرين والتي كانت تتغنى بها شعراً أليفنتي وفيلينيس ، ونتحاشى ايضاً عن ذكر الرسوم المختلفة التي علقها الامبراطور طيباريوس في احدى قاعات قصرهِ في كابري وكانت من هذا القبيل . وكذلك تصاوير ألبان دي طيطان ، والحفريات المهيجة القديمة ، وانواع التصاوير والرسوم العصرية السافلة التي تباع بالخفاء في امهات الحواضر ، والتي تشير جميعها الى اقبح التخيلات الفسقية والفعال الفحشية السافلة التي توصل اليها بنو البشر

يزعم بعض اللاهوتيين بان المباشرة الجنسية اذا قضاها الزوجان على غير شكلها المألوف فهي خطأٌ فاحش يجب تجنبه . ويرتأي بعضهم انهُ اذا كان القصد منها حصول التلقيح فلا خطأ في ذلك ، بل هي بالعكس مباحة . ومن هذا الرأي القديس توما اللاهوتي المعدود من خيرة اللاهوتيين وهو الذي يشير بقوله : انهُ ليس من الخطأ ان يباشر الازواج نسآءهم من خلف متى لم يكن القصد من ذلك الحصول على لذةٍ شديدة زائدة بل لداعي بعض الاسباب المشروعة

ويرتأي الاستاذ دوبي ان جميع الكيفيات الصالحة للتلقيح هي مباحة . وبعكس ذلك يجب منع جميع الكيفيات التي تحول دونه .

او التي تضر باحد الزوجين او كليهما معاً . بحيث اظهر الاختبار مثلاً ان المباشرة التي يأتيها الزوجان وهما واقفان تسبب للرجل فيما بعد ارتخاءً في اعضائهِ السفلى وتعباً مستديماً في جميع بنيته . سيما وان ارتجاف الساقين وشللهما اللذين يبتلى بهما الرجال الكهول تكون هذه الكيفية في الغالب هي المسببة لهم ذلك

لا يُسمح فقط بالمباشرة الجنسية من خلف في الثلاث الحالات التالية ، بل يجب ايضاً الأمر بها والاعتماد عليها . وذلك عندما تكون المرأة حاملاً او كثيرة السمن وليس لقضيب الرجل الطول الكافي بحيث انهُ لمَّا تكبر معدة المرأة الحامل وتهبط نحو جانب الفخذين تصير المباشرة الطبيعية عسرةً جدًّا . فيجب والحالة هذه ان يمتنع الرجل عنها وذلك لخير الحامل ومحمولها . لانهُ من البديهي ان ثقل حركات الرجل من الجائز ان تجرح الحامل ، فاذا لم يستطع الرجل الامتناع عن الفعل التناسلي فيجب ان يأتيهِ من خلف . وفي مثل ذلك اذا كانت المرأة سمينة وطول القضيب غير كافٍ لعمل التلقيح

امَّا اذا كانت القناة المهبلية طويلةً لا يناسبها طول القضيب أي ان تكون خلقتهُ قصيرةً جدًّا . فينتج عن هذا التفاوت في النسبة بين اعضاء الزوجين التناسلية ان الزرع المنوي عوضاً من ان يبلغ عنق الرحم ليتشربهُ ، فهو يسيل خارج الفرج ولا يحصل التلقيح . ففي الكيفية الخلفية التي يُشار بها في مثل هذه الحالة لا يفقد العضو

الذكري شيئاً من طولهِ ، بل يزداد دخولهُ في المهبل الذي يتكيف امتداده . ومتى لم يكن عنق الرحم مزعوجاً بادنى ضغط ما ، فهو يتشرب بالسهل الزرع المنوي الذي يدخل في جسم الرحم بدون ان يلاقي حاجزاً ، ويذهب منهُ لتلقيح البويضة البشرية . سيما وانهُ توجد شواهد شرعية متعددة عن نسآءٍ كنَّ عقيماتٍ لقصر عضو ازواجهنَّ ، وقد اصبحن امهاتٍ بالاعتماد على هذه الكيفية

وفي التالي انهُ متى تجاوز طول قضيب الرجل طول مهبل المرأة فلا بدَّ للزوج من ان يقصّر عضوهُ الذكري بواسطة حلقةٍ من المطاط او خلافهُ يضعها عند قاعدته . وبهذه الكيفية ينقص الولوج بمقدار كثافة الحلقة . لانهُ اذا مست حشفة القضيب المفرطة عنق الرحم فهو ينغلق متشنجاً ويحول دون التلقيح . سيما وان احتكاك الحشفة المتوالي في عنق الرحم لا يبطيء حتى يسبب التهاباً وداءً رديئاً في آلة المرأة التناسلية

الفصل الثاني عشر

﴿ في احدث النظريات في الحمل البشري ﴾

تأتي الطبيعة اعمالها المدهشة وراء الستار وطي الكتمان ، وقد يتوصل الانسان في بعض الاحيان الى استنتاج اعمالها والاستدلال عليها . غير انهُ يظلّ مع ذلك جاهلاً للاسباب الرئيسية الفعّالة التي تأتيها خفيةً عنه . ولقد استمر سرّ التناسل من جملة الاسرار الطبيعية الغامضة التي شغلت فكر الانسان زمناً طويلاً ، ولم يستطع مع ما بذلهُ من الجهد والسعي الى كشف غوامضها وحلّ رموزها . بحيث انهُ كم من افتراضاتٍ فرضها واحكم بنيانها فلم تدم الاَّ قليلاً حتى سقطت من تلقآء ذاتها . وكم من نظرياتٍ فتّانة ارتآها عقلهُ وتوصل اليها بعلمهِ فلم تلبث زمناً قصيراً حتى نقضها هو بنفسه . وانهُ لفرط ما بذله من الجهد وما أتاهُ من الاختبار قد توصل اخيراً بدرسهِ البويضة الى درجةٍ من الكمال بعيدةٍ عن مواطن الشك . وكان الفضل في ذلك لعلمآء هذا العصر الذين كشفوا اللثام عن هذا السر الخفي

ولسنا في حاجةٍ لايراد الوسائل المتعددة التي ارتأها العقل البشري فيما يختص بالتناسل ، وأصبحت في يومنا الحاضر لاغيةً لا يعتد بها . فان ذلك مما يضيع معهُ الوقت ولا يعود بفائدةٍ على المطالع غير اننا نكتفي هنا فقط بذكر النظرية الخاصة بالبويضة والمنيّ وهي التي تشير الى انهُ لا بدَّ من ان يشترك الزوجان ويتساعدا معاً على نسل مخلوقٍ يأتي مشابهاً لهما

امّا المساعدة التي تأتيها المرأة على تكوّن المخلوق فتقوم بتوليدها البويضة التي اذا لم يمسها التلقيح استمرّت ساكنةً لا حركة فيها ، وسقطت في الرحم في كل حيضٍ شهري ، حيث تنحل وتخرج فضلاتها منهُ الى الخارج ، مع دم الحيض او مع مفرزات المهبل

ويساعد الرجل على النسل بانتاج المنيّ الملقح الذي يهب الحياة للبويضة . فيحصل من ذلك ان الفعل التناسلي هو عملٌ حِيَلي (ميكانيكي) متولد من جنسين مختلفين متعاكسين هما اشبه بقطبي المغنطيس

ويتضح مما تقدم انهُ لا بدَّ للحمل من شرطين لازمين وهما بويضةٌ قابلة التلقيح ومنيّ ملقح . امّا ما يزعمهُ تيت لايف وهو ان امرأةً ولدت توأمين بعد اقامتها تسع سنين في جزيرةٍ جرداء لا رجل فيها . وان ما اثبتهُ فرجيل وهو ان البويضات البشرية قد يجوز تلقحها بدون مساعدة رجل . فكل ذلك من الخرافات البحتة التي لا أثر لها من الصحة

اصدر مجلس نواب غرينوبل في سنة ١٦٣١ ميلادية حكماً يجوز لنا ان نعدهُ من اكبر الاغلاط الشرعية ، وهو اثباتهُ ابناً شرعياً احد

المواليد الذي ولدتهُ امهُ بعد اربع سنين على غياب زوجها وقد استحق الابن ان يرث متروكات ابيهِ بناءً على دعوى امهِ بانها حملت بهِ في اثناء النوم بقوّة التصور فقط . ولقد قام ابرهيم جونسون داحضاً هذا الزعم اي الحمل بقوة التصوّر واظهر بطلانهُ . وذلك بنشرهِ رسالةٍ في هذا الموضوع . ومما جاءَ فيها انهُ ليس المنيّ فقط ضرورياً ولا بدَّ منهُ للتلقيح ، بل يجب ايضاً ان يُقذف بهِ في المهبل الى عمقٍ معلوم

غير انهُ ليس من الضرورة ان يبتلع الرحم الزرع المنوي بجملتهِ بل ان نقطةً واحدة او اي جزءٍ ما يحوي جرثومةً حيّة هو كافٍ لعمل التلقيح . وان ما ذكرهُ موريسو عن حصول التلقيح بملامسةٍ البظر فقط ، فهذا مشكوك به . وعلى فرض انهُ حدث شيءٌ من هذا القبيل وهو نادرٌ فيكون عنق الرحم منخفضاً جداً يأتي هذا الفعل شبيهاً بالتلقيح الصناعي ، وهو ايصال المنيّ الى عنق الرحم بواسطة الميل . امّا ما ذكرهُ اقروعن امرأةٍ تلقّحت من جراء دخولها في حمام قد استمنى بهِ بعض الذكور . وعن تلك الفتاة التي حملت بتأثير المني الذي استنومهُ والدها في الفراش الذي كانت نائمةً فيه . فهذه ما هي الا قصصٌ خرافية لا يمكن الاعتداد بها

١

في التلقيح

يلاحظ المرء اللقاح البشري فيجدهُ شبيهاً باللقاح النباتي الذي

ينفصل عن عضو النبات الذكري محمولاً على الريح او منقولاً بواسطة بعض الحشرات فيستقر على عضو النبات الانثوي الكائن في وسط الزهرة و يلقحها لتأتي بالثمر . وكذلك يفعل بالمثل اللقاح الحيواني بحيث انهُ اذا مرَّ ذكر السمك بلقاحهِ على بيوض انثى من نوعهِ فينتج ذات المفعول . واليك بيان الكيفية التي يتم بها تلقيح البويضة البشرية

ظهر من مباحث كثير من العلماء العصريين ان الجنس البشري يمتثل ايضاً للسنّة الطبيعية العظمى وهي ان كل حيٍّ من البيضة « Omne Vivum ex ovo » ولمّا كانت المرأة هي نظير سائر اناث العالم الحيواني . فهي تنتج بويضاتٍ في كل شهرٍ وقت الحيض الشهري . وقد سبق وذكرنا ان للمرأة مبيضين في شكل غدتين تنتجان البويضات . وان هذه البويضات المجهرية المجتمعة فرقاً ، كلَّما اتى دور احداها تنمو وتتضخم وتنضج وتسقط في البوق نظير الثمار الناضجة واليك بيان ذلك

يحيط مضرب البوق بجهة المبيض التي تخرج منها البويضة ، فعند خروجها تمتد فتحة البوق وتأتي نوعاً من الاستنشاق و بهِ تبتلع البويضة الناضجة . ومتى تعلقت البويضة في البوق تسير على مهل متجهةً نحو الرحم مدفوعةً بحركات تقبض البوق . ولقد اظهرت الاختبارات الدقيقة الطويلة المدى انهُ يلزم اربعة او خمسة ايام لتجتاز البويضة جميع مسافة البوق وتسقط في الرحم . فلندع ذلك جانباً ونتجه الى الدور الذي يشغلهُ الرجل في المباشرة الجنسية

لمّا يدخل المنيّ في الرحم تلج البزيرات التي يحويها في البوقين بحركةٍ يمكننا ان ندعوها غريزية ، وتسير نحو ثلثيهما العلويين . ولمّا تبلغ هذه الجهة تستقر في الغشآء المخاطي منتظرةً البويضة او البويضات لتلقحها عند مرورها



الرسم ١٦

وعليهِ متى انفصلت البويضة الناضجة من المبيض واستنشقها مضرب البوق وابتلعها البوق فحينئذٍ تعلق بها البزيرات المنوية وتختلط بمادتها ويحصل التلقيح . (انظر الرسم ١٦) و بعد ذلك تداوم البويضة الملقَّحة سيرها مدة بضعة ايام في المجرى البوقي من الاعلى الى الاسفل وتسقط اخيراً في الرحم اذ تشتبك في احد جوانبهِ وتتصل بهِ . ومن ذلك الحين تبتدئ حياة المخلوق الجديد . غير ان البويضة تبتدئ حركة تطوّرها الاول في البوق مدة الايام التي فيها تجتاز مسافته . بحيث انهُ لمَّا تبلغ الرحم يزيد حجمها خمسة اضعافٍ عن الحجم الذي تلقحت فيه (انظر الرسم ١٧ الى ٢١)

امَّا البويضات التي لم تتلقح فانها تتبع ذات السير وتسقط بالمثل في الرحم ، لكنها لم تتأصل فيهِ اصلاً بل تنحل وتُطرح خارجاً ، امَّا مع الحيض الشهري او بسائل الرحم المخاطي

التغييرات المتوالية التي تطرأ على البويضة الملقحة

الرسم ١٧ — حويصلة مبيضية متضخمة بالبزيرات المنوية التي اخترقت غلافها المكون من ثلاثة اغشية

الرسم ١٨ — مقطوع البويضة في بدء ملامسة البزيرات المنوية لها

الرسم ١٩ — مقطوع البويضة في ثاني درجة

الرسم ٢٠ — مقطوع البويضة في ثالث درجة

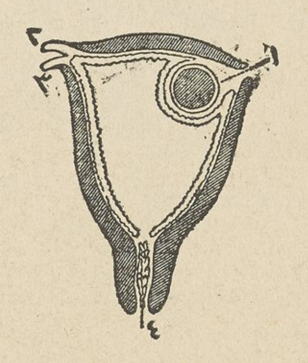
الرسم ٢١ — مقطوع البويضة في رابع درجة

فهذه هي الكيفية التي وضعتها الطبيعة لتوليد الجنس البشري ، وقد

لاقت هذه النظرية اعتراضاتٍ شتى من اصحاب مبدأ التلقيح المبيضي أولئك الذين يؤيدون زعمهم ببلوغ البزيرات المنوية الى المبيض ، مبرهنين على ذلك بالحمل المبيضي او الحمل البطني اي الذي يحصل خارج الرحم

ويقول العالم دوبي ان الحمل خارج الرحم هو حقيقي وهو من شواذّات الطبيعة لكنهُ نادرٌ جداً . ومع ذلك لا يستطيع ان يزعزع نظرية التلقيح البوقي . لان الحمل خارج الرحم هو ارتباكٌ في سنن وظائف الاعضاء ناتجٌ عن ظروفٍ عرضية شاذّة للغاية . بحيث يجوز ان البويضة التي تلقحت تماماً في المجرى البوقي يقذف بها البوق الى المعدة من جرآء تشنجٍ شديد يحصل لهُ ويكون المضرب في اثنآئهِ منفصلاً عن المبيض

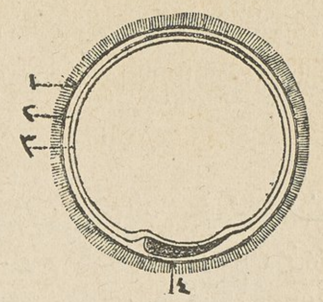
البويضة النازلة في الرحم بعد حصول التلقيح بثمانية ايام



الرسم ٢٢

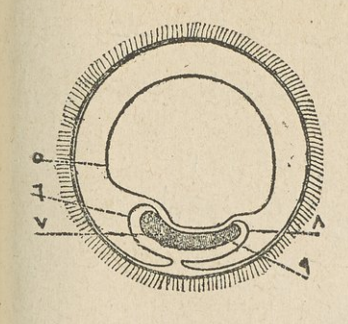
١ وصول البويضة الى الرحم ٢ اصل قناة البوق ٣ اصل رباط المبيض ٤ عنق الرحم

بويضة في يومها الثاني عشر



الرسم ٢٣

بويضة في يومها السادس عشر



الرسم ٣٤

١ المنطقة المتشععة — ٢ و ٣ و ٥ المنطقة الداخلة والخارجة لاديم الجرثومة — ٤ و ٧ و ٩ العلقة الجنينية — ٦ القسم الداخلي — ٨ الرأس

وقد ذكر الاستاذ لاليّمان ان امرأةً ارتعدت فرائصها من حضور احد الاشخاص اذ كان يباشرها زوجها، فشعرت بثورةٍ شديدة لم تعد تستطيع البويضة في بوق الرحم ان تتعلق بهِ بل استمرت ملقحةً في المبيض . وقد توفيت هذه المرأة عقبى حملٍ مبيضي ، ولدى تشريحها وجدوا جنيناً نامياً في المبيض. هذا وان الوقائع الطبية تحتوي على ذكر جملة شواهد من هذا القبيل لا تدع اقل ريبٍ بامكان حصول الحمل المبيضي

ويمكن ان يحصل ايضاً ان جرثومةً تدخل في المبيض وتلقح بويضةً وان مضرب البوق يمتنع في الحال عن معانقة المبيض . فوقتئذٍ لم تعد البويضة تجد المجرى الذي تصل بهِ الى الرحم فتستمر في المبيض وتنمو فيه . ويتسبب عن هذا الاختلال في وظائف الاعضاء حوادث

خطرة تقضي دائماً بموت الجنين واحياناً كثيرة بموت الوالدة ايضاً . وعلى ذلك لا يمكن اثبات نظرية التلقيح المبيضي لان الطبيعة لا تستطيع ان تداوم عمل النسل بحوادث الصدفة

ولقد تضاربت اقوال العلماء في تعيين المحل الذي يحصل فيهِ التلقيح ، فمنهم من زعم في البوق ومنهم في المبيض ، وغيرهم في الرحم ولكل فريقٍ حجةٌ يستند عليها . غير ان الرأي الغالب هو الاول واليك ما اوردهُ دوبي عن التلقيح البوقي بقوله

ان الاختبارات المتكررة المشفوعة بالتحريات المجهرية فيما يختص بحوادث التلقيح وكيفيتهِ قد اوصلتنا الى النتائج التالية وهي

اولاً : ان التلقيح في المبيض لا يمكن ان يحصل الاَّ بحادثٍ ما

ثانياً : ان البويضات التي تسقط في الرحم في اثناء البيض الشهري لا يمكن ان تتلقح فيهِ لانها لم تعد تحوي الشروط اللازمة لذلك . وان الشرط الرئيسي هو ان تتلقح في البوق . بحيث تتغير حالتها ويزيد حجمها خمسة اضعافٍ ويصير كفوءاً لتعلقها بجوانب الرحم . واذا كان الرحم هو الموضع الاصلي للتلقيح لما حدث الحمل البوقي كثيراً

ثالثاً : يحصل التلقيح بدون ريب في البوقين وسترى بيان ذلك فيما يأتي

رابعاً : ينحل الزرع المنوي عند ما ينصب في الرحم ، ويعود قسمهُ المآئي الى المهبل سائلاً من الفرج . ويتجه القسم الاوفر من

جراثيمه المنوية بحركةٍ غريزية نحو بوقي الرحم ، فتتعلق بجوانبهما في في القسم الاعلى منهما على مقربةٍ من المضرب . وهناك تستطيع ان تستمر حيّةً من خمسة الى عشرة ايام بالنظر الى الدرجة الحيوية التي تمتلكها خصية الذكر التي انتجتها . هذا اذا لم تمت باحد الاسباب الداخلية

خامساً : لمَّا تمر البويضة في قسم البوق العلوي تتعلق الجرثومة المنوية بها وتلقحها في الحال

سادساً : يحصل التلقيح عادةً بضعة ايام قبل الحيض الشهري وفي اثنآء الحيض و بضعة ايام بعده . وحينما يمتنع مضرب البوق عن معانقة المبيض لم يعد التلقيح ممكناً . اذ تنقطع المواصلة بين البوق والمبيض

ونزيد على ذلك ان التلقيح يتحقق بالاكثر متى اقترب الذكر من الانثى بضعة ايامٍ قبل سقوط البويضة . ويشار الى هذه المدة بالوقت الذي تعطف فيهِ الحيوانات وبالعوارض التي تحصل للمرأة ولا تغالط الاَّ نادرًا

امَّا في الجنس البشري فاذا اتفق ووقعت المباشرة خمسة او ستة ايام قبل ظهور الحيض الشهري ، فيجوز ان تثمر لكنهُ يتحقق الحمل بالاكثر لو حصلت المباشرة قبل الحيض بيومين وفي اثنآء سيلانهِ و بعد انقطاعهِ في الحال

ولقد اشار ابو الطب ابوقراط على النسآء العقيمات بان يطلبن المباشرة الجنسية في الايام التي تلي الحيض حالاً . ولمَّا اتبع هانري

الثاني ملك فرنسا هذا الرأي بناءً على مشورة طبيبهِ فرنل ، رزق جملة بنين من زوجتهِ كاترينا دي ميديسي بعد ان استمرّت عقيمةً مدة احدى عشرة سنة

يحصل التلقيح في الحيوانات لاول مرة على وجه التقريب . وسبب ذلك ان غالب انواع الحيوان لا تأتي السفاد الاَّ في مدةٍ معيّنة في السنة . وهي تكون على اهبة الاستعداد له . امّا بالنظر الى الانسان فانهُ لم يعد يأتي الفعل الجنسي بقصد التناسل فقط ، بل يفعلهُ في سبيل اللذة ويزاولهُ على مدى ايام السنة . وليس بمستبعدٍ ان البشر الاوائل لمّا كانوا اقرب عهداً بالحيوانية كانت لهم مدةٌ مخصصة للزواج ولعلها فصل الربيع ، وهو فصل الزهو والبسط والانشراح . حتى ان احصائيات المواليد تدل حتى يومنا الحاضر على ان الحمل في فصل الربيع هو اكثر من باقي فصول السنة

وكذلك الامتناع عن المباشرة الجنسية مدةً من الزمن لداع من الدواعي تؤهل للحمل . بحيث انهُ في الجهات التي يقضون فيها فريضة الصيام بحذافيرها ويمتنعون في اثنآئها عن الفعل التناسلي كان يزيد عدد الحمل بعد انتهآئها عن باقي اوقات السنة

وعليهِ فالازواج الذين يرغبون في ان يكثروا او يقللوا من من نسلهم في استطاعتهم ان يستندوا على هذه التعليمات ويعملوا بها

ونختم مقالنا هذا بنظرةٍ اجمالية في النواميس الفيسيولوجية التي تتولى أمر تكوين وتلقيح البويضة البشرية فنقول :

تمثل البويضات التي انتجها المبيضان الى النضج الدوري ، وليس لهذا علاقةٌ بالملامسة المنوية . لانهُ لمَّا تنضج البويضات تماماً تنفصل بطبيعتها عن المبيض وتعلق بالبوقين اللذين يقودانها الى الرحم وفي اثناء هذا العمل الذي يأتيه المبيض والبوق يحصل الانتفاخ الرحمي الذي عنهُ ينتج الحيض الشهري . ومتى سقطت البويضة في الرحم وكانت ملقحة تتعلق بجوانبهِ وتجتاز جملة تطورات ينتهي الاخير منها بولادة مولودٍ على شاكلة والديه

امَّا اذا سقطت البويضة في الرحم ولم تكن ملقحةً فانها تنحل فيهِ وتخرج منهُ مع الحيض الشهري او سائل الرحم المخاطي

وزاد على ذلك بعض الفيسيولوجيين بقولهم : ان التلقيح يمكن حصولهُ في اي يومٍ كان من الشهر . فردَّ عليهم البعض مخطئينهم وداحضين زعمهم بالبراهين الثلاثة الآتية :

اولاً : لا تبلغ البويضة البشرية نضجها التامّ غير مرةٍ واحدة في الشهر ولكي تقبل التلقيح لا بدَّ من نضجها

ثانياً : لا تحصل المواصلة بين المبيضين والبوقين الاَّ في زمن نضج البويضة فقط . وما خلا ذلك يكون التواصل منقطعاً بينهما

ثالثاً : لمَّا ينفتح المبيض قليلاً يكون البوق عائماً في المعدة ، فيعانقهُ اذ ذاك ويقبض على البويضة التي تنفصل عنهُ ويوصلها الى الرحم

وعليهِ فلكي يكون التلقيح ممكناً في جميع ايام الشهر يجب ان

تنضج في كل يوم بويضةٌ وهو ليس كذلك . ويجب ان تكون المواصلة بين الرحم والمبيض دائمةً وهو ليس كذلك . وان تقيم البويضة المنفصلة عن المبيض وقت نضجها في البوق او الرحم وهو ليس كذلك . ولمَّا كانت البويضات الغير الملقحة لا تستطيع الاقامة في الرحم لانها لا تتأصل فيهِ ابدًا وهو يدفعها الى الخارج . فلهذهِ الاسباب يخطئ اولئك الفيسيولوجيون الذين يزعمون بامكان التلقيح في اي يوم كان من الشهر . امَّا الحقيقة التي هي اقرب الى الصواب فهي انهُ لا يمكن حصول التلقيح الاَّ في الايام التي فيها تنفصل البويضة عن المبيض وتجتاز قناة البوق لتصل منها الى الرحم

٢

في العلامات التي يستدلون بها على حصول التلقيح

خبط كثيرٌ من الفيسيولوجيين ومن جملتهم العلاَّمة برداخ في هذا الموضوع ولم يصيبوا كبد الحقيقة . ذلك لان غالب النسآء لم يشعرن اصلاً عند ما تلقحنَّ . والذي يزعم بان المرأة تشعر بشهوةٍ يصحبها غشيانٌ في ذلك الوقت هو يجهل تماماً الكيفية التي يحصل بها التلقيح . ذلك لان المرأة تشعر بلذةٍ اشدّ لمَّا تكون اعضآؤُها التناسلية متهيجةً واكثر احساساً من جرآء قرب حلول الحيض الشهري وليس ذلك لداعي انها تلقحت . ومع ذلك اننا نورد ههنا بعض الحالات التي زعم بعض النسآء بانهنَّ شعرن بها في اثنآء سقوط البويضة الملقحة

في الرحم وتشبكها فيهِ وهي : انتفاخٌ في مجموع الجهاز التناسلي — اضطرابٌ في الكليتين — حركاتٌ غير اعتيادية في اسفل البطن — دغدغةٌ في الرحم والمهبل — دغدغةٌ خفيفة في الفرج — ارتعاشٌ في مجموع الاعضاء يعقبهُ تعبٌ وهلمَّ جرًّا . . . وان امثال هذه الاحوال لا تحصل في النسآء على العموم بل ربما حصلت في البعض منهنَّ على سبيل الشواذّات النادرة جدًّا

٣

في ان التلقيح غير متعلق بالارادة

تتلقح المرأة بمعزلٍ عن ارادتها وذلك نظير غالب الوظائف العضوية التي تحصل فيها بدون ان تشعر بها . سيما وانهُ لا توجد علامةٌ ايجابية ولا اقل حادثٍ داخلي او خارجي يستطيع اثبات الوقت الذي يحصل فيهِ التلقيح . مع انهُ يستدل على ظهور الحيض الشهري قبل ايام بآلامٍ في الكليتين وانحطاطٍ في القوى . . . . امّا التلقيح فلا يستدلّ عليهِ بادنى شيء من ذلك . بل ربما ترجح حصولهُ بوجهٍ تقديري وقتي متى جآء الشهر التالي ولم تظهر عادة الحيض . امّا اولئك النسآء اللواتي يزعمن بانهنَّ شعرن باشتباك الجرثومة المنوية بالبويضة وقت التلقيح ، فهنَّ في وهمٍ مبين وليس لزعمهنَّ أثرٌ من الحقيقة . بل ان البراهين الدالة على بطلانهِ متعددة لا يستهان بها

يجوز ان تتلقح المرأة في مدة النوم الطبيعي او في اثنآء التنويم

المغنطيسي أو تحت الكلوروفورم (البنج) او في حالة الغضب وفي حالة داء الجمود والغشيان والجنون — واذا اغتصبها غاصبٌ فدافعت عن نفسها دفاع الابطال ، ثم غُلبت على أمرها بقوةٍ وحشية ، وكان ذلك قبل او بعد الحيض الشهري ببضعة ايام . وليست هذه الحوادث وامثالها بنادرةٍ كما يُظن ، بل انهُ لخير وشرف هؤلآء النسآء المنكوبات تظل امثال هذه الجرائم مستورةً طي الكتمان

٤

في ان الارتعاش التناسلي ليس هو شرطاً لازماً لحصول التلقيح

كانوا يزعمون قبلاً بانهُ لا يتحقق التلقيح الاَّ عند ما تصيب اللذة التناسلية كلا الزوجين معاً وفي وقتٍ واحد . فلو صحَّ زعمهم هذا لقلَّ النسل ودبَّ النقص في المجموع البشري . لانهُ من مائة مباشرةٍ جنسية وعلى الخصوص في الطبقة العامَّة ، في واحدةٍ منها على التقريب تشعر المرأة مع الرجل وفي وقتٍ واحد بالارتعاش التناسلي . وذلك لان شهوة الرجل تأتي في اسرع وقتٍ من المرأة . ثمَّ لان اتقاد مزاجهِ وانانيتهِ يدفعانهِ الى قضآء مرغوبهِ بدون ان يلتفت الى المرأة اذا كانت تشعر في ذلك الحين بذات المرغوب

ونجتزء ههنا بايراد المثلين التاليين فيما يختص بالموضوع الذي نحن بصددهِ ونضرب صفحاً عن كثيرٍ من امثالهما

ذكر سير تريستام شندي عن نفسهِ الشاهد الذي كان علة

وجوده . وهو انهُ لمَّا كان والدهُ يقضي الفعل الجنسي مع والدتهِ كانت تقاطعهُ بقولها لهُ اظن يا عزيزي بانهُ سهي عليك ان تدير الساعة . فيتبين من ذلك ان الزوجة لم تكن متأثرةً بمباشرة زوجها . ومع هذا فقد حصل العلوق وانتج هذا الرجل الذي كان من مشاهير زمانه

وخلّف لنا غليوم كربونيل صاحب مؤلفٍ في الزواج جملة شواهد من هذا القبيل نذكر منها الشاهد التالي الذي اوردهُ عن نفسهِ بقوله : انهُ لمَّا كان يقضي الفرض الزوجي مع امرأتهِ تكون هي مشتة الافكار غير مباليةٍ بذلك . بحيث تارةً كانت تخال انها تسمع صوت فارةٍ او صرصر يدور في الغرفة وطوراً تشاهد في سقف الغرفة عنكبوتاً او ذبابةً كبيرة او حشرةً ما . . . واحياناً تسمع قرقعةً في الغرفة المجاورة لغرفتها او جعجعةً في اثاث المنزل . متخيلةً ان هنالك لصّاً اتى للسرقة . وعلى هذا المثال كان فكرها مشتتاً وغير مبال بالمباشرة التي كان يقضيها زوجها معها

غير ان تشتت افكار هذه المرأة المتوالي وعدم مبالاتها وتأثرها بالفعل التناسلي لم يكن حاجزاً يصدها عن ان تتلقح وتلد البنين . ذلك لانها رزقت في مدة عشر سنين سبعة مواليد منهم ذكرٌ واحد — ثمَّ انهُ في احدى الليالي بينما كان غليوم كربونل ينتج ابنهُ الثامن ، قاطعتهُ زوجتهُ بقولها له : انهُ سهي عليَّ ان اخبرك بان المسيو لانتوى زلّت قدمهُ وانكسرت

فيستنتج من الشاهدين المتقدمين وامثالهما انهُ ليس للتلقيح علاقةٌ باللذة التناسلية . وان النسآء ذوات المزاج البارد هنَّ اسرع تلقحاً من النسآء المتقدات المزاج

٥

في التلقيح الصناعي

لاحظ بعض العلمآء انهُ اذا رُمي لقاح السمك والضفدع بواسطة الضغط في وعآءٍ يحتوي على بويضات اناثٍ من نوعهما وتحرك فيهِ تنقف البويضات وتتولد صغارها نظير ما يحصل التلقيح بالفعل الطبيعي ، وقد جرب سبالنزاني في سنة ١٧٨٠ عملية التلقيح الصناعي في جملة حيواناتٍ وعلى الخصوص في اناث الكلاب وذلك بحقن رحمها بمقدارٍ قليل من المنيّ المأخوذ من الذكر وقد انتجت عمليته

وانَّ اول من جرب ذلك في المرأة هنتر الجراح الانكليزي المشهور وذلك في سنة ١٧٩٩ اذ اشار على زوجٍ مصاب بالايبوسباديا (١) ان يأخذ منهُ الزرع المنوي ويوصلهُ مباشرةً الى اعضآء امرأتهِ التناسلية بواسطة محقنة . لانهُ لم يكن يستطيع تلقيح امرأتهِ لداعي عاهتهِ المشار اليها وقد لاقت هذه العملية نجاحاً تامّاً

ثمَّ قام بعدهُ جيرول في باريس سنة ١٨٣٧ واجرى هذه العملية لاثنتي عشرة امرأةً كنَّ لم يزلن عقيمات . وقد استعمل لذلك سبع

---

(١) وهي ان تكون فتحة الصماخ البولي من اسفل

وعشرين حقنةً اسفرت على التوالي عن ثمانية حملانٍ فقط منها حملٌ توأمي واليك شاهداً من جملتها ذكرهُ جيرول ذاته

جاءني الكونت ل .... في سنة ١٨٣٨ ليستشيرني في أمر ابنتهِ البالغة سن الثالثة والعشرين والتي قد تزوجت من ثلاث سنين ولم ترزق ابناً ، فضلاً عن ميلها المفرط ورغبتها الشديدة في الحصول على النسل . وبعد ان فحصتها وجدت عنق رحمها رفيعاً واطول من الحالة المألوفة وفتحتهُ ضيقة . فخطر لي ان هذا السبب من الجائز ان يكون هو المانع للتلقيح . فاستعملت لها في بادىء بدء المجسات وكنت ادخل فيها في كل يومين مجساً اغلظ من السابق لامدد بهِ قناة الرحم ، وقد تحصلت على التمدد المرغوب . ثمَّ اشرت عليها بان اعمل لها التلقيح الصناعي وقد وافقت عليهِ بدون تردد . غير ان زوجها البالغ سن الخامسة والثلاثين قد رفضهُ ولم يرضَ به . ولمَّا كانت ارادة المرأة تفوق ارادة الرجل وهي التي طاع لها العالم باسره فقد امتثل الزوج من ثمَّ بعد رفضهِ الاول وفي ٢٧ ابريل (نيسان) أجريت العملية . وذلك اني احضرت ميلاً لهُ فتحةٌ في راسهِ وبعد ان غسلتهُ ادخلت محلول الصمغ فيهِ ثمَّ ملأتهُ بزرع الزوج وادخلتهُ في فتحة عنق الرحم ونفخت فيهِ بفمي وفي الليلة ذاتها اشرت على الزوجين بان يرحلا عن باريس وقد عملا بمشورتي . غير انهما رجعا بعد عشرين يوماً والمرأة حائض . وعندما زال الحيض في ٥ يونيو (حزيران) كررت من جديد العملية ذاتها . وقد ذهب الزوجان وامضيا خمسة اشهر

في نيس . وفي تلك الاثناء اصبحت الزوجة حاملاً ووضعت في اول مارس (ادار) سنة ١٨٣٩ مولوداً حسن التركيب ارضعتهُ مرضعٌ من نورمانديا وقد شبَّ هذا الابن مع الايام وابتدأ في سنة ١٨٥٩ يدرس الحقوق وكان فيما بعد محامياً معدوداً (١)

ثمَّ قام بعد ذلك جملة اطباء واجروا ذات العملية ونجحوا بها . منهم ماريون سيمس وجيكون من انكلترا وكورتي وباجو وسواهما من فرنسا وخلاف جهات . وكانوا جميعهم يفحصون قبل العملية بواسطة المجهر منيّ الرجل ليتبينوا منهُ اذا كان محتوياً على جراثيم حية كافية للتلقيح فاذا لم يكن فيهِ ذلك فكانوا يمتنعون عن عملية التلقيح الصناعي

امَّا طريقة العملية فهي هكذا : يؤخذ المنيّ بعد المباشرة في الحال من الكيس الذي يغلف القضيب او من الوعاء الذي قُذف فيه. ويوضع في ميلٍ او في قناةٍ من المطاط وتوجه فتحتها نحو عنق الرحم لتفرغ فيهِ السائل الذي يجب ان تكون حرارتهُ من ٣٨ الى ٤٠ درجة

ويُستعمل التلقيح الصناعي اذا كان القضيب صغيراً جدًّا ، او في حالة سمنٍ متناهٍ او فتقٍ هائل يمنع المباشرة الطبيعية . او من جراء بعض الشوائب الخلقية في الفرج والمهبل . وقد انتج التلقيح الصناعي في عشرين عملية النتائج المرغوبة وانسل مواليد عاشوا اصحاء البنية كاملي الخلقة

---

(١) نقلاً عن كتاب تلقيح الحيوان الصناعي واستعماله ضد العقم المطبوع في باريس سنة ١٨٧٠

الفصل الثالث عشر

﴿ في الاذكار والايناث ﴾

شغلت مسألة الاذكار والايناث افكار الاطباء والفيسيولوجيين من اقدم زمن يذكرهُ لنا التاريخ . حتى انهم كانوا وما زالوا معتقدين بامكان حلها وبكونها ليست من الامور المستحيلة . فاذا اتفق وتوصل الانسان في احد الايام الى كشف هذا السر الغامض ، وتحقيق هذه الامنية البعيدة المنال . فيكون قد خدم الانسانية خدمةً لا تقدَّر قيمتها

يتساءل البعض اذا كان في الامكان حلّ هذه المسألة الغويصة فيجيبهم ارباب العلم وما الداعي لعدم امكان حلها . وامامنا كثيرٌ من الامور التي حكمنا عليها فيما مضى بكونها من المسائل الخرافية الوهمية ، وقد تحققت في يومنا الحاضر واصبحت حقائق راهنة لم يعد احدٌ يشك بها . فمن من العلماء المتقدمين كان يخطر على بالهِ ويصدق بان المرأة تبيض بويضاتٍ نظير الدجاجة . وان هذه البويضات هي علة الحيض الشهري ، مع انهُ لم يعد احدٌ في يومنا هذا يشك بذلك . ومن كان يتصور

انه في الامكان افقاد الشعور وذلك بايقاف المواصلة بين سائر اطراف الجسم والدماغ ، وترك الجهاز العصبي في حالة الغيبوبة وعدم الحس . وهو ما يفعلهُ الاثير والكلوريفورم . ومن كان يتصوّر انهُ في الامكان التخاطب من قارّةٍ الى سواها بالتلغراف اللاسلكي . اذاً ألا يُستطاع حل مسألة الاذكار والايناث عند ما يأتي دورها . نظير ما حُلت مسألة الطيران ومسائل خلافها كانوا يظنون بان تحقيقها من رابع المستحيلات

نرى الرجال ذوي المعارف السطحية او بالاحرى الجهلآء . هم الذين ينسبون الكفر والجحود الى المسائل التي لا يمكن ان تحدها افكارهم القصيرة وتسعها عقولهم الضيقة . اما رجال الدرس والاختبار فانهم يتأملون فيها ويدرسونها متوالياً ولا يقطعون الآمل منها . واذا رأينا دائرة المستحيل تصغر امامنا في كل يومٍ وشاهدنا مسائل تُحل واسرارًا تكشف واماني تتحقق . فما الفضل في ذلك الاَّ لما يبذلهُ بعض افراد البشر في دروسهم ومباحثهم من الجهد والثبات

قسم الدكتور دوبي مباحثهُ فيما يختص بالاذكار والايناث والاسباب التي يتخلق بها الجنس الى اربع مسائل وهي :

اولاً : هل في مبيض الانثى بويضاتٌ ذكرية او اناثوية ؟

ثانياً : اذا كان الأمر كذلك أيحوي كل مبيضٍ بويضات ذكرية واناثوية بدون تميز . او ان مبيضاً للبويضات الذكور وآخر للاناث ؟

ثالثاً : هل بويضات كلا المبيضين ذات طبيعة واحدة وعديمة الجنس او يتوقف تمييز جنس المخلوق العتيد على حركة قوى احد الزوجين وتفوقهِ الحيوي على الآخر ؟

رابعاً : أتفرز الخصيتان سائلاً متجانساً تماماً او ان الخصية اليمنى تفرز منيّاً معدًّا للتلقيح الذكري ، والخصية اليسرى للتلقيح الانثوي

١ أمَّا بالنظر الى المسألة الاولى فقد كان لها في كل عصر انصارٌ اجمع رأيهم عليها لكنهُ بدون ان يأتوا ببرهانٍ فيسيولوجي يقضي بصحتها . بحيث انهم وجدوا لدى البحث والتحري ان البويضات التي يحويها المبيضان تتشابه تمام المشابهة بالنظر الى شكلها ومادتها وتركيبها . ولم يستطع احدٌ من العلماء الاختصاصيين بتركيب الاعضاء ان يثبت وجود بويضات ذكور و بويضات اناث

٢ انقسم العلماء فيما يختص بالمسألة الثانية الى فريقين . احدهما يقول انَّ في كلٍّ من المبيضين بويضاتٍ ذكوراً واناثاً . وذلك باستنادهم الى التجارب العديدة التي اجروها لجملة حيوانات . اذ انهم بعد ان استأصلوا منها احد المبيضين قد خلفت نظير السابق من كلا الجنسين . فضلاً عن جملة شواهد اوردها بعض الاطباء المعدودين وهي ان بعض النساء اللواتي ينقصهنَّ احد المبيضين امَّا لكونهِ ضامراً او ذابلاً بالكلية او لانهُ مستأصلٌ بعمليةٍ جراحية . فهؤلاءِ يلدن بدون تمييز مواليد من كلا الجنسين . امَّا الفريق الثاني فانهُ يخالفهم في رأيهم و يعارضهم بهِ ، وحجتهُ على ذلك ان التجارب والاختبارات

قد ساء استعمالها ، وان الشواهد التي ابدوها مبتورة لا يعتد بها . ومن رأيهم ان البويضات الذكور تقيم في المبيض الايمن والبويضات الاناث في المبيض الايسر . وان النساء الفاقدات احد المبيضين لا يخلفن الاَّ جنساً واحداً . واللواتي يلدن الجنس المختص بالمبيض الناقص هنَّ من طبقة شواذ الخلق اولئك الذين في اعضائهم انقلاب (١) ارتأى هذه النظرية ابوقراط وايدهُ في رأيه هذا ديموقريتس وارسطو و بلينوس من العلماء المتقدمين . والرازي و بروكوب وكولونيل وميلوط و كثيرون خلافهم من العلماء المتأخرين . وهم الذين كانوا يجرون اختبارهم باستئصالهم احد المبيضين من بعض اناث الحيوان وعندما يتم الالتحام يزوجونها . فكانت تلد الجنس الخاص بالمبيض الباقي . وفي زعمهم بانهُ لابدَّ من ان تأتي النتيجة ذاتها في الجنس البشري . غير ان هذه الشواهد عديمة الصحة ولا تحتمل تمحيصاً كبيراً وقد قضت ببطلانها اكتشافات علم الفيسيولوجيا الحديث

يستأصلون في بعض جهات الهند وافريقيا مبيضي بعض النساء ليقمن مقام الخصيان الذكور . فاذ ذاك ينقطع الحيض الشهري فيهنَّ عن الظهور ويبتلين بالعقم . غير انهُ يتفق احياناً لقلة مهارة الجراح يفلت احد المبيضين منهُ ويسلم من القطع . فتستمرّ المرأة اذ ذاك مستعدةً للتناسل . ومما يقال انها تلد الجنس المناسب للمبيض الباقي

---

(١) راجع كتابنا تاريخ الانسان الطبيعي فيما يختص بانقلاب الاعضاء

ذكر هنك ان امرأةً ولدت تسعة مواليد جميعهم اناث وقد اظهر تشريح جثتها بعد وفاتها ان مبيضها اليمين كان متصلباً وليس مستعداً لتقديم البويضات الذكور . واورد بركوب عن امرأةٍ ثانية وضعت على التوالي سبع بناتٍ وماتت ولم تلد مولودًا ذكراً . وتبين من تشريح جثتها ان مبيضها اليمين ذابلٌ وحجمهُ كالحمصة

وذكر ميلو انهُ فتح جثة امرأتين انسلت احداهما سبعة ذكور والاخرى اربع اناث . فظهر من تشريح جثتيهما ان في مبيض الاولى اليمين سبع ندبٍ تختص بالبويضات الذكور المتلقحة . وفي مبيض الثانية اليسار اربع ندبٍ خاصة بالبويضات الاناث . وكان مبيضها اليمين ذابلاً

غير انهُ وان كانت شواهد هؤلآء الرجال العاملين صحيحةً وهي القابلة للشك والريب، فهي مع ذلك لاتثبت نظريتهم ولاتؤيدها وسيجد المطالع فيما يلي ان تخصيص الجنس لا يتوقف سببهُ على الخصية او المبيض وهما الاساس الذي بنيت عليهِ النظريات المختلفة فيما يختص بالاذكار والايناث من قديم الزمن . حتى ان قانتور شيرون كان يعلم الى نسآء تساليا اشيآء من هذا القبيل من مدة اربعة آلاف سنة . وقد الَّف ديموقريتس كتاباً عن التناسل شرح فيهِ هذه الاسرار شرحاً وافياً — وترك لنا الرازي الطبيب العربي المشهور في القرن التاسع بعض قطع مما الفهُ في فن الاذكار والايناث . فضلاً عن جملة علمآء آخرين تناولوا هذا البحث ونحو هذا المنحى . امَّا علم

الفيسيولوجيا الحديث فقد برهن لنا بسلسلة اختبارات وشواهد على ان الاناث الفاقدة احد المبيضين يميناً كان او يساراً تخلف بدون تمييز نسلاً من كلا الجنسين

٣ المسألة الثالثة وهي الوحيدة المقبولة في يومنا الحاضر تلك التي لا تقر بجنسية البويضات الغير الملقحة بل تؤكد بان خلقة الجنس تحصل في وقت التلقيح وذلك بالاستناد الى شواهد لا يحصى عددها تؤيدها وتدل عليها

٤ المسألة الرابعة تولّد الذكور من المنيّ الذي تفرزهُ الخصية اليمنى والاناث من المنيّ الذي تفرزهُ الخصية اليسرى ولم تعد هذه مقبولةً في يومنا الحاضر الاَّ نظير التي تولّد الذكور من المبيض الايمن والاناث من الايسر . ثمَّ يزعم كثيرٌ من الفيسيولوجيين العصريين وذلك باستنادهم على براهين قوية بان تمييز الجنس يتعلق باغلبية تركيب الوالد او الوالدة في اثناء الفعل الجنسي . أي انهُ اذا تغلبت المرأة فالتلقيح انثوي واذا تغلب الرجل فالتلقيح ذكري . وقد اظهروا ما خلا ذلك ان الرجال الاشداء ذوي البنية الدسمة ينسلون بناتٍ اكثر من البنين. وان الرجال ذوي التركيب اليابس العصبي ينسلون بنين اكثر من البنات . ولعلَّ هؤلاء تغلب فيهم الذكورية عن الاولين

امَّا هذه الملحوظات فتكاد تكون بالذات بالنظر الى المرأة ذلك لان النساء الجافّات ذوات الشكل التذكيري يخلفن على العموم بنين اكثر من البنات. وان النساء ذوات الشكل المستدير والحوض المتسع

يخلفن بنات ٍ اكثر من البنين . وذلك لان انثوية الاوليات هي ادنى من ذكورية ازواجهنَّ ، لذلك يتغلب هؤلآء عليهنَّ ويهبون جنسهم الى نسلهم . مع ان انثوية الاخيرات اكثر نمواً من ذكورية ازواجهنَّ لهذا تتغلب عليهم ويتخلق بها جنس المولود

امَّا بالنظر الى هذه النظرية فهي مرضيةٌ بحد ذاتها وان تكن سطحية لم تبين السبب وتعيَّن العمل . ذلك لان التغلب أو التفوق أو التسلط كلمات مبهمة لا تشرح لنا السبب ، ولا تبين الكيفية التي بها تستطيع البويضة والمنيّ اللذين لا جنس لهما ان يهبا جنساً للجنين المولود منهما . فهذه هي المشكلة التي لا بدَّ لحلها من التمهيد الآتي

اصبحت في يومنا الحاضر تجارب بعض العلمآء ثابتةً لا تقبل النقض والرد . فقد بين العالم المشهور ليابيغ ان النبات المحروم من الازوت لا ينبت غير الاوراق فقط ، ويستمرّ عقيماً بدون غلةٍ ولا ثمر . وان الازوت هو الذي يقوم فيهِ مقام السائل المنويّ — وكذلك الحيوانات البيوضة اذا لم يلقّح ذكرها الانثى باضت هذه بيوضاً عقيمة لا تنقف بل تتلف في مدةٍ من الزمن — وقد اظهر دومنيل ان صفة الغذآء هي التي تنمي في النحل الاعضآء التناسلية . وانهُ في الامكان تحويل نقف النحل الى اناثٍ او خناثٍ حسب الارادة — وقد اختبر سبالنزاني مسألة الجنس فتبين لهُ انهُ يتوقف أمرها على كيفية التلقيح . سيما وانهُ بالنظر الى صفة ومقدار الزرع المنويّ الذي كان يحتقن بهِ ارحام الارانب كان يتحصل بحسب

رغبتهِ على ذكور او اناث — . وارتأى اكرمان ان البويضة ليس لها جنسٌ على الاطلاق — ومن رأي كنوكس ان التصوير الجنيني يحوي في ذاتهِ اصول كلا الجنسين وتميز الجنسية بتغلب احد الجنسين على الآخر . الاَّ انهُ لم يذكر لنا شيئاً عن سبب هذا التغلّب — ويزعم جوفروى سان هيلر بان الجنسية تتعلق بالميل الذي يأتيهِ فرعا الحبل المنوي — وقد توصّل الدكتور دوبي من جميع هذه الآراء والتجارب اخصهُ فيما ذكرهُ سبالنزاني وليابيغ الى نظريتهِ الآتية

القسم الاول

﴿ في الاسباب التي يتخلق بها جنس المولود ﴾

ليست هذه النظرية نتيجة مباحث تشريحية فيسيولوجية بل هي نتيجة تجارب عملية تكررت مدة زمنٍ طويل وصادفت بوجه التقريب نجاحاً . ينظر المرء الى الطبيعة التي تشده العقول وتحيّر الافكار بدقة مصنوعاتها وغريب خلقاتها . فيجدها لا تأتي عملاً من اعمالها من قبيل الاتفاق والصدفة . وان ما نعزو حدوثهُ الى الصدفة ما ذلك الاَّ لداعي جهلنا الاسباب التي احدثته . ومتى توصَّل الانسان بواسطة الاختبار والممارسة والصبر الى مفاجئة الطبيعة في عملٍ من

اعمالها . فاذ ذاك يقف دهشاً مبهوتاً تجاه الوسائل البسيطة التي تتخذها في اعمالها وعنها تنتج تلك النتائج العظيمة المدهشة

لا بدَّ لكل مسببٍ من سبب . ولا يستطيع احدٌ ان ينكر ذلك . ولمَّا كان جنس التصوير الجنيني هو مسبب . اذاً لا بدَّ لهُ من سبب . وان خفي هذا حتى يومنا الحاضر عن مباحث الفيسيولوجيين الذين ذهبوا في البحث عنهُ مذاهب شتّى اقل او اكثر بعداً عن محجة الصواب

امّا نظرية الدكتور دوبي الجديدة فيما يختص بالتحكم بجنس المولود ، أي الاذكار والايناث حسب الارادة فهي مبنيّة على المبادي الآتية :

اولاً : ان مبيضيّ المرأة يحويان بويضاتٍ متشابهة تمام المشابهة

ثانياً : ان خصيتي الرجل تفرزان سائلاً متشابه الصفاة تماماً

ثالثاً : ان البويضات التي يحويها المبيضان هي عديمة الجنس وهي مكوّنةٌ من مادةٍ مركبةٍ عديمة الحركة على حدتها . لكنها صالحة لقبول جرثومةٍ حيّة وانتاج مخلوقٍ جديد

رابعاً : ان الجراثيم المنوية التي يحويها المنيّ هي ايضاً عديمة الجنس

خامساً : تتلقح البويضة باتصالها بالجرثومة المنوية و بدون هذا الاتصال تنحل البويضة الى اجزآء وتخرج مع دم الحيض خارجاً

سادساً : يتخلق الجنس في مدة التلقيح ذاتها و يتوقف حدوثهُ خصوصاً على صفات البويضة والمنيّ . ويعبر عن الصفات بمقادير

الازوت المتباينة المقيمة في المواد التي تتكوّن منها البويضات والمنيّ فاذا كان مقدار الازوت الذي هو في البويضة وافراً فيكون النتاج ذكراً — واذا كان قليلاً ومنحطاً فيأتي النتاج انثى

سابعاً : يمثل الازوت العنصر الذكري وتمثل المادة الكربونية الرطبة العنصر الانثوي

ففي الامزجة الدموية والعصبية والصفراوية وما اشتق منها تكون مادة الازوت هي المتغلبة فيها — وفي الامزجة الليمفاوية والتراكيب المترهلة تكون المادة الكربونية الرطبة هي المتفوقة — وذلك ما دعى الاقدمين الى ان يخصوا الرجل بالمزاج اليابس والمرأة بالمزاج الرطب وهم يطلقون هذا اطلاقاً عامّاً ولعلهم كانوا محقين

ومن المؤكد بعد بيان ما تقدم ان السبب الذي بهِ يتخلق جنس التصوير الجنيني هو بتفوق احد العنصرين السالفين على الآخر

ولا يظننّ المطالع هذه النظرية من قبيل الوهم والخيال بل انها بعكس ذلك مدعومةٌ بحوادث تتحقق في كل يوم . وما عليهِ الاَّ ان يلاحظ الاشخاص المنهوكي القوى لداعي افراطهم بالملاذ التناسلية . والمهاذيل من جرآء العلل وكبر السن . او ذوي الاعضاء الهاضمة الكليلة التي لاتقوم بتأدية وظائفها بتمامها . فهؤلآء ينسلون اناثاً اكثر من الذكور . واذا لاحظت الاشخاص المتزوجين في سن الفتوّة اولئك الذين لم يكتسب المنيّ والبويضات فيهم بعد حالة الازوت اللازمة . فهم يخلفون دائماً بوجه التقريب بنات . وكذلك

الازواج المعمرّون فهم لذات السبب لا ينسلون على العموم سوى بنات . ومن ثمَّ اذا لاحظت الاشخاص الذين هم على عكس ماتقدم تجد نسلهم بوجه التقريب ذكوراً — وهكذا تأتي النتيجة عينها في الحيوانات . لانك اذا اضعفت اعضاءها بغذاء غير كافٍ او رديء الصنف فهي تخلف اناثاً . واذا عشّرت ذكراً كبير السن بانثى فتيّة جدًّا فيكون حملها انثى . ومما يغلب على الظن بان السائل الذكري والبويضة فيهما لا يحويان مقدار الازوت الضروري للتلقيح المنوي

وعليهِ اذا اردت ان تقف على حقيقة هذه الشواهد فافحص كيماوياً منيّ وبويضات الفريقين وانت تجد الفروق الهامّة في مقدار الازوت الذي يحويانه . بحيث يُستنتج من ذلك ان التلقيح الذكري هو حاصلٌ من منيّ وبويضاتٍ اكثر ازوتاً . والتلقيح الانثوي من منيّ وبويضات اقلّ ازوتاً . سيما وان الاشخاص الذين عندهم بعض الالمام في علم الكيمياء يعلمون جيداً بان التركيب الذي يدخلهُ الازوت على مقادير مختلفة تتألف منهُ اجسامٌ ذات خصائص متباينة بالكلية

ورب معترضٍ يردّ على ذلك بقوله . انهُ اذا كان الأمر كذلك فالاشخاص الذين يتناولون غذاءً كثير الازوت لا ينسلون الاَّ ذكوراً . وبعكسهم الذين يتناولون غذاءً قليل الازوت فهم لا يخلفون الاَّ اناثاً . فاعتراضٌ كهذا ما هو الاَّ سطحيٌّ لا يعتد بهِ كما يتبين ذلك مما يلي

اولاً : ان الحياة الحيوانية لا تستقيم بدون الاغذية الازوتية

والكربونية وان الازوت يكوّن قسماً من تركيبنا الطبيعي فيلزمنا اذن ان نبحث عن الازوت والكربون الضروريين لنا اللذين نجدهما في المواد الغذائية . ويسقط الاعتراض من تلقآء ذاته اذا لاحظنا الاسباب والظروف المتعددة التي في امكانها ان تؤثر في وظائف الهضم والتمثيل . والتي تغيّر السائل المنوي ومفرزات المبيض . ويكفي لذلك مثلٌ واحدٌ للبرهان على ما تقدم

اذا نظرنا الى رجلٍ وامرأةٍ جيدي التركيب شديديّ القوى امكنهما اليوم ان يخلّفا ابناً لكنهما لا ينسلان بعد خمسة عشر يوماً الاَّ ابنةً . فما ذلك الاَّ لان منيّ الرجل وبويضات المرأة قد تغيرا في هذه المدة ، امَّا لداعي افراطٍ او انزعاجٍ او خلل طفيفٍ او كبير طرأ على وظائفهما الجسمية — وبعكسهِ ان رجلاً وامرأة ضعيفي التركيب منهوكي القوى امكنهما بواسطة غذآء مقويّ وازوتي تشددت بهِ بنيتهما ان يخلفا ولداً ذكراً فليس ذلك بالأمر الغريب وهذا ما يشاهد مثالهُ في كل يوم

وتوجد خلاف ملحوظاتٍ مؤكدة للغاية تتعلق بالتي تقدمت وليست هي اقلّ منها اهمية . وهي نظير السن والسلوك فانهما يؤثران تأثيراً فعالاً في صفات البويضة والزرع المنويّ حتى يمتد مفعولهما الى جنس النسل . من ذلك ان زواج الرجل من سن الثامنة عشرة الى الرابعة والعشرين ، وزواج المرأة من الخامسة عشرة الى العشرين ينسل بناتاً اكثر من البنين . حتى انهُ بالنظر الى احصآئيات المواليد

التي اجروها في هذه السن فقد قدروا مائة ابنة على ٣٧ ابناً — وتزيد مواليد الذكور على الاناث متى كانت سن الزوجات من الحادية والعشرين الى الثلاثين وسن الازواج من الخامسة والعشرين الى الاربعين — ثمَّ بعد هذا العمر تزداد الاناث لتعود الى عددها الاول — وبناءً على التحريات التي اجراها هوفاكر وسالور في سجلات مدينتيّ طوبنغ ولوندرا . فقد وجدا في عددٍ معيّن ان الزواجات التي فيها تكون المرأة اكبر سناً من الرجل يتفوق فيها عدد مواليد الاناث على عدد الذكور والعكس بالعكس

واظهر جيرون دي بيزارينغ في تأليفهِ العملي فيما يختص بالتناسل في سلسلة شواهد ، ان تخليق الجنس يتعلق ما قلَّ او كثر بمقابلة نشاط الشخصين المتزوجين . وايد العالم كوفيه هذا الرأي بقولهِ انهُ اذا رغب الشخص في الحصول على الاناث فيجب عليهِ ان يزوّج ذكوراً فتياناً باناثٍ في شرخ العمر . وان تغتذي الذكور اوفر من الاناث . واذا رغب في الحصول على الذكور فعليهِ ان يزوّج اناثاً فتياتٍ بذكور في أبان العمر، وان يعطي غذاءً اوفر لهؤلاء من اولئك. بحيث يتحصل مربّو الحيوانات الفرنساويون والانكليز بهذه الطريقة على الجنس الذي يرغبونهُ — وتأتي النتيجة عينها في الجنس البشري اذا سار الزوجان على الترتيب الذي سيجدهُ المطالع فيما بعد

والغريب ان علماء العرب المتقدمين سبقوا واشاروا الى مثل ذلك ولعلهم أخذوهُ عما تقدمهم من علماءِ اليونان . فقد قال القزويني في

عجائب المخلوقات . زعم بعضهم ان السبب للتذكير والتأنيث زيادة حرارةٍ خلقها الله تعالى للمادة التي يخلق منها الذكر ، ونقصانها في المادة التي يخلق منها الانثى وكذلك تبرز اعضاء التناسل من هذا وتخفى من هذه . ومنهم من زعم بان الاغلب على خلقة الذكور وقوعها في جانب الايمن من الرحم ، وفي خلقة الانثى وقوعها في جانب الايسر . وربما يعين على الاناث الفصل الحارّ والبلد الحارّ والريح الجنوب وسن الكهولة . كما ان اضداده تعين على الذكور الى غير ذلك من الاسباب

وقال ابن سينا في قانونهِ ان من جملة اسباب الاذكار هو منيّ الذكر وحرارتهُ وغزارتهُ وموافقة الجماع في وقت طهر الانثى . ومن جملة اسباب الايناث سن الشباب دون الصبا والشيخوخة الى غير ذلك ايضاً

ومما لاحظهُ العلماء العصريون ايضاً الذين اهتموا في مسألة الاذكار والايناث ان الازواج الذين اتلفوا بنيتهم بسلوكهم الردي وافراطهم الزائد . وكذلك الازواج المتقدمون في العمر فانهم ينسلون بناتٍ اكثر من البنين — وان المواليد الذكور هي اقل عدداً في العواصم من الارياف والبلدان الصغيرة . ذلك لان التهتك والافراط على انواعهما هما اكثر انتشاراً عند الاولين ويكاد ان يكون اثرهما طفيفٌ عند الاخرين

امَّا الطبيعة التي ترغب ان توجد الموافقة ، وتعوّض في جهةٍ

ما تفقده الجهة الاخرى . فقد رأت انهُ اذا اعطت بعض الازواج بناتاً اكثر من البنين فان خلافهم يعطي ذكورًا اكثر من الاناث . بحيث انهم لو اجروا احصآءً في جميع جهات المعمور لما وجدوا الاَّ فرقاً طفيفاً للغاية بين عدد المواليد الذكور والمواليد الاناث . ولقد اظهر الاحصآء الذي اجروهُ في اوربا تقدير ماية مولودٍ ذكر على ماية واربع اناث ويقدرون في اسيا كل مائة وست بنات على تسعة وتسعين ابناً ولا شك بان هذا سببهُ الافراط بالجماع الذي يضعف القوى والزواج الباكر وتعداد الزوجات . فيستنتج من كل ماتقدم ان تمييز الجنس وحسن أو قبح تركيب الجنين يتعلق بصفات البويضة والسائل الملقح . وتتعلق هذه الصفات بالغذآء وتركيب بنية الوالدين والوالدات وبالسن وبالسلوك وبالمؤثرات الادبية والمادية الخ .... ومما لا يقبل جدلاً ان الرجل والمرأة ذوي الصحة الجيدة والسلوك المنظم والعقل الحكيم المنزهين عن الآلام المحزنة والمكدرات الشديدة ينسلان اولاداً اجمل تركيباً واصح بنيةً مما ينسلهُ الوالدان اللذان هما على عكس ما ذكر

على انهُ متى توطدت نظرية تخليق الجنس فوقتئذ تحضر من تلقآء ذاتها الوسائل اللازمة للحصول على النتيجة المرغوبة . امَّا ما برهنت لنا عليهِ تجارب ديمريل وليابيغ اللذين كانا يتحصلان بحسب صفات الغذآء على الذكور والاناث . وكذلك ما اظهرتهُ اختبارات سبالنزاني وهي التي تشير الى انهُ بالنظر الى صفات ومقدار المنيّ الملقح

تميز جنس المخلوق لهذا نرى ان الوسائل التي يشير اليها الدكتور دوبي وهي المبنية على الترتيب الغذآئي والسلوك الصحي تتفق مع اختبارات اولئك العلماء ولا تنقضها

القسم الثاني

﴿ نظرة اجمالية فيما تقدم ﴾

لانظن احداً اخصهُ اذا كان عندهُ بعض المعلومات يستطيع ان ينكر صفات الاغذية وما لها من التأثير على العصارات المغذية المفاضة في الدم . بحيث ان بعض الاغذية مثلاً هي اصلح لتكوين العظم وخلافها افيد لنمو العضلات والدهن وباقي انسجة الجسم . ثمَّ انهُ لا احد ينكر الاختلاف الكائن بين النسيج العضلي والليفي والعظمي ... بالنظر الى تركيبها الكيماوي . فاذا كان نوعاً من الغذآء في استطاعتهِ ان يولّد دماً اغنى بالكريات أو جهازاً عضلياً أو دهنياً اوفر نموًّا فهل يستطيع بعد ذلك احدٌ ان ينكر ما لبعض اصناف الغذآء من التأثير على صفات البويضة وصفات الجراثيم المنوية

وبعد سلسلة اختباراتٍ لاشك بانها غير كاملة قد ترجح لدينا انهُ كلما كان الغذآء ازوتياً كلما زاد التلقيح الذكري . وبعكسهِ كلما كان الغذآء كربونياً رطباً كلما قل التلقيح الذكري وزاد التلقيح الانثوي

فيستنتج من هذه التجارب والملحوظات ان خلقة الذكر او الانثى تتعلق بوفرة او قلة الازوت الموجود في المادة التي تتركب منها الجراثيم المنوية والبويضات

غير ان نظريةً كهذه لا تفيد مطلقاً ان الغذاء الازوتي لا بدَّ من ان يولّد الذكور . والغذاء الكربوني الرطب لا بدَّ من ان يولّد الاناث . ذلك لان الآلة البشرية ليست هي آلة كيماوية صرفة تعمل اعمالها بكيفيةٍ لا تقبل التغيير . بل يجب ان يتلاحظ ايضاً انهُ قبل ان تبلغ العصارات المغذية المكونة من المواد الازوتية الى الخصية او الى المبيض تصادفها سلسلة تحليلاتٍ وتغييرات لم تزل غير معلومةٍ حتى الآن . فعلى هذه الكيفية ان ذات الغذاء اذا تناولهُ عشرة اشخاص مختلفين في وقتٍ واحد فانهُ يلاقي تكييفاتٍ عضوية كيماوية مختلفة تتعلق بالسن والمزاج والقوى الهاضمة وعمل الاعضاء التي تجهز الكيلوس والافرازات وهلمَّ جرًّا .... حتى انهُ اذا حللنا اخيرًا مادتي المنيّ والبويضة الناضجين في هؤلاء العشرة الاشخاص لا يمكن ان تأتي النتيجة واحدة فيهم

غير ان هذا التباين لا ينقض النظرية المتقدمة بل انهُ بعكس ذلك يؤيدها . وعليهِ اذا راعى الزوجان الشروط التي سبقت الاشارة اليها بدقةٍ فيغلب على الظن انهما ينالان النتيجة التي ينتظرانها . وسيجد المطالع بياناً وجيزاً عن مراتب الاغذية فيما يلي

القسم الثالث

﴿ في مراتب الاغذية ﴾

تقسم الاغذية الى ثلاث مراتب

اولاً : الاغذية الازوتيـة التمثيلية وهي المركبة من الهيدروجين والاوكسيجين وقليل من الكربون وكثير من الازوت

وعليهِ فاللحوم الحمرآء والسودآء هي الاوفر ازوتاً من جميع المواد الحيوانية . ويليها الدم والغضاريف والهلام (الجلاتين) والقطاني نظير الحمص واللوبيا والعدس . . . . وتتألف الاغذية المهيجة والمقوية من اللحوم المشوية

ثانياً : الاغذية الكربونية الرطبة او التنفسية وهي المكونة من المآء والكربون تقوم باتحادها مع المواد الدسمة بصفة وقودٍ للجسم لحفظ حياته . وانهُ فضلاً عن المقادير الوافرة التي يبتلعها الجسم في كل يومٍ مع ذلك انك لا تجد لدى الفحص الكيماوي في اعضآئنا غير اثرٍ طفيف منها . وتختص بهذه المرتبة الصموغ ودقيق الذرة والبطاطس وخلافها . وكذلك النشائيات والبقول والخضر . . . . وتختص جميع الاغذية النباتية على العموم بهذه المرتبة

ثالثاً : الاغذية الدسمة وهي المكونة من موادٍ حاوية كربوناً كثيرًا وهيدروجيناً واوكسيجيناً قليلين ، والتي ليس للازوت اثرٌ فيها

وتدخل في هذه المرتبة الشحوم والدهون والزيوت والزبدة ..... وهي من الاغذية التنفسية التي تنتشر في جميع اعضآئنا وباحتراق كربونها بدون انقطاع تتوزع على الجسم الحرارة والحياة

القسم الرابع

في الاغذية الصالحة للاذكار والايناث

في الاذكار — اذا اتفق وكان نسل الزوجين اناثاً ورغبا في الحصول على مولودٍ ذكر وجب عليهما ان يلازما الغذآء الآتي

في غذآء الزوجة — على الزوجة ان تغتذي في مدة عشرين او خمسة وعشرين يوماً بالمأكولات المغذية والازوتية وهي نظير البفتيك والروزبيف والكستوليتا وفخذ الخروف ولحوم الصيد الحمرآء وبورة البقول اليابسة مع عصارات اللحوم ..... وكلما احتوت هذه اللحوم على المادة المغذية بالاكثر كلما زادت تقوية الجسم بها . ومن ثمَّ يجب على المرأة ان تخصص قسماً من يومها للرياضة البدنية وهي المفيدة لتنشيط الوظائف الغذآئية نظير السباحة والاستحمام في البحر او النهر في زمن الصيف ، والرياضة في الخلآء ، والرحلات المبسطة ، والملاهي الملذة . وكذلك نشاط بدني وافر، ونومٌ قليل كافٍ للجسم ليعوض بهِ عما فقدهُ في اثنآء اليقظة . فكل هذه الوسائل المفيدة لا يجب اهمالها

في غذآء الزوج — على الزوج ان يغتذي بعكس ما تقدم وذلك ان يقتصر على تناول الاحسية (الشوربات) على انواعها واللحوم البيضآء كلحم الحملان والفراريج . . . . والاغذية النشائية واللعابية وهي نظير الشعيرية والسميذ والتابيوكا والمعكروني والجزر والبطاطس والخس والبازيلة والسبانخ وجميع انواع البقول الخضرآء. وان يستعمل المشروبات المائية والمرطبة وهي نظير عصير البردقال والليمون وماء العنب والشعير والمستحلبات . . . . . ويستعمل الحموم الكامل بالمآء الحارّ اكثر من الفاتر ، ويلازم على قدر امكانهِ الراحة

وبعد مضي عشرين او خمسة وعشرين يوماً على هذا الترتيب الغذآئي يختار الزوجان لقيامهما بالفرض الزوجي عشية اليوم او ذات اليوم الذي يظهر فيهِ الحيض لانهُ في هذه الاثنآء يترجح حصول التلقيح

ثمَّ على المرأة ان تبذل عند تأدية هذا الفرض جميع قواها الجسمية والعقلية وسائر عواطفها واميالها التناسلية وتوقفها على جنس المولود الذي ترغب في تخليفه . وكذلك يجب على الرجل ان يشاركها في هذه الاميال ويوجه فكرهُ الى خصائص الجنس الذكري . ومما قالهُ ابن سينا في ذلك . يجب على الرجل ان يكون في اسرّ حال واطيب نفس ويفكر في الاذكار ويحذر ذهنهُ للذكران الاقويآء ذوي البطش ويقابل عينيهِ بصورة رجلٍ منهم ويطأ ويفرغ . فيستنتج من هذا انهُ يوجد فنٌّ للاذكار كما قال فينيت ذلك انهُ اذا تزوج الرجل والمرأة عند ما يكونان قد بلغا تمام نموّهما وراعيا الترتيب الغذآئي الذي سبقت

الاشارة اليهِ ولم يباشرا القران الجنسي الاَّ قليلاً وتركا وقتاً مناسباً لنضج المنيّ فمن المؤكد انهما يخلفان ذكراً عوضاً من انثى

في الايناث — اذا تغلبت المواليد الذكور على نسل الزوجين ورغبا في تخليف الاناث فعليهما ان يتبعا التدابير الآتية

غذاء المرأة — على المرأة ان تغتذي بنوع خاص بالمأكولات النشائية والهلامية والبقولية والاحسية الخفيفة والمعكروني والشعيرية والسميذ — والبيض الطري واللحوم البيضاء القليلة التوابل — والحلويات نظير الارز باللبن والكريما والمهلبية والجبن الحلو . . . . والسبانخ والشكوريا والخس واليقطين (القرع) والبقول الخضراء على أنواعها والمربايات والاثمار المسكرة . . . . والمرطبات المائيـة المدرة البول والليمونادة ومستحلب اللوز والماء القراح او المحلى — وكذلك ان تستعمل الحمامات الفاترة الطويلة المدة وان تتجنب التعب وتخلد الى الراحة وتتخذ الملاهي اللطيفة وان تكون هادئة البال وتجتهد في تسكين هياجها العصبي وحدة مزاجها

في غذاء الزوج — لا يختلف كثيراً غذاء الرجل عن غذاء المرأة فعليهِ ان يتجنب المأكولات المهيجة والمشروبات الكحولية ويتخذ الاطعمة المرطبة ويستعمل بين وقتٍ وآخر الحمامات الفاترة ويتعاطى مشروباً مسهلاً ويلازم عيشاً منظماً ويكون هادئ البال .

وبعد عشرين او خمسة وعشرين يوماً يختار الزوجان عشية او يوم ظهور الحيض للقيام بالفرض التناسلي ، وفي اثنائهِ يجب على الاثنين

ان يوجها فكرهما وتصورهما نحو الجنس الذي يرغبان في تخليفه

فهذه هي الوسائل الصحية والفيسيولوجية التي يزفها الينا فن الاذكار والايناث وقد لاقت نجاحاً باهراً في غالب الحوادث التي ساروا بموجبها بالدقة والضبط . واذا لم تحصل النتيجة المرغوبة في بعض الاحيان ففي الغالب انهُ لم يراعِ الزوجان التدابير والقوانين المقتضية لها

هذا وقد ضربنا صفحاً عن النظريات المتعددة التي قيلت في سبيل الاذكار والايناث حتى اننا في كل يوم نسمع بنظريةٍ جديدة تقرب شبهاً باحدى النظريات او تنقضها وآخر نظريةٍ اطلعنا عليها هي نظرية رملي دوسون التي افرد لها كتاباً دعاهُ بتعليل الجنس عربهُ الدكتور محمد عبد الحميد وخلاصتها انهُ لا تأثير للذكر على توليد الذكور او الاناث وانما يتوقف الأمر على جنس البويضة الملقحة . وذلك ان مبيض المرأة اليمين يحتوي على البويضات الذكرية ومبيضها اليسار على البويضات الانثوية فهي من هذا القبيل من جملة النظريات التي ارتآها فريقٌ من الاطباء الاقدمين وبعض المتأخرين ، وهي التي تؤيد جنسية البويضة . امَّا وجه الاختلاف فيها فهو ان المبيضين يتناوبان دواليك في كل شهرٍ في تكوين البويضات أي ان شهراً تتولد بويضةٌ أو اكثر من المبيض الايمن وشهراً من الايسر. فاذا تصادف وكانت البويضة المتلقحة صادرةً عن المبيض الايمن جاء المولود ذكراً وبالعكس

وعليهِ فقد اشار رملي دوسون على من يرغب في الحصول على

احد الجنسين ان يعرف الشهر الذي نضجت فيهِ بويضة المولود السابق، وبعدهُ يحسب الاشهر بالمناوبة شهراً فشهراً ويمتنع عن المباشرة في الاشهر التي تنضج فيها بويضات الجنس الذي لارغبة لهُ فيه. فاذا سار الشخص على هذه الكيفية بكل ضبطٍ وانتباه استطاع ان يخلف الجنس المرغوب

وقد ردَّ صاحب هذه النظرية على جميع الاعتراضات التي تنقض نظريتهُ ولاتتفق معها بتعليلاتٍ مبنية على التقدير والافتراض نظير التي يتذرع بها جميع اصحاب نظريات الاذكار والايناث

ولما كانت نظرية الاستاذ دوبي لا تحول دون نظرية رملي دوسون فنرى انهُ لا مانع من اتباع كلتا النظريتين معاً في تخليف النسل المرغوب الى ان تتحقق الامنية بواحدةٍ تأتي ناقضةً كل ما تقدمها من النظريات وحينئذٍ يحدث في هذا العالم انقلابٌ هائل لم يحلم بهِ الانسان

الفصل الرابع عشر

في الكالّيبيديا

﴿ او فن تخليف النسل الجميل ﴾

كانوا في اعصر الشجاعة والبسالة يؤلّهون القوة والجمال الطبيعيين حتى انهم لم يهملوا وسيلةً من وسائل العلم الاّ واستعملوها للحصول على هاتين الصفتين اللتين كانوا يعدونهما في مقدمة صفات الجنس البشري

ويذكر لنا المؤرخون الاقدمون ان فن الكالّيبيديا لم يكن الاطبآء يعلمونهُ فقط بل كان للنسآء أيضاً المامٌ بقواعدهِ واهتمامٌ بشأنه. وقد اكتشف قدمآء اليونان المشهورون والمتصفون بالنباهة والذكآء بواسطة بحثهم وثباتهم السرّ الذي تتخذهُ الطبيعة في تكوين الهيكل البشري ليأتي مشاكلاً الكيبياد ولاآيس (١)

ثمَّ فقد فن الكالّيبيديا من الوجود وفقد نظيرهُ فنّا النقش والتصوير وذلك عندما ارتجت تماثيل الوثنية وتزعزعت قواعدها وسقطت في التالي لتفسح مكاناً لنظامٍ جديد جآء ناسخها وقائماً مقامها . غير انه

---

(١) من الاشخاص الذين اشتهروا بجمالهم الطبيعي عند قدمآء اليونان

مع الاسف قبل ان تأتي المدنية الجديدة وتحل محل القديمة مرَّت جملة قرون مظلمة كانت فيها الخرافات والجهل والتعصب الديني والبربرية هي السائدة على الامم والمتحكمة فيهم . وكم من جرآئها سالت دماءٌ وبادت مؤلفاتٌ واحترقت مكاتبٌ من جملتها مكتبة الاسكندرية العامرة التي كانت اثمن مستودعٍ للمعارف البشرية في تلك الاعصر

ولقد تنبه الانسان بعد ذلك من غفلتهِ وشرع ان يستعيض ما افقدهُ اياهُ الجهل المطبق والتعصب الاعمى . فكان لعقلهِ وميض برقٍ يضيءُ بين حين وآخر في دياجي تلك الاعصر المظلمة فيخفف ظلامها ومع ان خطاهُ كانت قصيرةً وسيرهُ بطيئاً فقد كان ديجور الجهل يتبدد من امامهِ شيئاً فشيئاً وتظهر لهُ سبل الهدى . بحيث انهُ في كل مدةٍ كان يقوم رجلٌ عظيم الشأن ممزقاً بمداركهِ واقتدارهِ جانباً من ذلك الغطآء لذي يحجب عن البشر اشعة الضيآء

امَّا العلمآء الذين قد امتازوا في القرن السادس عشر والسابع عشر بمباحثهم الفنّية واختباراتهم العلمية ، فيمكننا ان نعد منهم جملة فلاسفةٍ وطبيعيين واطبآء اوقفوا انفسهم على خدمة العلم واهتمّ بعضهم بفن الكالّيبيديا أي اهتمام . فقد درس فرنيل طبيب الملك هانري الثاني الوسائل اللازمة للحصول على التلقيح — وكتب جان هوارت عما يلزم لنسل بنين اذكيآء — وألّف كلود كيلّه في فن تخليف النسل الجميل . غير ان هذه الكتابات التي شغل التنجيم فيها دوراً هاماً يجب

ان نعتبرهـا نظير رسم تحضيري لفنٍ في بدء عهدهِ واول نشأته .
ونحو اواخر القرن السابع عشر وضع بروكوب كوتو طيبٌ مشهور
مؤلفاً في فن الاذكار . وألف في القرن الثامن عشر اندري ميلّو
مؤلفاً من نوع مؤلف بروكوب عنوانهُ فن توليد الجنس حسب الرغبة
وقد تهافت الناس على مطالعتهِ لكنهم ما ابطأوا حتى لاحظوا الاغلاط
الفاحشة التي كان مشحوناً بها — واخذ روبر عالمٌ عامل عن مؤلفات
من تقدمهُ وزاد عليها بنشرهِ مؤلفٍ في فن نسل الرجال العظام ،
وفيهِ يجد المطالع اراَء صائبة فيما يختص بالمنهج الذي يجب ان يسلكهُ
الزوجان قبل قيامهما بالفعل الجنسي و بسلوك الزوجة في مدة حملها .
غير ان الظلام الحالك الذي كان مغشياً عمل التلقيح لم يسمح لهذا
الطبيب ان يتقدم بمباحثهِ اكثر مما ارتآهُ واتى على ذكره . وفي اوايل
القرن الماضي اشتغل العالم فيرغ بقريحتهِ الوقّادة في هذه المسألة وهي
تخليف الرجال العظام لكنهُ مع ذلك لم يتوصل الى حلها حلاًّ وافٍ
بالمرام . امَّا كبار الفيسيولوجيين في عصرنا هذا الذين لفرط بحثهم
وتحريهم قد القوا نوراً ساطعاً على تركيب الاعضاَء وعمل وظائف
الجسم البشري ، فانهم لم يهتموا الاَّ قليلاً في فن الكالّيبيديا . مع ان
المباحث الدقيقة التي اجراها كثيرٌ من الاطباَء العلماَء فيما يختص
بالوراثة المرضية والسُلالات المختلفة التي تتسلسل من الآباء الى الابناَء
قربتهم من النقطة التي كانوا يبغون الوصول اليها . وبالتالي ان ما
اجراهُ العلماَء الطبيعيون العصريون من الاختبارات والاكتشافات

فيما يتعلق بحياة البويضة والجنين والتي وان لم يستطيعوا ان يزيلوا بها بالكلية الغطآء الصفيق الذي يحجب عنا عمل التكوين العجيب . مع ذلك قد استظهروا على عددٍ عظيم من المسائل التي هي اكبر دليل على ارتقآء العلم وتقدمه . وانا لموردون خلاصة مباحثهم وما توصلوا اليهِ في فن الكالّيبيديا

لكنا نلاحظ قبل ذلك بقولنا وهو ان تخليف النسل الجميل مادياً كان او عقلياً يتطلب جملة شروطٍ وظروف نذكر هنا الرئيسية منها . وهي السن ، والمزاج ، وبنية الوالدين الجيدة ، وحالتهما الصحية ، وما فيهما من الاستعدادات عند تأديتهما الفعل الجنسي . ومن ثم مركز الزوجين الاجتماعي ، وكيفية عيشهما وسلوكهما وغذآئهما ، والمنزل الذي يسكنانهُ ، والفصل الذي هما فيه . وايضاً اختلاط الامزجة في الزواج ، وزواج الشخصين من البلدين المختلفين والاقليمين المتباينين وهلمَّ جرًّا ....

القسم الاول

﴿ في شروط الكالّيبيديا الاولى ﴾

علمنا مما تقدم ان الزواج المعقود للمتقدمين في السن يأتي نتاجه غير كامل . وعلمنا ايضاً بان الوراثة او ناموس انتقال الصفات الحسنة

أو القبيحة تتسلسل مع النسل على جملة اعقابٍ متوالية . أي ان الوالدين المتمتعين ببنيةٍ حسنة وصحة جيدة ينقلان هذه الصفات الى بنيهم الاَّ ما شذَّ عن ذلك وندر . وكذلك تؤثر في النسل مباشرةً مفاعيل مركز الزوجين الاجتماعي ومهنتهما ونوع عيشهما وسلوكهما . سيما وان الازواج الميسورين اولئك الذين قد توفرت لديهم مطالب الحياة وشروط الصحة فهؤلآء لا بدَّ من ان يأتي نسلهم شديد البنية صحيح القوى . واذا اتى بخلاف ذلك فلا يجوز لنا ان نعزو السبب الاَّ الى افراط الزوجين وسلوكهما الغير قانوني قبل حصول التلقيح . امَّا الازواج المعوزين الذين يقضون حياتهم بين الفاقة والتقتير ، ويقيمون في منازل غير صحية ، وينهكون قواهم بالاعمال المرهقة التي تفوق طاقتهم ، والذين يعوزهم الغذآء الكافي ليعوّضوا بهِ عما فقد من قواهم . فزواجٌ كهذا وامثالهُ لا ينسل سوى مخلوقاتٍ هزيلة واحياناً مشوّهة الخلقة ، يُشاهد غالبها في الحواضر وامهات المدن التي فيها تتوفر اسباب التعاسة والشقآء وعنها تتولد العاهات والادوآء

امَّا اختلاط الاجناس في الزواج وقران الاشخاص من اممٍ مختلفة واختلاط الامزجة والتراكيب فهي من شروط فنّ الكاليّبيديا الرئيسية . ذلك لان قران تركيبين ومزاجين متشابهين تمام المشابهة لا يعطي ثمراً هكذا جيداً نظير زواج المزاجين والتركيبين المختلفين ذلك لان الزوجين الليمفاويين يخلفان مخلوقاً بذات المزاج . مع انهُ لو اقترنت المرأة الليمفاوية برجلٍ صفراوي دموي فانها تلد نسلاً

جيد التركيب حسن البنية — ومما تلاحظ على جملة قرون متوالية واصبح حقيقةً ثابتة لا شبهة فيها . انهُ في البلدان والمدن التي تتوفر فيها الغربآء يأتي النسل فيها اجمل صورةً واصح جسماً من الجهات التي يعيش فيها اهلها ويموتون ولا يتحرك واحدهم قيد شبر عن وطنه ومسقط رأسه . فهؤلآء يستمرون على حالهم ولا يتغير شكلهم . الاَّ انهُ لا يجب الاغراب في الزواج أي ان لا يكون بين الزوجين تباينٌ كبير كاقتران الزنجي بالقوقاسى والياباني بالاوربي فقد قيل ان النسل يضعف ويقل

اظهر التحري والاختبار انهُ باختلاط الاسبان بالانكليز والفرنساويين بالشرقيين والالمان بالايطاليان والروس بالقوقاس بالزواج نتج عن ذلك نسلٌ قويٌّ ونبيه . وكبرهان على هذا امة الترك والعجم ، لانهُ لمَّـا كانت المملكة العثمانية مكونةً من اممٍ مختلفة وسوق الرقيق رائجةٌ فيها وترد عليهـا بدون انقطاع امآء يونانيات وكرجيات وجركسيات فقد نتج عن اختلاطها هذا بالزواج انها اصبحت من الامم المشهورة بتركيبها وجمالها . وكذلك الفرس الذين كانوا فيما مضى قبيحي المنظر على شاكلة التتر الذين هم اصلٌ لهم فقد تحسنت بنيتهم الطبيعية بواسطة زواجهم بالكرجيات والجركسيات واذا اردت مستنداً آخر على ذلك فانظر الى الرومانيين القدمآء الذين اشتهروا بقوتهم وشجاعتهم وهم الذين اغاروا على العالم القديم واختلطوا بجميع الشعوب التي تغلبوا عليها، ولم يتسن لهم ذلك الا

باختلاط اجناسهم بالزواج وبالرياضة البدنية التي كانوا يمارسونها حتى بلغوا تلك المنزلة الفايقة بتركيبهم الطبيعي . وكأنهم علموا بفوائد اختلاط الاجناس لذلك نراهم قد نشروا شريعة مدنيتهم في جميع البلاد التي افتتحوها ليسهلوا زواج المغلوبين بالغالبين

ولماذا نذهب بعيداً وامامنا الشعب المصري الذي يرجع في تسلسلهِ الى اصل واحد مع ان بين ملامح المسلمين وملامح الاقباط واخصهُ سكان المدن منهما فرقاً ظاهراً . وذلك ان الاولين قد اختلطوا بزواجهم بالتركية والشامية والكرجية .... فتحسن تركيبهم الطبيعي واقتصر الآخرون في زواجهم على بنات جلدتهم ولم يغتربوا فاستمرّوا على شكلهم الاصلي ولم تتحسن ملامحهم

ولولا خوفنا من اطالة الشرح وملل المطالع لكنا اتينا على تواريخ اكثر الشعوب وبينا بها ان الذين اختلطوا في زواجهم بشعوب غرباء عنهم ومن غير وطنهم تحسن تركيبهم الطبيعي والعقلي . وان الشعوب الذين امتنعوا عن زواجهم بالاجانب استمروا صعاليك قاتمي اللون وافضى الأمر بهم الى تسفل خلقهم واضمحلالهم . ويمكننا ان نتخذ لذلك شاهداً قوم الغابر القدماء والقبائل الاميركية المتوحشة وامثالهما

ولا يُستنتج من هذا انهُ من الضروري ان يذهب الاسيوي ويختار لهُ زوجةً من اوربا ولا ان يقصد الغربي الشرق ليتزوج فيه بل نرى انهُ افيد للنسل اذا اقترن ساكن المدن بريفيةٍ او من بلد خلاف بلده . ذلك لان الاشخاص الذين يرغبون في الحصول على

نسلٍ جميل التركيب يترتب عليهم ان يقترنوا بنسآء مدينةٍ تبعد عن مدينتهم . واذا تزوجوا بنسآء بلدتهم ذاتها ، فالاولى بهم ان يختاروا الزوجة المولودة من جنسٍ مختلط . وعلى هذا الاسلوب يرتقي الانسان ويتحسن شكلهُ الطبيعي كما ترتقي الحيوانات الاهلية وتتحسن اشكالها بتزويجها بالاصناف المختلطة

على انهُ اذا رغب الانسان في تحسين ذريتهِ وكانت رغبتهُ فعلية وليست من قبيل الاوهام التي يحلم بها . فما عليهِ الاَّ ان يعتبر فعل التناسل عملاً خطيراً للغاية وليس هو لمحض اللذة والشهوة الجنسية . وعلى الوالدين ان يعتبروا ذواتهم متضامنين مع نسلهم وان لا يستسلموا الى الفحش والافراط الجنسي الذي يفسد قوى الحياة ويضعف تركيب البنية . لان البنين الذين ينسلهم الوالدون في حالة الضعف والانحطاط لا بدَّ من ان يأتوا ضعفاء جسماً وعقلاً . امّا الرجال الضعفآء الجسم الذين شذّوا عن ذلك وكانوا من العقلآء الاذكيآء فهؤلآء لا ينقضون ابداً القاعدة العمومية وهي ان العقل السليم في الجسم السليم Mens sana in corpore sano بحيث ان الآلام والشوائب الخلقية هي دائماً حاجزٌ يحول دون نموّ الخصائص العقلية . فاذا اهتم الشارعون في أمر تحسين الجنس البشري وسنّوا القوانين اللازمة لارتقائهِ الطبيعي فلا شك بان ذلك يكون باعثاً على ارتقائهِ الادبي لا محالة

يأتي الحيوان الاعجم الفعل الجنسي في اوقاتٍ مخصصة او في

بعض فصول السنة ، فاذا انقضى ذلك الزمن ترقد فيهِ الغريزة الجنسية لتستيقظ من جديد بعد مدةٍ اقرب او ابعد . امّا في الانسان فليس الأمر كذلك بل ان غريزة التناسل موجودةٌ دائماً فيهِ ، ويكفيهِ ان ينظر الى امرأةٍ ليميل اليها وتتنبه فيهِ شهواتهُ الجنسية . غير انهُ وان تميز عن الحيوان باستسلامهِ الى الحب الجنسي في جميع فصول السنة . مع ذلك توجد اوقاتٌ افيد لقضاء الفرض الزوجي من سواها . ذلك لان حرّ الصيف اللافح و برد الشتاء القارس هما من الاوقات المضرة بالزواج . وان المواليد التي تحمل بهم الامهات في هذه الاحايين الغير الملائمة للزواج يقل حسنهم عن المواليد التي تحمل بهم امهاتهم في فصل الربيع او نحو ابتداء الخريف او في الايام المعتدلة الطقس

وقد اختلف العلماء في أمر الحمل في الفصل الربيعي فمنهم من يزعم بان اكثر المواليد التي تحمل بهم امهاتهم في هذا الفصل يأتي غالبهم مجانين او بلهاء . ذلك لان الوالدين يقضون الفعل الجنسي في هذا الفصل بحدةٍ زائدة وجهدٍ متوالي . حتى ان الرومان كانوا يحرّمون عقد الزواج في شهر مايو (ايار) لاعتقادهم بان الزواج في هذا الشهر يكون تعيساً ويتخلق حملهُ بالحدّة والشراسة والطياشة . مع انهُ من المشاهد ان الرجال الاكثر حكمةً والاوفر عقلاً حُمل بهم في هذا الفصل . فيستدل بذلك على ان والديهم لم يندفعوا الى الفعل الجنسي بحدةٍ ولم يستسلموا اليهِ بتواترٍ لدى تخليفهم

ويرتأي البعض ايضاً ان الانسان لمَّا كان في الحالة الوحشية كانت ترقد فيهِ الغريزة الجنسية في باقي فصول السنة وتتنبه فيهِ في الفصل الربيعي ، وهي المدة التي تزهو في اثنآئها الطبيعة وتبلغ اسمى بهآئها وورنقها . ولمَّا كنت متجولاً من مدة خمس عشرة سنة في بادية العراق وشواطئ الفرات في الفصل الربيعي قد استنتجت من احاديث القوم هنالك ان البدوي يقضي الفعل الجنسي في الفصل الربيعي اكثر مما يقضيهِ في جملة باقي فصول السنة . وصفوة القول ان الذي يضر بالحمل هو الحالة التي يكون فيها الوالدان في اثنآء تأدية هذا الفرض اكثر من حالة الطقس الذي هما فيه

يجب على المرء ان لايستسلم الى فعل التناسل عقبى ثورةٍ عصبية احدثها الخوف او الحقد او اليأس . وكذلك يجب عليهِ ان يمتنع عنهُ على أثر اتعابٍ شاقّة وآلامٍ جسمية او عقلية مبرّحة صادفتهُ وحلّت فيه . بحيث يترتب عليهِ ان ينتظر ريثما يهدأ روعهُ ويسكن اضطرابهُ ويعود الى سابق عهده

في شروط الزوجين — علم المطالع مما تقدم بانهُ اذا اقترن شخصان هزيلان لاينتجان الاَّ ثمرًا مشابهاً لهما . وبعكسهِ اذا اقترن شخصان قويا الجسم صحيحا البنيـة يأتي نسلهما صحيحاً قوياً . غير انهُ اذا اتفق احياناً وخلف والدان في ابّان الحياة وجودة البنية اولاداً ضعفآء ومعلولين فيجب ان يُنظر في الحالة التي كانا فيها وقت التلقيح . سيما وانهُ لا يكفي ابداً ان يكون الزوجان متمتعين فيما مضى

بصحةٍ جيدة بل يلزمهما ان يكونا صحيحين في اثناء الجماع . لانهُ اذا اتفق وحصل التلقيح والزوجان منهوكا القوى فاقدا العزم ، فمن الضرورة ان يتأثر الحمل بالضعف والانحطاط اللذين كانا فيهما . ثمَّ انهُ في الامكان ان يستعيض الوالدان ما فقداهُ ويعودان في التالي الى صحتهما ونشاطهما السابقين . غير ان الولد يتخلق بالضعف ويستمر على هزالهِ ويكون والداهُ هما المسببان لهُ ذلك ، وهما اصل كيانهِ ومصدر حياته . ومما يتلاحظ ايضاً ان زوجين يمتلكان كل مظاهر القوة والصحة يخلفان احياناً كثيرة اولاداً نحيفي البنيـة وما ذلك الاَّ لكونهما قد قضوا الفعل الجنسي لمَّا كانت اعصابهما منحطة من جرآء اعمال جسمية او عقلية طويلة المدة ، او لان مخيلتهم كانت متأثرةً جداً من حضور المراقص ودور التمثيل والسهر المستطيل واشباهه

على المرء ان لا يغيب عن ذاكرتهِ هذا المبـدأ وهو ان الزمن الذي يقوم فيهِ المرء بالفعل التناسلي يؤثر تأثيرًا قطعياً في حياة المخلوق العتيد . فعلى الوالدين ان يتيقظوا ويوجهوا منتهى انتباههم الى هذه النقطة الاساسية التي يقرّ بها العقل بالبداهة . وهي ان التلقيح لا بدَّ من ان يتأثر من حالة الزوجين الطبيعية والعقلية التي يكونان فيها في اثنآء الفعل الجنسي . حتى انهُ لم يعد ادنى ريب بانتقال الصفات الحميـدة او الرديئة من الوالدين الى المولودين ، والشواهد الدالة على ذلك لا يحصى عددها . سيما وان التلقيح الذي يحصل في اثنآء ثورة غضب او ألمٍ شديد او حالة سكرٍ وهلم جراً . . . . ينتج دائماً ثماراً دنيئة

ومواليد سافلة ، اذا قُدّر لهم ان يعيشوا كانوا بادوآئهم الجسمية والعقلية من اكبر مصائب والديهم خصوصاً والمجتمع البشري عموماً

واذا رغب الوالدون ان يقفوا على سبب هـذا التباين وعدم الانتظام ، وهو انهم بعد ان خلفوا اولاداً اصحاء عادوا فانسلوا بنين ضعفاء . فليتأكدوا بدون ادنى شكٍ ولا ارتياب بانهم لم يكونوا في حالةٍ صحية جيدة لمَّا حملوا بالمولود الهزيل . ومما هو جديرٌ بالاعتبار ايضاً ان التلقيح الذي يحصل في اوقات الفحش والافراط التناسلي ينتج مخلوقاتٍ هزيلة الجسم ضعيفة العقل . وكذلك التلقيح الحاصل في اثناء السكر يخلف معتوهين او مصروعين . وقد التقى ديوجينوس في احد الايام بشابٍ معتوه فقال لهُ هذا الفيلسوف ايها الشاب ان اباك كان سكران لمَّا حملت امك بك . وتشير الميتولوجيا اليونانية الى دناءة وانحطاط اعضاء البنين الذين حُمل بهم في حالة سرسام السكر. وتلك القصة هي ان المشتري تهيج بابخرة الكوثر (وهو شراب الآلهة) وقد رغب في ان يبرهن عن حبهِ الزوجي الى يونون زوجتهِ (وهي ملكة الآلهة) فحملت منهُ ووضعت مسخاً وقد طردوهُ من الأوليمب

ويجب ان لا تبرح عن مخيلة الزوجين هذه الحقيقة التي لا تقبل النقض ، وهي ان الاولاد الذين يُحمل بهم في حالة انحراف الصحة او المرض او التعب المفرط او الانحطاط العصبي هم في الغالب اثمارٌ تسقط قبل اوانها . او انهم يستنشقون نسمات الحياة لمحةً من الزمن واذا عاشوا قليلاً تكون ايامهم حياة تعاسةٍ وشقاء الى ان يقضوا نحبهم .

ومن نكد الانسانية ان مثل هذه الحوادث تتجدد في كل يوم بين طبقات الهيأة الاجتماعية الساقطة ويقل حدوثها عن ذلك في الأسر المهذبة . غير انهُ اذا كان عدد السقوط والاولاد المهازيل والمشوهين هو اقل مما يجب ان يكون ، فما ذلك الاَّ لان الطبيعة ترفض غالباً التلقيح في حالة انحطاط الجسم والافراط والفجور . ويقول المثل لانكليزي ان العشب لاينموحيثما يكثر دوس الاقدام، لهذا لاتحبل الموسات ولا كثيرات الوطء . واننا نحول نظر المطالع الى الشاهد الوارد في كتابنا تاريخ الانسان الطبيعي عن الافضلية التي يكتسبها النسل من زواجٍ معقود بحسب القوانين الفيسيولوجية والصحية ففيهِ البيان الكافي

ونرجع ونكرر ان حدةً شديدة في الحب الجنسي تضر بالتلقيح ذلك لان الفسق والشهوات الغير المعتدلة تتلف الجهاز العصبي وتضعف وتفسد الوظائف التناسلية

سأل لويس الرابع عشر في احد الايام طبيبهُ بقوله . لماذا البنين الذين خلفتهم لي زوجتي كانوا مهازيل او مشوهين ، مع ان الذين انسلتهم محظياتي جاءوا جميلين واشداء — فاجابهُ الطبيب على ذلك بقولهِ له : يا جلالة الملك لانك لا تعطي الملكة غير الفضلات

ويجب ان يعلم الازواج ايضاً بانهُ ليست جميع ايام الشهر صالحةً للتلقيح لانهُ يتحقق بالاكثر ويتأكد حدوثهُ في اثناء اليومين اللذين يتقدمان الحيض وفي نهاية سيلانهِ وفي يوم انقطاعه . ذلك لان

البويضة البشرية تكون قد بلغت تمام نضجها وخرجت من المبيض والتصقت ببوق الرحم حيث تلقحها الجراثيم المنوية . وفي هذه الاثناء يكون جهاز المرأة التناسلي في اشد حالات النعظ ليبتلع الرحم الجراثيم المنوية . وانهُ كلما ابتعدت الانثى عن هذه الايام كلما تعذّر التلقيح . حتى ينتهي الأمر بأن يمتنع حدوثهُ الى ان يأتي الشهر التالي فعلى الزوجين اللذين يهمهما أمر التلقيح من عدمهِ ان يتخذا من هذا البيان ما يريانهُ موافقاً لهما

ومما يتلاحظ في أمر الزواج انهُ لو قُضي الفرض الزوجي في وسط حقلٍ نضير وعلى سريرٍ وثير تحف بهِ الزهور والرياحين ، وفي بيتٍ مزينٍ بالتماثيل البديعة والرسوم الجميلة ، يأتي النسل اجمل منظراً وابهى محياً من الزواج الذي يتم في الاماكن المحزنة والبيوت المظلمة ذلك لان مخيلة الرجل والمرأة تتأثر مما يحيط بهما ، اذ تتضاعف ملاذهما وتتمدد حواسهما اذا اكتنفتهما المناظر الجميلة والاشياء البديعة وكانا في رغدٍ من العيش . سيما وان المولود هو رسم الوالدين في الحالة التي يكونان فيها اثناء الفعل الزوجي واننا نعلم انهُ اذا رام احدنا ان يؤخذ رسمهُ فيختار لذلك يوم انشراح وسكينة و يعتني بعض الاعتناء بشخصهِ وملبسه . فمن الضرورة اذاً ان نحتاط للمباشرة الجنسية بما يشبه هذا الاحتياط

واليك الشاهد الذي ذكرهُ جالينوس الطبيب المشهور فهو من الف شاهدٍ من امثاله . وهو ان مرابياً رومانياً كان صعلوكاً قبيح

لمنظر محدَّب الظهر انسل مولوداً على شاكلة إِيزوب فهالهُ منظر ابنهِ وخشي ان يصبح والداً لذريةٍ مشوهة الخلق ، لذلك قصد جالينوس ليشاورهُ في الأمر . فاشار عليهِ هذا الطبيب بان يضع ثلاثة تماثيل للحب حيال الفراش الزوجي احدهما عند الرجلين والاثنان الآخران على الجانبين بكيفيةٍ تمتع بها عينا زوجتهِ الفتاة بهذه المشاهد الجميلة . وقد عمل الروماني طبق ما اشار عليهِ هذا الطبيب الكبير وبعد ذلك وضعت لهُ زوجتهُ ابناً بهي المحيا وسيم الطلعة لم يكن ليحلم به

ذكر الدميري في مؤَلفهِ حياة الحيوان انهُ متى صوّرت صورة صبي حسن الوجه ونصبتها قبالة المرأة بحيث تراها وقت الجماع خرج الولد شبيه لتلك الصورة في اكثر الاعضاء

علق دينيس تيران من سيراكوسا رسم فارسٍ جميل المنظر تجاه سرير زوجتهِ في قصد ان يُرزق مخلوقاً جميلاً

وكانت امة اليونان وهي التي اشتهرت بجمالها الطبيعي تكثر نساؤها في صدورهنَّ تعليق التماثيل الرخامية والرسوم التي تمثل الآلهة ونصف الآلهة والإلهات باشكالها البهجة ورسومها الظريفة . وذلك كتماثيل ابولّون ونارسيس وكاستور وبولوكس .... وكذلك كانت تماثيل الزهرة وهيبه ومينرفا وسائر الإلهات الجميلة التابعة لها منتشرةً في الخدور والحدائق والساحات والمحال العمومية . ولقد اصابوا في تحسين النسل بهذه الوسائل ونجحوا بها فلماذا نحن لا نجاريهم وننسج على منوالهم

القسم الثاني

﴿ في التدابير المادية والادبية التي يجب ان يعمل بها الوالدان ﴾

يجب على الزوجين ان يستعدا مدة ثمانية ايام على الاقل لفعل التناسل وذلك بالامتناع عن الملاذ الغرامية بتاتاً لان هذه المدة هي ضرورية للرجل لينضج فيها منيّهُ تماماً ، وللمرأة لكي يكون جهازها التناسلي في استعدادٍ تامّ لقبول الزرع المنوي وحفظه

وعلى الاثنين ان يعتدلا في مقوّمات الحياة ويتجنبا اسباب الآلام والانفعالات الشديدة التي تؤثر في الجهاز العصبي وتحدث الاضطراب في الوظائف الحيوية

ويتناولا الاطعمة الغنية بالعصارات المغذية ، وليكن مقدارها على نسبة قوة هضم كلّ منهما . ذلك لان الافراط في المأكل والمشرب يؤثر على مجموع البنية

ويتجنبا أي عملٍ جسمي او عقلي يمكن ان يتعبهما . وليعلما بان الرياضة في الصباح والعمل المعتدل والاقامة في العرآء تهب الرئتين هوآءً نقياً وتقوي الدم وتكسب الجسم بسطاً وانشراحاً

ومتى تمت الثمانية الايام فليتشاورا ليعلما اذا كان كلاهما في صحة كاملة ليس في احدهما ضررٌ او انحراف مزاج . ذلك لانهُ اذا

تغير مزاج احدهما فيجب عليهما الانتظار ريثما يعود الى صحته ويصبح الاثنان متعادلين في الصحة والعافية

أمّا الزمان الانسب للنسل الجميل فهو الصبح عند مطلع النهار اذ يكون الجسم قد اكتسب نشاطهُ بواسطة النوم المجدد القوى . فعلى الرجل ان يباشر وقتئذٍ امرأتهُ بميل وعليها ان تقابلهُ بالمثل لتضاعف فيهِ القوى الشهوانية . وان يتبادل الاثنان ما يخالج قلبيهما من الحب والعواطف والسرور

ولا يقتصر الأَمر على هذه التدابير التي اشرنا اليها بل انهُ توجد خلافها لا تقلُّ عنها اهمية ولا تحصل الفائدة بدونها . منها سكون المرأة الجسمي والعقلي في مدة حملها — وسلوك الرجل الادبي والجسمي في هذه المدة مع زوجته — وأمر ارضاع الطفل بعد مولدهِ والاعتناء بأمر صحتهِ اخصهُ في اثناء طفوليته . ثمَّ فيما بعد ملاحظة غذائهِ ورياضتهِ البدنية والامثولات التي تُعطى لهُ وتقع عليها عيناهُ وهلمَّ جرًّا . . . . لان جميع هذه وامثالها تساعدهُ على تخليقهِ بالنشاط والجمال

في سلوك المرأة الحامل — يجب على المرأة ان تسلك في جميع مدة حملها مسلكاً قانونياً داعياً الى راحة القلب وطمأنينة البال ذلك لان المؤثرات الشديدة مهما كان جنسها ونوعها وهي كالفرح والحزن والخوف هي مضرةٌ بالثمر الذي تحملهُ في احشائها . فعليها ان تبتعد عن جميع البواعث التي يمكن ان تعكر راحة جسمها وعقلها . واذا تصادف واصابها ما يقلق خاطرها ويزعج حواسها عليها ان

تستعين برزانة عقلها ونصائح ذويها على اعادة السكينة والهدو الى حواسها المضطربة . وصفوة القول ان تتجنب كل حزنٍ وغم ، وتميل الى الفرح والسرور ، وتوجه انظارها نحو الاشياء المبهجة التي تولّد فيها المشاعر الحلوة والاحساسات اللطيفة . فاذا ازعجها بعض الامور المسيئة فما عليها الاَّ ان تحول فكرها نحو التخيلات المسرة والتذكارات المفرحة — وعليها ان تحذر جميع الاحوال الخارجية والتقلبات الطقسية التي يمكن ان تغير صحتها . واذا تصادف ومرضت فضلاً عن حذرها وانتباهها فعليها ان تستشير في الحال طبيباً حاذقاً ليسعفها بالعلاج العاجل .

غير ان المرأة الحامل قلما تعتبر بهذه الحقيقة وتقتنع بها . وهي ان كل ما يصيبها جيداً أو رديئاً امّا في جسمها أو عقلها يتأثر منهُ بدون ادنى ريب الجنين الذي تحملهُ في احشائها . وسيجد المطالع في فصل الوراثة البرهان الكافي على ان الصفات والادواء الجسمية والخصائص العقلية وغرائز البنين وشواعرهم واخلاقهم على انواعها يتعلق قسمٌ كبير منها بالحالة الجسمية والعقلية التي كانت موجودةً فيها الأم في اثناء التلقيح ومدة الحمل . واننا نكلف الزوجات اللواتي يطالعن مقالنا هذا ان ينقشن في ذاكرتهنَّ هذا الفصل ويمعن النظر فيهِ لاهميته

ومتى كانت الزوجة عاملةً او تتعاطى مهنةً ما فيلزمها ان تعمل على سبيل التسلية واياها ان تجهد نفسها حتى يحل بها التعب . ومما

تلزمها أيضاً وتفيدها جدًّا الرياضة المعتدلة والهوآء النقي والنزهة في العرآء .
وفي التالي عليها ان تتعاطى الملاذ التي لا يمكن ان تضر بها وتحترس غاية الاحتراس من الافراط في اي شيء كان

سلوك الرجل مع امرأته الحامل — كانت المرأة الحامل معتبرةً عند غالب الامم كأنها مقدسة ، وكانت الشريعة تقاصص الرجل بقصاصاتٍ صارمة ان هو اهان امرأتهُ من يوم ما تصبح حاملاً وقد سنّوا في زمن الجمهوريات اليونانية والرومانية شريعةً تقضي باحترام النسآء الحوامل . وان كل من التقى في الطرق أو المحال العمومية بامرأةٍ حامل كان ملتزماً بان يحييها و يفسح لها مجالاً لمرورها حتى كان سقراط واناذاكور استاذا بريكلس يصطفان بجانب الحائط في طرقات اثينا الضيقة ليتركا ممرا خالياً للمرأة التي كانا يشاهدانها حاملاً وبينما كان الحاكم مومّيوس فاتح قورنثية متوجهاً الى محلٍ عمومي أمر ضباطهُ بان يصطفوا ويخفضوا اسلحتهم امام امرأةٍ حامل كانت مجتازةً ذلك المكان . وقد رغب القائد من ذلك ان يشير الى الاحترام الذي يجب عليهم ان يقدموهُ الى المرأة التي تحمل في احشآئها احد وطني المستقبل

وكان القاتل في اثينا وقرطاجنة يفلت من يد القصاص اذا توصل الى الالتجآء الى بيت امرأةٍ حامل . وكانت الحامل عند اليهود في امكانها ان تأكل لحماً محرماً . لاسيما وان شريعة موسى كانت تشدد

في العقاب حتى الموت ايضاً على كل من سبب الاجهاض لحاملٍ بمداواته الرديئة او بخلاف اسباب

امّا في يومنا الحاضر فقد تغيرت الاخلاق والعادات ولم يبقَ أثرُ لهذا الاحترام سوى في طبقة البشر الراقية . وامّا في الطبقة المنحطة فان عدداً عظيماً من ازواج السوقة والصناع يسومون نسآءهم انواع المشاق واحياناً كثيرة يهينوهنّ ويعذبونهنّ . وامّا في الطبقة الوسطى فالرجل الوحشي والعديم الانسانية هو الذي يحقر زوجتهُ ويهين والدة ولده

غير ان مثل هذه البيانات وان لم تكن من موضوع كتابنا فلا بأس من الاشارة اليها عرضاً عساها تؤثّر في اولئك الازواج الاغرار لدى مطالعتها ليأخذوا في العمل بموجبها

فعلى الرجال الذين ننعتهم بالوالدين والذين تتوقف سعادتهم على سعادة زوجاتهم وصحة وجودة تركيب بنيهم ، ان يحفظوا جيداً التعليمات الآتية و يسيروا بمقتضاها . وهي ان يشملوا الزوجة الحامل بجميع انواع العناية والملاطفة التي تستحقها. وليطفح محياهم بشراً وترنو انظارهم ودًّا ويتدفق حديثهم محبةً وانعطافاً عند محادثتها والتداول معها . وليتجنبوا كل أمرٍ يزعجها و يعمل على معاكستها . ولا بأس عليهم اذا كانوا طوع بنانها ورهين اهوآئها فيما لا يضيرها ولا يؤذي ثمرة احشآئها . ومتى كان في تكملة رغائبها مساسٌ بمركزهم وضررٌ بصحتها فعليهم ان يفهموها ذلك بتعقلٍ و يقنعوها بالعدول عنهُ بدون ان يجرحوا احساسها و يثيروا غضبها. وليجتهدوا في ان يحلّوا محل

تلك الرغائب والاهوآء اميالاً تناسب حالتها . وان يستحلفوها بحق حبها الوالدي ذلك الحب المقدس في نظر الامهات والذي تهتز لهُ جميع اعصابهنَّ ليحصلوا على مبتغاهم بسهولةٍ اذا رأوا منها اعراضاً ورفضت الاذعان في باديء الأمر

وقد تشعر الزوجة احياناً ببعض اضطراباتٍ عصبية و يصيبها نكدٌ وكآبة . فعلى الزوج ان يحترم هذه الحالات الوقتية ولا يزعجها بتكرار سؤَالهِ واستفسارهِ بل يتركها لوحدها اذا كانت ترغب في ذلك . وينتظر ريثما يتبدد عنها ذلك القلق والاضطراب ليشملها من جديد بعنايتهِ والتفاتهِ ، ويبحث لها بدون انقطاع عن الملاهي اللطيفة لتستمر دائماً مسرورةً ومبتهجة . وان يبذل مجهودهُ لارضآئها وخالص ودهِ ليجعل قلبها متحداً بقلبه . واذ ذاك يصبح مسموع الكلمة منها ويستطيع ان يسير بها بدون معارضةٍ ولا حاجزٍ نحو الغاية السعيدة التي يسعى اليها وهي تخليفها لهُ النسل الجيد بتركيب جسمهِ وعقله

ولا يقتصر الأمر على مراعاة هذه الوصايا والسير بموجبها فقط بل انهُ يوجد خلافها كما سبقت الاشارة اليها لا تقل عنها خطارةً واهمية ، وهي ضروريةٌ لايلاد البنين الاصحاء وتخليف الذرية الجيدة . وذلك نظير سلوك الام الصحي في اثنآء حملها وارضاعها ، وأمر غذآء طفلها وشمولهِ بعنايتها . ثمَّ الرياضة البدنية التي لابدَّ منها لنموّ اعضآئهِ وحسن بنيته . وسيرى المطالع البيان الوافي عن هذه المسائل الخطيرة في فصل الحمل والوضع

وليعلم المرء حق العلم بانهُ يستطيع ان يؤمل من كمال المخلوق الطبيعي كمالهُ العقلي . وان الزواج هو الرابطة الوثيقة العرى التي تربط المرء في الهيأة الاجتماعية والمسؤولية الكبرى التي تلقى على عاتقهِ بالنظر الى نسلهِ وأسرته . لذلك يجب عليهِ ان لا يوجه نظرهُ الى الملاذ الجنسية من حيث هي ، بل الى اهمية نتائجها ، وان لا يغتر بثلاثة اسبابٍ قد تضل الخاطب أو الخاطبة عن حسن الانتخاب : وهي المال والجمال والرفعة. بل عليهِ ان يختار لهُ زوجةً ذات صفاتٍ جسمية وعقلية جديرةً بان تخلف لهُ نسلاً صحيحاً وجميلاً

وفي التالي عليهِ ان لا يضعف ذاتهُ بافراطهِ بالملاذ الحبية بل يأتيها بانتظامٍ واعتدال . ويضع نصب عينيهِ هذا المبدأ وهو ان الضعف والهزال وشوائب التركيب والعلل التي يورثها الآباء بجهلهم وافراطهم لابنائهم تكلف هؤلاء المساكين الابرياء ثمناً غالياً في مدة حياتهم

القسم الثالث

في اي النسلين افضل نسل السفاح ام الشرعي

حلَّ الاختبار وعلم الفيسيولوجيا هذه المسألة بخلاف ما كانوا يتصورونها ، ومما تجب ملاحظتهُ قبل كل أمر ان نسل السفاح يقسم الى فريقين ، فريقٌ هو ثمر مخلوقين يتهالكان في حب بعضهما البعض

وفريق هو نسل رجلٍ قضى ضرورة الفعل الجنسي مع امرأةٍ بدون ان يودها ويشعر قلبهُ بحبها. وانهُ بكف النظر عن صفة الاولاد الشرعية او عدمها فلنبحث مبدائياً عن الكيفية التي تمَّ فيها الفعل الجنسي الذي انتج هؤلآء البنين

يجتمع المتحبان في الغالب خلسةً وفي معزلٍ عن اعين الرقبآء وهنالك تضطرب الفتاة أو المرأة المزوجة ويهلع فؤادها من جرآء فعل الزنا الذي اقدمت على ارتكابه. وانهُ مهما كانت متهالكةً في حب من تهواهُ ومهما كانت متشوقةً للقياه. فكل ذلك لا يستطيع ان يبدد عنها الخوف المستحوذ على مجموع كيانها ولا تبكيت الضمير الملازم لها. وفي الغالب تقضي الفعل الجنسي بدون ان تشعر باقل لذة. بل بعكسهِ تضطرب افكارها ويقلق بالها وتحصل لها تشنجات وتقبضات في اعضآئها التناسلية تفسد ما قلَّ أو كثر عمل التلقيح الذي يحصل في اثنآئها. ولنراقب الآن المرأة التي تلقحت على هذه الكيفية ونبحث عن الحالة الجسمية والعقلية التي تكون فيها. ففي الاول يبتدي بان ينتابها تبكيت الضمير ويفترسها القلق والجزع كلَّما نما حملها وكبر بطنها ويتأثر جهازها العصبي من جرآء اضطرابها المتضاعف من يومٍ الى آخر وتلازمها تلك الفكرة التي يهتز قلبها فرقاً لها، وهي ماذا يحلُّ بها من الاهانة والخجل اذا انكشف أمرها وعلم الناس بسقطتها. وعقبى ذلك تأخذ في شدّ الاحزمة والضغط على معدتها الى درجة الغشيان. لاسيما وان ضغطها بهذه الكيفية على اعضآئها الهاضمة يمنعها من قبول مقدار

كافٍ من الطعام لغذآئها وغذآء جنينها . وبالمثل ان الحواجز التي تضيّق على الجنين والتي لم يعد بها مطلق الحرية وكذلك حرمانهُ من العصارات المغذية كل هذا يفسد عليهِ الادوار المختلفة التي يجتازها ويتطور فيها قبل ان يرى النور وتضعهُ امهُ على وجه المعمور . وهي الاسباب الباعثة على توقّف نموّهِ او شواذّ خلقه

ثمَّ اذا اضفنا الى هذه الظروف الرديئة الغم واليأس اللذين تسقط فيهما الفتاة المنكودة الطالع عند ما تجد الرجل الذي جعلها ان تكون امّاً قد تركها وتخلى عنها (وذلك يحصل تسعين في المائة) ثبت لنا بدون ادنى ريب ان مواليد السفاح لا يجوز ان يكونوا افضل من المواليد الشرعيين

واذا زدنا على ذلك الظروف الانسب التي يكون فيها الاولاد الشرعيون. وصحة وتركيب الزوجين المتكافئين من كل وجهٍ وجانب، حكمنا بدون ادنى ترددٍ ان مواليد الزواج الشرعي افضل من مواليد الحب والغرام

واذا اتفق في بعض الاحيان وامتاز اولاد السفاح بصفاتهم الطبيعية والعقلية وكانوا من الرجال المعدودين، فان مثل هذه الشواذّات النادرة لا تنقض القاعدة العامّة المتفق عليها . واذا عدنا الى اصلهم وجدناهم نسل والدين وان لم يكونوا متزوجين زواجاً شرعياً الاَّ انهم كانوا عائشين معاً وقد توفرت لهم جميع اسباب الراحة ومطالب الزوجية . واخيراً اننا اذا راجعنا سجلات اللقطآء لم نجد تركيبهم الطبيعي افضل مما سواهم ،بل بعكسهِ ان الربع منهم يموتون قبل الشهر

الرابع عشر من عمرهم ، والربع الثاني ترافقهُ دلائل تشوه الخلق والتركيب السافل وداء الكساح . ويمكننا ان نقدّر ان خمسين في المائة من النصف الآخر هم اناسٌ قبيحو المنظر وان كل هذه الشوائب التي يتصف بها المواليد اللقطآء هي نتيجة خطأ وسقطات الوالدين



الفصل الخامس عشر

﴿ في الوراثة ﴾

يعبرون عن الوراثة فيسيولوجياً بانتقال الخصائص الجسمية والعقلية وما يتعلق بهما من الوالدين الى المولودين . وهي على نوعين اولهما — الوراثة الدائمة او الثابتة . وثانيهما — الوراثة المتنقلة او المتقلبة

تسير الوراثة الاولى على قانون ثابت وتختص بانتاج الجنس والنوع والاصل وهلمَّ جرًّا . . . . وذلك ان الانسان يلد انساناً . وان الحصان والكلب وجميع المخلوقات من عالمي الحيوان والنبات تنتج مخلوقاتٍ وتثمر اثماراً شبيهةً لها

وتظهر الوراثة الثانية في انتقال الصفات الجسمية والعقلية حسنةً كانت ام رديئة ، لكنهُ كثيرٌ ما تعترضها شذوذ شتّى فتجعلها ان لا تتقيد بضابطٍ ولا تسير تحت نظام . ذلك لانهُ من الجائز ان تزيد الخاصة الموروثة أو تنقص ، وتسير متقطعةً ولا تتسلسل متصلة ، اوان تنحصر في احد الاعقاب او تختفي مدةً طويلة ثمَّ تظهر من جديد . حتى

انهُ يجوز لها ان تنتقل او لا تنتقل . فهي من هذاالقبيل لا تمتثل الى قوانين معروفة بل تستمر معرّضةً الى تغيراتٍ وتبديلاتٍ لا تقبل الحصر والعد

يذكر الدكتور بروسبير لوقا في مؤلفهِ العلمي الخطير عن الوراثة ان الصفات التي يتخلق بها الشخص تأتي

اولاً : عن الوالدين وهي الوراثة بالمباشرة

ثانياً : عن الاعمام والاخوال وهي الوراثة المنحرفة او الغير المستقيمة .

ثالثاً : عن الجدود وهي الوراثة الرجعية

رابعاً : عن الازواج السالفين وهي الوراثة بالتأثير وسنأتي على بيان ذلك مفصلاً

١ً الوراثة بالمباشرة — وهي التي لا جدال فيها وبها يرث الاولاد تارةً عن الاب وطوراً عن الام

٢ً الوراثة المنحرفة او الغير المستقيمة — تكون في الاولاد الذين ليس لهم ادنى شبهٍ بصفات وملامح والديهم بل انهم يشابهون الاقارب المعاصرين لهم

٣ً الوراثة الرجعية — وهي التي يأتي البنون فيها غير مشابهين والديهم بل انهم على شكل اجدادهم و بذلك تكون الوراثة قد تخلّت عن عقبٍ لتظهر في العقب الذي يليه . واحياناً تظهر بعد ثلاثة او اربعة اعقاب وهذا اكثر ما يُشاهد في الخلاسيين خاصةً

٤ً الوراثة بالتأثير — وهي ان يأتي المولود غير مشابهٍ لامهِ ولا لابيهِ بل انه مشابهٌ للرجل الذي كانت لهُ علاقةٌ بامهِ قبل حملها به. والشاهد على ذلك ان امرأةً تزوجت زواجاً ثانياً بعد ثلاث سنوات على وفاة زوجها الاول ، وقد رزقت ثلاثة بنين لهم جميع ملامح زوجها المتوفى وليس لهم ادنى شبهٍ بوالدهم . وان امثال هذه الوراثة المدهشة ليست هي نادرة كما يظن اخصهُ في عالم الحيوان

ومما ذكرهُ سبنسر نقلاً عن فلنيت انهُ اتفق غير مرةٍ في الولايات المتحدة ان امرأةً من البيض بعد ان تزوجت برجلٍ اسود تزوجت برجلٍ ابيض فولدت اولاداً فيهم بعض خصائص السود وذكر درون عدة حوادث تثبت وقوع مثل ذلك في ضروبٍ مختلفة من الحيوان . وتأتي من هذا القبيل مسألة البغال الولودة بحيث يرى المطالع بين تضاعيف التاريخ القديم والحديث ذكرى بضعة بغالٍ يزعمون بانها ولدت ، مع علم كل احدٍ بان البغلة لا تلد كما هو شأنٌ كل حيوانٍ جآء من نتاج نوعين

وذكر هيرودتس في تاريخهِ ان بغلةً لزبير بن مغابيز ولدت في الشهر العشرين لحصار بابل . وجآء في تاريخ ابن البطريق نقلاً عن الدميري في حوادث سنة اربع واربعين واربعمائة ان بغلةً بنابلس ولدت في بطنٍ حجرةً سودآء وبغلاً ابيض . وان خلافها جيء بها من الجزائر الى حديقة التبليد في باريس (Jardin d'acclimatation) فولدت فيها وكان لولادتها اغرب وقعٍ في ذلك الاوان . واخيراً ان

بغلةً في نواحي الهند الانكليزية ولدت مهراً

امّا وجه التعليل في ذلك انهُ في مدة الحمل يقع امتزاجٌ بين الانثى وجنينها حتى يصح ان يعتبر كلاهما بمنزلة شخصٍ واحد يعيش بحياةٍ واحدة ويغتذي بدمٍ واحد . فيكون بينهما من التبادل ما يقضي بان تتكيف الام بطبيعة الجنين . حتى اذا كان الجنين من غير نوعها تندس طبيعة هذا النوع في الام . وهذا التكيّف يمكن زوالهُ اذا لم يتكرر سببهُ، ولاسيما اذا وجد سببٌ يفعل غير فعل الاول. لكن يمكن ان يبقى احياناً عدة سنوات واذا كثر تكرر السبب على وجهٍ واحد فقد ينتهي الى تبديل طبيعة الام من اصلها . لما شوهد غير مرةٍ من ان الزوجين اذا كثر بنوهما فقد يقع بينهما تشابهٌ كما سبق وذكرنا ذلك في احد الفصول السابقة

ولمَّا كان النتاج يكتسب طبيعة الوالد السابق فمن المحتمل انهُ اذا ولدت فرسٌ اول مرةٍ بغلاً ثم ولدت مهرةً تكتسب هذه المهرة مشابهةً من البغل توهم الناظر انها بغلةٌ حقيقية . ومن هذا نشأ البغال اللواتي يلدن المهار

اورد هوم ان فرساً انكليزية سفدها حمارٌ افريقي مرقّش فولدت بغلاً مرقشاً ثمَّ حملت الفرس ذاتها من ثلاث احصنةٍ عربية على مدة اربع سنين فولدت ثلاثة مهار مرقشة على شاكلة الحمار الافريقي

بحث الدكتور هرفي استاذٌ في جامعة ابردين بحثاً مدهشاً عن التأثير الذي يحدثهُ الذكر الاول عند سفادهِ انثى بكر . وذلك انهُ

يجوز ان ينتقل هذا التأثير الى مولودين او ثلاثة مواليد تلدهم الانثى فيما بعد وان حملت بهم من خلاف ذكور

ويزعم جملة فيسيولوجيين بان ذات الفعل يتفق حدوثهُ متكرراً في الجنس البشري . وهم يذكرون لذلك عدداً وافراً من النساء الايامى اللواتي تزوجنَّ ثانيةً وخلفنَّ بنين لهم شبهٌ اقل او اكثر وضوحاً للزوج الاول . فيتضح مما تقدم ان الوراثة في تسلسل المخلوقات الحية هي ناموسٌ ثابت تتصل اسبابهُ بواسطة التلقيح الذي يشترك فيهِ الزوجان ، وبهِ تنتقل الصفات والخصائص من السلف الى الخلف وتقسم الى وراثة طبيعية ووراثة عقلية واليك البيان

القسم الاول

﴿ في الوراثة الطبيعية ﴾

تنتقل الوراثة بوجهٍ اعم وتكون اقل تغيراً في صورة المخلوق الطبيعية او تركيبهِ الظاهري، اي ملامح وجههِ وقدهِ واشكال تكوينهِ ولونه . . . ومنها يحصل الشبه بين ابناء الامة وافراد الأسرة ويشابه الابن والديه (qualis pater, talis filius) وهو في العربي ان الابن ثمرة ابيه

وينتقل بعد ذلك بطريق الوراثة تركيب الاعضاء ونموّ اجهزة

الجسم المختلفة — والاختباط وعدم الانتظام في بعض التراكيب — وصفات البنية عامّةً المعبَّر عنها بالمزاج — والاستعداد الذاتي ومنهُ الاستعداد الخاص بسنيّ الحياة · بحيث ان الاشخاص المولودين من أسرةٍ عمرّت اسلافها زمناً طويلاً يكون فيهم الاستعداد لطول العمر. والاشخاص الذين كانت صحة جدودهم هزيلة وحياتهم قصيرة يكون فيهم ذات الاستعداد كما كان لاسلافهم . بحيث تحصدهم المنون باكراً قبل اوان الحصاد . واذا نجا احدهم منها وأُفلت من يدها فيكون ذلك لداعي اعتنآئهِ بذاتهِ ولما اتخذهُ من التحوطات والوسائل الصحية

امَّا اكثر ما ينتقل بالوراثة الى النسل مباشرةً فهو حسن او قبح تركيب الوالدين، واننا في كل يوم نرى شواهد لا يحصى عددها تبرهن لنا على ذلك . حتى ان مربيّ الخيل يعلمون جيداً بان زوجي خيلٍ منحطي البنية لا يمكنهما ان يلدا حصاناً مطهماً . ويحدث بمثل ذلك في البشر أي ان الزوجين الضعيفين أو الغير المتناسبين في العمر لا ينسلان مطلقاً اولاداً اشدآء . وهذه هي الحقيقة الثابتة التي لا تقبل الريب وعليها يجب ان نستند في عقد الزواج

ينحط التركيب البشري ويفسد في امهات المدن وميادين الحضارة التي فيها تُشاهد المخلوقات الهزيلة الجسم السقيمة الصحة الذابلة القد المشوهة الاعضآء . لاسيما وانهُ ليس من الرأي ان نعزو كل هذا الانحطاط الجسمي الى الافراط المتنوع الذي تأتيهِ الشبيبة بل ايضاً لداعي ضعف

احد الزوجين وعدم تناسبهما في السن . وان الرجل هو الاولى بالملامة خاصةً . ذلك ان قوم اللاسيديمونيين قاصصوا ملكهم ارشيداماس لانهُ تزوج بامرأةٍ صغيرة البنية نحيفة الجسم وهم يرون انها لا تستطيع ان تلد لاهل سبارطة المشهورين بجمالهم الطبيعي الاَّ مليكاً صعلوكاً . ذلك لان الشريعة في سبارطة كانت تقضي على الشخصين المتقدمين الى الزواج بان يكونا في صحةٍ تامّة ، وهي تحرم الزواج على من ابتلي باحدى العلل . وما قصدها من ذلك الاَّ تخليف محاربين اشداء يذودون عن حوزة الوطن ويحمون ذماره . امَّا نحن فاذا كفينا النظر عن الغاية التي ترمي اليها شريعة اهل سبارطة فاننا نرى في ذلك غايةً افضل وهي ترقية الهيأة الاجتماعية وتقليل الادوآء والعلل التي تثقل كاهل الانسانية . ومن رأينا ان اول شرطٍ من شروط الزواج الذي يجب تقديمهُ على ما سواهُ هو صحة الجسم والعقل

كان جمال الصورة والتركيب يتسلسل في بعض أُسر اليونان القدمآء حتى كان ألكيبياد اجمل يوناني عصرهِ هو سليل جدودٍ مشهورين بجمالهم الطبيعي . وبنآء على ما ذكرهُ أريستوفان البزنطي ان لايس المرأة المشهورة في قرنثية بجمالها الطبيعي كانت ابنة شارميدس الملقّب بابن الزهرة — وكذلك ستراتونيس البديعة الشكل التي كان سكان اثينا يفخرون بجمالها هي ابنة ديمتريوس بوليورسيت المشهور بجماله — وكان بارباروس الذي يلقبهُ الفرنساويون بابولّون زمانهِ مولوداً من امٍ كانت اجمل نسآء فرنسا — وكانت في جزيرة

كريت (اقريطش) شريعةٌ قديمة تقضي بان يختاروا في كل سنةٍ اجمل الشبان واجمل البنات ويجبرونهما على الزواج بقصد ان يتسلسل جمالهما ولا يفقد من الوجود

في وراثة الملامح — تتسلسل الملامح الجميلة او القبيحة من السلف الى الخلف فهي من هذا القبيل ارثيةٌ ولا نظن احداً يجهل ذلك

كانت في رومية أُسرٌ يُطلق على افرادها لقب المؤنفين لكبر انوفهم، وأُسرٌ أُخر يلقبون ذويها بالمشفهين لغلاظة شفاههم ... وكان الانف الاقنى معروفاً في جملة قرون من مميزات أُسرة البربون وأُسرة البرونيه في ميلانو — وكذلك تتسلسل في الأسر الجباه الواطئة والذقون المعقصة والعيون الصغيرة والاشداق الواسعة . بحيث كانت تتشابه افراد أُسرة الغيز بالفم والاذنين — وافراد أُسر المونموريسني بجباههم العريضة . وعلى هذا الاسلوب يتسلسل باقي اعضاء الجسم وتنتقل اشكالها بالوراثة . حتى انهُ اذا كانت احدى الأُسر متصفةً بكبر الرأس مثلاً فينقل الوالدون الى خلفهم ذلك . واذا اتصفت خلافها بصغر الرأس وسواها بغلاظة اليدين والرجلين وأخرى بعكس ذلك . واشتهرت تلك بالهيكل الطويل القائم على جزعٍ قصير، فما ذلك الاَّ لان كل قسمٍ من الهيكل البشري ينتقل بالوراثة من السلف الى الخلف بحجمهِ ورسمه

في وراثة القد — ان نوع هذه الوراثة هو الاكثر شيوعاً ذلك لان الازواج ذوي القدود الصغيرة وبعكسهم اصحاب القامات المرتفعة ينسلون مخلوقاتٍ شبيهة لهم . وعلى هذا المستند الّف والد فريدريك الكبير فرقةً من الجبابرة وكان لا يسمح لاحدٍ من حرسهِ بالزواج الاَّ بامرأةٍ على شاكلة قده — جآء في احدى الصحف الانكليزية من بضع سنين حادثٌ يبرهن على وراثة القد . وذلك ان رجلاً طولهُ ست اقدام وست عقد وزنتهُ ٤٦٢ ليبرة انكليزية احضروهُ امام القضآء لتزويرهِ احد السندات، فظهر من جملة السؤالات التي القوها عليهِ، هو ان طول والدهِ كان ست اقدام وثلاث عقد وطول والدتهِ ست اقدام، ولهُ اخان واختان يبلغ مجموع طولهم خمس وعشرين قدماً وثمان عقد ونصف

توصل بعض مربي البهائم المشهورين ومنهم بقويل وبرنسيبس وفاولر والدكتور دانيّسي بواسطة بعض الوسائل البسيطة جدًّا الى توقيف أي عضوٍ من اعضآء جسم الحيوانات عن النموّ ، أو الى زيادة انمائهِ ، والى جعل حجم احد الانسجة اربعة اضعاف حجمهِ المألوف وذلك بتنقيص سواه . فكانت الحيوانات التي تنتج عن هذا التكييف يأتي نتاجها بعد عقبين شبيهاً لها

وراثة السمن المفرط — يتسلسل السمن المفرط في افراد الأُسرة التي تسلطت عليها هذه العلة المحطة في شكل الهيكل البشري

ومما لا يقبل شكاً ان البطالة ووفرة الغذآء وقلة الرياضة من البواعث على ربالة بعض الاشخاص الذين لم يكن فيهم استعدادٌ لها . غير انهُ اذا لاحظنا السمن المفرط بوجهٍ عامّ وجدنا سببهُ الوراثة في غالب الاحيان

في وراثة اللون — تتسلسل الالوان في جميع الانواع الحية بدقةٍ نظير تسلسل الملامح والاشكال وذلك انها تنتقل في كل جنس بذات المقدار وتصبح ارثيةً في الأسر . وان علمآء الزهور والطيور والزراعة يعلمون كيف يستنتجون من مزج فصائل مختلفة تابعة لذات النوع ليحصلوا بذلك على الاشكال الاكثر تنويعاً . وقد تولّد جميع الاصناف المتنوعة في عصرنا الحاضر من مزج انواع والوان الجنس البشري في الزواج . ذلك لان اللون الخلاسي يتولّد من امتزاج الابيض بالاسود ، والثلث الخلاسي من امتزاج الخلاسي والابيض والربع الخلاسي من امتزاج الابيض والثلث الخلاسي وكذلك متوالياً الى ان يتبدد اللون الخلاسي ويرجع اللون الى شكلهِ الاول

ويزعم جملة موَّلفين بانهُ يحصل احياناً انهُ اذا امتزج الابيض بالاسود يظهر مفعول هذا الامتزاج في بعض البنين ولا يحصل في خلافهم . مثال ذلك ان زنجياً في برلين تزوج بامرأةٍ بيضآء البشرة ورزق منها سبع بناتٍ خلاسيات واربعة بنين بيض اللون — ورزقت خياطةٌ في باريس ثلاثة بنين من زنجيٍّ بحت ، اتى اولهم زنجياً والثاني

خلاسياً والثالث ابيض نظير والدته . غير ان مثل هذه الحوادث يترجح الشك بها حتى لا نزعم بانهُ ليس في الامكان حدوثها . ويجد المطالع شرحاً وافياً عنها في كتابنا تاريخ الانسان الطبيعي

في وراثة الامزجة — تتناول الوراثة أجهزة الجسم البشري الذي يتألف منها ، وعنها تتولّد الامزجة الدموية والصفراوية والعصبية والليمفاوية التي تتسلسل من السلف الى الخلف بطريق الارث . لكنهُ يتفق في بعض الاحيان انهُ باتحاد احد الامزجة بالآخر ينتج عن ذلك تعديلٌ في ذاك المزاج وهذا مفيدٌ على العموم . ذلك لان الزواج المعقود بين شخصين مختلفي المزاج يأتي ثمرهُ اجمل مما يخلفهُ زواج الشخصين المتشابهي المزاج

في وراثة الحمل — يكون بعض النسآء اكثر استعداداً للتناسل من خلافهنَّ ، ويتسلسل هـذا الاستعداد فيهنَّ بطريق الوراثة . فقد ذكر ليبلّتيه في مؤلفهِ عن الفيسيولوجيا ان امرأةً من مانس ولدت ثلاثة وعشرين مولوداً — ورزقت امرأةٌ ريفية من زوجين ثمانية وعشرين ولداً — ورزق ابن كونده الكبير وحفيدهُ كل منهما تسعة عشر مولوداً — وكان عدد ابنآء الاربعة غير الاوائل تسعة واربعين مولوداً — وكان لويس من هالاي ابـاً لثمانية عشر ابناً — وخلّف الياس من جوكور ثلاثة وعشرين ابنـاً — واورد اوزياندر عن قرويةٍ وضعت عشرة اوضاع في مدة خمس عشرة سنة

وكان وضعها في كل مرةٍ توائم جآء مجموعها ثمانية وعشرين مولوداً . لا سيما وقد كان وضعها الاخير ثلاث بنات عاشت جميعهنَّ وتزوجن ورزقت الاولى منهنَّ ستة وثلاثين مولوداً والثانية احد وثلاثين والثالثة سبعة وعشرين

واورد بورداخ في مؤلفهِ الفيسيولوجي عن امرأةٍ وضعت ثلاثين مولوداً منهم اربعة وعشرين ابناً وست بنات . ثمَّ تزوجت البنات على التوالي فكان مجموع ما خلفنهُ ستة وسبعين مولوداً منهم ستون ذكراً . وذكر جيرون عن امرأةٍ رزقت اربعة وعشرين مولوداً وان خمساً من بناتها خلفن ستة واربعين مولوداً . فيتضح مما تقدم ان للوراثة تأثيراً هاماً على تعداد الحمل . وبعكسهِ العقم الذي يصيب بعض الأُسر فتفنى عن آخرها لنقصٍ في نسلها كما تجد ذلك في فصل العقم

في وراثة طول الآجل — لم يعد احدٌ يشك بحقيقة هذه الوراثة ، ولم يعد داعٍ للجدل في أمر تسلسلها لان الحوادث التي لا عداد لها قد برهنت في كل عصر على ان طول الآجل مزيةٌ تتمتع بها بعض الأسر وتتسلسل فيها من السلف الى الخلف . لا سيما وان بعض الأسر يموت افرادها باسرهم بدون ان يعمّر منهم أحد

عمّر والد اسرة جان روير في هنغاريا مائة واثنتين وسبعين سنةً والزوجة مائة واربع وستين سنة ؟ وكان سن الابن الاكبر مائة وخمس عشرة سنة وسن الابن الاصغر قرناً كاملاً لما توفي والدهما

ومات فلاح في بولونيا في سن المائة والخمسين وكان والدهُ قد بلغ هذه السن ؟

شاهد طوماس بارّجلوس عشرة ملوكٍ ومنهم ملكات على عرش انكلترا . وتوفي في سن المائة والثامنة والستين وخلف ابناً عمّر مائة وسبع وعشرين سنة (هذه الحوادث جائزة ولكنها قابلة الشك)

وفي الامكان ان نستشهد باسماء معمّرين كثيرين الذين تجاوزوا حدود الحياة البشرية وورّثوا هذه الخاصية الى نسلهم لكننا نكتفي هنا بما تقدم ونختم ذلك بالنادرة التالية التي سبق ذكرها في كتابنا تاريخ الانسان ولا بأس من ايرادها هنا ايضاً لغرابتها : لمَّا كان في ٣١ يوليو (تموز) سنة ١٥٥٤ الكردينال درمانياك مجتازاً على قدميهِ حيّاً من احياء باريس شاهد شيخاً يبكي امام بيتهِ ولهُ من العمر احد وثمانون حولاً . ولمّا سألهُ الكردينال عن سبب بكائهِ ردَّ عليه بقولهِ وهو يشير الى شيخ آخر ان والدي ضربني . وقد سأل الكردينال الوالد وهو في سن المائة وخمس سنين عما ارتكبهُ ابنهُ حتى استوجب هذا القصاص . فاجابهُ بقولهِ انهُ قلل من احترامهِ لجدهِ وكان هذا الآخير قد ناهز سن المائة والخمسين ؟

في وراثة شوائب البنية وشواذّ الخلق — مما يسوؤنا ان نرى هذه الوراثة يتأكد حدوثها في الجنس البشري ، لكنها ليست هكذا ثابتة ومتسلسلة نظير باقي الوراثات التي اتينا على ذكرها . فضلاً عن انها لا تصيب في الغالب . سائر اولاد الأسرة بل يرثها واحدٌ

أو اكثر منهم وينجو منها الباقون

امَّا تشوّه البنية واختباط التركيب وشوائب الجسم ونقص بعض الاطراف وشواذ الخلق من الجائز ان تنتقل بالوراثة أو لا تنتقل . وان الشواهد على الاشخاص ذوي الست اصابع الذين يخلفون اولاداً على شاكلتهم ليست هي بالأمر النادر . وقد ذكر بلينوس ان كايوس هوراتيوس نقل الى بناتهِ كثرة اصابعه . وشاهد موبرتيوس ان يعقوب روبي ورث ست اصابعهِ عن والدته . وورث فيكتوار باريّ عن والدهِ اصبعهُ المقلوبة في يدهِ ، وورّث هو انقلاب اصبعهِ الى اولادهِ الذكور فقط

لمَّا كانت جدتي تقص لي اظافر رجليَّ وانا صغير كنت اسألها لماذا بنصرا قدميَّ ليس لهما ظفران فكانت تجيبني ان والدتك كانت كذلك . ومما يتلاحظ ان والدتي توفيت بداء النفاس وخلّفت اربعة اولاد كنت انا البكر ولي من العمر اذ ذاك خمس سنوات . ولم يرث احدٌ منا هذا النقص سواي ، لان بناصر اقدام اخوتي كانت ذات اظافر كالمعتاد

ذكر الفيسيولوجي بورداخ عدداً وافراً من اشباه هذه الحوادث واورد ڤان در باغ عن أسرتين اسبانيتين تجمعهما قرابةٌ عصبية كان لثمانية من بنيهما اصابع متعددة — وتعرّف الدكتور مارك بأسرةٍ أتت اولادها الذكور فقط على ثلاثة اعقابٍ متوالية وهم مبتلون بفتق السرة — وذكر موريسّو ان والداً اعرج نقل عرجهُ الى ثلاث

من بناته — واورد جيرودي بيزارينغ جملة شواهد على والدين مشوهي البنية ومحدبين وعرج نقلوا شوائبهم الى بعض اولادهم . ومما لاحظهُ ان احياناً كثيرة يختفي تشوه الخَلق في نسلٍ ويظهر في النسل الذي يليه . أي ان ينتقل من الجد الى الحفيد — وينتقل الفلح اي عاهة شرم الشفة وهي الشبيهة بشفة الارانب بسهولةٍ فايقة — ثمَّ ان العمى والصمم وفقدان حاسة الشم وشوائب اللفظ ..... تتسلسل في بعض الأسر ولا تتركها الاَّ بعد اعقابٍ متوالية

يُصاب بعض الوالدين بشوائب طارئة فهذه وان يكن انتقالها نادراً مع ذلك يوجد عددٌ كافي من الشواهد الدالّة على امكان انتقالها — خلّف لنا بوهرهاف و بلومنباخ جملة شواهدمن هذا القبيل ومما اوردهُ عن الآخير منها هو ان عاملاً انقطعت سبابتهُ بضربة فأسٍ خلّف ولدين فيهما ذات القطع . ثمَّ توفيت زوجتهُ فاقترن باخرى وقد رزق من هذه ايضاً ابنتين وابناً تنقصهم الاصبع ذاتها — وشاهد طولبيوس امرأةً شابَّة كانت تلهو باعطائها ثديها الى ولد لهُ من العمر خمس سنوات ، وبينما كانت حلمة الثدي في فيهِ اصابت فكيهِ رعشةٌ شديدة انقطعت بها حلمتها فجأةً . ومن ثمَّ ان جميع البنات اللواتي وضعتهنَّ هذه المرأة كان احد ثدييهنَّ بدون حلمة . الاَّ ان هذا النقص كان في البعض منهنَّ في ثديهنَّ اليمين وفي البعض في ثديهنَّ اليسار — ومما شوهد في احدى الأسر التي كان العرج فيها ارثياً ان احد اولادها سلم من هذه الشائبة وتزوج ورزق

ابنين حسني التركيب وابنةً عرجآء . ولمَّا تزوج احد هذين الولدين خلّف ابنةً شديدة العرج وابناً اقل منها عرجاً . وتنتقل بالمثل بعض شوائب اعضاء الحواس كفقدان الشم والحسر (اي قصر النظر) والعمى والصمم التي تتسلسل احياناً بالوراثة

وتنتقل بالوراثة ايضاً الادوآء العصبية والاشمئزاز والنفور . فقد ذكروا عن جاك ملك انكلترا انهُ كان يرتجف ويغمى عليهِ لدى نظرهِ سيفاً مسلولاً . ذلك لان والدتهُ ماري ستوارت لمَّا كانت حاملة بهِ شاهدت بعض سادات الايكوس يقتلون كاتم اسرارها باسلحةٍ على شاكلة السيوف ومنها اصيبت ببعض جروح خفيفة

كانت والدة احد الشبان تشمئز من الحقنة اشمئزازاً شديداً وذلك على أثر حقنةٍ حقنوها بها كانت في درجة الغليان تقريباً . ثمَّ انهُ كان يغمى عليها بعد ذلك لدى وقوع نظرها على اصغر محقنة وقد ورث ولدها عنها هذا الاشمئزاز عينه . واذ انهُ مرض في احد الايام ودخل المستشفى ليتداوى فيهِ ، وصف لهُ الطبيب في بادئ بدءٍ حقنةً . امَّا هو فقد رفضها رفضاً كلياً وكان يصرخ باعلى صوتهِ ويبذل غاية جهدهِ ليدفع عنهُ هذا العلاج . الاَّ ان الطبيب اصرَّ على ذلك واجبرهُ بالقوة على احتمالها فلم يبطئ هذا النكد الحظ على ذلك بضع دقائق حتى انهُ فارق الحياة

على انهُ اذا كانت الشراهة والسكر والحقد والغضب والحسد وجميع الميول الرديئة تنتقل بالوراثة ، فيجب ان تكون حسنات

الآداب قابلة الانتقال ايضاً . لاسيما وان الأدب الفرينولوجي[1] اذا استطاعت الهيأة الحاكمة على فرضهِ وادخالهِ في عادات القوم فانهُ يأتي بالمعجزات ويكون مائة ضعفٍ اصلح من التأديب الخرافي الذي تؤَدب بهِ الاحداث . فضلاً عن انهُ يعدل حدة الدماغ ويقمع الاهوآء الفاسدة ويهدي الغرائز الثائرة . ويهدم الميول نحو الجرائم ويعيد الى الهيأة الاجتماعية اشخاصاً كثيرين ساقطين منها وهم مجلبة الهياج وسبب اختلال النظام فيها

القسم الثاني

﴿ في وراثة الاستعداد الغريزي والعقلي ﴾

لا يتناول ناموس الوراثة التركيب الطبيعي فقط بل انهُ يمتد الى الخصائص الغريزية والعقلية ايضاً . ومما لاحظهُ الصيادون الاذكيآء على ان كلب الصيد لا يصيد جيداً الاَّ اذا كان ابوهُ او امهُ بارعاً في الصيد . وكلما كان الكلب متعوداً على ان يرمي نفسهُ في المآء كلما جاءَت صغارهُ اكثر استعداداً لذلك . وتتروض الاحصنة

(١) الفرينولوجيا هي معرفة صفات وخصائص عقل الانسان بالنظر الى تكوين الجمجمة . وان غال اول من قال بهذا العلم باستناده على هذا المبدأ . وهو انه لما كان الدماغ مركزاً لخصائص النفس ففي الامكان معرفة استعدادات واميال المرء من النتوآت والانخفاضات التي تتلاحظ على الجمجمة

وتعتاد على الخدمة باسرع مدةٍ كلما كانت نتاج خيلٍ ركبتها سياسٌ اكفآء . وذكر كاقيه انهُ في الاماكن التي ينصبون فيها الفخاخ لصيد الارانب تبدي صغارها حذراً فايقاً لمَّا تأخذ بالخروج من احجارها اكثر مما تبديهِ صغار جنسها المقيمة في الجهات التي لا يتطرق اليها الصيادون . وعلى هذه الكيفية يحدث في الانسان ذاته

ومما يلاحظونهُ على ذلك ان الوراثة العقلية ما هي الاَّ نتيجةٌ معنوية للوراثة الطبيعية . لانهُ اذا كانت ملامح الوجه ، وصفات وشوائب الجسم ، والامزجة والتركيب الدماغي تنتقل . فالاولى بالاستعدادات الجسمية والخصائص الادبية ان تنتقل بالمثل ايضاً . ذلك لان القسم الاكبر منها هو نتيجة التركيب الطبيعي . ومما هو حقيقي وقد اوضحناهُ مراراً ان كل ما يتعلق بصفات الجسم وشوائبهِ وهي نظير الصحة والقوة والشجاعة .... والضعف والعلل وشوائب البنية كل هذه تتبع ناموس الانتقال الوراثي . ذلك لان الاشخاص الاقوياء والضعفاء والمهازيل والصعاليك يخلفون مخلوقاتٍ شبيهة لهم

وعلى ذلك يرتبط الشبه الجسمي بالشبه العقلي اي ان سيماء تركيب الخَلق تشير الى صفات الخُلق (١) بحيث تنعكس في الاولاد بالاكثر

---

(١) وقد ورد في كتاب السياسة في علم الفراسة للامام ابي عبد الله الانصاري قوله: ان المزاج اما ان يكون هو النفس او آلة لها في افعالها . وعلى كلا التقديرين فالاخلاق الباطنية والخلق الظاهر لا بدّ من ان يكونا تابعين للمزاج . فاذا ثبت هذا كان الاستدلال بالخلق الظاهر على الاخلاق الباطنة جاريا مجرى الاستدلال . حتى ان راضة البهائم يستدلون بالصفات المحسوسة للخيل والبغال

صفات والديهم ووالداتهم كلما كان شكلهم الجسمي اقرب شبهاً اليهم غير ان التأديب والتطبيع اللذين لاقوهما والمحيط الذي عاشوا فيهِ وان يكن في امكانها ، ان تغير هذه القاعدة وتنوعها مع ذلك ان الاميال والاذواق التي وجدت معهم في الاصل كانت شبيهةً للتي اتصف بها والدوهم

لم يعد احدٌ يختلف في أمر وراثة الذكآء الفطري او ضعف العقل وقوتهِ التي هي ايضاً نظير باقي الوراثات . ذلك لان الوالدين الحائزين على تركيبٍ دماغي جيد وعقلٍ كبير راضهُ التهذيب والتأديب يخلفون على العموم اولاداً اذكيآء واكفآء . مع ان الوالدين الغارقين في بحر الجهل المطبق ينسلون اولاداً في الغالب بلهآء — ويسرد لنا التاريخ عدداً وافراً من الأُسر التي قام فيما بينها على اعقابٍ متوالية رجالٌ اصحاب ذكآء واقتدار فايقين ، وأُسر بعكسها اتصف افرادها بالعقل المحدود والتوحش والتعته والبله . وهي التي كانت تتسلسل من الام الى الابن ومن الاب الى الابنة

فاذا اراد المطالع ان يتحقق ذلك بنفسهِ فما عليهِ الاَّ ان يراجع تواريخ الشعوب والامم فيجد في كل امةٍ أُسراً تتسلسل فيها الملائح كما تتسلسل في سواها القبائح . فمنها من اشتهرت افرادها بالذكآء

والحمير وسائر الحيوانات التي يريدون رياضتها على اخلاقها الحسنة والقبيحة . فاذا كان هذا مظهراً للخصال في حق البهائم والسباع والطير فاعتباره في الانسان يكون اولى

المفرط ، ومنها من اشتهرت بالفنون الجميلة ، ومنها من اشتهرت بالعلوم وهلمَّ جرًّا ..... وبعكس ذلك اشتهرت افراد خلافها بالجرائم ومنها من اشتهرت بالفحشآء والمفاسد . ومنها من اشتهرت بالعته والبلاهة ، واذا رمنا ان نورد شواهد على ما تقدم لتعمدنا الاسهاب وضاق بنا المقام

وتأخذهذه الوراثة على العموم بالانحلال والاضمحلال لمَّا يبتدي الضعف بان يحل في الوالدين شيئاً فشيئاً او انهم يحولون فكر ابنآئهم عن مجراهُ الطبيعي

ومما يُعترض بهِ على هذه القاعدة انهُ توجد جملة شواذات لا تجري بموجبها ولا تتفق معها مطلقاً . ذلك ان عدداً عظيماً من الوالدين العقلآء خلفوا بنين عقولهم اقل من المتوسطة . فمثل هذا يتفق حدوثهُ بلا شك لكنهُ اقل توارداً مما يُظن . ومن ذلك المثل العربي ان ابن النجيب لا ينجب واذا نجب فاق اباهُ . امَّا قلة نموّ العقل فيمكن ان تتأتى عن جملة ظروفٍ وتأثيراتٍ طارئة لا علاقة لها مطلقاً بتركيب الشخص الاصلي . فمثلاً ان ابناً تركيبهُ الدماغي جيدٌ وكان يرجى منهُ خير الآمال قد ابتلي ببعض الامراض أو استسلم للملاذ السرية التي تؤثر على الدماغ . فلا شك بان عقلهُ يتأثر من ذلك بالطبع ويتوقف عن سيرهِ وربما سقط عن مرتبتهِ ورجع القهقرى . فهل ذلك لنقصٍ في الوراثة كلا والف مرةٍ كلا

ويعترضون على ذلك ايضاً وهو ان الرجال الاكثر شهرةً في

الازمنة القديمة والعصرية نظير سقراط وافلاطون وارسطو و بوفون وكوفيه ولامارك وهلمَّ جرًّا ..... لم ينقلوا جزءًا من ذكآئهم المفرط الى خلفهم — فمما يتلاحظ على ذلك ان ذكآء هؤلآء الرجال لم يكن من قبيل خصائصهم العقلية فقط بل انهم نالوا من الطبيعة شيئاً اعظم من ذلك وهي الفراسة (genie) التي لا تنتقل بالارث اصلاً بل تظهر بين حين وآخر في وسط الهيئات الاجتماعية نظير الشهب النارية التائهة في عالَم الفضآء . سيما وان الطبيعة تضطر لتوليد الفراسة ان تبذل منتهى قوتها وغاية مجهودها . وكأنها تتعب من جرآء عملها هذا فترتاح بعد ذلك زمناً اقل أو اكثر طولاً قبل ان تأتي مجهوداً آخر من هذا القبيل

ومن اغرب حوادث الوراثة هي تلك الهدنة التي تتوسط الوراثة في تسلسل الاعقاب . ومما هو معلوم ان الهدنة بوجهٍ عامّ هي توقّف حركات الاعضآء عن العمل ما قل اوكثر في حالتي الصحة اوالمرض . فالراحة مثلاً هي الانقطاع عن العمل، والسبات هوالتوقّف عن اليقظة . ومثل ذلك حالات الهدوء التي تتخلل ادوار حمى الربع او الشقيقة (نفرالجيا) الدورية هي ايضاً هدنات . وعلى هذا المنوال ان للوراثة هدناتٍ وتقطعاتٍ في تسلسلها ، فهي تتخلى عن نسلٍ لتصيب النسل الذي يليه . و بعض الاحيان ترقد في اثنآء جملة اعقاب لتستيقظ دفعةً واحدة وتظهر بمعظم قوتها كأنها لم تتوقف ولم يحصل لها ادنى انقطاع تتواتر في عالم النبات هدنة الوراثة ويكثر حدوثها ، حتى ان علمآء

النبات لشدة دهشهم من تواترها قد اطلقوا عليها اسم وراثة الجدود أو الناموس الرجعي

القسم الثالث

﴿ في توريث الاب لبناتهِ والام لبنيها ﴾

نورد للمطالع باختصار البيان الفيسيولوجي فيما يختص بالتأثير المدهش الذي يفعلهُ الاب في بناتهِ والام في بنيها مادياً كان او عقلياً

تمثل الاولاد والديهم بكيفيةٍ متعاكسة ، ذلك لان البنات ترث عن والدهنَّ شكل رأسهِ وهيكل صدرهِ واعضائهِ العليا . وترث عن والدتهنَّ تركيب الحوض والمعدة والاطراف السفلى . وبخلاف ذلك البنون فانهم يأخذون عن الام تكوين الرأس والاطراف العليا ويماثلون الاب بباقي الجسم والاطراف السفلى . فيحصل من ذلك ان البنين الذين انسلتهم امهاتٌ عاقلات يكونون عاقلين . والبنات اللواتي خلفهنَّ ابهاتٌ اكفاء يرثن كفايتهنَّ عن والدهم . وكذلك اذا جاء المواليد التوائم ذكوراً فهم يشابهون امهم واذا جاءت اناثاً يماثلن اباهنَّ . ومتى كان التوأمان من جنسين مختلفين فيشابه احداهما الاب والآخر الام . ثمَّ ان ابناء زوجٍ شيخ وزوجة فتاة ، فضلاً عن انهم يرثون ضعف ابيهم مع ذلك فهم يشابهون كثيراً امهم والعكس بالعكس

ارتأى فيكدازير ودينه وسانكلر وجيرو دي بيزارينغ وبارداخ وملر ان الام تؤثر بالاكثر في تمثيل الجنين والاب في تمثيل حيويتهُ

فيستنتج على العموم من الشواهد المختلفة التي جمعها الطبيعيون والفيسيولوجيون والاطباء ان الام تنقل صفاتها العقلية الى بنيها والاب صفاتهُ العقلية الى بناته، ولا يأتي عكس ذلك الاَّ من قبيل الشواذ .

ونورد فيما يلي بعض الحوادث التاريخية الدالة على هذا

ان غالب النساء اللواتي اشتهرن بذكائهنَّ واللواتي حفظ لنا التاريخ اسماءهنَّ ورثن استعدادهنَّ الفلسفي والسياسي والانشائي والفني عن ابائهنَّ

تفوقت دامو ابنة فيثاغورس منذ صغرها على باقي اخوتها وذلك بميلها الى البحث والاستقصاء بافكارها المنظمة والاصولية . وقد ذكر المؤرخان ليزيس وديوجينوس لايرك ان والدها الفيلسوف العظيم قد عهد بمؤلفاتهِ اليها

كان حاتم الطائي من اجواد العرب الذين يضرب بهم المثل وقد ورث هذا الخلق عن والدتهِ التي كانت من أسخى الناس حتى اضطر اخوتها ان يحجروا على اموالها خوفاً من تبذيرها . وكانت ابنتهُ سفَّانة سخيةً ايضاً فكان ابوهـا يعطيها القطعة بعد القطعة من ابله فتهبها للناس

ورّث كليوبيل احد حكماء اليونان السبعة الى ابنتهِ كليوبيليـا فضائلهُ ومناقبهُ السامية

خلف اريستيب الظريف تلميذ سقراط ورئيس مذهب الفلسفة القيروانية ابنتهُ ارتيبا اشهر نسآء عصرها بواسع معارفها

كانت ام جنكيز خان امرأةً ميالة الى الحرب فانسلت هذا الطاغية خراب الديار وسفاك الدمآء . ثمَّ تسلسل تمرلنك السفاح المشهور من ذرية جنكيز خان بالصلة الرحمية

واتى افلاطون من ذرية سولون بالصلة الرحمية

وورث نابوليون الكبير عن والدهِ شارل بونابارت ووالدتهِ ليتزيا راموليني وهما زوجان مشهوران بالذكآء والاستعداد ، جرثومة خصائصهِ العقلية السامية . وقد ورث ايضاً عن والدهِ دآء السرطان المعوي الذي قضى نحبهُ به

وفي وسعنا ان نورد اسمآء مئاتٍ من النسآء الشهيرات في التاريخ اللواتي ورثن العقل والذكآء والكفاية عن ابآئهن كما ورثت كثيراتٌ خلافهنَّ الفحش والفجور والفساد عن ابائهنَّ ايضاً

وكذلك اسمآء رجالٍ كثيرين من الذين ورثوا العقل والذكآء عن امهاتهم كما ورث خلافهم الفحش والفساد عن والداتهم ايضاً وقد اكتفينا بما اوردناهُ على سبيل الدلالة فقط

ولا تقتصر الوراثة على ما تقدم بل ان الميل الى الفنون الجميلة كالموسيقى والتصوير والشعر وبمثل ذلك طلاقة الصوت واقتدارهِ وحسنهِ تنتقل على القاعدة المتقدمة . بحيث انهُ قد تلاحظ ان الاب الذي يمتلك صوتاً حسناً كان يورثهُ في الغالب الى بناتهِ اكثر من بنيه

وكذلك الام تنقل صوتها الجميل الى ابنآئها ونادراً الى بناتها

وبالمثل الاشخاص الذين انسلهم والدون ثرثارون كانوا يأتون بوجهٍ عام على شكل والديهم . وقد ذكر الدكتور لوقا شاهداً عن ابنةٍ كانت خادمةً عندهُ بلغ منها الهذر والثرثرة الى نوعٍ من الجنون . ذلك انها كانت تتكلم مع الناس ولا تترك لهم فرصةً للرد عليها . وكانت توجه كلامها الى البهم والى اثاث المنزل والى الجدران . واذا لم تجد لها ما توجه اليهِ خطابها فكانت تتكلم بصوتٍ جهوري مع ذاتها حتى اصبح دآؤها هذا غير محتملٍ فاضطر الدكتور لوقا الى اطلاق سبيلها . وقد اقرت هذه الابنة معترفةً بان دآءها هذا آل اليها بالارث عن والدها . ويظهر من الشواهد القليلة التي اوردناها والشواهد المتعددة التي لم نذكرها ان الوراثة تنتقل مباشرةً من الوالد الى ابنتهِ ومن الوالدة الى ابنها ، واذا تصادف واختلت هذه القاعدة وخالفت سيرها ووجدنا بعض الخصال في المواليد وليس لها اثرٌ في الوالدين ، فلا يجب ان ننكرها بتاتاً . ذلك لانهُ اذا ما عدنا الى السلف لوجدناها في الجدود او والدي الجدود او في جدود الجدود

غير ان لهذه القاعدة العامّة شواذات وهي ان رجالاً كثيرين قد اشتهروا بالعلوم والفنون ولم يكن لهم جدودٌ قد امتازوا واشتهروا بها فيكفي لذلك ان ينسلهم والدون عقلآء معتدلو المزاج اصحآء الجسم والعقل حتى تأخذ دائرتهم العقلية بالاتساع من نسل الى نسل

ثمَّ ان كثيرين من الرجال العظام يبتدي وينتهي مجد أسرتهم بهم

ويجوز ايضاً ان الرجال الاكثر استعداداً وكفايةً يخلفون اناساً بلداء اغبياء لكنهُ لم نجد شواهد على والدين اغبياء بالكلية خلفوا رجالاً ذوي استعدادٍ فائق

القسم الرابع

﴿ في الوراثة المرضية ﴾

لم تعد مسألة الوراثة المرضية تقبل الريب ولا نظننَّ انساناً عاقلاً في يومنا الحاضر يشك بها ، بعد ان اصبحت من المسائل المقررة التي لا تقبل جدلاً

تشتمل الوراثة المرضية على اربع كيفياتٍ وهي — وراثة العلة — الاستعداد لها — الجرثومة المرضية — والاعراض المعروفة بها

وان من جملة الامراض التي تتصل بالوراثة من السلف الى الخلف هي العلل السارية والادوآء الخنازيرية والقوباوية والزهرية والسرطانية وهلمَّ جرًّا . . . . . وشوائب البنية وادوآء المجاري البولية والسل والصرع [1] .... ثمَّ الامراض العصبية على انواعها واختباط الذهن والبله والتعته العقلي واختلال الشعور تنتقل مع الآسف اكثر من

---

(١) ان بعض الاطباء نظير مارتن حتم العزوبة على المصابين بالصرع ذلك لان وراثته شديدة ونصف المصابين به قد انتقل اليهم بالارث

انتقال الصفات الحميدة . سيما وان وراثة الاختباطات الدماغية يكون انتقالها ايضاً من الاب الى الابنة ومن الام الى الابن

وذكر جيرو في موًلفهِ عن التناسل جملة حوادث تثبت ذلك وهو انهُ متى كان الوالد او الجد في أسرةٍ مختل الشعور فا كثر ما يخشى على البنات من هذا الاختلال . واذا كانت الام هي المصابة بالاختلال فتنقلهُ في الغالب جداً الى بنيها أو الى واحدٍ منهم . ومن يطالع موًلف بروسبير لوقا في الوراثة يرَ فيهِ من المدهشات المحزنات . بحيث انهُ لا يكفي الجنس البشري ان يكون مثقلاً بالادواء والعاهات البدنية التي يرزح تحتها ، بل اننا نشاهدهُ معرّضاً بالمثل ايضاً الى الادواء العقلية التي لزيادة شقاًئهِ وتعاستهِ هي من العلل الوراثية ايضاً

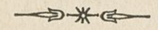
ثمَّ انهُ لنكد الطالع ان وراثة الغرائز الجنائية هي ثابتةٌ ايضاً . بحيث ان السرقة والانتحار والقتل وجميع الجرائم تتبع ناموس الانتقال من السلف الى الخلف . وامامنا اعظم سجلٍ الاوهو التاريخ الذي يقف بهِ الانسان على نسب السارقين والقاتلين والمنتحرين . اذ يجد في كل صحيفةٍ منهُ ان نسل الرجال المجرمين كانوا يشاركون اباءَهم في اميالهم وجرائمهم . وما على المرء الآن يطالع تاريخ الاتريديين والهراكليديين والاوقاديين فلا يجد غير التسميم والقتل ..... وليقرأ تاريخ ملوك مصر واشور من عصر نينوس الى آخر زمن السلوقيين فيدهشهُ عدد الجرائم التي اجترمها هوًلاء الامراء . وليطالع تاريخ ملوك فارس فلا يقع نظرهُ على غير القتل . وتاريخ القياصرة الرومانيين فلا يجد غير

السفالة والقتل . وتاريخ الخلفاء والسلاطين فلا يدور الاَّ على محور القتل الذي يتسلسل في هذه الأسر الملوكيـــة تسلسلاً هائلاً . وبالتالي فليطالع صحف المحاكم وليتعقب الحوادث الفظيعة فيها يجد انهُ لمـَّا يبحث القضاة ويتعقبون اسلاف الجاني يكتشفون احد والديهِ أو جدهِ أو ابا جدهِ مجرماً . فيتضح مما تقدم ان وراثة الجرائم هي ايضاً ثابتة نظير باقي الوراثات . واننا وان لم نكن من اولئك الاشخاص الذين يلاحظون في ابن المجرم فرعاً مجرماً كما يرتأي الاستاذ لومبروزو الايطالي مثلاً . مع ذلك نرى انهُ لأمر افضل ان نتجنب الاشخاص الذين في أسرتهم اناسٌ قد جنوا على الانسانية والشرف بارتكابهم الجرائم والموبقات فيكون ذلك اسلم عاقبةً واحمد مغبّة

على انهُ اذا لاحظنا الوراثة المرضية من بدء سيرهـا نجد في تسلسلها ودائرة حدودها تعاريج وعدم انتظام . بحيث انهـا تصيب نادراً جميع افراد الأسرة الواحدة اخصهُ اذا كانوا عديدين . وكذلك الطريق التي تجتازها لا تكون مستقيمةً دائماً ، بل هي تتبع تارةً خطةً متواصلة وطوراً تعاف نسلاً لتعلق بالذي يليـه . وحيناً تترك نوعاً لتمسك بالنوع الآخر . فمثـلاً ان زوجين انسلهما والدان مسلولان يكونان ممتلـكي صحةٍ جيدة مع ان اولادهما ما كادوا يشبون حتى هصر السل غصن شبابهم واحداً تلو الآخر — ثمَّ ان والداً مصابـاً بداء الصرع ينقل علتهُ الى ابنتهِ مع ان هذه تورثها الى ابنهـا — ويختفي في بعض الأسر داء النقرس والرثية (الروماتيزم) ليظهر ثانيةً

في الاحفاد . وتنقطع في البعض الوراثة ولم تعد تظهر . بحيث ان هذا السير المدهش في تسلسل الوراثة قد خفي حتى تاريخهِ عن مباحث ارباب هذا العلم وان التعليلات التي ارتأوها بهذا الصدد واهيةٌ لم تثبت على حالةٍ ولم يؤيدها برهان

تنتقل الوراثة بالاكثر متى صحب المولود معهُ جرثومة الداء ويقل خطرها جدًّا اذا كان الشخص مستعداً لها فقط . فيلزمهُ والحالة هذه ان يقصد طبيباً ماهراً ليساعدهُ على مكافحة هذا العدو وابادة أثرهِ من بنيته



القسم الخامس

﴿ في معالجة الوراثة المرضية ﴾

يوجد نوعان من المعالجة لمقاومة الوراثة المرضية احدهما سابق او للوقاية وهو الذي يختص بالخطيبين قبل الزواج . وثانيهما لاحق أو للمعالجة وهو الذي يُستعمل للنسل المولود

﴿ في الوقاية ﴾

يجب منع الاشخاص المصابين بعلةٍ وراثية خطرة عن الزواج

متى كانت هذه العلة غير قابلة الشفاء، لانهم يورثونها بدون ادنى شك الى خلفهم

ومن اكبر مساوي القانون المدني وعدم انتظامهِ ان ينقض بيع الحيوان اذا وُجد فيهِ عيبٌ ويسكت عن العيوب التي هي في عقد الزواج . و بذلك تكون البهائم في نظرهِ من هذا القبيل اعلى مرتبةً من الجنس البشري . لانهُ من المشاهد غالباً اذا ما قلنا دائماً ان الاهل يسعون في تزويج بنيهم مع اخفآئهم الامراض الوبيلة التي يكونون مبتلين بها . وذلك انهم يزفون الفتاة المبتلاة بالدآء الخنازيري او بالسوائل البيضآء او بالدآء العصبي او الهيستيريا الى الرجل الشاب وهو يظنها سليمة — وكذلك يزوجون الشاب المصروع أو العنّين أو المبتلى بالزهري او القوبا بفتاةٍ كانت ترفض الاقتران بهِ لو علمت بالعلة الخفية التي ينطوي عليها جسمه — ويأتي في ذات السياق الاشخاص المصابون بالصمم والعمى تقريباًو بالذهول والخرف والوسوسة و باختلال الشعور في بدء نشأتهِ وهلمَّ جرًّا ..... فزواج مثل هؤُلآء الاشخاص مع كتمان العلل المقيمة فيهم غشٌ فاضح وجريمةٌ فظيعة يجب ان يعاقب عليها القانون ويقضي علناً وفي الحال بفسخ عقد الزواج

على ان كثيراً من الشعوب التي نعدها متأخرةً ومنحطةً في سلم المدنية لديها شرائع بهذا الشأن هي اقرب الى الصواب واوفر حكمة من شرائعنا التي نعدها ارقى الشرائع واكملها . ذلك لاننا نقرأ في

القانون الصيني والهندي هذا البند وهو انهُ اذا زوج احد الوالدين[1] ابنتهُ بشخصٍ وهي مبتلاة بدآءٍ رئيسي بدون ان يشعر الزوج بهِ ، فلهذا الحق ان يلغي عقد زواجهِ المغشوش

منع زواج الاقارب

كان الفرس والماديون والهنود والاثيوبيون يقترنون بامهاتهم وبناتهم وحفيداتهم على نسبةٍ عظيمة بدون ان يلقوا معارضةً من الكهنة والشارعين او الهيأة الاجتماعية . سيما وان الفرس كانوا يجلون بنوعٍ خاص الاولاد المولودين من زواج امٍ بولدها . حتى ان هذا الزواج كان يأتيهِ المجوس والمرابزة وهم دعامة الدين والعلم

امّا في اثينا وسبارطة فكانت امثال هذه الزواجات قليلة الشيوع جدًّا . ومن ثمَّ حرّمها الرومانيون تحريماً باتاً حتى انهم قد توسعوا بها اكثر منا اذ حرّموا زواج العم والخال بابنة اخيهِ أو اختهِ

وكذلك الشارع الاسرائيلي قد حرّم الزواج القريب كما جآء في سفر اللاويين ص ١٨ . وأنهُ وان لم يفرض ذات القصاص على زواج العم او الخال بابنة اخيهِ او اختهِ، وابن الاخ أوابن الاخت بعمتهِ أو خالتهِ مع هذا قد منعهُ منعاً باتاً

واستمر العرب يتزوجون بامهاتهم الى ظهور محمد وهو الذي حرّم

---

(١) ان الزواج عند الصينيين موكولٌ بوالدي الزوج والزوجة وليس للزوجين اختيارٌ فيه

مثل هذا الزواج وكثيراً خلافهُ . وقد ورد في القرآن « حُرِّمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم الخ .... » امّا سكان بيرو والبرازيل وكاليفورنيا الاصليون فانهم لم ينتبهوا كثيراً لأمر زواج الاقارب مع ان ذلك كان محرَّماً جدًّا عند اهالي المكزيك وهايتي وشعوب استراليا الاصليين ، ويقاصص مخالفهُ قصاصاً صارماً . وكذلك حرّمت الشريعة الصينية كل زواجٍ بين اشخاصٍ تربطهم صلة القرابة مهما كانت بعيدة

وكانت الكنيسة الكاثوليكية بناءً على اراء مجامعها التي كانت تعقدها تحرم تارةً الزواج القريب في ثالث درجة ، وطوراً تحرمهُ الى الدرجة الرابعة واحياناً حتى السابعة ايضاً . امّا اليوم فانهُ اذا رغب العم أو الخال ان يقترن بابنة اخيهِ أو اختهِ ، وابن الاخ أو ابن الاخت بعمتهِ أو خالتهِ ، واولاد العم ببنات عمهم . . . . . فيمكنهم الحصول على التصريح بذلك بكل سهولةٍ من رومية أو من البطرك عند بعض الطوائف لقاء مبلغٍ من النقود

غير ان الافضل ان لا يُسمح بزواج الاشخاص الذين بينهم نسبٌ قريب . لان زواجاً كهذا ينتج دائماً ثماراً دنيئة ومشوبة ويضاعف جميع الادواء المقيمة في الأسر التي هي من ارومةٍ واحدة . ويظهر لنا التاريخ ان الأسر الاريستوقراطية التي كانت تنضم الى بعضها البعض بالزواج كانت تنحط شيئاً فشيئاً وتسقط في البلاهة

وسخافة العقل وتباد . وقدر دروين الزواج القريب بين الأسر الاريستوقراطية باربعة ونصف في المائة والذي لم يكن القصد منهُ الاَّ المحافظة على الالقاب واسم الأسرة والثروة . واورد على ذلك مثلاً مقنعاً وهو نسبتهُ نموّ الجنون في ايكوسيا الى تواتر الزواجات العصبية

وقال العلامة الدكتور يوحنا ورتبات « ان تحريم الزيجة بين الاهل الاقربين وهو ما عوّلت عليهِ جميع الاديان من الامور الصوابية لانهُ ثبت من المشاهدات المتعددة ان الزيجة بين الاقارب مضرة بالنسل ولو كانت بين اولاد العم أو الخال . ولا سيما اذا تكررت في الأسر كما هو مشهور في اهل العشائر في بلاد سوريا الذين قد حصروا زيجتهم منذ اجيالٍ كثيرة في أُسرٍ قليلة . فكانت النتيجة كثرة الجنون والصرع والفالج والتشويه الخلقي فيما بينهم اه . » وكذلك اليهود بمحافظتهم في كل صقعٍ على الشكل اليهودي المعروف ينقلون معهم استعداداتٍ مختلفة فاسدة وامراضٍ جلدية

ويلاحظ الفيسيولوجيون ومربو الحيوان على ذلك وهم نظير ملّر وسنكلر و بيرون وجوفروى وهارتمان و بقويل و برنسيبس وسبيريغ ..... وهو ان انزآء الحيوانات الاقارب يأتي رديئاً واذا استمر ذلك ينحط فيها الجنس والنوع والنشاط والصحة والنموّ وتنقرض

وربَّ معترض بقولهِ ان الجنس الحيواني يكسب كثيراً بتناسلهِ في ذات الفصائل لانهُ يكتسب الخصائص الوراثية بانتقالها اليه . وان جمال وشكل الخيل العربية والانكليزية والمرعز (نوع من الضأن) الاسباني

لا يحفظ شكلهُ الاَّ بهذه الوسيلة كما هو معروف . فاعتراضٌ كهذا يسقط من تلقآء ذاتهِ اذا تلاحظ انهُ لاستمرار انواع هذه الحيوانات الجميلة والراقية في عالم الوجود يذهبون دائماً ورآء الانتخاب الجنسي ويعتمدون عليه . وذلك باختيارهم الذكور المنقاة بخلاف ما يحصل في زواج الاقارب في الجنس البشري

ويقول بعض علمآء النبات ان الحبة اذا كانت دائماً بالذات وزرعت بكيفيةٍ معلومة وفي عين الارض لا تبطىء حتى تأتي باثمار دنيئة وفاسدة . وصفوة القول ان زواج الاقارب يكون اكثر ملائمةً لنموّ الامراض والاخلاق والعادات الموروثة

﴿ الاختيار في الزواج ﴾

لا احد ينكر أو يستطيع ان ينكر التأثير الجيد أو الرديء الذي يفعلهُ البذار والتربة في النبات ، فكيف اذاً لا يؤثر ذلك بالمثل ايضاً في الجنس البشري . وعليهِ يجب على قدر الامكان الاختيار في الزواج وان لا يقترن الاَّ السالمون من الامراض الوراثية الخطرة . واذا كانت بنية الشخص هزيلة وحالتهُ الصحية ضعيفة فمن الضرورة لا بل فرضٌ واجب ان يفتش لزواجهِ على شخصٍ ذي بنيةٍ تناقض بنيته . حتى ان غنى الواحد يكافح فقر الآخر وهذا نظير ما يجرونهُ في تزويج الحيوانات الاهلية

اختيار السن — ذلك لان الزواج الباكر ونظيرهُ المتأخر لا ينتجان سوى نسلٍ هزيل وقليل الحيوية

اختيار المكان — على المرء ان يختار المكان المناسب قبل استلامهِ الى الفعل الجنسي ، وليست هذه الوصية من قبيل الوهم والخيال بل بعكسهِ يعتبرها الفيسيولوجيون ومربو الحيوان كقاعدةٍ مسلمّة لها اكبر تأثير على التلقيح وعلى النسل العتيد . ربى الدكتور سمنر فئراناً بيضاً في غرفةٍ حرارتها ٢١ درجة، وفئراناً بيضاً اخرى في غرفةٍ باردة حرارتها ٥ درجاتٍ فقط ليرى تأثير الحر والبرد فيها . فوجد ان التي ربيت في الغرفة الدافئة جآء نسلها اطول اذناباً وقوائم واذاناً من التي ربيت في الغرفة الباردة . ثمَّ ربى نسل هذه وتلك في غرفةٍ واحدة معتدلة الحرارة فبقي نسل الاولى طويل الاذناب والقوائم والاذان ونسل الاخرى قصيرها . اي ان الصفات التي اكتسبتها الفئران من نموّها في غرفةٍ حارّة أو باردة انتقلت الى نسلها

وقد اوضح الدكتور بروسبير لوقا في مؤلفهِ عن الوراثة هذه المسألة باجلى بيان . وذلك ان الزوجين الذين يخشيان مثلاً من ان ينقلا الى نسلهما الخنازيري والسل وضعف البنية والتركيب الليمفاوي الصرف ..... عليهما ان يتركا الاماكن المنحطة الرطبة المحرومة من الهوآء والنور ويقصدا مكاناً طلقاً صحياً . ويكفي لذلك في بعض الاحيان فقط تبديل الحي أو الجهة أو المدينة لينجو النسل الذي

ينسلانهِ من الوراثة المرضية . ثمَّ يجب عليهما ان لا يستسلما في الحال الى الفعل التناسلي عقبى تبديلهما المكان بل ان ينتظرا برهةً من الزمن يستعيضان في اثنآئها عن الحالة التي كانا موجودين فيها . وان لا تقل هذه المدة عن ثمانية الى عشرة ايام قبل اتيانهما الفعل الجنسي

﴿ في معالجة النسل ﴾

١ً : يجب لوقاية النسل من الدآء الوراثي واضعافهِ قبل ظهورهِ فيهِ ان يمنعوا الولد عن جميع الاسباب التي اضرت بنية الوالدين وسببت الدآء لهما . وهي نظير السكن الغير الصحي والغذآء الرديء والعادات المضرة

٢ً : محاربة الدآء الوراثي في اول ظهورهِ بجميع الوسائل العلاجية والصحية . ويجب الاعتماد في المعالجة على تقادم العلة في الأسرة وعلى خطورتها وشكلها ومزاج الشخص وحالة قواهُ البدنية . وبالتالي على جميع الاحوال والوسائل التي بها يمكن تشخيص العلة باوفر وضوح

امَّا الوسيلة الاولى لاتقآء الوراثة المرضية ومحاربتها هي ان يُحاط الشخص بظروف تحول بالكلية دون الظروف التي تساعد على انمآء جرثومة العلة . وفي الوقت ذاتهِ تكون صالحةً لتقوية الاعضآء المستعدة لها . ذلك لان الشخص المهدد بالدآء الخنازيري مثلاً يلزمهُ ان يرحل عن البلاد الباردة والرطبة ويذهب مقيماً في البلاد الحارة واليابسة، وان يغتذي باللحوم المشوية والخضر العطرية الرائحة، ويستعمل المشروبات

المقوية ويتفرغ للاشغال اليدوية والرياضة البدنية .... وتأتي الوسيلة الثانية غالباً بالنجاح وهي الاشتراك الزواجي . بحيث اثبت الاختبار انهُ في الامكان تحسين انواع الحيوانات الاهلية او تسفيلها بناءً على اختيار صفة الذكر والانثى قبل تزويجهما . ويحصل مثل ذلك للانسان تماماً اي انهُ اذا اقترن مخلوقان هزيلان وفي احدهما علةٌ وراثية فمن الضروري ان يأتي نسلهما ضعيفاً وفيهِ الاستعداد لصفات والديهما . واذا اقترن شخصٌ قويّ البنية بشخصٍ ضعيف التركيب فيعدل نشاط الواحد نقص الآخر على نوعٍ ما . وان الثمر الذي يخلفهُ هذا الزواج يأتي في اول نسلٍ في حالةٍ جيدةٍ لا بأس بها . فاذا تم زواج النسل بحسب القواعد السابقة فتأتي الذرية الثانيــة بديعةً للغاية . وكذلك انهُ باقتران المزاج الليمفاوي الصرف بمزاجٍ جافّ او صفراوي دموي تحصل الفائدة المطلوبة لتعديل واتلاف الاستعداد الخنازيري الذي ينطوي عليهِ جسم الاول

شفاء الضر بالضر — انهُ بالارتكان على هذه القاعدة في الزواج يجد المرء الدواء الوحيد النافع لمقاومة العلل والادواء الوراثية التي تفتك فتكاً ذريعاً في بعض الأسر البشرية . ذلك لانك اذا اعطيت هــذه الفتاة المبتلية بالسوائل البيضاء وتلك الشابة ذات الاستعداد لداء السل زوجاً صحيح الجسم شديد البنية دموي المزاج . وكذلك اذا ازوجت ذاك الشاب الضعيف النحيف الذي يتهدد

بعض الادوآء العصبية بنيتهُ بابنةٍ قوية ذات مزاجٍ دمويّ تتدفق من جوارحها الصحة والعافية . فيمكنك والحالة هذه ان تؤَمل بتلاشي الوراثة المرضية وبنسلٍ صحيح في العقب الثاني خصوصاً

وقد تقرر بناءً على الاختبارات المتوالية انهُ يجب على الأسر المصابة بامراضٍ وراثية ان توسع دائرة زواجها اكثر من سواها بابتعادها عن محيط اسرتها ، واذا امكن ان تبحث في خلاف اقليمٍ على ازواجٍ لبناتها وزوجاتٍ لبنيها

في الوسائل المفيدة لمحاربة الوراثة المرضية بعد الولادة

— متى جآء المولود مصطحباً معهُ الارث الرديء الذي خلفهُ لهُ والدهُ فيجب قبل كل أمرٍ ان يعلم اذا كانت العلة آيلةً اليهِ من الوالد او الوالدة . فاذا كانت من الام فيلزم في الحال ومن دون ادنى تردد ان يُعطى الطفل الى مرضعٍ مستوفية الشروط لارضاعه . وذلك لانهُ ينطوي دم امهِ على الجراثيم المرضية المبتلية بها وان يكن هذا الفعل لم يزل غامضاً لكنهُ مع ذلك قريب من الحقيقة . فيجب مثلاً ان يختار للمولود الضعيف المستعد لدآء الكساح مرضعٌ من بين المراضع السمر اللون الممتلئة العضلات المتمتعة بالنشاط الطبيعي . ويستشار من ثمَّ الطبيب العالم بقوانين الصحة ليقرر للمولود التدبير الغذآئي الذي يلزمهُ بعد الفطام ، ومن ثمَّ الرياضة البدنية التي يحتاج اليها . ولقد افادت الرياضة البدنية كثيراً وكان لها المقام الأول في

معالجة الاولاد المصابين بالعلل الوراثية كالادوآء الخنازيرية والكساحية وهم المعوجو الاعضآء المشوهو البنية .... فكانت خير وسيلةٍ وأتت بالنتائج المدهشة . فعلى الوالدين المتنورين ان لا يهملوها ابداً ولا يحرموا ابناءهم منها لانها تعدل وتقوّم بوجه التقريب شوائب التركيب. اولاً : بتقويتها الانسجة والاعضآء التي فيها ميلٌ الى الذبول والترهل وثانياً : بتعديلها حركة الاعضآء وتقنين تغذيتها وهي ذات الاستعداد للحوية المفرطة . ولكي تلاقي هذه الوسائل نجاحاً تاماً يجب ممارستها بامر طبيبٍ اختصاصي بتصليح الاعضآء والرياضة البدنية او على الاقل بواسطة خبيرٍ فيسيولوجي متفرغ خصيصاً لهذا الفن

لا تظهر الامراض الوراثية في البنية اتفاقاً وفي وقتٍ غير معين بل انها بعكسه نظير بذور النباتات تنتظر الفصل والزمن اللذين خصصتهما الطبيعة لها لتنبت فيهما . ذلك لان جرثومة العلة الوراثية بالنظر الى نوعها تنتظر مناهزة الاعمار الصالحة لنموّها . اذ يظهر دآء الكساح في سن الحداثة — وعلل القلب والصدر في سن الشبيبة — والرثية (الروماتيزم) والنقرس وحصى المثانة والالتهابات الرحمية والبواسير ودآء السودآء والماتيا وهلمَّ جرًّا ..... في سن الكهولة — وفي التالي الاورام السرطانية ودآء النقطة في سن الشيخوخة الاولى . فالاشخاص الذين فيهم استعدادٌ لوراثةٍ مرضية عليهم اذا ناهزوا العمر المناسب لها ان يتيقظوا غاية التيقظ و يمتثلوا للمعالجة الواقية ليضعفوا استعدادهم للعلة ويتقوا الاصابة بها

امّا العلل الوراثية الاكثر شيوعاً والتي نشاهدها تنتقل من الخلف الى السلف باوفر سهولةٍ هي الادواء الزهرية وذلك لكثرة انتشار الفحش والفساد بين طبقات الامم المتمدنة وقلة الزواج الشرعي الذي يزيد الناس اعراضاً عنهُ من يوم الى آخر

ومتى كانت الاصابة بالزهري خفيفة كالقرحة الرخوة مثلاً فهذه ليست عواقبها وخيمة وتكفيها معالجةٌ بسيطة للبرء منها. امّا اذا كانت من النوع الخبيث فشفاؤها عسرٌ وتلزمها مدةٌ من الزمن بشرط أن لا يهمل العليل المعالجة المقررة لها

وتظهر في البنين الذين يخلفهم الوالدون المصابون بالزهري علاماتٌ اقل أو اكثر غموضةً تدل على هذه الوراثة المشؤُمة . فاحياناً يسري سم هـذه العلة في تلك المخلوقات البريئة ببطء و بكيفيةٍ غير منظورة واحياناً يسير بسرعةٍ مخيفة تخيب في الغالب معهُ حيل الطب ومجهودات الاطباء . فاذا عددنا الادواء الوراثية فيأتي داء الزهري (السفلس) في مقدمتها . ذلك لانهُ يصيب الموارد الحيوية بالاكثر ويحط في صحة البنية وجمالها. لاسيما وانه كم أجهضت امرأةٌ ،وكم ولدت طفلاً ميتاً ،وكم ماتت اطفالٌ في سن الطفولية لا لسبب ظاهري للوفاة غير الزهري الوراثي. واذا عاشت الذرية كم تذوق مضض الحياة من عتهٍ و بلهٍ وصرعٍ وتشوهٍ في الخلقة وضمورٍ في الاعضاء، وكم حرم بعض الأسر لذة البنين وكم وكم . . . فما على المرء المبتلى بهِ الاَّ ان يسرع جهدهُ في محاربتهِ ليتقي اضرارهُ المخيفة

ولا يستطيع المرء ان يتصور جنايةً اعظم فظاعةً واشد هولاً مما يأتيهِ اولئك الجناة الاغرار الذين يتقدمون الى الزواج وهم ملوثون بتلك العلة المخيفة فيكرسون على مذابح شهواتهم تلك النفوس البريئة وهي زوجتهم المنكودة الطالع وبنيهم التعساء. فينفسون فيهم سمومهم ويفسدون دماءهم ويجعلونهم هدفاً للغموم والحسرات مدى حياتهم. مع انهُ كان في امكانهم ان ينتظروا ريثما يشفون من علتهم ويسمح لهم طبيبهم بالزواج. وان خير وسيلة يتأكدون بها شفاء داء الزهري بالكلية هي استعمال الحمامات الكبريتية التي هي نظير حجر المجس لهذا الداء الوبيل. غير ان الطريقة التي عولوا عليها اخيراً هي أخذهم قليلٍ من دمِ المصاب وتطعيم حيوانٍ بهِ على طريقة وسرمان الشهيرة

الفصل السادس عشر

﴿ في العزوبة او العفة الدائمة ﴾

﴿ في التهييج الجنسي والافراط التناسلي ﴾

في العزوبة ونذر العفة — كان الزواج في كل الازمنة وعند جميع الامم مهاباً محترماً ، وكانت العزوبة بعكسهِ معرضةً دائماً لضروب الاهانةوالاحتقار . فاذا تصادف وشاهدنا في تضاعيف التاريخ ان العزوبة لاقت في بعض الاحيان شيئاً من الكرامـة والمجد عند بعض الامم ، فيمكننا ان نعزو ذلك الى ذهولٍ طرأ على فكر فريق من البشر كان منشأهُ التصوف والتوغل في الزهد . وهو بالحقيقة مرضٌ عصبي يصيب الدماغ وينتشر نظير سائر الامراض السارية وتبتلى بهِ اصحاب العقول الضعيفة

امَّا الزواج فهو الحب الذي يشعُ من الجسم فتتولد عنهُ الحياة وبهِ تمدد وتتسع دائرة خصائص الشخص الودية والانعطافية . بعكس

العزوبة التي هي مصدر الانانية والباعثة على الموت والفناء والعدم

قام جميع الشارعين والفلاسفة والحكماء ضد العزوبة فهتكوا سرها وقبحوا مشرعها وانحوا باللائمة على طلابها ومريديها . حتى ان القديس بافنوتيوس لم يخشَ لومة لائم لمَّا اعان فكرهُ على رؤُوس الاشهاد في المجمع النيقوي بقوله: ان اجتماع المرء مع زوجتهِ هو عين العفة ولهُ اجرٌ عند الله . وارتأى جان جاك روسو ان العزوبة هي اهانة الطبيعة وميل الانسان عن غايتهِ المقصودة . وقال ڤولتير ان نذر العزوبة هو غاية الخبث ومنتهى النفاق . وحمل دوبوي وڤولناي ودروين على الخزعبلات المقدسة التي يمجدون بها العزوبة وكشفوا للملأ بطلانها . ورمى لوثيرس انصار العزوبة ومريديها بصواعق من قوارس كلامهِ بقوله: «انهُ ليس في استطاعتي ان لا اكون رجلاً . وكذلك ليس لي قدرةٌ على ان اعيش دائماً بدون امرأة . فهي ضروريةٌ لي نظير المأكول والمشروب وقضاء سائر حاجيات الجسم . فعلى الرجل ان يكون نظير ما اراد الله ان يكون . فاذا استعملنا الحرية التي منحنا الله اياها في ذهابنا ضد ارادتهِ فيأتي عملنا هذا من قبيل الجنون والتجديف على الخالق»

امَّا الاشخاص الذين اثبتتهم الكنيسة بكونهم قديسين قد اعتبروا الزواج من اشرف حالات الحياة . منهم القديس بطرس ، والقديس اكليمندوس الاسكندري ، والمعلم اوريجيانوس ، ونوفاتوس كاهن قرطجنة ، والقديس هيلريون ، والقديس غريغوريوس من نيرا ، وترتليانوس

وكثيرون خلافهم الذين كانوا يعتقدون بانهم ينالون اوفر نعمةٍ من السماء بقيامهم بهذا الفرض المقدس اكثر مما ينالونهُ في سبيل البتولية

عدَّ العبرانيون العزوبة نوعاً من العار والفضيحة وداعياً لعزل الشخص العازب عن الهيأة الاجتماعية . حتى كانت شريعة موسى تأمر بالزواج وتشجع الناس عليهِ وذلك باعفاء المتزوجين من الخدمة العسكرية

ويحكى ان يوليوس قيصر القائد الروماني كان يمنع النسآء الغير المتزوجات عن الزينة بالحلي والمجوهرات بعد سن ٣٥ وبعكسهِ كان ينعم على من كان لهنَّ عددٌ من الاولاد . ويذكر التاريخ ايضاً ان اغسطس قيصر سنَّ قانوناً يقاصص بهِ كل من لايتزوج عند بلوغهِ سنٍ معلومة رجلاً كان أو امرأة

فيتضح مما تقدم ان اليهود والمسيحيين يجلون الزواج ويفضلونهُ على البتولية ، وكذلك الوثنيون انفسهم قد سنوا شرائع تختص بافضلية الزواج . بحيث كانت اهالي سبارطة تقيم عيداً عمومياً تجتمع فيهِ الناس فمن لم يكن منهم متزوجاً كانت تجلدهُ النسآء كأنهُ غير اهل لخدمة الامة ومساعدتها على النموّ ونيل المجد . وكان الرومانيون يكللون رأس من تزوج جملة مرار وذلك بناءً على ما ذكرهُ القديس ايرونيموس

وقد شبه فرنكلان العازب بشقة المقص التي لا تصلح لشيءٍ بدون شقيقتها بل الاولى بان تطرح في الشارع أو في علبة الحدايد القديمة . لا سيما وان العازب خطرٌ شديد على الهيأة الاجتماعية والحياة

الزوجية . ومن رأي مونتيسكيه انهُ كلما قلّت العزاب نقصت الخيانة الزوجية . فيترتب على المتزوجين ان لا يقبلوهم في منازلهم الاَّ بكل تيقظٍ وانتباه فهم اعدآء لهم الدآء . وقد اطلق قولهُ على العازبين عموماً بدون ان يستثني منهم الرهبان والقسيسين والعزاب الملكيين أو العسكريين . ومن رأي فوريره ان جميع الكتب القبيحة المفسدة الاخلاق قد خطّتها اقلام العزّاب

امَّا العزوبة التي تقضي بها الكنيسة الكاثوليكية على الاكليرس المنضم تحت لوآئها فانها تناقض شريعة الرب تماماً . وهي التي تشير الى ان الله خلق الرجل والمرأة ليعيشا معاً ولا يكونان الاَّ جسماً واحداً . وكذلك لا يصلح ان يكون ادم وحده ..... ليدوم النسل ولا تنقرض الذرية . غير ان الكنيسة تفرض بعكس ذلك العزوبة الدائمة والمطلقة على ملايين من الشبان والشابات وهم في سنٍ لا تتفق معها العزوبة بتاتاً

وربَّ معترض يزعم بقولهِ ان الوظائف الكنائسية لعظمتها واهميتها وقداستها لاَ يمكن ان تتفق معها واجبات الزواج . ذلك ان اليهود المسندة الى عهدتهم الوظائف المقدسة كان مفروضاً عليهم ان يبتعدوا عن نسآئهم في كل المدة التي يقومون فيها بخدمة الهيكل . وهي ذات العادة التي كانت موجودةً عند الوثنيين كما اشار تيبول الى ذلك في بعض اشعاره

على اننا اذا نظرنا الى هذا الاعتراض لم نجد فيهِ شيئاً خليقاً

بالاعتبار ولا وجهاً جديراً بالالتفات بل هو منقوضٌ من جميع الوجوه . ذلك لان جميع خدمة باقي الاديان يتزوجون ومع ذلك لا يقصرون في شيءٍ من واجباتهم الدينية . فضلاً عن زواج القسيس الذي يكون كانموزجٍ مفيد لآباء الأسر وقدوةً حسنة للصلاح الزوجي

ومن الجهة الاخرى ان الكهنة العائشين في وسط العالم وبين الهيأة الاجتماعية هم معرّضون اكثر من سائر الرجال الى المطالب الجسمية لاسبابٍ لا تخفى على اللبيب . فيجب ان نعلم اذا كان مع قيامهم في محيط هذه المؤثرات في امكانهم ان يقضوا على حواسهم وشهواتهم قضاءً باتاً ويميتوها بالكلية . فالكنيسة تجيبنا على ذلك بالاثبات والعلم يرد عليها بالنفي

نرى ان كل مخلوقٍ لهُ قناةٌ هاضمة يأكل ويهضم غذاءَهُ فمن الضرورة بعد الهضم التام ان يغوط مكرهاً . حتى انهُ مهما حاول ان لا يغوط فالطبيعة تجبرهُ على ذلك برغم ارادته . وبمثله ان جميع المخلوقات التي تمتلك اعضاءً تناسلية سليمة تضطر ان تمتثل الى وظائف هذه الاعضاء . فاذا وضعوا حاجزاً تجاه هذه الوظائف في كل مدة النشاط التناسلي فينتج عن ذلك امران . امّا ان الطبيعة ذاتها تطلق سبيلاً للوظيفة الجنسية ، أو ان يقضي الشخص نحبهُ في وسط سرسام تهيجٍ تناسلي قبيحٍ للغاية

في الامساك المطلق — اذا المعنا الى الامساك فيسيولوجياً فنعبر عنهُ بذلك الجهد الذي يبذلهُ الشخص لمقاومة الشهوة التي تدفعهُ

اليها ملاذ الحب . لا سيما وان بين العفة والامساك هذا الفرق فالاولى هي تركيبٌ طبيعي لذوي الامزجة الهادئة . والثاني استحكام النزاع بين الشهوة والارادة وهو المضر بالصحة دائماً

لا يستطيع الانسان ان ينجو من قصاص الطبيعة اذا حاول ان يعصي نواميس التركيب الحي ويتنصل منها . ذلك لان كل مخلوقٍ حيّ من النبات الى الانسان قد كُتب عليهِ ان يمتثل الى ناموس الحب الجنسي . أي ان يميل كل احدٍ من الجنسين نحو الآخر . فالانسان وحدهُ في وسط هذه المخلوقات الحية الفائقة العد يخال لهُ من باب التعصب او الكبرياء او الغرور ان في استطاعتهِ ان يتنصل من هذا الناموس الطبيعي . مع ان الفلسفة لا تقوم ضد الرغائب الطبيعية اذا كانت في دائرة حدودها ، وهي تشير الى الاعتدال بها وليس الى التخلص منها. امَّا جماعة الفيسيولوجيين الذين لا يغترون بنذور العزوبة الدائمة يشيرون الى جماعة الرجال المزوجين بان لا يثقوا كثيراً بالعازبين . ذلك لعلمهم بانهُ ليس بالحقيقة سوى الرجال المبتلين بالتركيب المشوّه او بفقدان الاعضآء التناسلية هم الذين يستطيعون في كل مدة الرجولية ان يستمروا امنآء بحصر المعنى على النذور التي تعهدوا بايفآئها . امَّا الآخرون فانهم يجارون ميل شهواتهم في السر وتحت ظلال الكتمان

كان مونتاين يرفع عقيرتهُ بقوله: ماذا عمل الفعل الجنسي للبشر وهو هكذا طبيعي وضروري حتى اننا نمنعهُ وننفر منهُ ولا نجسر على ان

نشير اليهِ في حديثنا بدون خجلٍ ولا حياء . مع انهم يتلفظون بكل صراحةٍ بكلمات القتل والسرقة والخيانة والزنا . . . . ولا يجسرون على ان يتلفظوا بالفعل الذي يهب الحياة الى المخلوق . . . فيا للعفة الكاذبة ويا للخبث المعيب

تضغط الملاذ الجنسية على الآلة التناسلية وتكون ضرورية لها في زمنٍ من العمر نظير ضرورة الاطعمة للمعدة . وان الامساك في هذه الاثناء لا بدَّ من ان يكون مضراً بسائر وظائف الجسم . ذلك لان الامساك الدائم في ذوي الامزجة النشيطة المتقدة هو باعثٌ على الاختباط العقلي والتهيج التناسلي بكيفياتٍ قبيحة للغاية . وهي نظير داء الانتصاب وداء الشبق والهيستيريا والغلمة وهلمَّ جرًّا ... التي يصحبها ذلك التهيج والهزيان والحركات القبيحة ، وربما اعقبها الجنون المرذول والقبيح حتى يقضي الشخص نحبهُ بين رعشاتٍ وهزاتٍ مخيفة

اشار ارسطو الى ان الامساك على مدةٍ طويلة يولّد ادواء مخيفة. وقد ذهبت اوزيبيا زوجة الامبراطور كونستانس ضحية عفتها . وقضى الامير كازمير ابن ملك بولونيا نحبهُ من جراء امساكهِ المتواصل

كان فيما مضى عددٌ عظيم من الرجال والنساء اصحاب المزاج العشقي يقضون نحبهم ملتهبين بالنار الجنسية التي كانت تحرق اجسامهم وتلتهمها. وذلك من جراء عيشهم الرهباني الذي كان يدفعهم اليهِ جهلهم المطبق وتعصبهم الديني . حتى انهُ كم من البشر من كلا الجنسين في عصرنا

الحاضر يبتلون في الاديار بهذه العلة المفترسة ، وكم من الاشخاص الذين يلاقون حتفهم ويذهبون ضحايا امساكٍ لا يلائم طبعهم ولا يساعدهم عليهِ مزاجهم

اتفق جميع الاطبآء والفيسيولوجيين باقرارهم على ان الاشخاص من كلا الجنسين المتخلقين بمزاجٍ عصبي تناسلي ، اذا امسكوا امساكاً تامّاً وحقيقياً فيكون ذلك باعثاً على عتههم وجنونهم . ومما قالهُ كابانيس ان الاعضآء التناسلية هي في الغالب مركزٌ للتعته . ولاحظ اسكيرول على ان دآء الشبق اكثر ما يُشاهد في المجانين الخارجين من الاديار . ويؤكد بمثل ذلك لوريت ان عدد العشاق المتوهين والمعتوهات الذين تزفهم الاديار الى الملاجيء الصحية ، لا بدَّ من ان يهيل الناس الذين يبغون نذر العفة، ويجعلهم ان يترووا في الأمر قبل تقديم نذرهم . وذكر الدكتور ماتيه في مباحثهِ الطبية الخاصة بالمرأة انهم كانوا يدعونهُ احياناً كثيرة ليداوي شابّاتٍ مصابات بالغلمة من جرآء تماديهنَّ في الزهد . ومن رأي هذا الطبيب ان الفتات ذات الرحم الشديد النشاط تبتلي بسهولةٍ بالهيستيريا ، واذا ضغطت بعنفٍ على هذا النشاط فتبتلي بالغلمة . وذكر هيكه ان كثيرين من المبتلين بالرعشة رجالاً ونسآءً صرحوا بقولهم انهم كانوا يشعرون بلذةٍ جسمية فايقة اثنآء رعشاتهم حتى يكاد البعض منهم يمزقوا ثيابهم ليتعروا منها غير شاعرين بما يفعلونه . ولم تكن اعمالهم هـذه تختلف كثيراً في مدة رعشاتهم عن اعمال المصابين بالغلمة المحجور عليهم في ملاجيء المعتوهين

يسبب الامساك والزهد في المرأة ذات التصوّر الحادّ هياجاً في دماغها وعضوها التناسلي معاً . حتى تلاحظان كاهنات وعرّافات الاعصر القديمة كان في دماغهنَّ وجهازهنَّ التناسلي اختباط . وان كثيرات من متعبدات الاعصر المتوسطة والمتأخرة كنَّ يبدين في اثناء هياجهنَّ النسكي جميع الحركات والعلامات الدالة على افراطٍ متناهي في الهيستيريا وكنَّ يبحن بالفاظٍ قد امتزج بها الزهد بالغزل

ومن امثال هؤلآء جمعية العابدات التي ظهرت في مدينة حلب نحو سنة ١٨٤٦ باسم عبادة قلب يسوع انشأتها بتول تدعى بمرغريتا باطيستا برئاسة احد قسيسي العازرية . وقد بلغ مجموع اعضآئها خمس عشرة من النسآء العزارى اللواتي كنَّ يجتمعن خلسةً في اماكن مختلفة للقيام سرًّا بشعائر عبادتهنَّ التي امتزج بها الورع بالغزل . ولما توصل احد الكهنة الى كشف الغطآء عن اسرار هذه الجمعية قام بعض الاساقفة وحرّموها علناً في كنيسة الروم الكاثوليك في حلب سنة ١٨٤٧ ومن ذلك الحين تفرقت اعضآؤها ولم يعد لتلك العبادة من أثر

استمرّ الزهاد والزاهدات مدة ستماية سنة ملزومين باحتمال الفصادة في اوقاتٍ معينة اصحآء كانوا أو معتلين بدون ان يستثنى احدهم من وخز المبضع . وذلك ليأخذوا منهم مقداراً من الدم في قصد اماتة شهوة الجسد . حتى انهُ لغاية سنة ١٧٨٨ كانت تجري في اوقاتٍ معينة اشباه هذه الفصادات في اديار الرهبان والراهبات . ما خلا المشروبات التي كانوا يجهزونها و يتعاطونها كأنها مساعدة على العفة . وهي نظير مشروب

النيلوفر والهندباء والبقلة (رجلة) والخس ويستعملون وضوءاً مصقعاً ويعلقون على صدور واصلاب المبتدئين صفائح رصاصية ويجبرونهم على تناول غذاء مضعف . غير ان جميع هذه الوسائل لم تكن سوى سبب طفيف لمقاومة النعظ التناسلي الذي كان الزهاد ذوو المزاج العشقي يشعرون به . وانهُ فضلاً عن مغايرتها للطبيعة لم تكن الاَّ مجلبةً لاختباط الوظائف الهضمية وانماء جرثومة داء التهيج

ان الاطباء الاختصاصيين بمعالجة المجانين يصادفون على التوالي نساء ضعيفات العقول قد تسلطت عليهنَّ الهواجس الزهدية الباطلة واحدثت فيهنَّ العنة الاجبارية آلاماً رحمية مبرّحة . حتى كان البعض من هؤلاء النسوة الزاهدات المتقشفات يتلفظن باقوالٍ شهوانيـة ويأتين فعالاً بذيئة في اثناء نوب الغلمة التي تنتابهنَّ لا تناسب اخلاقهنَّ الماضية وسلوكهنَّ السابق المنزه عن العيب

وقد استنتج هؤلاء الاطباء من ذلك وهو ان التطبع الزهدي المبالغ فيهِ الذي يطبعون بهِ بعض الاشخاص ذوي الافكار الضيقة والمدارك الضعيفة والذي من مقتضاهُ ان العزوبة والعفة المطلقة هما كمال الزهد ومنتهى التصوف ، هو احد اسباب الداء العشقي . حتى ان هذه الحقيقة التي ايدها الاختبار جعلت البعض ان يجهروا بقولهم ان الدير ومنبر الاعتراف هما مهدا الهيستيريا والغلمة

وفي التالي نختم مقالنا بتلك الكلمات الحكيمة التي قالها الدكتور لاشينر وهي : اننا لم نعد نشك بان ملاشاة الاديار كانت احدى منافع

حياتنا السياسية . وسيأتي يومٌ يصف التاريخ فيهِ هذا العصر بالطابع الفلسفي الحقيقي الذي ختم ابواب تلك الدياميس البشرية وبدل تلك التراتيل المفجعة والتنهدات الفارغة بقرقعة المعاول وجعجعة الاوايل حتى اننا نرى انهُ كلما قفل ديرٌ يقيم فيهِ اولئك المحابيس الطوعيون فُتح على الأثر معملٌ ليعمل فيهِ هؤلآء الاشخاص الذين كانوا في الامس عالةً على كاهل الانسانية وفروعاً يابسة في دوحة الهيأة الاجتماعية . قابل اسبانيا والبرتغال وايطاليا الممالك المأهولة بالرهبان والعزّاب بالممالك المتجهة نحو شمال اوربا وهي نظير انكلترا وسويسرا والمانيا وهولندا واسوج .... ترى ان هذه يزيد نموّها في كل يومٍ عن تلك وكذلك لم تزل متوفرةً في الشرق ثكنات الكسل وملاجيء البطالة وهي مصدر الاختلافات الملية والانقسامات الدينية التي مني بها الشرق وكانت سبب شقآئهِ وتعاسته

القسم الاول

﴿ في التهييج التناسلي والافراط الجنسي والفحش ﴾

يشاهد المرء في كلا الجنسين امزجةً قد تخلقت بنشاطٍ تناسلي رديء وما قولنا رديء الاَّ لكون هؤلآء التعسآء المبتلون بهذا المزاج هم على الدائم فريسة ملاذهم الجنسية المفرطة . حتى كأنهم لم يخلقوا الاَّ لارواء غليل شهواتهم البهيمية

امتاز في كل عصرٍ وكل امةٍ اشخاصٌ بخصائصهم الجنسية الاقل والاكثر غرابة . من هؤلآء هركيل الذي لقح في ليلةٍ واحدةٍ خمسين فتاةً من بنات اثينا وخلف لكل منهنَّ ابناً دعوهم فيما بعد باسم التسبياديين كما جآءَ في اساطير الاقدمين . وكذلك الامبرطور بروكلوس الذي باشر في مدة خمسة عشر يوماً مائة عذرآء من سارماثيا وخلاف مبرزين في الحب الجنسي الذين يذكرهم التاريخ وقد عظم النقل فعالهم حتى وصلت الينا نظير قصصٍ خرافية لا يمكن تصديقها. غير انهُ مما لا يمكن انكارهُ انهُ توجد رجالٌ ونسآءٌ يقضون حياتهم تحت سلطان اعضآئهم التناسلية . واكثر ما يشاهد هؤلآء الشهوانيون بين الاشخاص الضعفآء العقول والمعتوهين

ومما تلاحظ ايضاً ان التولد المادي والتولد العقلي هما متعاكسان فقد ذكر ڤيراي ان عامود الرجل الفقاري هو نظير المجهّز الكهربآئي وهو عظامٌ مرصوفةٌ ومنفصلةٌ بغضاريف تحوي في وسطها النخاع الشوكي . وان قطبين متعاكسين موضوعين في طرفي هذا الجهاز الا وهما الدماغ والاعضآء التناسلية المنتعشة من اطراف العصعص العصبية. وانهُ كلما تفوق القطب العالي او الدماغي بنشاطهِ كلّما كان القطب السفلي او التناسلي فاقداً من قوته . ويكون بعكس ذلك في الاشخاص المتوحشين والغير المهذبين

ذكر جالينوس ان عبداً من افريقيا اشبه بالبهيمة لا يصلح لخدمةٍ ما غير خدمة الشهوات النسآئية جاوزت قيمتهُ الثمن المعتاد لما كان

يمتلكهُ من النشاط التناسلي الفايق الحد ، فاشترتهُ امرأةٌ شهوانية بثمن غالٍ جداً

واورد الرازي قصة امير من امرآء المورة كفى مدة ثلاثة ايام ثلاثين امرأةً كانت تتألف منهنَّ نسآء قصره ! ! !

انطرحت امرأةٌ على قدميّ احد ملوك اراغون تلتمس منهُ ان يكبح جماح تهيج زوجها التناسلي لانهُ لم يعد في امكانها احتماله . وقد استدعى الملك الزوج وعلم منهُ بانهُ كان يباشر زوجتهُ اعتيادياً عشر مرار في كل ليلة . وقد هددهُ الملك بقصاص الموت ان هو باشرها اكثر من خمس دفعاتٍ في الليلة

تزوج احد اهالي جبال البيرينه الشرقية على التعاقب باحدى عشرة زوجةً في مدة خمسة عشر عاماً . وكانت مباشراتهُ لنسائهِ مترادفة وبحدّةٍ حتى ان جميع زوجاتهِ كنَّ يبتلين بادوآء في اعضآئهنَّ التناسلية . وقد منعتهُ الحكومة عن ان يعقد زواجهُ للمرة الثانية عشرة

على ان حوادث كهذه واشباهها هي نادرةٌ جداً وشاذة للغاية وان نشاط الاعضآء التناسلية بهذه الكيفية يتسبب لها امَّا عن ضخامتها او تخلقها بقوةٍ طبيعية وعصبية مفرطة ، وتنتهي عادةً باخرةٍ رديئة . لانهُ اذ ذاك لم تعد الخاصة التناسلية في حالة النشاط فقط بل يكون ذلك مرضاً قبيحاً يسمى بدآء الشبق

يفتخر بعض الشبان احياناً بمقدرتهم وبسالتهم في الميدان العشقي وبانهم قد استطاعوا ان يأتوا ثمان او عشر مباشراتٍ في بضع ساعات

وهم مستعدون لان يبرهنوا على زعمهم . فاقوالٌ كهذه ما هي الاَّ من قبيل الكذب والهزيان وانهُ لو كان لهم اقل المامٍ بتركيب الخصية وكيفية افراز المنيّ لما تجرأوا على الادعاء بمثل هذه المزاعم الباطلة. فعلى المطالع ان يراجع الشرح الخاص بالخصية ووظائفها في احد فصول هذا الكتاب ليعلم كيف انهُ يقتضي لافراز المنيّ وقتٌ طويل . اذ لا بدَّ من ان يجتازهذا السائل اقنيةً طولها خمسمائة متر على اقل تقدير قبل ان يبلغ الحويصلتين المنويتين المعدتين كخزان له . لذلك يستحيل على الانسان بطبيعة الحال ان يقضي ثمان او عشر مباشراتٍ في بضع ساعات اذا لم يكن قسمٌ منها بدون انزالٍ منويّ . لا سيما وان الانسان الاشد والاكثر امتيازاً بخصائصهِ التناسلية لا يستطيع ان يأتي القذف اكثر من خمس او ست مرار في سبع او ثمان ساعات. حتى ان القذف الآخير ما هو الاَّ سائلٌ مصلي او افرازٌ بروستاتي وهو المزي تصحبهُ حدةٌ واحتراق . واذا كرر الشخص مباشراتهِ فيقذف في التالي دماً عوضاً عن المنيّ

يتضاءل الرجل الأميل الى الملاذ الجنسية عقبى بعض مباشراتٍ ويصاب بالعنّة الوقتية التي لم يعد معها عضوهُ التناسلي كفواً لقضاء مرغوباته . فيضطر والحالة هذه الى ان ينتظر الطبيعة ريثما تكون قد جددت فيهِ السائل العصبي والمنوي اللذين فقدهما ، ليستطيع ان يستسلم من جديد الى الفعل الجنسي . ويفقد الاشخاص الذين يمتلكون هذا المزاج خصائص الرجولية باكراً ليزداد بهم عدد الفساق العنّينين

وليست المرأة كذلك لان ما تفقدهُ في المباشرة الجنسية هو جزئي للغاية فهي لا تمتلك منيّاً وفي امكانها ان تأتي هذا العمل بدون انتصاب . لذلك تراها مستعدةً لقبول هذه المباشرة في كل ساعةٍ وفي كل حين. وفي استطاعتها ان تحتمل اتعاب الشهوة التناسلية زمناً طويلاً او قصيراً وكثيراتٍ منهنَّ لا يشعرن بانزعاجٍ اذا افرطن منها بل بتعبٍ وتهيجٍ وتضخم الاعضآء التي اصابها الاحتكاك

ويذكر التاريخ القديم واخصهُ الروماني قصص نسآء عديدة من الطبقتين السفلى والعليا كنَّ يمتلكن نشاطاً تناسليّاً وتهيجاً فايقاً . واننا نضرب صفحاً عن ذكر اسمآئهنَّ ونتحاشى ذكر الافعال التي كنَّ يأتينها اخصهُ في تلك المواسم والحفلات الليلية التي كانت تجري في رومية . مكتفين بالاشارة الى ان المرأة المبتلية بنشاطٍ تناسلي فائق الحد في امكانها ان تحتمل اكثر من الرجل الافراط بالفعل الجنسي

زفت امرأةٌ في عصر الملك تيودوز الى اثنين وعشرين زوجاً قضوا نحبهم من جرآء الافراط الذي كانت تضطرهم اليهِ هذه المرأة الشهوانية التي لم تكن تعرف الكفاية

اورد ضابطٌ عن مومسٍ اتى بها بعض الجند الى الثكنة التي كانوا مقيمين فيها ، فاكفت ثلاثين نفراً كانت تتألف منهم حاميتها بدون ان تلاقي تعباً

ذكر ريفال عن فتاةٍ عذرآء جميلةٍ ومصونة اغتصبها في الثورة الفرنساوية الاولى عشرون فارساً ولم يحصل معها عقبى ذلك سوى

بعض تهيج مهبلي و بعض جروحٍ سطحية شفيت منها في بضعة ايام

اورد مؤلف كتاب الفسق في باريس شواهد متعددة على نسآء بلغت فيهنَّ الحميّة المهبلية درجةً كنَّ بها مستعداتٍ لقضآء الفعل الجنسي بدون ان تنحرف صحتهنَّ . وقد كانت المخيلة في البعض منهنَّ هي الباعثة على تهيجهنَّ الجنسي، وفي البعض كان المهبل هو المؤثر على الدماغ . فيستنتج مما تقدم ان المرأة في امكانها ان تحتمل المباشرة الجنسية اطول مدةً من الرجل وأنهُ من الجهل وقلة العقل ان يدعي الرجل بخلاف ذلك

القسم الثاني

﴿ في الاضرار التي يحدثها في الجسم الافراط التناسلي وجلد عميرة ﴾

تنحط في وقتٍ قصير من جرآء الافراط بالفعل الجنسي خصائص الجسم والعقل . ومما يتلاحظ ان الافراط في كل شيء هو مضرةٌ . وان الاضر منهُ والذي يتقاصص عليهِ فاعلهُ بالاكثر لما يصيبهُ من الآلام المبرّحة . هو الافراط التناسلي . الذي يكون ضررهُ في الرجل ضعف اعضائهِ التناسلية وارتخاء قضيبهِ وسيلان المنيّ بدون ارادتهِ وذبول الخصيتين وشلل المثانة ..... وفي المرأة تهيجٌ تناسلي تعقبهُ السوائل البيضآء التي كلّما كثرت زاد ضررها . ثمَّ تأتي الادوآء العصبية والخفقان والرجفان

والغشيان والاغماء واختباط مهبلي يؤثر على مجموع البنية حتى يختل الهضم ويصير الغذاء غير كافٍ لحفظ كيان الجسم . اذ يحل في الشخص الهزال ويصبح وجههُ عديم اللون وعيناهُ غائرتين وكامدتين، والصدغان والعارضان ضامرة ، والوجنتان بارزتين ، والاذنان جافتين ورقيقتين . ويفقد السمع والشم والذوق شيئاً فشيئاً ، ولا بدّ من ان يتأثر الدماغ ويناله نصيبٌ من هذا الضعف العامّ . وذلك ان تضعف الذاكرة ويتعذر الانتباه وتنحط وتبادالحاكمة وسائر الخصائص العقلية ، ويسقط الشخص في الملنخوليا والهيستيريا والبله والتعته . ويجفّف الهزال الهائل جسمهُ فيتقوس ظهرهُ وبالكاد يستطيع حفظ هيكلهِ العظمي. وتنتهي اخيراً حياتهُ التعيسة بالنحول المطبق حتى يواريهِ التراب

تظهر علامات الانحطاط والنحول بشكلٍ مخيف اخصهُ في الاشخاص الذين يستسلمون الى جلد عميرة بافراط . حتى ان المرء يأسف لمشاهدتهم ويرثي لحالهم . فاذا لم تفاجئهم حركةٌ جسمية او عقلية توقف فعلهم هذا ، فيستحيل بقاؤهم في قيد الحياة . اذ في كل يوم يخطون خطوةً نحو ابواب اللحد وهنالك ينطفي مصباح حياتهم في حالة الهزال المطبق

على اننا نكلّف دائماً المبتلين بداء الفحش ان يتذكروا دائماً بنواميس الطبيعة المختصة بتوليد الانواع الحية ليكون لهم ذلك كدرس يستفيدون منه — في عالم النبات تذبل الاعضاء الذكرية ، وتزول الاعضاء الانثوية عند حصول التلقيح لتدع محلاً الى الثمرة العتيدة .

وكذلك تباد الزهرة التي قامت نظير فراش الزواج — وفي عالم الحيوان ان لفيفاً من فصائل الحشرات تموت في الحال بعد السفاد وتكون مدة سفادها هي نهاية كيانها — وعندما تأتي الحيوانات الفعل الجنسي يعقبها على اثرهِ فقدان القوى الذي يترجم عنهُ بالذبول والانحطاط الطبيعيين اللذين تصاب بهما . بحيث يكمد لونها ويتغير صوتها ويبتدي ريشها بالانتسال ويشترك لحمها بهذا الانحطاط فيفقد جانباً من صفاتهِ وتقل عصارتهُ المغذية . لا سيما وان جميع المخلوقات الحية تمتثل الى هذا الناموس الفيسيولوجي ، وهو ان الفعل الذي يديم النسل يضعف الشخص الذي يأتيه . او بتعبيرٍ آخر وهو ان كل مرةٍ يأتي فيها الرجل الفعل التناسلي يهب جزوةً من حياتهِ ليشعل بها حياةً جديدة

فاذا لم يترك المرء الى الطبيعة الوقت الكافي لتجدد فيهِ ما فقد منهُ ، فتزداد قوتهُ الحيوية تلفاً على تلف لعدم ترويهِ وانتباهه ، ويستحكم فيهِ الهزال وتفارقهُ الحياة على الأثر . فعلى المطالع ان لا تغيب عن ذاكرتهِ هذه الحقائق بل يلزمهُ ان يتروى فيها بامعان

امَّا النتيجة التي نستنتجها من هذا الفصل فهي ان الامساك الاجباري ونظيرهُ الافراط الجنسي المتوالي هما نقيضان مضران بالجسم قد دلَّ عليهما العلم والاختبار — ثمَّ انهُ اذا كان الامساك المتواصل ممكناً فيكون باعثاً على امراضٍ جسمية وعقلية متنوعة هائلة . وكذلك الافراط بالفعل التناسلي يهدم الجسم والعقل . ولا شيء يهدم كيان

الانسان من اساسهِ نظير الافراط بالفعل الجنسي . واذا شاهدنا في امهات الحواضر كثيراً من المخلوقات الهزيلة التي تجر بعنفٍ اذيال اجسامها الرثة ، فيجب ان نعزو ذلك الى الافراط بالفسق . هذا ما خلا تلك العلل القبيحة الصادرة عن الفحش التي تصيب موارد الحياة وتتسلسل في الأسر وتتلف النسل وتسفل الجنس البشري

نرى الشاب المفرط بالملاذ التناسليـة بالاتكال على نشاطهِ الطبيعي يتخبل بالقريب العاجل ويستعد الى شيخوخةٍ باكرة قبل اوانها . ذلك لان العنّة وضعف الباه واحياناً شلل العضو التناسلي هي من نتائج هذا الافراط

وكذلك الفتاة العذرآء او الزوجة الشابّة اللتان تتعديان حدود الصون والعفاف الخاصة ببنات جنسهما ، وتندفعان الى القبائح او الى الالعاب السرية ، تفقدان في زمنٍ قصير غضاضتهما وصحتهما وتصبحان في حالةٍ يرثى لها . ولا شيء افيد في هذه الاحوال من الرياضة البدنية والعقلية . وذلك بالميل الى الاسفار والملاهي النشيطة والاشغال العنيفة لتحويل النشاط الحيوي المتجمع في الاعضآء التناسلية وتسييرهِ في طريقٍ اخرى . فعلى الاهل الذين يلاحظون في اولادهم ملكة جلد عميرة او الالطاف ان يلزموهم بمزاولة الرياضة البدنية العنيفة فان ذلك مما يجلب الى جهازهم العظمي والعضلي مجموع النشاط المقيم في اعضآئهم التناسلية. ويجب عليهم ان يأتوا الرياضة البدنية مرتين في اليوم وأخصهُ عند المسآء . فمتى تعبوا من جرآئها ورقدوا في فراشهم فانهم ينامون

نوماً طبيعياً بدون ان يستسلموا الى العادة السرية

ومما لاحظوهُ على الفسق انهُ يفسد ويبيد صفات الشخص العقلية فهو ينمي المكر والخبث والدناءة ويحمل الفاسق على القساوة وعدم الشفقة . فقد كان طيباريوس ونيرون وكاليغولا ودوميسيانس وهيليوغابال و بورجيا ..... وخلاف وحوشٍ ضواري بشكلٍ بشري يتلذذون بسفك الدمآء عند خروجهم من حلقات الفسق والفحشآء

وقد لاحظ الفلاسفة اخيراً على ان الفسق هو المورد العكر لجميع الرذائل وان انتشارهُ بين طبقات الامة هو نظير رمزٍ الى انحطاطها وسقوطها

الفصل السابع عشر

في ادوآء الاعضآء التناسلية

في السوائل البيضآء

ينتشر في الحواضر الكبرى هذا الدآء الرديء الذي يذبل في بضع سنواتٍ غضاضة نسآءٍ كثيرات لم يزلن في مقتبل العمر وأبان الشبيبة . ومما يؤسف لهُ ان الاحصآئيات التي اجروها في عواصم اوربا فيما يختص بهـذا الدآء ، قد اظهرت انهُ من مائة امرأةٍ ثمانون منهنَّ قد ابتلين بهِ على درجاتٍ متفاوتة

وليعلم القرآء الذين ليس لهم المامٌ بمبادي الفيسيولوجيا ان الاغشية المخاطية التي تبطن سائر فتحات الجسم ومجاريهِ تفرز لدى تهيجها افرازاً مخاطياً يكون ابيض او ضارباً الى الخضرة او الصفرة بحسب درجة ومدة الالتهاب . وان الزكام او رشح الدماغ والبرونشيت (الالتهاب الشعبي) والسيلان المخاطي هي انواع السوائل البيضآء التي تفرزها الاغشية المخاطية

وتحصل السوائل البيضآء في اعضآء المرأة التناسلية امّا من غشآء المهبل المخاطي او من غشآء الرحم المخاطي وبعض الاحيان من الغشآئين معاً. واسبابها كثيرةٌ نذكر الرئيسية منها وهي: المزاج الليمفاوي المفرط الذي تمثلهُ تلك التراكيب الرخوة البليدة المشبعة بالعصارات البيضا، والامزجة العصبيـة السريعة التأثر، وفقر الدم المفرط، والهيستيريا والالطاف وهلمَّ جرًّا...

وكذلك الطقس الكثير الضباب والمنازل الرطبـة والانتقال المتواصل بين الحرارة والرطوبة، والامكنة العديمة النور والتي لا يتجدد فيها الهوآء. وايضاً الغذآء المنبه او المرخي جداً ومن الصنف الرديء والاكثار من التوابل والنشآئيات واللبنيات والاثمار الغير الناضجة. والمشروبات الحامضة والكحولية والجعة والشاي اذا اعتاد المرء تعاطيها والهضم الشاق. وبالتالي كل ما ينبه بشدةٍ او يضعف الجسم. وكذلك امساك المعدة العنيف والحقن المنبهة واستعمال مدفئة الرجلين متوصلاً في البلاد الباردة. والاكثار من الاستحمامات الحارّة وضغط المشد الذي يساعد على السوائل البيضآء ويفسد التنفس ويجعلهُ منتناً

وكذلك متاعب الجسم والعقل والسهر المستطيل والجلوس المستديم وقلة العمل والاحزان والتأثرات الفعالة واضطراب اعصاب الجهاز التناسلي والهواجس الشهوانية والذغذغات التناسلية والهيستريا والغلمة. فعلى النسآء ان يطالعن بانتباهٍ ويحفظن جيداً ما يلي

تنهك السوائل البيضآء مجموع البنية وتتلف الصحة والجمال معاً.

وتحدث اوجاع المعدة وتولد الغازات على طول القناة الهضمية. ومنها تختل وتفقد شهوة الطعام ويصبح الهضم عسراً ويستحوذ الضعف على الجسم وتفارقهُ القوة في كل يوم. وتتأتى جملة امراض عصبية عن السوائل البيضآء ويرافقها اختباطٌ في العقل. وان الكلوروز (فقر الدم المفرط) والغشيان والرعشة وضيق التنفس .... هي في غالب الاحيان نتيجةٌ لا بدّ منها للسوائل البيضآء الوافرة والمزمنة

وتكون السوائل البيضآء على نوعين قسمٌ منهـا حادّ والقسم الآخر مزمن. واننا لا نتكلم الاَّ عن الاخير منهما

تسبب السوائل البيضآء العادية اضراراً هائلة ، منها انتفاخ في عنق الرحم وارتخاؤهُ احياناً — ولا يبطيء غشآء المهبل المخاطي المرتخي من جرآء الافراز المتواصل حتى ينسلخ ويتلف — وتذبل الاعضآء الخارجية وتترهل وتسودّ — ويكون السائل ضارباً الى الصفرة او الخضرة أو البياض وذا رائحة كريهة ، ويسيل من الفرج بدون انقطاع — ويكون جسم المرأة نحيفاً ضعيفاً فاقد القوى — ولون اديمها اشبه ببياض الشمع اغبر بدون اشراق — وتحيط بالعينين هالةٌ زرقآء — وينتفخ تحت جفنيها السفليين. وكل ذلك يشير الى تركيبٍ رث والى دمٍ مستحيل الى مآء كما تقول عنهُ العامَّة

وتحدث السوائل البيضآء على التمادي اضراراً محلية رديئة ربما انتهت اخيراً بالسرطان ، تلك العلة التي تفقد بازآئهـا حيل الاطبآء وانواع العلاجات حتى الجراحيـة ايضاً. فيا ايتها النسوة التعسات

اللواتي يتهاونَّ في أمر ما يدعونهُ بالسوائل البيضآء تأكدن انهُ ليس لكنَّ عدوٌّ اشد قساوةً واعظم خطراً من هذا الدآء القبيح

يسبب بعض السوائل البيضآء الحريفة تهيجاً في الاعضاء المصابة بها وعليهِ فالرجل الذي يباشر امرأةً مبتليةً بنوع من هذا السائل يصيبهُ غالباً سيلانٌ شديد الألم بالنظر الى حدة سيلان المرأة ومدة المباشرة

ففي الامم الشرقية وأخصهُ عند الامة الاسرائيلية كانت المرأة المصابة بسائلٍ ماتُعتزل ويُعد الفعل الجنسي معها مرذولاً . ولكي يجعل الشارع الاسرائيلي هذه الطريقة الصحية ارسخ في الاذهان فقد جعلها ناموساً دينياً وافرد لها فصلاً كبيراً (كما في اللاويين ص ١٥) وبهِ أمر بعزل المصابين والمصابات بالسيلان عن سائر الشعب

واكثر ما تبتلى بالسوائل البيضآء النسآء الحضريات ساكنات العواصم والمدن العامرة اللواتى هنَّ من الطبقتين المثرية والمعدمة بحيث تصاب بها نسآء الطبقة الاولى وعلى الخصوص المقيمات في البطالة وفي محيط الترف والتبرج اللواتي يتطيبن بالروائح العطرية المهيجة وينبهن معدهنَّ بالاطعمة الفاخرة والمشروبات الحارّة او المثلجة . ويفرطن بانواع المنبهات الجسمية والعقلية وينمن النهار ويحيين الليل . ولايمرنَّ اعضاءهنَّ النحيفة الاَّ في المراقص والحفلات الليلية . فمثل هؤلاء يبتلين بالسوائل البيضآء التي تذبل بنيتهنَّ وتضعفها وتؤثر على تركيب نسلهنَّ

وتبتلي نسآء الطبقة المعدمة اللواتي يتمرغنَّ في حمأة النتانة ويضجعن

على حضيض البؤس ويلتحفن بالاطمار البالية ويغتذين بالمأكولات الرديئة والغير الكافية . واللواتي لا تخترق أشعة النور مخادعهنَّ وتكتنفهنَّ الاقذار من كل جانب ولا يستنشقنَّ غير الهوآء المشبع بالابخرة العفنة . فمثل هؤلآء تلازمهنَّ السوائل البيضآء وتقصر حبل حياتهنَّ التعيسة ويحصد الموت غالب اولادهنَّ الذين يلدنهم في حالة الضعف والشقآء

١

في انواع معالجة السوائل البيضآء

يوجد عددٌ عظيم من انواع العلاجات الداخلية او الخارجية المستعملة لمقاومة السوائل البيضآء. ويستعمل الاطبآء تارةً هذه الطريقة وطوراً تلك الوسيلة واحياناً خلافها، ثمَّ يخطر لهم ان سواها افضل منها. وعلى ذلك ينتقلون من معالجةٍ الى سواها بدون ان يحصل العليل على فائدةٍ تذكر . وانهم لو كلفوا انفسهم النظر فيما تقدمهم لرأوا فن الطب لم يزل دائراً في ذات دائرته . وانهُ وان كان قد تقدم عما مضى في معرفة مراكز العلل وكيفية سيرها لكنهُ فيما يختص بالمعالجة لم يتقدم تقدماً كبيراً . ذلك لانهُ ليست المعالجة التي تشفي بل ان القوة الحيوية هي التي تجتهد دائماً في نفي العلة وبرء الجسم منها . لا سيما وان التدابير الصحية والسلوك الصحي هما اللذان يعجلان الشفآء . وان الدور الذي يمثلهُ الطبيب هو مساعدة العليل على طرد العلة

ومما اجمعت عليهِ الارآء وأيدهُ الاختبار ان معالجة الامراض المزمنة على اختلافها والتي منها السوائل البيضآء يجب ان تكون جميعها صحية . بحيث قد برهنت حوادث عديدة عن هذه العلة التي توهموا شفآءها بالمواد الكاوية او بخلاف وسائل على انها لم تشفَ حقيقةً لان العلة كانت تعود الى الظهور في اقرب وقت

ويرتأي كثيرٌ من مهرة الاطبآء ان معالجة سوائل الاعضآء التناسلية يجب ان تكون بالنظر الى السن والمزاج ونوع المعيشة والعادات ، وحالة بنية الشخص الطبيعية والعقلية ومقدار ونوع السائل وزمن العلة وكيفيتها . وان الغاية من المعالجة هي اعادة اغشية المهبل والرحم المخاطية الى حالتها الطبيعية . ولاسبيل الى ذلك الاَّ بمحاربة الاضرار التي اصابت مجموع الاعضآء وازالة الغِيَر التي طرأت عليها . ذلك لان اضرار السوائل البيضآء لا تتوقف على الاعضآء التناسلية فقط بل انها تتناول مجموع البنية

٢

في العلاج العمومي

ان الغذآء القانوني والرياضة البدنية والاطعمة المغذية السهلة الهضم تبعث في الجسم كميةً وافرة من العصارات المغذية التي تقوي الدم . ذلك لان الرياضة البدنية المعتدلة توقظ شهوة الطعام وتنبه القوة الهاضمة. وتساعد الحمامات النصفية او الكلية والدلك والتنزه والتلهي وسكون

البال والنشاط الجسمي على استئصال هذه العلة المستعصية . ومما يجب تجنبهُ المراقص والحفلات الليلية ودور التمثيل وخلاف اماكن التي يفسد فيها الهوآء بابخرة المجتمعين . وكذلك يجب اعتزال الملاذ الغرامية مدةً من الزمن والتخلي عن المشد القتال . والسكن في الضواحي والمعيشة وسط الحقول والحدائق. فهذه جميعها وسائل فعالة يُرجى اعظم فائدة منها

٣

في العلاج الموضعي

يقوم العلاج الموضعي باستعمال الحمامات النصفية المعطرة والقابضة على مدةٍ قصيرة وتكرارها مرتين او ثلاث في اليوم — ودلك باطن الفخذين بقطعة فلانيلا — واستعمال الحجامة الهوآئية في ذات الجهة ، وحقن المهبل جملة مرار في اليوم بمغلي بعض النباتات القابضة يضاف اليها من خمس او ست نقط لودانوم (خلاصة الافيون) ومتى لم تفد هذه الحقن بعد تكرارها يستعمل المجهز الآتي

ماء ورد	٥٠٠ غرام
حمض التنيك	٥ «
صبغة اليود	١ «

ويمكن في بعض الظروف الاستعاضة عن هذا المجهز بالحقن بكبريتات النحاس فقد لاقى بها بعض الاطبآء فائدة — ويجب على المرأة المبتلية بالسوائل البيضآء ان تكون على اتم النظافة وتستعمل

لوضوئها مغلي نبات قابض ومقوي — ويفيدها الاستحمام بالماء البارد في فصل الصيف والاستحمام في البحر او في المياه الحارّة المعدنية الحديدية . غير انهُ تستمر جميع هذه الوسائل عديمة الفائدة اذا لم تساعدها الرياضة البدنية والهوآء النقي والطعام المختار وتوقيت مدة اليقظة والنوم، وتجنب الملاذ العالمية المؤثرة وملازمة عيشٍ صحي بغاية الاعتنآء

فهذه هي افضل التعليمات لمحاربة السوائل البيضآء فاذا استعملتها المرأة بانتباهٍ واعتنآء نالت بها الشفآء المروم باقرب وقت

القسم الاول

﴿ في دآء السيلان ﴾

يسمى دآء السيلان في لغة العموم بالتعقيبة او الزنقة وما شاكلهما، وهو نوع من السيلان مصدرهُ الاحليل او المجرى البولي يبتلى بهِ كلا الجنسين واكثر ما يصاب بهِ الرجل . وان مدار كلامنا هنا على السيلان الذي يبتلى بهِ الرجل وهو خلاف السفاس المسمى بالدآء الزهري

يأخذ هذا الدآء المؤلم مركزهُ في الغشآء المخاطي الذي يبطن الاحليل ويتسبب بالاكثر عن مباشرة امرأةٍ مصابة بالسوائل البيضآء او التي يفرز مهبلها سائلاً حريفاً او عن فساد دم الحيض في المهبل او شدة

حساسة الحشفة أو الصماخ البولي في بعض الرجال اكثر من المعتاد ، حتى يتأثر فيهم لاقل مباشرةٍ يأتونها مع امرأةٍ ليست بنظيفة ويصابون من جرآئها بالسيلان . فيجب على هؤلآء الرجال ان يحتاطوا لانفسهم بان يدهنوا بمادةٍ دهنية الحشفة والصماخ البولي قبل اقترابهم من المرأة — ثمَّ ان الاطعمة الكثيرة التوابل والافراط بالشاي والجعة (البيرا) الثقيلة تسبب ايضاً ما هو شبيهٌ بالسيلان

ومتى حصل السيلان من مباشرةٍ غير نظيفة او من امرأةٍ مصابة بدآءٍ تناسلي فتأتي العلة شديدة ويسمونها بالسيلان الصديدي . لاسيما وانهُ لاتكاد تنجو مومسٌ من هذه العلة الاليمة. فقد لاحظ الدكتور سنجر انهُ من جميع المومسات اللواتي اتين الى المستشفى البلدي في ڤينا وجد ٩٨ في المائة منهنَّ مصابات بالسيلان الصديدي في احدى حالاتهِ او انهنَّ قد ابتلين بهِ من قبل

لا يظهر السيلان عادةً الاَّ بعد مرور ثلاثة او خمسة ايام على المباشرة الغير النظيفة ، فيبتدئ المصاب بان يشعر برعيان في الصماخ البولي او فتحة القضيب ثمَّ باحتراقٍ ووخز . ثمَّ يمتد التهيج الى مجموع الاحليل ويشتد الاحتراق ويشعر العليل بضرورة التبويل ويتألم اقل او اكثر لدى قيامهِ بذلك

واذا لم يلتفت الرجل المصاب بالسيلان في بدء الأمر الى نفسهِ ولم يحسب حساباً لدآئهِ واستسلم كسابق عادتهِ الى الملاذ الجنسية ، فتتضاعف علتهُ كثيراً ويزداد تهيجهُ في باديء بدءٍ على نسبة افراطهِ ،

ويبتلي بالالتهاب الشديد على انواعه — ثمَّ يتوالى عليهِ الانتصاب ويكون كثير الألم ويشعر المبتلى عند التبويل باحتراقٍ لا يطاق . ويمتد التهيج في بعض الاحيان الى المثانة فيتسبب عنهُ تسلسل البول وعدم امكان حجزه . واحياناً يحصل عكس ذلك اذ يشعر المريض بحصر البول . ومن الجائز ايضاً ان يبلغ السيلان الخصيتين وغدد الاربية وهذا مما يؤسف له . ويزداد في التالي من جرآء السلوك والافراط الرديئين حتى يجوز ان تتسبب عنهُ الاعراض التالية وهي :

التهاب وانتفاخ الغدد الليمفاوية في ثنيات الاربية — قُرح او تأكل في اديم الحشفة والصماخ البولي — التهاب في غدة بروستاتا — عسر البول — بول يخالطهُ دم — ضيق المجرى البولي — السيلان المنوي واعراضهُ كثيرةٌ وخلاف ذلك . . .

وتكون هذه الاعراض مضرةً جداً بسلامة الاعضاء التناسلية وصحة الجسم العمومية ، لذلك تلزمها معالجةٌ طبية فعّالة لشفائها . فعلى الاشخاص الذين يبتلون بالسيلان ان لا يهملوا أمر التداوي عند ظهور العلة ليسهل شفاؤها

امّا علاج السيلان الحاصل من دون مباشرةٍ تناسلية فهو من اسهل ما يمكن ويكفي للمصاب ان يتناول الاغذية الباردة والنباتية ويمتنع عن المآكل المهيجة والمشروبات المنبهة ويشرب بوفرة ماء مغلي الشعير او عرق الأنجيل ويتخذ بعض حماماتٍ ويمتنع عن الملاذ الجنسية بالكلية وعن كل ما من شأنهِ ايقاظ الشهوة التناسلية

وتفيد الحقن بكبريتات التوتيا جداً في بدء السيلان اذا عرف المصاب استعمالها بدون ان يهيج المجرى البولي . اذ يكون مركز التهيج في وسط مجرى الحشفة واليك الكيفية التي يجب اتخاذها لذلك : يصنع العليل لفة نسيج كبيرة ويضعها عند قاعدة القضيب ورآء الصفن ويجلس فوقها بكيفيةٍ يحدث بها ضغطاً على الاحليل ليمنع الحقنة عن بلوغ المثانة التي تهيجها . و بعدهُ يدخل انبوبة محقنةٍ صغيرة ملئى بماء كبريتات التوتيا في صماخهِ البولي ويبتدئ بان يضغط عليها بيدهِ اليمنى تدريجاً . ولتكن ابهام وسبابة يدهِ اليسرى ماسكة الحشفة لتحول دون خروج سائل الحقنة . ومتى اخرج المحقنة فليدع السائل بضع دقائق متحركاً في المجرى البولي . ثمَّ يدعهُ يخرج بتخليهِ عن ضغط الحشفة . وتعاد هذه الحقنة مرتين او ثلاث و بعدهُ يغطس القضيب في كوبٍ محتوٍ على محلول غرامين كبريتات التوتيا . وتتكرر هذه الحقن ثلاث مرار في اليوم في الصبح والظهر وعند المسآء ، اي ان يكون عددها تسع حقن . وتكفي ثلاثة ايامٍ بهذا العلاج لشفآء السيلان في بدء عهده

امّا اذا بلغ الدآء درجة الالتهاب فتكون الحقن مضرةً اكثر منها نافعة . ويجب اذ ذاك اتباع المعالجة المستعملة لازالة التهاب الغشآء المخاطي وذلك بالحمامات الكلية والنصفية و بالمسهلات والمشروبات المحللة و بالحمية في الطعام و بالحقن الملينة . واذا كان الانتصاب شديد الألم فيضاف الى هذه الحقن بضع نقط لودانوم وتؤخذ حبة او حبتين

افيونية . ولا تستعمل حبوب بلسم كوباهو الأ في نهاية العلة وذلك لقطع السيلان

ويوجد نوعٌ من الحقن المستعملة للسيلان وهي بنترات الفضة وعلى ماقيل انها تقطع السيلان في بضعة ايام . فعلى المصابين بهذا الدآء ان لا يلتفتوا الى هذا الدوآء لان الادوية القاسية تترك دائماً اثاراً رديئة في الجهات التي تستعمل فيها

في الوسائل الواقية من السيلان — توجد وسائل متعددة بها يستطيع المرء ان يقضي الفعل الجنسي بدون ان يناله مكروه اذا كان لديهِ شكٌّ بسلامة المرأة . منها غسل اعضآئها التناسلية بمآءٍ فيهِ محلول التنين او بخمسمائة غرام مآءٍ محلول فيها خمسة سنتيغرامات سليماني . ومن انواع وقاية الرجل هو ان يدهن القضيب بمادةٍ دهنية كالزيت او اي دهنٍ ما . ويدخل منهُ قليلاً في الصماخ البولي ولا يترك للمباشرة غير المدة الضرورية لقضآء الشهوة . ثمَّ يغسل في الحال بمآءٍ وافر لازالة جميع المواد التي من الجائز ان يتشربها الجسم وبها تحدث الاصابة فذلك افضل واقٍ له . الاَّ انهُ من الواجب ان يكون الرجل والمرأة عاقلين ومخلصين لبعضهما البعض ولا يأتيان المباشرة الجنسية متى اشتبه احدهما بسلامة صحته

الفصل الثامن عشر

﴿ في العنّـة ﴾

يخلط الناس عادةً بين العنّة وضعف الباه والعقم ، ويخالونهـا مترادفاتٍ لمسمى واحد . مع ان لكلٍ منها معنىً قائماً بذاتهِ مختلفاً عما سواه . واليك بيانها الطبي بالنظر الى ما اوردهُ ليتره

العنّة (١) — هي فقد الشهوات التناسلية ونقص في الشعور الجنسي او عدمهُ

ضعف الباه (٢) — هو عدم المقدرة على الفعل الجنسي لضعف او نقص يحول دون قضآء هذا الفعل

العقم — هو حالة امرأةٍ لا تحمل لسببٍ ما او حالة رجلٍ لا يخرج منيّاً او ان المنيّ الذي يخرجهُ فاقد الجراثيم الحية فهو لا يلقّح

وعليهِ ففي العنة تنقص الشهوات الجنسية . وفي ضعف الباه تكون الشهوات موجودةً مع عدم المقدرة على المباشرة . وفي العقم

(٢) Impuissance (١) Anaphrodisie

تحصل المباشرة ولكن بدون ان يعقبها تلقيح . لا سيما وان بين العقم من جهة والعنّة وضعف الباه من الجهة الاخرى يُشاهد هذا الفرق . ففي الاول تتم المباشرة بكيفية منظمة ولكن بدون تلقيح . وفي الاثنين الآخرين يتم التلقيح لو حصلت المباشرة . وسنفرد لكل من هذه الحالات الثلاث فصلاً قائماً بذاته

تتميز العنّة التي نحن بصددها وتقسم الى نوعين ، احدهما طبيعي والآخر عرضي. ويحصل النوع الاول من مزاج ليمفاوي متناهي ومن تركيب بارد ومرتخي للغاية ، لا يتحرك لاي نوع كان من المهيجات الجنسية . ويكون هذا نادراً ولا يُشاهد الاّ في النسآء ذوات الاجسام المتناهية الارتخآء والممتلئة بالسائل الليمفاوي والمسمنة بالدهن المترهل . وهنّ اللواتي تستمر حواسهنّ الجامدة بكمآء عديمة الشعور بازآء نظرات الحب ومداعبات الغرام

امّا النوع الثاني فهو الاكثر ما يُشاهد وهو نتيجة جملة اسباب ومفاعيل متنوعة تؤثر على الجسم أو العقل او على كليهما معاً . واكثر هذه الاسباب شيوعاً هي العلل التناسلية والافراط الجنسي والعفة المتجاوزة الحد، وجلد عميرة والالطاف والافراط بالمشروبات الروحية والاطعمة المهيجة او الاغذية المضعفة جداً . واحيآء الليل والدرس المتواصل والتأملات الغويصة والاكدار والآلام المحزنة والمضنية والخوف وقطع الآمل وهلمّ جرًّا ....

ويمكن شفآء المصابين بنوع هذه العنّة اذا كان المبتلى لم يزل

شاباً . وذلك بقطع الاسباب التي اتينا على تعدادها ، و بترتيب غذآئي مفيد كما سنبينهُ عند ذكرنا طرق معالجتها . ويندر ان تشاهد بين الشبان المتمتعين بصحةٍ جيدة شخصاً لا تؤثر فيهِ مفاعيل الحب وشهواتهِ ، بخلاف النسآء الفتيات اللواتي تُشاهد في البعض منهنَّ من لا يبالين بمؤثرات الحب والغرام . ذلك لان الاعضآء التي تتركب منها آلة المرأة التناسلية ليس فيها عضوٌ يفرز السائل المنويّ . ومما اثبتهُ علم الفيسيولوجيا انهُ بامتصاص الجسم للمنيّ واختلاطهِ بالدم عند ما تمتلئ الحويصلتان المنويتان تشتد في الرجل الاهوآء والاميال نحو القران الجنسي ويرافق هذه الاهوآء عادةً تهيجٌ تناسلي لا يتبدد سوى باخراج مقدارٍ من المنيّ . لا سيما وان المرأة من الجهة الاخرى متخلقةٌ بوجهٍ اعم بالمزاج الليمفاوي، لذلك هي اقلّ حميةً وميلاً للقران الجنسي من الرجل . وليست هذه الحالة من مخصصات انثى الانسان فقط بل يتخلق بها ايضاً جميع اناث الحيوان الولودة . وان الذكر هو الذي يبحث دائماً باجتهادٍ عن الانثى ويزعجها برغائبهِ وتطلباته . والانثى هي التي تطاوعهُ عند الاقتضآء وتجيب ندآءهُ الحبي . امَّا هذه الحالة فهي ضروريةٌ للتلقيح ذلك لان الحدة في الحب والتهييج الزائد هما مضران به . فالنسآء المتقدات المزاج المبتليات بالتهييج الرحمي هنَّ على العموم غير صالحاتٍ للتناسل ويدمن عقيماتٍ الى حين ما تفعل فيهنَّ المعالجة او بالاحرى تتوصل الطبيعة الى تبريد حميتهنَّ الرحمية

فيستنتج مما تقدم ان جنس الاناث ما خلا الشاذّات منهنَّ اهدأ طبعاً واقل ميلاً للفعل الحبي من الذكور . ومما تقر بهِ النسآء الليمفاويات انهُ من عشرين مباشرةً جنسية بالكاد في واحدةٍ منها يشعرن برعشة الشهوة التناسلية . ويظهر مما تسرُّ بهِ الكثيرات منهنَّ الى خصيصاتهنَّ انهنَّ في غالب الاحيان يتظاهرن بالرعشة الحبية بين ذراعي ازواجهنَّ لسببين : اولهما ليزداد الزوج ارتباطاً بحب زوجتهِ وهو الذي يود ان يرى لذتهُ مشتركةً بينهُ وبينها . وثانيهما لكي لا ينسب اليها البرودة وعدم المبالاة في كل مباشرةٍ جنسية يأتيها معها . فمثل هؤلآء النسآء لا غيار عليهنَّ في ذلك بل هنَّ محقاتٌ فيما يمكرن به . لان المكر بنيةٍ سليمة هو مباحٌ اذا كان القصد منهُ جلب السعادة والنفع المشترك

وقد اسلفنا في القول ان السبب الطبيعي لعدم مبالاة المرأة بالحب الجنسي هو تخلقها بالمزاج الليمفاوي وعدم وجود اعضآء منوية فيها . واذا مابحثنا الآن بخلاف ذلك عن السبب الادبي ايضاً ، فاننا نجدهُ في شعورها الزائد وفي جملة احوالٍ تتعلق بعشرتها وآدابها — فالمرأة هي مخلوقٌ متناهٍ بالرقة والدلال ، فادنى معاكسةٍ واقل ازعاجٍ هما كافيان لايقاف وثبة الحب فيها . فبينما هي تشعر بالميل الجنسي تنقلب فجأةً الى عدم المبالات بهِ ، كأن سحابةً مرت وانطفأ هذا الميل فيها

وترغب المرأة ان يتقرب اليها الرجل بمداعباتٍ لطيفة وكلماتٍ عذبة لكي يؤثر عقلها على جسمها ويجعلها في استعدادٍ لهزة الشهوة .

فاذا سار الرجل مع زوجتهِ على هذه الخطة فلا شك بانها تشاركهُ في شعورها معهُ باللذة . لكنهُ يحصل في الغالب خلاف ذلك ، لان الرجل على العموم ذو انانية وقليل الصبر وفظ في حبه . فهو بدون ان يثبر غور استعداد امرأتهِ ويلاحظ الحالة الموجودة فيها اذا كانت مناسبةً ام لا ، يرغب ان يقضي غرضهُ ويكفي ميله . فهو يتطلب وعليها ان تطيعهُ — وتختلق المرأة في بعض الاحيان عذراً لتتخلص من هذهِ المباشرة البهيمية لكنها في الغالب تستسلم طوعاً لتتخلص باقرب ما يمكن من لجاجة رجلٍ لا يرى في الفعل الزوجي سوى قضآء ضرورةٍ ليس الاَّ

وا كثر ما تُشاهد النسآء العديمات الميل للفعل الجنسي بين الاناث الشقر اللون الشاحبات الوجوه المخبلات الفكر ،ذوات الاثدآء المترهلة والعانة الهابطة الضعيفة . واللواتي ليس لهنَّ سوي بظرٍ أثري وصوتٍ رفيع وعينين كامدتين ونظرٍ عديم الحرارة وحركاتٍ متراخية مع قلة المروءَة .... وتصبح هؤلآء النسآء نحو سن الثلاثين والخامسة والثلاثين كثيرات السمن رخوات الجسم غبراويات البشرة كامدات اللون . وسنأتي الآن على ايراد الاسباب الرئيسية التي تتسبب عنها العنّة العارضة ، ومنها يستطيع القاري ان يقف على وسائل المعالجة الانسب والاصوب لها

القسم الاول

﴿ في اسباب العنة العارضة وعلاجها ﴾

١ ادوآء الجهاز التناسلي — تبتلى الاعضآء التناسلية ببعض الادوآء فتصبح المباشرة الجنسية من جرآئها موئلة او غير ممكنة . فاذ ذاك يأخذ الشخص ان يفقد امياله ُ لخوفهِ من ألم المباشرة وتحل فيهِ العنَّة شيئاً فشيئاً . امَّا ادوآء الرجل التناسلية فهي نظير دآء الحفر او الحزازات والادوآء الزهرية والسرطانية في القضيب او الخصيتين ، وضعف وجمود هذه الاعضآء وتغيير واختباط وظائفها ، والانحلال مهما كان سببهُ ، والضعف من جرآء ملاذٍ حادّة ، او ان يكون افراز المنيّ قليلاً جداً . لان بين افراز المنيّ والشهوات التناسلية علاقة كلية من الجائز ان تنشأ عن ذلك عنّةٌ وقتيـة او دائمة بالنظر الى هذهِ الحالة — امَّا ادوآء اعضآء المرأة فهي نظير اتساع مهبلها اتساعاً هائلاً ، وامراض الفرج والمهبل والرحم والسوائل البيضآء الغزيرة التي تتلف الغشآء المخاطي المهبلي وتعدمهُ الحس وتفقد الشفرين الصغيرين والبظر انتصابها وتجعلها مترهلة وتجردها بالتالي من كل انواع التهييج . وان الدوآء الوحيد للعنّة المسببة عن هذه الادوآء هو بمعالجتها علاجاً طبياً او جراحياً والحصول على الشفآء التام

ومن جملة اسباب العنّة في النسآء انسداد مهبلها انسداداً عرضياً من جرآء تقبض تشنجي غير طوعي . وذلك ان تكون مسالك المرأة التناسلية مطلقة تماماً لكنها ذات شعور فائق ، حتى انها لأقل مباشرة سطحية تشعر بألم شديد يتقبض من جرآئه تجويفها المهبلي ولم تعد تستطيع ان تستسلم للجماع لفرط ما تلاقيه من الآلام المبرحة . ويقول الدكتور غلاّر ان هذه العلة التي يدعونها مهبلية تُشاهد عادةً في النسآء الفتيات المتزوجات حديثاً . واخصهُ في النسآء العصبيات المستعدات للهيستريا ، او من جرآء الألم الشديد الذي لاقتهُ الزوجة عند فض بكارتها ، او من فرط الشوق الذي يحصل لها . حتى أثر كل ذلك في مخيلتها وجعل اعضآءها التناسلية تتقبض وتتشنج لدى كل مباشرة

ونتقل الى القرآء القصة التي اوردها صاحب تحفة الراغب، وهي ان احدى النسآء الشديدة الاحساس كانت تحب شاباً حباً مفرطاً وبعد مدةٍ طويلة تمكن ذلك الشاب من الدخول الى بيتها بينما كان زوجها التاجر في حانوته . ففي اثنآء المباشرة حصل لها تشنجٌ شديد بحيث لم يعد الشاب يستطيع التخلص منها . فحاول القطع لانهُ حان وقت الظهر وهو ميعاد دخول زوجها . وان المرأة من زيادة فكرها في ذلك كان يزيد التشنج فيها . واخيراً دعت الطبيب بواسطة الخادم فحضر ورآها على تلك الحالة مع حبيبها فعرف ان الذي سبب لها زيادة التشنج هو الخوف من حضور زوجها والحب والخجل .

فخرج الطبيب الى الخارج ودعى الخادم واخبرهُ بان يقول بعد بضع دقائق الى سيدتهِ من خلف الباب ، انكِ لا تنتظري سيدي للغداء لانهُ مدعوٌّ للطعام عند فلان . واذ فعل الخادم كذلك ارتاح فكر السيدة . واخيراً أخذ الطبيب يعزيها لكي يرتاح فكرها واستعمل لها بعض ادويةٍ مضادة للتشنج. وبينما هم في هذه الحالة واذا بزوجها يقرع الباب فقابلهُ الطبيب واخبرهُ بان زوجتهُ مريضة ولا يجوز لاحد ان يدخل عندها الآن فاطاعهُ الزوج وبقي في خلاف غرفة . وبواسطة هذه الوسائل التي استعملها الطبيب معها باراحة فكرها وتطمينها ومعالجتها حصل الارتخاء وانفصل الاثنان عن بعضهما وبعدئذٍ أخذ الطبيب المرأة الى الغرفة التي فيها زوجها واخبرهُ بانهُ كان حاصلاً لها اغماء وقد زال العارض. وقال عن الرجل انهُ مساعدٌ معهُ وقد دفع الزوج اجرة الطبيب والمساعد ايضاً

ومما قالهُ الدكتور ڤينيت ان الاعضاء الذكرية البشرية ليست بجامدة ولا عظمية ولو انها كانت نظير التي للكلاب او الديبة لكان حصل اضطرابٌ كثير في مقابلات الرجال بالنساء على انواعها ، ولم يكن يقتضي كثيرٌ من الشهود لاثبات الخيانة الزوجية

٢ً الافراط الجنسي وجلد عميرة والالطاف — يتأتى ضعف الاعضاء التناسلية غالباً عن الافراط الجنسي والاكثر من ذلك خطراً هو الافراط بالملاذ السرية التي توقع الاعضاء التناسلية في جمودٍ تام وتخدرٍ متناهي. حتى لم يعد يحصل الانتصاب في الرجل ولا في المرأة ـ

ذلك لان الاعضآء التي تعبت بالحك واللمس المتكررين بدون انقطاع تفقد احساسها وتستمرّ فيما بعد صمآء عديمة التأثر بالملاذ الحبية

امّا معالجة العنّة المسببة عن الافراط بالملاذ الجنسية او الملاذ السرية فهي نظير معالجة ضعف الباه المسبب عن الافراط الجنسي (انظر فصل ضعف الباه) . وذلك بواسطة اغذيةٍ مصلحة ومجددة القوى ودلكٍ مهيجٍ على الصلبين وباطن الفخذين، وحمامات باردة واستعمال المضخات (الدوش) وملازمة الرياضة والانقطاع التام عن الملاذ التناسلية، والتعرّض للمنبهات الادبية نظير حضور جمعيات النسآء اللبيبات الرشيقات . وكذلك المطالعات الغزلية وسماع الموسيقى الغرامية . فجميع هذهِ الاسباب هي من المنبهات المفيدة التي اعترف اكثر الاطبآء بكونها وسائل فعالة لمقاومة العنّة والانتصار عليها

٣ً العفة الصارمة وعلى مدةٍ طويلة توقع الاعضآء التناسلية في حالة تخدرٍ وجمود تنقلب الى عنّة . واحياناً تنقلب بالعكس الى حركةٍ وافدة تؤدي الى الانعاظ والانتصاب التناسلي . فالزهد في زمن الشبيبة المتقدة هو هكذا مضادٌّ للنواميس الطبيعية ، حتى ان الغِير الخطرة التي تطرأ على صحة الشخص هي بعض نتائجهِ ، فهو نظير الافراط مضرٌّ ايضاً بالجسم . وتتمثل اضرار العفة الصارمة تارةً بالعنّة وضعف الباه واحياناً بالجنون العشقي والهيستريا والغلمة والصرع وخلاف عللٍ قبيحة . وقد سبق وبينا في فصل سالف اضرار العنّة الاجبارية فلم يعد لنا سوى ان نكرر مع جميع الاطبآء الفيسيولوجيين هذه الحقيقة

الساطعة البيان . وهي انهُ اذا كان حرمان الشخص بالكلية من الملاذ التناسلية يسبب لهُ اضراراً خطرة، فافراطهُ بهذه الملاذ يسبب لهُ نظير ذلك اضراراً رديئة . وانهُ من باب الحكمة والصواب ان لا يتطرف الشخص بافراطهِ وتفريطهِ بهذه الملاذ

ويمكن معالجة العنّة المسببة عن الامساك المستديم بقضآء الملاذ الجنسية بكيفيةٍ قانونية متى كانت سن الشخص و بنيتهُ لا تمنعان الشفآء

٤ً ومن مسببات العنّة الافراط بالمشروبات الروحية والمأكولات الحارّة . بحيث ان هذه المشروبات تحرك اعصاب المعدة موقتاً و بعدهُ يخمد حسها وتتأثر من ذلك الاعضآء التناسلية . حتى انهُ يوجد مثلٌ قديم يشير الى ان اصحاب باخوس إله الخمر ليس عندهم استعداد كافٍ لرفع تقدماتهم الى هيا كل الزهرة . بخلاف شرّابي المآء القراح فهم من المصارعين الاشدآء في المعترك الحبي ومن المبرّزين الاكفاء في ميدان الغرام . والحقيقة ان الرجال الذين يوقفون حياتهم على المأكولات والمشروبات والذين ليس لهم إلهٌ آخر سوى معدتهم فهؤلاء يفقدون شيئاً فشيئاً قواهم الجنسية ويفضي بهم الأمر الى العنّة — وكذلك قلة الغذآء والاغذية المضعفة تدفع الشخص بالمثل الى العنّة . وان خير وسيلةٍ لمقاومة الضعف التناسلي هو الاعتدال في المأكول والمشروب في الحالة الاولى وغذآء مهيج ومغذي ووافر في الحالة الثانية

٥ً ومن اسباب العنّة ايضاً الافراط بالاعمال العقلية والتأملات الغويصة والسهر الطويل والافكار العنيفة المتضاربة . بحيث تذهب

جميع القوى الحيوية لتتوسط في مركز الدماغ وتفقدها الاعضآء التناسلية شيئاً فشيئاً . الى ان تحل فيها العنّة التي يصاب بها احياناً رجال العلم والدرس والمطالعة . بعكس المعتوهين الذين يمتلكون نشاطاً تناسلياً خارق العادة

وما العلاج الطبيعي لنوع هذه العنّة الاّ بالانقطاع عن كل عملٍ دماغي ، والميل الى الملاهي والاسفار ، والاقامة في العرآء ، والاهتمام بالزراعة ، فهي من الدواعي المفيدة لرجال القلم والتفكير

وكذلك الاكتئاب والغم والاكدار المحزنة والمنهكة وهي نظير الغضب والحسد والخوف واليأس . . . فهي من اسباب العنّة بالنظر الى سن وبنية الاشخاص . فاذا تسببت العنّة عن شاغلٍ عقلي فيجب اولاً هدم سلطة الحياة العقلية المتحكمة بالحياة الجسمية وذلك بابعاد الهواجس واطفآء الاكدار المنهكة . و بعد هذا تستعمل المنبهات للاعضآء التناسلية

امّا الخوف والخجل من مقابلة امرأةٍ مومس فهي من اسباب العنّة المتواترة الحدوث او هي بالاحرى الاغمآء التناسلي واكثر ما يحدث ذلك في الشبان الحديثي السن

ثمَّ ان قذارة بعض النسآء والابخرة الكريهة التي تتصاعد منهنَّ تسبب للبعض الاشمئزاز وتمنع الانتصاب فيهم فجأةً . بحيث ان رجالاً كثيرين كانوا يتقدون شوقاً وحميةً لكنهم عند اقترابهم من أولئك النسآء القذرات قد فقدوا كل ميل ورغبة . وهذا هو الاغمآء

التناسلي بذاته الذي لا بدَّ من ان يخجل المرأة التي سببته

٦ً تبتلي بعض الشبان باحد انواع العنّة العارضة وهي المسببة عن شعورهم الحبي المفرط ، فيتخيل الشخص محبوبهُ كأنهُ اجمل المخلوقات فيتعبدهُ ويتتيّم في حبهِ ويخفق قلبهُ بشدّةٍ عند ذكرهِ ويلتهب دماغهُ وعقلهُ في تخيلهِ ووده . فاذا التقى بهِ تهيج فيهِ جميع شواعرهِ ما خلا شعورهِ التناسلي . ففي حالةٍ كهذه من العبث ان يحاول الرجل الاتيان ببرهانٍ طبيعي على حبهِ وهيامه . ذلك لان في دماغهِ ثوراناً قد اجتمعت فيهِ نار حياتهِ فلا يُرجى معهُ ان يتنبه عضوهُ التناسلي بل يستمر متخدراً اصم وابكم

امّا رجال العلم والتأليف الذين يندفعون الى الاعمال العقلية العويصة بكل قواهم فمن الجائز ان يصابوا بالاغماء التناسلي او العنّة العارضة وذلك لداعي تنازع افكارهم وانشغال بالهم الذي يحوّل نشاطهم الحيوي الى مركز دماغهم ، فتحرم منهُ أعضاؤهم التناسلية ولم تعد تستطيع القيام بوظائفها

فيرى المطالع مما تقدم ان العلاج الانسب لانواع العنّة التي أتينا على تفصيلها هي اقصاء وابادة سبب الداء ، وامتثال العليل الى عيشٍ وسلوكٍ معاكسين للذين أضعفا أعضاءهُ التناسلية . وذلك أن يشترك فيهِ العلاج الجسمي والعقلي معاً وفي وقتٍ واحد

أمّا العنّة الناشئة عن الافراط بالملاذ الجنسية وعن الضعف التناسلي وهي الاعم في الرجال، فاننا نورد لها علاجاً يأتي بالفائدة المطلوبة — فاول

شرطٍ إراحة العضو المنهوك القوى ومنعهُ بالكلية عن كل ملامسةٍ حبية . ثمَّ تغطيسهُ جملة مرار باليوم في ماءٍ بارد ممزوج بخمسةوعشرين غراماً صبغة عطرية او بغلي مسحوق الخردل الخفيف المبرّد . وهذه الوسيلة الآخيرة هي مفيدة جداً لبرء القضيب من الضعف المبتلى بهِ وذلك باقرار اطباءِ كثيرين . (وسيجد المطالع في معالجة ضعف الباه خلاف وسائل أيضاً) — والشرط الثاني يقوم بترتيب غذاءٍ مقوي وذلك نظير اللحوم المشوية المشبعة بعصاراتها ، والاطعمة المجهزة بالكمأة ولحوم الصيد والسمك والبيض الطريء ، والسراطين والمحار واشباهها والشوكولاتا بالكريما .... ومن المشروبات بضع كاسات صغيرة من نبيذٍ مقوي. فهذه جميعها تجدد القوى شيئاً فشيئاً وتقوي الاجسام الهزيلة . وكان أحد الاطباءِ الاختصاصيين بمعالجة العنّة يصف العجة التالية للغذاء

بيضة طريئة	٤
زبدة	٤٠ غراماً

بعد خفق البيض يتبل بالزنجبيل ويقلى بالاربعين غرام الزبدة الطريئة وبعدهُ يرش بقليل من خمر مادير . ولاتختلف هذه العجةعما سواها سوى بالزنجبيل والخمر المضافين اليها . ويمكن ان الشوكولاتا الجيدة المطيبة بالعنبر أو بالفانيل بوفرةٍ تقوم مقامها وتفضلها . لان الشوكولاتا المطيبة بالفانيل هي غذاءٌ مقوي ومفيد جداً . فهي تتركب من الكاكاو والسكر وهما من المواد المغذية

امّا الوسائل الاضافية لهـذا الترتيب الغذآئي فهي الاقامة في الضواحي والنزهة والرياضة والصيد والرقص والحمامات الكلية أو التصفية بالمآء البارد واتخاذ المضخات (الدوش) بقانون ، وتبخير الاعضآء التناسلية والدلك على جهة الكليتين و باطن الفخذين ، ودلك الجسم بعد الاستحمام ، والتلهي بالرياضة البدنية المتنوعة و بالملاهي الاجتماعية و بسماع الموسيقى ، و بالرقص و بالاجتماع بالنسآء الفتيات الجميلات النبيهات والرشيقات ، و براحة الفكر وهدو البال و بالاخلاد الى الراحة عند الشعور بالتعب . وفي التالي بالنوم الكافي لتعويض ما افقدتهُ اليقظة . فمن النادر بعد اتخاذ هذه الوسائل لا تذهب العنّة بعد زمنٍ قليل ولا يستعيد الرجل نشاطهُ التناسلي اذا ساعدتهُ سنهُ عليه

الفصل التاسع عشر

﴿ في ضعف الباه ﴾

ليس ثمة داعي لبيان انواع ضعف الباه التي هي من متعلقات فن الطب ، بل اننا نقول على الاجمال ان ضعف الباه هو عدم استطاعة الشخص الوقتية او الدائمة على القيام بالفعل الجنسي

يختص ضعف الباه بالرجل اكثر من المرأة ، ذلك لان تركيب اعضآئها التناسلية تسمح لها ما عدا الشاذّات النادرات ان تكون مستعدةً دائماً لقبول الرجل . مع ان الرجل بعكسها ليست لهُ تلك المقدرة الدائمة على المباشرة الجنسية في اي وقتٍ كان . وما ضعف الباه في المرأة بالمعنى الحقيقي الاَّ اذا كان مهبلها مفقوداً او مسدوداً

ينشأ ارتخآء عضو الرجل وعدم انتصابهِ عن جملة اسبابٍ نبينها فيما يلي . غير اننا نستدرك قبل ذلك بقولنا ان المرأة تفوق الرجل بكونها مستعدةً دائماً للفعل التناسلي، وهذا بقطع النظر عما اذا كانت مستعدةً دائماً للملاذ الجنسية ام لا . لانهُ في امكانها ان تستسلم الى الرجل

ليقضي منها وطرهُ الحبي ، وليس هو في امكانهِ مهما اشتدت رغبته ان يكفي اهوآء المرأة متى رغبت ، اذا تعذر عليهِ الانتصاب

يقسم ضعف الباه الى نوعين احدهما وقتي موضعي — وثانيهما مستديم مطلق

ونعني بضعف الباه المستديم المطلق متى لم يكن في امكان الشخص ممارسة الفعل الجنسي. اي ان تكون اعضآؤهُ التناسلية مبتلية بعلةٍ او تشوهٍ لا علاج لهما ولا يقبلان شفآءً

ونعني بضعف الباه العرضي او الوقتي متى لم يكن في الاعضآء التناسلية نقصٌ ، وفي الامكان مقاومة وازالة الاسباب التي تمنعها عن القيام بوظائفها . ويكون ضعف الباه الوقتي امّا بالمباشرة متى تأتى عن مزاجٍ بارد او عن ضعف البنية وتخبلها . . . وامّا بالواسطة متى كان المزاج نشيطاً وتركيب الاعضآء التناسلية جيداً غير ان القوى الحيوية تجتمع في نقطةٍ من الجسم كورود الدم الى الدماغ مثلاً او الى خلاف جهةٍ من البنية ، ولم تعد تذهب الى اجسام العضو التناسلي الكهفية ليحصل بها الانتصاب. فيقل هذا شيئاً فشيئاً ويعقبهُ ضعف الباه المركزي او بالواسطة

في اسباب ضعف الباه الوقتي — يذكرون من جملة الاسباب المتعددة لضعف الباه الوقتي الارتخآء او ضعف الاعضآء التناسلية ، من جرآء نشاطٍ تناسلي قبل اوانهِ او شديد جداً في مدة الشبيبة الاولى. او الافراط بالمباشرات النسآئية او بجلد عميرة او العفة

المطلقة — والافراط بالكحوليات والمنبهات والمشروبات الحامضة او الباردة والاغذية الرديئة والمضعفة واستعمال المواد المخدرة على مدى طويلة — والسقطة القوية على الردفين — وبنية انهكها الافراط واتعبتها الامراض المزمنة كالشقيقة (نفرالجي) والرثية (الروماتيزم) والنقرس والشلل الجزئي — وبعض ادوآء في الدماغ تؤثر بشدة على الآلة التناسلية وتجعلها غير صالحة للتنبه التناسلي — والاعمال العقلية على مدى طويلة — والتأملات الغويصة — والمخاوف الباطلة التي تستولي على العقول الضعيفة — وسرسام المخيلة — والانفعالات النفسية كالحب المفرط — والاهوآء المتلازمة نظير الخوف والخجل والاشمئزاز وهلمَّ جرًّا ....

على اننا وان كنا قد جزنا تلك الازمنة التي كان الاعتقاد الاعمى منتشراً فيها، يوم كان السحرة يعقدون للشخص عند زواجهِ بكلامهم او بكتاباتهم فيعتقد الشاب البسيط انهُ مربوطٌ بكلام عجوزٍ ساحرة ويرسخ في ذهنهِ هذا الاعتقاد رسوخاً كلياً . حتى انهُ فضلاً عن نشاطهِ وقوتهِ لم يعد يستطيع ان يقوم بالفرض الزوجي . وذلك نظير ما كان يتعاطاهُ بعض النسآء في الجاهلية من الرقي والنفث في العقد اللذين هما من فنون السحر . بحيث كنَّ يعقدن عقداً في خيوطٍ او وترٍ وينفثن عليها اي ينفخن مع ريق وقد استعاذ منهنَّ القرآن فقال اعوذ برب الفلق من شر النفاثات في العقد

واورد صاحب كتاب جامع اللذة دوآءً يتقي بهِ الشاب ربطهُ

يوم زواجهِ ، وذلك انهُ اذا أخذ لسان غراب اسود وجعل معهُ شيئاً من اصول السوسن ثمَّ جعلهُ في قصبةٍ من فضـة وعلقهُ على عضدهِ الايمن آمن من ان يسحر عند الجماع و بلغ حاجتهُ من النسآء . واني ارى ان هذا العلاج مفيدٌ ما زال الدآء وهمياً فلا بدَّ لهُ اذاً من دوآء وهمي . وان الاوهام لا تزيلها الاَّ الاوهام

على ان امثال هذه الاعتقادات الباطلة وان كانت قد فقدت بعض الشيء من مفعولها السابق في البلاد التي نالت قسطاً من العلم والمعرفة فانهُ مع ذلك لم يزل حتى يومنا الحاضر وعلى الخصوص في القطر المصري كثيرٌ من الاشخاص الذين تؤَثر فيهم خرافات العرّافين وخزعبلاتهم

يشاهد المرء بين سكان الحواضر بعض العشاق المتيّمين الذين تلتهب قلوبهم بنيران الشوق والهيام ، وهم على احرّ من الجمر ينتظرون ساعة ميعاد الحبيب . فاذا أزفت ساعة الوصال وجاءَت تلك المعشوقة والقت نفسها بين ذراعي من يهواها ويتهالك في حبها فيبتلى هو بضعف الباه فجأةً ولم يعد في امكانهِ مرضاتها . وانهُ فضلاً عما يبذلهُ من الجهد وما يأتيهِ من النشاط ، مستعيناً على ذلك تارةً بالعناق وطوراً بالقبلات ، مع هـذا يستمر عضوهُ التناسلي غير متأثرٍ وعديم الحركة . فوقتئذٍ يستولى عليهِ الخجل وتحل فيـهِ الـكآبة واليأس فيصفر وجههُ تارةً يحمر أخرى ، حتى من الجائز ان يؤثر هذا الخجل الشديد فيهِ تأثيراً ظيماً و يسبب لهُ ضعف البـاه متوالياً . وقد يتفق ان شخصاً ما يبتلى

بضعف الباه مع امرأةٍ ويكون قادراً على قيامهِ بالفعل الجنسي مع خلافها . وقد اوردوا على ذلك مثلاً عن احد الكتاب المشهورين الذي كان يذوب صبابةً وهياماً بفتاةٍ بديعة الجمال . ولمَّا اتصل بها أصيب فجأةً بضعف الباه ، وقد أخذ الخجل منهُ كل مأخذ حتى أثر ذلك على اعضائهِ التناسلية . وقد اجتهد مدة شهرين في ان يبرهن لخليلتهِ على كون ضعف باههِ هو عارضٌ يطرأ عليهِ عند التقائهِ بها ، لانهُ كان في امكانهِ لدى مبارحتهِ اياها ان يقضي الفعل الجنسي مع جملة خليلاتٍ خلافها

ويرتأى البعض ان سبب ذلك هو الخشية التي تشل عضوهُ لمَّا يكون بازاء خليلتهِ الاولى ، والثقة التي لهُ بمقدرتهِ على الفعل الجنسي عند اجتماعهِ بمن سواها

ويشير هذا الشاهد وجملة شواهد خلافهِ اوردها بعض المؤلفين الى العلاقة الشديدة المستحكمة بين المخيلة والوظيفة التناسلية . بحيث انهُ كلَّما فشل الرجل على أمرهِ ولم يستطع المباشرة عظم فيهِ الضرر وعسر عليه الشفاء . ولكي تحصل المباشرة على اتمها تقتضى لها ثقة الرجل بقواهُ الطبيعية وهدو البال والتستر . وقد يمتنع حصولها او تُقضي بكيفيةٍ رديئة للغاية متى كان الشخص قليل الثقة بقواهُ الشخصية او سمع بضجةٍ او اعتراهُ خوفٌ او غيرةٌ ، اوسببت لهُ نفوراً قذارة المرأة او دمامتها . او لداعي اشتياق شديد للغاية كما اسلفنا ، او من جراء حبٍ كثير الاحترام . . . . كل هذه اسبابٌ ينشأ عنها ضعف الباه الوقتي

وكذلك هزء المرأة بالشخص القليل النشاط الذي يبطئ فيهِ الانتصاب او الذي يأتيهِ على مهل يجوز ان يقضي على العضو التناسلي بالجمود التام . ثمَّ يزداد ضعفهُ في كل مرةٍ يقترب منها . وعليهِ فالمرأة الطائشة والغير العاقلة التي تستخف برجلها من هذا القبيل تدعوهُ الى التفتيش على خلافها لقضاء ضروريات الحب ، حاسباً لهزئها وسخريتها حساباً ان هو اقترب منها . فهي ترتكب اكبر الغلطات وتجني على نفسها اذا سارت على هذه الكيفية مع زوجها . بحيث يصادف احياناً انهُ لم يعد في امكانها ان تتلافى الأمر وتصلح الالفة الزوجية التي قطعت اسبابها وقوضت دعائمها بيدها . واننا نكلف النساء المتزوجات الى التأمل والتبصر قليلاً في الحادث التالي

ناهز رجلٌ من الفساق سن الخامسة والثلاثين بعد ان أشبع جسمهُ بالملاذ وخبّل عقلهُ بالشهوات . وقد تاقت نفسهُ في احد الايام الى الزواج اذ وقعت عينهُ على فتاةٍ مخدرة جميلة الطلعة فطلبها من اهلها واقترن بها. غير انهُ قد استولى عليهِ اليأس من ان يستمر ضعيف الباه بين ذراعي زوجته . وكان هذا الفكر يلازمهُ و يزداد فيهِ رسوخاً من يومٍ الى آخر . امَّا زوجتهُ الفتاة فانها عوضاً من ان تعنفهُ وتقرعهُ بقوارس الكلم نظير ما يفعلهُ كثيرٌ من النساء ، فهي كانت بعكس ذلك تعزيهِ وتطيب خاطرهُ وتذرع فيهِ بذار الصبر والأمل . ولقد اعتنت بامرهِ كثيراً حتى انهُ عقبى بضعة اشهر زال منهُ ضعف الباه بالكلية ولم يعد لهُ أثرٌ فيه . وقد زاد كلفهُ بامرأتهِ لما ابدتهُ نحوهُ من

الالتفات وهي التي قد اعادت لهُ نشاطهُ التناسلي بعد ذهابه . واقراراً بمعروفها قد آل على نفسهِ ان يكرّس لها جملة حياته . ثمَّ رزق منهـا بضعة اولادٍ جميلي الصورة

ومن جملة اسباب ضعف الباه الشائعة ، الاشمئزاز من تركيب بعض الاعضآء التناسلية القبيحة الشكل ، والادوآء الملازمة لها واتساعها المتناهي والنتانة التي تنبعث منها . . . . ذلك لانهُ متى انقضت مدة الشبيبة الاولى فانهُ يكفي اقل سببٍ غير ملائم لشل وثبات العضو التناسلي . ويتقزز الرجل والمرأة البالغان سن الكهولة بوجهٍ عام من هذا الفعل متى كانت الاعضآء بحالةٍ تعافها النفس وتشمئز منها الحواس، وليست لها تلك النظافة والغضاضة الجذّابتان اللتان تحرك النفس الى الحب وتوقد فيها الشهوات . وعليهِ فالنسآء اللواتي يتطلب جسمهنَّ اعتناءً كثيراً ونظافةً متوالية يقتضي لهنَّ ان يحافظن على غضاضة الورد الذي يزدان بهِ باب هيكل الزهرة

وعليهِ فالنظافة والزينة هما واجبتان لقضاء الفرض الزوجي . حتى اننا نشاهد ان باقي المخلوقات لا تقصر عن ذلك ايضاً . فالطيور تتزين مدة انزآئها بريشٍ بديع . وكذلك الاسماك والحيوانات يتغير وبرها بوبرٍ جديد في الربيع الذي هو مدة الانزآء . حتى ان النبات وهو الادنى في مراتب الحياة نراهُ يورق ويزهر ويتحلى بابدع اشكال الزهور قبل التلقيح والإثمار

يبتلى الاشخاص المندفعون الى الاستمنآء القبيح بضعف الباه

الجزئي او المطبق وذلك لداعي تهييج اعضآئهم التناسلية المستمر وفقدهم المنيّ متواصلاً . فالانزال الذي يحدث معهم في بادئ الأمر لاقل لمس او حك تلاقيهما اعضاؤهم التناسلية ينتهي اخيراً بان يحصل معهم لادنى رجة عربةٍ او حركة دابةٍ وخصوصاً في مدة سباتهم . وهذه الحالة هي التي توقع هؤلآء الاشخاص في الهزال المخيف وتقصر حبل حياتهم

يتميز ضعف الباه على العموم باهم صفاتهِ الرئيسية التي منها اللون الابيض الشاحب ، والشعر الاشقر الكامد ، وشعر الذقن النادر ، واللحم المترهل ، والبنية الممتلئة بالدهن والمرتخية ، ونبرات الصوت الحادّة ، و بطء الكلام ، والعينان المنقبضتان ، والنظر الكامد والذابل ، والمنكبان الضيقان ، والخصيتان الصغيرتا الحجم ، والصفن المتدلي ، والقضيب المستطيل والصغير والذابل ، والحشفة المتغضنة ، الى غير ذلك من العلامات المتعلقة بهذه العلة التي يجد المطالع طرق معالجتها الموضعية والعمومية فيما بعد

القسم الثاني

﴿ في معالجة ضعف الباه ﴾

تختلف معالجة ضعف الباه بحسب سن الشخص واحوالهِ والاسباب التي سببت لهُ الدآء والتي تساعد عليه . ولكي يكون البيان

اوفر جلاءً واوسع بسطاً للعامَّة فاننا نقسمهُ الى هذه الاقسام

١ً اذا رافقت الشيخوخة ضعف الباه فلا داعي لعلاجهِ لان لكل عمرٍ ملاذاً كما ان لكل فصلٍ زهوراً. وانهُ من الحمق والغباوة ان يفتكر الشيخ بالفعل التناسلي ويسعى اليه

٢ً اذا نشأ ضعف الباه عن نقصٍ او تشوهٍ في الاعضاء التناسلية فتختص معالجتهُ بفن الجراحة وتلزم لشفائهِ يد جراحٍ ماهر

٣ً اذا تسبب ضعف الباه عن تأثيرٍ عقلي نظير التهيب والخجل والخوف .... فتقتضي لهُ معالجةٌ عقلية صرفة ، ويزول في الحال عند زوال المؤثر العقلي

٤ً اذا حصل ضعف الباه عن اجتماع النشاط العصبي في مركز الدماغ او من جراء شعورٍ حادّ وحبٍ محترم او لداعي اهواء شديدة، فيقتضي لهُ والحالة هذه سلوكٌ متناقض بالكلية . اي راحة البال والرياضة البدنية والملاهي والاسفار والاقامة في العراء والعمل فيها واستعمال الحمامات الفاترة .... واذا كان ضعف الباه ناشئاً عن غرام شديد او اميالٍ حادّة ، فتلزمهُ الرياضة البدنية والملاهي . لكنهُ من الضرورة الابتعاد زمناً ما عن الشخص المعبود وطرد الافكار والتخيلات التي من الجائز ان تحافظ على الحمية الدماغية . وان يتخذ الشخص ترتيباً غذآئياً لطيفاً ويستعمل المشروبات المسكنة نظير ماء الخس ومصل اللبن ومستحلب اللوز ..... وبالتالي كل ما هو مفيد لمقاومة الهياج الشديد الذي هو كالقيد لخصائص الرجولية

وفي حالة ضعف الباه الناشيء عن الاشغال العقلية العويصة فقد اشارت جملة اطباء بتعاطي الكافور وذلك ان يضع المصاب في فيهِ مقدار نصف درهم منهُ ويدعهُ يذوب فيه . ومن رأي دوبي ان صفةً كهذه وان تكن صادرةً عن اطباء مشهورين مشهود لهم بالمهارة والاقتدار . مع ذلك فانهم قد اشاروا بها بدون تروّي و بسلامة نيّة، بحيث انهُ ظهر بالاختبار ان العلاج الحقيقي هو بالتخلي عن الاشغال التي نشأ عنها ضعف الباه

٥ يتسبب ضعف الباه عن ارتخاء الاعضاء التناسلية وهو السبب الاعم ، وتقتضي لهُ معالجة منشّطة ومجددة القوى لايقاظ الجهاز العصبي التناسلي المتخدر وتنشيط القوى العضلية المنهوكة ولانعاش نسيج القضيب القابل الانتصاب . وذلك بواسطة منبهاتٍ تُستعمل بحكمةٍ واعتدال . وان هذا النوع من ضعف الباه هو الاعم انتشاراً والاشد مراساً والاعسر شفاءً . ويبتلى بهِ بنوع اخص الرجال المتزوجون في سن الكهولة وهو الذي قد اهتموا لهُ الاطباء و بذلوا في سبيلهِ جلّ مجهودهم . فما علينا الآ ان نورد بيان العلاجات الفعالة التي توصلوا اليها واستعملوها لمقاومة هذه العلة

يقتضى للشخص المبتلى بهذا النوع من ضعف الباه ان يتخذ لهُ ترتيباً غذائياً مقوياً جديراً بترميم قواهُ الخربةو بنيتهُ المتداعية . وذلك بواسطة اللحوم المشوية ومرقات اللحوم والهلام والاسماك والسرطانات والكماة والخرشوف والبقدونس الممسك والجرجير والهليون والتوم

وبزر الكاكاو وجملة نباتات غذآئيـة سيجد المطالع بيانها في فصل المنبهات . فان لها تأثيراً خاصاً على الاعضآء التناسلية . وكذلك الخمور المعتقة والمنعشات بمقدار معتدل ، والمشروبات الحديدية التي تدخل فيها الكينا هي من المقويات في حالة ضعف الباه الناشيء عن الارتخآء .

وبعد ما ذكر ابن سينا ضروباً من الصفات لمعالجة ضعف الباه قال واعلم ان الاعتماد اكثرهُ على الاغذية ومنها يتوقع غزارة المادة وانتعاش القوة

ثمَّ تضاف الى الاغذية المقوية الرياضات البدنية والصيد وركوب الخيل . وقال صاحب كتاب جامع اللذة في ذلك ان كثرة الحركة واحتكاك الاعضآء وعصر بعضها بعضاً في ركوب الخيل تجذب اعضآء المنيّ وتسخنها . وكذلك يفيد الرقص والسباحة والجمباز اذا كان في الامكان ، والاستحمام بين وقتٍ وآخر بالمآء البارد في الصيف وبالفاتر في الشتآء ، والدلك على السلسلة الفقارية وعلى باطن الفخذين والعجان وجسم القضيب ذاته — وتحمير اديم الصلبين وباطن الفخذين بواسطة الدلك النشادري او بوضع لزقة الخردل — ووضوء القضيب بمآء مالح بارد جداً يتكرر ثلاث مرار في اليوم مدة خمس دقائق كل مرة — وتغطيس العضو الذكري في مغلي نباتات عطرية — ومس الحشفة والصماخ البولي باسفنجةٍ مشبعة بمآء مثلج . والافضل بقطعة ثلج فقد افادت هذه العملية مراراً . ذلك لان رد الفعل الذي يحصل بعد وضع المبردات يجلب الدم بغزارة الى انسجة القضيب الاسفنجية والكهفية

ومتى خابت جميع هذه الوسائل لم يبقَ لضعيف الباه غير ان يجرب المراهم النشادرية والتقريص والجلد واخيراً الغلواني والكهربائية التي سنبينها في الفصل التالي

اورد الطبيب النطاسي تيسّو صاحب جملة مؤلفاتٍ طبية شاهداً على شخصٍ ضعيف الباه توصل الى شفآئهِ في بضع اسابيع . وتفصيل الخبر ان باروناً شاباً ذا مزاجٍ عشقي مفرط كان قد انهك قواهُ مع الخليلات حتى انهُ لمَّا بلغ سن الثلاثين وقعت اعضآؤهُ التناسلية في سباتٍ عميق كأنها مصابة بشلل. وقد اشاروا عليهِ بالزواج فلم تفدهُ قبلات قرينتهِ الجميلة ، ولم تمكنهُ اهوآؤهُ المضطرمة من حصولهِ على الرجولية ليبرهن لزوجتهِ بها على شدة حبهِ لها . ولما يأس من حالتهِ هذه قصد الدكتور تيسّو مستشيراً اياهُ في أمر دآئهِ وهذا قد وصف لهُ الترتيب الآتي فسار بموجبهِ البارون بكل دقة . وهو انهُ كان يأخذ في الساعة السادسة صباحاً ست اواقٍ مغلي خشب الكينا ويضيف اليهِ ملء ملعقتين خمر جزيرة مادير — وبعد ساعة يشرب عشر اواق لبن عنزة جديد الحلب ومحلى بالسكر ومطيباً ببضع نقط مآء زهر — ويتناول في الغذآء فروجةً مشوية وكوبة نبيذٍ جيد ممزوجة بالمآء — وبعد الغذآء يتنزه مدة ساعةٍ ويرتاض بالصيد او بركوب الخيل — ونحو الساعة الرابعة يستحم مدة عشر دقائق في مآء حرارتهِ عشرين درجة ويدلك جسمهُ لدى خروجهِ من الحمام . ثمَّ يتنزهُ ايضاً مدة نصف ساعةٍ ويرتاح ساعةً عند عودتهِ من النزهة — وفي

الساعة السادسة مساءً يتناول عشاءً مكوناً من لحوم ذات عصارةٍ مغذية، وخمراً جيداً ممزوجاً بالماء . ثمَّ يتنزه على قدميهِ او على الحصان مدة ساعةٍ وينام نحو الساعة العاشرة (وذلك في الزمن المعتدل الطقس)

ومما قالهُ تيسّو ان معالجتهُ هذه اثرّت في البارون واتت لهُ بالفائدة المطلوبة . ولمَّا زارهُ بعد خمسة عشر يوماً اثنى عليهِ البارون كثيراً واعلمهُ بظهور اشاير الرجولية فيهِ بكل وضوح

وقد اكد الطبيب المشار اليهِ انهُ استطاع في بعض الاحيان ان يزيل هزال الجهاز التناسلي الذي انهكهُ الافراط . وذلك باستعمالهِ من الداخل مسحوقاً مكوناً من ترتريت اسيديل البوتاس وسحالة الحديد وقليلاً من القرفة

واورد الدكتور موندا صاحب تآليفٍ في عقم الرجل والمرأة وهو من الخبيرين بمعالجة الادوآء التناسلية شاهداً على امير بولوني أُصيب نحو سن الخامسة والثلاثين بضعف باهٍ كلّي من جرآء افراطهِ الجنسي . وبعد ان استشار مدة عشر سنوات لفيفاً من الاطبآء المشهورين نظير هوفيلاند وارياندر وكارو وطوماسّيني . . . . في أمر علتهِ بدون ان يحصل على اقل فائدة . وفي التالي اشار عليهِ هذا الآخير بان يقصد الدكتور موندا . واليك الكيفية التي استظهر بها هذا الطبيب على علة الامير واناله بها الشفآء

أخذ في بادئ بدء ان يصلح فيهِ وظائفهُ الهضمية والغذآئية المعطوبة، اذ أمرهُ بالمداومة على المأكولات المقوية مدة ثلاثة اشهر

وبالاقامة في العرآء والرياضة بالصيد وركوب الخيل . وبهذه الوسائل قد اعاد الى الامير شيئاً فشيئاً قواهُ الهاضمة واستطاع ان يبتدي بمعالجتهِ بالمنبهات . فقـد وصف لهُ ان يتعاطى مع مأكولاتهِ المغذية الشراب المنبه المنصوص عنهُ في الفصل الثامن والعشرين من هذا الكتاب ، وذلك بمقدار خمس ملاعق في اليوم يضاف الى لتر ماء مغلي الهندباء المرّة

وكان يستعمل في صباح كل يوم ومسآئهِ على عامودهِ الفقاري وباطن فخذيهِ دلـكاً بالمرهم المنبه الوارد بيانهُ بين صفات هذا المؤلف

ولم يمضِ الشهر السادس على هذه المعالجة حتى امتلك الامير قواهُ التناسلية وتزوج ورزق جملة بنين جميلين

وقد يصادف في بعض الاحوال ان يزول ضعف الجسم ولم تتصلح الوظيفة التناسلية . فيجب والحالة هذه استعمال خلاف وسائل . واليك الشاهد الذي اوردهُ احد الاطبآء عن معالجة رجلٍ ضعيف الباه من اشراف القوم وهو بنصه :

امضى احد الاشراف المثرين مدة شبيبتـهِ وجانباً من كهولتهِ في ملاهي المترفين المضنية والملاذ الجنسية المفرطة بدون ان يخطر على بالهِ ان يخلف ابناً بعده . وقد استمر ارملاً بعد زواجهِ الاول الذي لم يرزق منهُ بنين . ثمَّ تزوج نحو سن الخامسة والاربعين وهو غير كفءٍ للزواج بتاتاً . لانهُ كان منهوك القوى من اخمصهِ الى مفرق رأسه . امّا الفكر الذي كان يلازمهُ ويشغل مخيلتهُ وهو ان القاب اجدادهِ

وانساب أسرتهِ ستنقضي بوفاتهِ ولم يبقَ لها ذكرٌ بعد موته . جعلهُ ان يقرع سن الندم على طيشهِ السابق وعلى تفريطهِ في ايامهِ الماضية . امَّا الآن فلم تعد لهُ حيلةٌ سوى ان يبحث بين العقاقير المنبهة على علاجٍ يصلح بهِ ضعف باهِه ، وقد ذهب تعبهُ سدًى و بدون فائدة . واذ ذاك أخذ يشاور مشاهير الاطبآء في أمرِ دائهِ وهم الذين كانوا يصفون لهُ المأكولات المغذية والمقوية . غير انهُ لم يتوصل بذلك الى ايقاظ عضوهِ التناسلي من السبات العميق الذي كان ساقطاً فيه . وقد اشار عليهِ في التالي احد الفيسيولوجيين بغذآءٍ مقوي على مدة خمسة عشر يوماً . ثمَّ وصف لهُ ان يهيج دماغهُ بنظرهِ الى الاشيآء المهيجة ، ذلك لان المهيجات الغذآئية والعلاجية لم تأتِ لهُ بفائدةٍ وقد افادتهُ هذه الوسيلة الآخيرة

في علاج ضعف الباه العقلي — انهُ بالنظر الى الرجال الذين قد ناهزوا سن الاربعين وما فوق اولئك الذين قد انتهكت قواهم ورثت بنيتهم لداعي ترددهم المتواتر على هياكل الزهرة او لداعي اشغالهم العقلية المتواصلة من الجائز ان ينالوا الشفآء بالمعالجة التالية

الترتيب الغذآئي — يتكوّن مأكولهم في الصباح عند مايستيقظون من النوم من المواد الآتية :

شوكولاتا بالفانيل (مبروشة)	٦٠	غراماً
كريما	١٨٠	»
سكر ناعم	٣٠	»
مح بيضة	١	

تغلى الشوكولاتا بماء قليل وتضاف اليها الكريما ، ويُخفق مح البيضة والسكر في وعاء على حدته و بعد ذلك يُخلط الكل مع التحريك ويُترك هذا المجهز الى ان يفتر وقبل الشرب يُعطر ببضع نقط روح القرفة (دار صيني)

مأكول الغذاء — كوستليتا او بفتيك وكوبة نبيذ جيد فقط

وبعد الاكل الرياضة سيراً على القدمين من ساعة الى ساعتين او اكثر اذا كان ذلك في الامكان ورياضة بدنية قليلة ثمَّ الاضجاع للراحة على فراشٍ او مقعدٍ طويل . وساعة قبل العشاء اذا كان الفصل صيفاً ان يستحم العليل في البحر او النهر. واذا كان الفصل شتاء ان يستعمل وضوءًا لعضوهِ التناسلي بماء فيهِ خردل او حمام موضعي بذات الماء ودلك النقرة والصلبين واعلى الفخذين وباطنهما بصبغة القرفة . وان يدهن تاج الحشفة والصماخ البولي بعد ذلك حالاً بالمرهم المنبه

مأكول العشاء — روزبيف مشوي قليلاً ، وسمك ، وتطبيقة بالكمأة ، وكامخ (ساطة) الخرشوف والكرنب والكرفس . . . ونبيذ جيد معتق و بعد كل وجبة ان يشرب كأساً صغيراً فيهِ خمرٌ منبه

قبل النوم — الجلد على الصلبين والردفين والفخذين بواسطة عيدان شجر البتولا ويجب ان يبتدأ بالجلد الخفيف اولاً ثمَّ يزاد بعد ذلك الى ان يشتد تهيج الجهات المجاورة وتحمر جداً

ويجب ان تتكرر هذه المعالجة مدة من الزمن ومن الجائز بعد

بضعة ايام يظهر الانتصاب تحت تأثير الجلد لكنهُ انتصابٌ رخو فاقد القوة . فيستفاد من ذلك ان نسيج الاحليل والحشفة الانتصابي ليس فيهِ مقدار الحيوية اللازمة للانتصاب . فيجب وقتئذٍ التبخير والوضوء المهيج ودهن العضو بمرهم مهيج وهذه وسائل موصوفة . وفي التالي اذا لم يتحصل بالجلد على الفائدة المطلوبة فيجب استعمال التقريص على القضيب ذاتهِ وان التهيج الذي ينشأ عنهُ يولّد الانتصاب عادةً هذا اذا لم تكن الاعضاء في حالة السبات المطبق والجمود الكلي



الفصل العشرون

﴿ في الجلد ﴾

﴿ وهو من انواع المنبهات ﴾

يجلدون بعض اقسام الجسم كالظهر والصلبين والردفين والفخذين بواسطة قضبان نباتية او سياطٍ حبلية او جلدية لشفاء داء العنّة او ضعف الباه . وذلك لكي يرد الدم بوفرةٍ الى الأديم العضلات التي هي تحتهُ فتتنبه ، ومنها يتصل التنبيه بشدةٍ الى الجهاز التناسلي لاتصال شعاب اعصابهِ باعصاب النخاع الشوكي . وقد علم اليونان والرومان بمنافع الجلد لذلك كانوا يستعملونهُ في اعياد فحشهم ودعارتهم اذ كان الجنسان يتجالدان ليقوموا بقضاء شهواتهم الجنسية خير قيام

اثبت ابوقراط واسكيلبياد الجلد نظير علاجٍ مفيد لعللٍ كثيرة . وكان موزا طبيبٌ في عصر اغسطس وكذلك جالينوس يصفان الجلد مع الحمامات الباردة لشفاء ضعف الباه الناشئ عن ضعفٍ اوجمود . وامتدح الشاعر بيترون الجلد في اشعارهِ وعلى الخصوص تقريص اديم الجسم كوسيلةٍ مفيدة كانت تتخذها الفساق في رومية لانعاش قواهم التناسلية

التي انهكها الافراط بالشهوات والقبائح . واورد اريتي وكوليوس واوريليانوس والرازي وخلاف علماء عظام في مؤلفاتهم ذكر جملة علل كانوا يعالجونها بالجلد — واورد كامبانيلا شاهداً عن امير لم يكن يستطيع قضاء الفرض الزوجي مع امرأته الا بعد ان يجلدوهُ جلداً عنيفاً . بحيث كان عندهُ خادمٌ شديدٌ مخصصٌ للقيام بهذه الخدمة الهامّة — واورد كوليوس روديجينوس قصة رجل عظيم كان يستعمل ذات العلاج لكي يستطيع بواسطتهِ ان يكفي اميال زوجته . وذلك انهم كانوا يجلدونهُ قبل المباشرة الى ان تسيل دماؤُه . واذا تصادف في بعض الاحيان وخفف الجلاد خادمهُ الجلدات من قبيل الاشفاق او الاحترام ، فكان الامير يستشيط غضباً ويحتدم غيظاً ويأمرهُ بمضاعفة الجلد الى درجةٍ يصرخ معها صراخ الألم والتوجع . واذ ذاك كانت اعضاؤُهُ التناسلية تأخذ بالانتصاب الذي بهِ يستطيع ان يكفي رغائب زوجتهِ ومحظياته — ونظم ميهوميوس عالمٌ في فن التشريح مشهورٌ قصيدةً موضوعها الجلد ، كان يدعو فيها العنّينين وضعفاء الباه الى الامتثال للجلد اذا كانوا يرغبون في أستعاضة قواهم التناسلية

ومجمل القول ان الجلد قد امتدحهُ عددٌ كبير من الاطباء الاقدمين والعصريين واعتبروهُ نظير علاجٍ نافع ليس فقط للاعضاء التناسلية الجامدة بل ايضاً لجملة ادواء جلدية او لبعض ادواء النسيج الخلوي الذي تحته . حتى يذهبون الى كونهِ علاجاً مقوياً للضعف والهزال . لذلك يصفونهُ للاشخاص المهازيل الذين يرغبون في السمن

واتماماً لتاريخ الجلد لا بدَّ لنا من الاشارة الى مواكب الجلادين الذين كانوا يجولون في الاحياء من بضعة قرون وهم يجلدون انفسهم بسياطٍ كانوا يتقلدونها بيدهم . وقد يتعذر على الباحث بيان الغاية المقصودة من هذه العادات المأخوذة عن الاعياد التي كان الرومانيون يقيمونها في رومية قديماً . اذ يتضح مما اثبتهُ البعض ان الغاية من ذلك هي التقوى المحضة وذلك بعكس الفلاسفة الذين نسبوا مواكب الجلد التي كانت موضوعاً للفضيحة والفجور الى جهل وتعصب شعوب تلك الاعصر الخوالي . ولمّا كان الجلد معروفاً من اشد المهيجات التناسلية أفليس من باب السخافة وقلة التعقل ان يباح لبعض الرهبنات باستعمالهِ وقد نذر اعضآؤُها على انفسهم الزهد والعفة ؟

ابتدأ استعمال الجلد في الديانة المسيحية في سنة ١٢٦٠ بهذه الكيفية وهو ان شخصاً يسمى رينيه تأثر من السيئات التي كان يأتيها في ايطاليا الحزب البابوي وحزب امبراطور الالمان وقد تنبأ بان الله سيصب جام غضبهِ على ايطاليا من جرآئها . ولكي يحوّل الغضب الالهي عنها، خطر لهُ انهُ في امكانهِ ذلك اذا ابتدأ بان يجلد ذاته . وقد اقتدى بهِ لفيفٌ من المتدينين واعتقدوا بصلاحهِ وأخذوا يجلدون انفسهم حتى يدموا اديمهم . ووقتئذٍ لم تبقَ قضبانٌ تكفي للجلادين والمجلودين الذين كانوا يؤلفون فرقاً تجول في الاحياء والشوارع ممثلةً القصاص المعد للقوم العصاة

امَّا الشخص الذي امتاز بالاكثر بهذه البدعة الغريبة فهو

القديس دومينيكوس الملقب بالمدرّع ، فان هذا التقي لم يكن يحتمل الجلد عن نفسهِ فقط بل عن الآخرين ايضاً . وقد احصى جاك بوالو صاحب مؤلفٍ في الجلد مطبوع سنة ١٧٠٠ عدد الجلدات التي احتملها دومينيكوس المدرّع . لانهم كانوا يعتقدون في تلك الازمنة بان قصاص مائة سنة يمكن فدآؤهُ بتلاوة عشرين مرةً كتاب الزبور مع الجلد بالسياط . وان ثلاثة آلاف جلدة تعادل قصاص سنة فتلاوة عشرين مرة كتاب الزبور واحتمال ثلاث مائة الف جلدة اي كل عشرة مزامير يصحبها الف جلدة تكفر عن قصاص مائة سنة . وقد احتمل القديس دومينيكوس في مدة عشرة ايام هذا القصاص وكفر بذلك عن اثام الشعب . وقيل ان لون اديمهُ من جرآء توالي الجلد الذي اصابهُ اصبح اسود نظير اديم الزنجي

امَّا الاب جاك بوالو فانهُ فضلاً عن اعجابهِ الشديد بهذا القديس وبمقدار احتمالهِ وعدم مبالاتهِ بالآلام التي كابدها من الجلادين فهو مع ذلك اثبت الجلد كاعظم باعثٍ على تسفل الاخلاق. لكنهُ مما يؤسف لهُ ان الكنيسة قد اعتبرت الجلد في ذلك الوقت من افعال التقوى والتكفير حتى انهُ كان مستعملاً كوسيلةٍ لتطهير الخطأة كما يتبين من حوادث تلك الاعصر المضحكة

ولمَّا كان كثيرٌ من الامرآء والعظماء متقلين بالنقائص والموبقات فكان ذلك داعياً لوجود الجلد الخاصّ . وقد منع من ثمَّ البابا اكليمندوس السادس الجلد منعاً باتاً . غير ان الذي ذاق السوط لم

يعد في امكانهِ التخلي عنه . ذلك لانهُ فضلاً عن تجديد التحريم بين وقتٍ وآخر لم يُمتنع ابداً الجلد السري . الى ان تمكنوا بعد زمن بعيد من ابطال هذا الجنون الغريب بواسطة التفتيش الدقيق الذي كانت تأتيهِ الاساقفة والأوامر المشدّدة التي كانت تصدرها الشرطة بهذا الخصوص

امَّا في يومنا الحاضر فلم يعد الجلد معروفاً الاَّ نظير وسيلةٍ صحية وعلاجية ، وتستعملهُ جملة امم نظير الصينيين والفرس واخصهُ الروس. وهؤلاء الاخيرون ينجلدون في الحمام بقضبان شجر البتولا حتى يحصل معهم رد فعلٍ صحي . لا سيما وان الاشخاص الذين قد تصلب اديمهم من تكرار الجلد يغطسون القضبان في الخل حتى يتنبه شعورهم الكليل بلذغ هذا الحمض . ومما يقال انهُ اذا جاز زمن الشبيبة الاولى في بلاد المسكوب فتضطر الرجال والنسآء الى استعمال السوط لتهييج عاطفة الحب الكليلة فيهم . بحيث يصبح السوط من الادوات المنزلية التي لا يُستغنى عنها ؟ ... واليك الخرافة التي يتداولونها من هذا القبيل

قصد شابٌ ألماني مدينة موسكو وتزوج فيها وكان مولعاً في حب زوجتهِ حتى انهُ لم يذخر وسيلةً من الوسائل التي يكون بها محبوباً منها الاَّ واستعملها . وقد ذهبت مجهوداتهُ سدًى و بدون جدوى لان امرأتهُ لم تكن تتأثر من تقربهِ منها ولم تلبي طلبهُ بغير التنهدات والعبرات . في احد الايام سألها الالماني عن سبب برودها وكآبتها

وقد الحَّ عليها بالسؤال الى ان اجابتهُ على ذلك وهي متنهدة . اراك تدّعي بحبك اياي ولكنَّ الحقيقة ليست كذلك ، لانك لو كنت تحبني اكيداً فلماذا لم تاتِ بالقضبان التي بها تبرهن لي عن تعلقك الشديد بي . ألم تعلم بانها هي الوسيلة الوحيدة التي يجب ان يتخذها الرجال الذين يودون حقيقةً نساءهم ؟

امَّا الالماني فقد بهت لهذا القول وحملهُ على محمل المزاح . غير ان زوجتهُ ما زالت تفاتحهُ بهِ وتطلبهُ منهُ بكل جدٍّ ولجاجة . حتى أخذ يعتقد اخيراً بان هذا العلاج هو من الضروريات . وبعد بضعة ايام رأى انهُ لا بدَّ من ان يكمل رغبة زوجتهِ فعاد اليها حاملاً حزمة قضبان وجعلها تمتثل للجلد الذي كانت تطلبهُ منهُ ، وقد حصلت الفائدة المنتظرة من هذا العلاج . بحيث انهُ من ذلك اليوم ابتدأت المرأة بان تشاطر زوجها في حبهِ وملاذه ؟ ....

ذكر بلينوس انهُ كان لغالّوس صديق قرجيل محظيةٌ وهي فتاةٌ رومانية كانت تارةً عديمة التأثر وطوراً شهوانية . اي انها في بعض الايام لم تكن تتأثر بالمرّة من مباشرة زوجها وفي خلافها كانت تتأثر متهيجة . لهذا طفق يبحث غالّوس عن سبب ذلك . فاتضح لهُ ان محظيتهُ لم تكن مغرمةً الاَّ في الايام التي كان ابوها يجلدها ليقتص منها على هربها . وقد استفاد غالّوس من هذا الاكتشاف بحيث انهُ كلَّما اتتهُ محظيتهُ باردةً بدون تأثر فكان يهيجها بجلدهِ اياها بعض جلداتٍ قوية حتى يجعلها ان تكون سكرى بالحب وتائهةً باللذة

ومما اباح بهِ جان جاك روسّو في مذكراتهِ انهُ لمّا جلدتهُ الفتاة لامبريسيه هيجهُ القضيب هياجاً شديداً واذ لاحظت عليهِ انهُ اصبح رجلاً فقد امتنعت بعد ذلك عن جلده

ولا يقتصر مفعول الجلد على الشخص المجلود فقط بل الظاهر انهُ مهيجٌ للشخص الذي يأتيهِ ولمن يشاهدهُ ايضاً — وقد ذكر برانطون في موءلفٍ لهُ ما سمعهُ عن اميرةٍ عظيمةٍ وهي انها لكي تنبه شهواتها الفحشية كانت تعرّي اجمل نسآئها وجواريها وكذلك مماليكها وهي تتلذذ من مشاهدتها اياهم عراة الاجسام جميعاً وهي تضربهم على اردافهم . لا سيما وان الجواري اللواتي يرتكبن اثماً ما فكانت تأمر بجلدهنَّ بقضبانٍ قاسية وهي مسرورةٌ من مشاهدتهنَّ يتقابن على الارض متقوساتِ الاجسام والارداف . وان جميع هذه المشاهد كانت سبباً لتلذذها وانشراحها — امّا في يومنا الحاضر فلا يندر وجود شيخٍ مثري او فاسق منهوك القوى الذي يستخدم في السر امثال هذه الوسائل او خلافها ليحرك طبيعتهُ السافلة بمنبهٍ عرضي زائل

في كيفية استعمال الجلد

يستعمل الروس افضل ادوات الجلد وهي قضبان شجر البتولا والسياط المبرومة بالحبال او المضفرة بسيور جلدية غليظة . ولا يقتصر مفعول هذه الادوات على ايجاد التهييج الوقتي فقط ، بل يمكن ان تحدث في الجسم رضاتٍ غائرة وتوءثر في الاديم وتمزقهُ — امّا الاقسام التي يجب ان

يقع عليها الجلد فهي جهة الكليتين والصلبين والردفين . ويقتضي ان يبدأ الجلاد اولاً بضرب هذه الجهات برفقٍ ثمَّ يزيد ذلك تدريجاً الى الدرجة التي يرغبها المجلود . ومما سبقت الاشارة اليهِ ان التهيج الحاصل في اعصاب الاديم واعصاب النخاع الشوكي يتصل بسرعةٍ الى اعصاب الاعضاء التناسلية فتتنبه ويبتدئ مفعولها لتسمح للرجل بقضاء الفعل الجنسي

ويحصل التنبه كلّما كان الجلد افضل استعمالاً . بحيث انهم يشيرون على ضعفاء الباه والعنّينين ان يستعملوا الجلد عند خروجهم من الحمام ، اذ يكون اديمهم ألين واشد شعوراً . وان تجلدهم امرأة ليحصلوا في الوقت ذاتهِ على التنبه الجسمي والعقلي معاً

القسم الاول

﴿ في التقريص ﴾

لا احد يجهل المفعول الذي يحدثهُ القرّاص (حشيشة الانجرة) اذا وخز اديم الجسم به . اذ يتولد عنهُ رعيانٌ شديد في الجهة الموخوزة وتنتفخ وتصبح مركزاً لحرارةٍ محرقة . ثمَّ بعد زمن قليل يتبدد التهيج ويعود الاديم شيئاً فشيئاً الى حالتهِ الطبيعية

راقب الفيسيولوجيون بواسطة مجهرهم عمل التقريص فرجدوا

ان الزغب الدقيق البارز في ورقة القرّاص مهما كان دقيقاً فهو مجوّفٌ وينتهي بحويصلاتٍ صغيرة تحوي سائلاً حرّيفاً وكاوياً . فاذا انغرز هذا الزغب الشديد القساوة في الاديم انكسر فيهِ وافرغ سائلهُ المهيج الذي يحدث التقريص في الحال تقريباً

ويظهر مما تقدم ان بين الجلد والتقريص هذا الفرق فالاول يفعل مفعولهُ في الظاهر ويسبب ورود الدم الى الاديم من جرآء الضغط الذي ينتهي غالباً بالرض واحياناً بالسلخ ، والثاني اي التقريص يفعل مفعولهُ من الداخل بواسطة التهييج الذي يحدثهُ زغب القرّاص في الاديم . بحيث يزداد تهيج الاديم بمقدار الزغب الذي يتكسر داخلهُ والسائل الذي يفرغه فيهِ

كان التقريص مستعملاً دائماً لشفـآء بعض البثر الجلدية كما استعملوهُ ايضاً لشفآء ضعف الباه الناشيء عن ارتخاء الاعضآء التناسلية . ذلك لان الجلد لا يمكن استعمالهُ مباشرةً على هذه الاعضآء لداعي نعومتها وفرط احساسها . ولعدم وجود خلاف منبهٍ موضعي اسرع تنبيهاً واشد تنشيطاً منه . لانهُ في الوقت الذي يشك العضو يرد الدم اليهِ بغزارةٍ ويبتديء ينتعش ويتضخم واحياناً يصير مستعداً للقيام بوظيفته

ويستعمل التقريص بواسطة قرّاصٍ اخضر قوي وشديد ويختار منهُ الاكثر شوكاً ويُضرب بهِ بعنفٍ وبجميع وجوههِ على العضو التناسلي الى ان يتولد فيهِ احتراقٌ كاوي . فوقتئذ يجب ترك التقريص

وانتظار النتيجة . فاذا عُمل ذلك جيداً فمن النادر ان لا يحصل انتصاب وقتي . واذا تجددت العملية باعتناء بين وقتٍ وآخر فتتمدد الاجسام الكهفية بواسطة الدم الذي يرد اليها وتعود في التالي وظيفة الانتصاب المفقود

ونختم هذا الفصل بلمحةٍ اوردها بترون في تأليفهِ لا تدع اقل شك بما للتقريص من التأثير وهي قوله : ان هذه الجهة من جسمي التي كنت بها فيما مضى نظير هركيل سقطت ميتـةً واصبحت ابرد من الجليد ، وكأنها قد تراجعت الى اسفل احشائي . وبينما كانت انوسي كاهنة الزهرة مالئة يدها بقبضة قراصٍ اخضر ضربتني بها برفق فالجهة التي كانت منحطة القوى قد استعاضت دفعةً واحدة نشاطها الاول

الفصل الحادي والعشرون

﴿ في الكهربائية ﴾

المستعملة في معالجة ضعف الباه

لم تتحقق حتى يومنا الحاضر بكيفيةٍ فعّالة فوائد العلاج بالكهربائية لذلك نرى معظم الاطبآء العصريين قد اهملوها واعرضوا عنها بعد ان زاولها البعض منهم مدةً من الزمن وحاولوا ان يشفوا بها . والظاهر انهم لم يحصلوا بالكهربائية على فائدةٍ تذكر فتخلوا عنها واستبدلوها بسواها. مع انها كانت مستعملةً فيما مضى وما زال يستعملها البعض كعلاج فعّال لجملة علل . وهي نظير علل الامتداد والارتخاء والادوآء العصبية والشلل. ذلك لانهم قد ادركوا بسهولةٍ ان عضواً هزيلاً لنقصٍ في عمل جهازهِ العصبي من الممكن اصلاح وظائفهِ بواسطة التيار الكهربائي الذي ينفذ في جميع الاجسام ويؤثر فيها بسرعة . حتى كأنهُ يعيد الى الاعضاء حياتها التي انطفأت فيها . والظاهر ان الكهربائية التي استعملوها في معالجة العلل التي سبقت الاشارة اليها لم يفوها حقها بالدرس والاختبار . وانهُ

لو اعارها الاطباآء العصريون جانب التفاتهم واهتمامهم لربما اتت بالفوائد التي كانوا يعلقون عليها أملهم

حاول عددٌ كبير من الاطباآء والفيسيولوجيين والطبيعيين في القرن الماضي ان يدخلوا الكهربائية في العلاج الطبي ، وقد تكلل اجتهادهم جملة مرار باكليل النجاح . وان اول من خطر على فكرهِ العلاج بالكهربائية هو الطبيعي المشهور نولّه و بعدهُ جالاّ بير من جنيف وسوفاج من مونبيليه . وهم الذين قد اشفوا بواسطة التكهرب كثيراً من ادوآء الشلل حتى احدث ذلك ضجةً عظيمة في فرنسا وايطاليا والمانيا

واجرى مودويت المنتدب من قبل الجمعيـــة الطبية في باريس سلسلة اختبارات ٍفي بعض المعلولين ، منهم من تحصلوا على نتيجة تامّة والباقون كانت نتيجتهم عدم او شبه عدم — ومارس في ايطاليا ايضاً الدكتور تيبر كافالّو المعالجة بالكهرباء وتحصل بها على فوائد عظيمة وذلك بواسطة تكهربٍ تدريجي ومعتدل ، مع ان مودويت كان يكهرب بعنفٍ شديد وقوةٍ زائدة . وان من جملة الادوآء العديدة التي عالجها كافالّو وحصلت لها الفائدة ، هي الارتخاء وشلل اعضاء الحواس والتشنج الارتعاشي والصرع والادوآء العصبية والرثية (الروماتيزمية) وانقطاع او عسر الحيض الشهري وضعف الباه والعنّة والعقم . . . . وفي التالي قد اعاد الحياة الى جملة اناس اصيبوا بالاختناق ، ونجى من انياب المنية مصابٌ بسبات ٍعميق قد تأهبوا لدفنه

تفرغ كثيرٌ من العلماآء المشهورين لتجارب العلاج الكهربائي

فجاءت تجاربهم اقل او اكثر فائدة . وقد الّف برتولون ونظيرهُ سيغولافون كلٌّ منهما مؤلفاً في الكهربائية المستعملة في المعالجة الطبية وقد اوردا فيهما جملة شواهد مهمة للغاية فيما يختص بشفاء بعض العلل التي كان الأمل مقطوعاً منها . لكنهُ ولا واحدٌ استعمل المعالجة بالكهرباء بكيفيةٍ متسعة وجذّابة نظير الدكتور غراهام ، وهو الذي تفرغ بذاتهِ لنوع هذه المعالجة الجديدة التي اذهلتهُ نتائجها العظيمة . حتى انهُ افتتح في ذلك الوقت محلاً عمومياً في لوندرة حيث كانت الكهرباء تأتي بالمعجزات والغرائب . لا سيما وان اكثر الاشخاص الظرفاء في تلك العاصمة الكبرى كانوا يختلفون زرافاتٍ ووحداناً الى ذلك المكان للتداوي . وقد جمعت المعالجة بالكهربا التي هي نظير كل شيءٍ جديد في بدءِ عهدهِ عدداً عظيماً من الناس الذين اعجبوا بها ومالوا اليها. وهم الذين كانوا يتسابقون الى مستشفى غراهام كما تسابق خلافهم فيما بعد الى مصح مسمر في باريس . غير انهُ لسوءِ الحظ قد رغب غراهام ان يستعمل الزخرفة في طريقة علاجهِ وشفعها بالتدجيل وهي الوسائل التي اكسبتهُ مالاً وافراً لكنها اوقعت عملهُ شيئاً فشيئاً في قلة الثقة والاعتبار . والى المطالع ما كان ينقلهُ بريد اوروبا فيما يتعلق بمستشفى هذا الطبيب والوصف الذي وصف بهِ اسرّتهُ الكهربائية فلربما يتشوق البعض للاطلاع عليهِ وهو بنصه

نصب الدكتور غراهام في منزلٍ في لوندرة اوائل طبية للتقوية واطلق عليها اسم مستشفى المعلولين وانفق عليها مائة الف ريال رغبة

منهُ ان يجمع بين النافع والمقبول وان يضيف الفخامة الى فن المعالجة

وقد اعترف الاشخاص الممتازون والمتنورون بانهم لم يشاهدوا ابداً ظرفاً وذوقاً نظير ما احتوى عليهِ هذا المستشفى . حيث كانوا يسمعون نغماتٍ موسيقية مطربة ويستنشقون اطيب الروائح العطرية ويشاهدون ابدع المناظر التي تولدها الانوار المنعكسة . فضلاً عن اعتناء الدكتور غراهام بنوعٍ خاص بالاشخاص الذين ضحّوا انفسهم لإلهة الزواج شفيعة هذا المستشفى الذي كان المرء يجد فيهِ اسرّة مغنطيسية كهربائية بديعة معدة لايقاظ الاعضاء التناسلية الغافلة وتنبيه ملاذها الخامدة . وقد نُصبت الاسرّة في دور فخمة مفروشة بالبسط الفارسية ومزينة بالرسوم الشهوانية . وارتكزت قوائمها على قواعد بلورية وتجللت بحرير ارجواني اللون موشى بالازرق السماوي . ونصبت في الغرفة المجاورة لها الآلة الكهربائية ومنها تصدر النار السماوية بواسطة مجاري غير منظورة ممتدة الى الاسرّة . بحيث ان الاشخاص المضّجعين فيها يشعرون باضطرامهم بلهبٍ هكذا منعش حتى ان النساء العديمات التأثر والاشد برودا يرتعشن بمنبه الشهوات . وكذلك الرجال الذين سقطوا في الهزال وفقدوا قواهم التناسلية من جراء افراطهم بالملاذ يستعيضون نشاطهم السابق . وفي التالي ان الازواج والزوجات المصابين بالعقم يلقحون ويتلقحن بواسطتها ، والذين اضعفتهم واذلتهم السنون يشعرون بواسطتها بنشوة الشبيبة المنعشة . فيالهُ من مستشفى عجيب ترتاح على اسرّتهِ السحرية اكابر القوم من رجال

وسيدات وهم يدفعون بسخاء ليصبحوا اباء وامهات

وعلى هذا الاسلوب عرف الدكتور غراهام كيفية استعمال وسائل المخرقة التي بها استطاع ان يداوم طريقتهُ مدةً من الزمن ولولا ذلك لاعرضت الناس عنها باقرب وقت

اورد برتولون في مؤلفهِ الخاص بالكهربائية المستعملة لمعالجة العلل الحادث التالي وهو يؤكد صحته

تزوج شابٌ بفتاةٍ ومضى على زواجهما عشر سنين بدون ان يرزقا ابناً . ولقد حققت الكهرباء بغيتهما بعد اليأس وذلك عند ما سارا على الطريقة التي كان يشير اليها برتولون وعملا بموجبها . وهي انهما عزلا سريرهما وكان سلكٌ حديدي موصل يجتاز الحاجز الذي يفصل غرفتهما عن الغرفة المجاورة لها التي كانت الآلة الكهربائية موضوعةً فيها ، وبعد مضي خمسة عشر يوماً على تكهربهما حملت المرأة واذ اتمت مدة حملها وضعت ابناً جميلاً

ومما قالهُ برتولون في مؤلفهِ الذي نال استحسان الندوة العلمية في ليون ان العنّة تتوقف على قلة الكهربائية ، ويحصل الجنون الغرامي من وفرة الكهربائية. وان العلاج الذي يصفهُ ضد هاتين العلتين هو اعطاء الكهرباء الى المبتلى بالعنّة وانقاصها من المفرط بالغرام . ومما اردف بهِ على ذلك هو انهُ اذا القى المرء نظرةً على جداول الميترولوجيا (اي الحوادث الجوية) وجداول المواليد والوفيات ، فيشاهد ان الحمل يزداد كثيراً في وقتٍ كهربائي وتزداد الوفيات في عكس ذلك

واورد ڤان تروستويك صاحب رسالةٍ في الكهربآئية المستعملة في الطب والتي نال عليها جائزة الجمعية الطبية في ڤالنسا جملة شواهد عن رجال عنّينين وضعفاء الباه نالوا الشفآء بواسطة الكهربآء

وقد ذكر احد اعضآء الندوة العلمية في ليون ان شاباً شهوانياً انهك قواهُ من جرآء افراطهِ بالملاذ التناسلية لاقى في الكهربآئية العلاج الشافي لضعف باهه

واثبت تيلاي وبالابراط وجيراردان ان الكهربآئية هي نظير علاجٍ فعّال لمقاومة الامراض العصبية التي لم توءثر فيها باقي العلاجات المعروفة. واخيراً قد اتفق كثيرٌ من الاطبآء على مفعول الكهربآئية في الادوآء الناتجة عن نقصٍ في المؤثر العصبي . وهو يدعو الاطبآء الى استعمال المعالجة بالكهربآء متى خابت لديهم باقي الحيل

ونشر الدكتور بالاس المعروف في المجمع العلمي الباريسي برسائلهِ الطبيـة المتعددة كتاباً في العزل الكهربائي (١) وهو المعروف كوسيلةٍ واقية وشافية لعددٍ كبير من العلل . وفيهِ يجد المطالع جملة اصابات خطرة شفيت بواسطة العزل الكهربآئي

١

تختلف طريقة المعالجة بالكهربآئية على انواعٍ وكيفياتٍ متعددة لا يساعد المقام على ايرادها ، وهي مبينةٌ في المؤلفات الطبية العملية والتي

---

(١) Isolement èlectrique

يرجع الأمر الى فطنة الطبيب لاختيار النوع الاوفق للحالة التي يرغب شفآءها . بحيث انهُ يتفق غالباً ان عدم نجاح الكهربآئية عائدٌ لعدم معرفة طريقة استعمالها . سيما وانهُ يجب على العليل في اثنآء المعالجة ان يصبر طويلاً . اذ من الجائز في بعض الاحيان ان تطول مدتها. فالشخص الذي لا يتجلد ولا يصبر لا يحصل الا على نفع طفيف . وهو الأمر الذي جعلهم ان ينسبوا ذلك الى قلة نفع الكربآئية

وبنآءً على ذلك يلزم امران لا بدَّ منهما للحصول على الشفآء بالكهربآئية احدهما معرفة استعداد الشخص المكهرب وثانيهما صبرهُ ومداومته . فاذا لاحظوا هذين الشرطين وعملوا بهما فمن النادر ان معالجةً كهربآئية لا تأتي بالفائدة المنتظرة

ويظن غالب الفيسيولوجيين بان العلاج الكهربآئي لا بدَّ من خروجهِ من عالم النسيان الذي استمر غارقاً فيهِ زمناً طويلاً . واذ ذاك تنتج عنهُ علاجاتٌ متنوعة متجهزة بحكمةٍ يستطيع فن الطب ان يقاوم بها ادوآءً متعددة لا سبيل الى شفآئها في يومنا الحاضر . وهي نظير الامراض العصبية والشلل والذبول وارتخآء بعض الاعضآء التي لم تعد تستطيع العمل بالكلية

٢

في ضعف الباه عند الشيوخ

ان كل حياةٍ تتبع مجراها بضبطٍ تنقسم الى جملة ادوارٍ وهي :

البدء والوسط والنهاية . او بالاحرى الشبيبة والكهولة والشيخوخة . فالشبيبة والكهولة هما زمن النشاط التناسلي — والشيخوخة الاولى وهي من الخمسين الى الستين هي مدة الانحطاط التناسلي . وفي اثناء الشيخوخة الثانية وهي من السادسة والستين الى منتهى الحياة تنحط الخاصة التناسلية من يوم الى آخر ما عدا بعض الشواذات النادرة . الى ان تذبل الاعضاء التناسلية ويصير القضيب غير صالح للمباشرة — لا سيما وان الانحطاط التناسلي يأتي في بعض الاحيان قبل السن المعتادة نظير سن البلوغ التي تأتي احياناً قبل اوانها ، فهو يظهر في البعض باكراً وفي خلافهم متأخراً . ولا يظهر سكون العضو التناسلي المطبق دفعةً واحدة بل انهُ يأتي على مهلٍ وينمو بتوئدةٍ وتقتضي لهُ اشهرٌ وسنون حتى يشمل العضو بجملته . وانهُ عندما يسكن العضو التناسلي بالكلية ولم يعد يتأثر فتكون قد انتهت مدة الرجولية . ومن الغرور ان يرجو الشيخ من المنبهات ايقاظ وظيفتهِ التناسلية التي نفد زيتها وانطفأ نورها الى الابد . واذ ذاك يستمر جميع مجهزات العالم وسائر العقاقير الشرقية والهندية والمصرية . . . . وكافة الصفات السرية او التدجيلية عقيمة لا يمكن ان ترجى منها فائدة . بل بعكسهِ تقرّب ساعة المنون وتجعل متعاطيها يكابد نزعاً طويلاً ومخيفاً

الفصل الثاني والعشرون

﴿ في العقم ﴾

تَبتلى المرأة بالعقم اكثر من الرجل لداعي اتساع آلتها التناسلية وتعرضها للادوآء اكثر ما تتعرض اليهِ آلته . وكانت الشعوب القديمة تعيّر الشخص المبتلى بهذه العلة ، ولم تكن شرائعهم تصادق على طلاق الزوجات العقيمة فقط بل انها كانت تأمر بفسخها ايضاً . ذلك لان القصد من عقد الزواج في تلك الازمنة هو انمآء الاهلين وتكثير عددهم . ولم تكن الغاية منهُ الانانية والنفع الذاتي كما هو جارٍ في يومنا الحاضر

على انهُ كلمّا كانت اخلاق الامة صافية ، كلمّا رغبت نساؤها في الزواج ومالت الى التناسل . وليس الاَّ في اعصر الفساد والانحطاط التي فيها تخشى المرأة من ان تصير اماًّ

كانت الهيأة الحاكمة في الهند والقطر المصري قديماً تحتقر النسآء العقيمات وكان الرجال يحتقرونهنَّ ويوجهون اليهنَّ انواع الذل والهوان

وكان العقم عند العبرانيين عاراً وهم يعتبرونهُ نظير قصاص سماوي — وكانت النسوة الوثنيات لا يبالين بالحيآء ويمتثلن لكل ما يتطلبهُ الكهنة منهنَّ ليحصلن على النسل — وكان الصينيون والعرب ينظرون الى المرأة العقيمة نظرهم الى أنيةٍ عديمة النفع لا قيمة لها — وليس الزمن ببعيد يوم كانت نسآء فرنسا العقيمات يعلقن عوذةً (حجاباً) على جنبهنَّ ويعملن رياضةً خشوعية مدة تسعة ايام ، ويحججن الى بعض المزارات ويحملن معهنَّ تقدماتٍ ثمينة الى القديسين الذين كانوا مشهورين بشفآء العقم . ولم تكن هذه الشهرة كاذبة وليس لها أثرٌ من الصحة بحيث ان جميع النسآء ذوات التركيب الجيد والمتزوجات برجال معتلين اوعنّينين كنَّ يرجعن من هذا الحج متلقحاتٍ حاملات. امَّا الكيفية التي كان يتم بها ذلك فهي مسطورةٌ في تضاعيف التاريخ وبين حوادث العصور الماضية ، وهي تماثل الوسائل التي كانت تستعملها كهنة الوثنيين

زعم المسيو فيلرمه بان في مصر مزيةً خاصّة تجعل العاقر تحبل اذا جومعت فيها . مستشهداً على ذلك بان نسآء فرنسا لمَّا علمن في بدء القرن التاسع عشر بهذه المزية ذهبن الى مصر مع رجالهنَّ الجنود في حملة نابوليون وحملن فيها ونلن بغيتهنَّ . وقد نسبن ذلك الى خاصية مآء النيل المبارك . لهذا جلبنَ معهنَّ عند عودتهنَّ كثيراً من تلك المياه الى صديقاتهنَّ العواقر في فرنسا . غير انهُ ليس مآء النيل هو الذي احدث حمل البعض منهنَّ وشفى عقمهنَّ بل الاغلب ان تغيير المناخ والمعيشة هما اللذان أثّرا فيهنَّ واحدثا حملهنَّ

القسم الاول

﴿ في اسباب العقم ﴾

ان كل رجل يحتوي زرعهُ المنوي على الجراثيم الحية فهو اهلٌ للتناسل ، وكل امرأةٍ تحيض بانتظام فهي قابلة التلقيح . فاذا اجتمع الشرطان في الزوجين ولم تكن فيهما شوائب تشريحية او فيسيولوجية ولا نقصٌ في قضاء المباشرة الجنسية فليس هما بعقيمين

غير انهُ اذا توفرت هذه الشروط في الزوجين واستمرا مع ذلك عقيمين فينشأ هذا عن عدم الموافقة بينهما كما نبين ذلك قريباً

تقسم اسباب العقم عموماً الى قسمين قسم ناشيءٌ عن فقدان عضو أو جملة اعضاء من الجهاز التناسلي ، أو عن علّةٍ عقيمة مستحكمة فيهِ لا تقبل الشفاء . وذلك نظير الرجل الفاقد الخصيتين أو الحويصلتين المنويتين — او المرأة التي بدون رحم أو بدون مبيضين . فامثال هؤلاء لا بدَّ من ان يكونوا عقيمين

وينشأ القسم الثاني عن تشوهاتٍ أو ادواء يستطيع فن الطب معالجتها وشفاءها . وان منها ما تسهل مقاومتهُ وخلافها بعكسها تلزمها معالجةٌ طويلة المدة ، ربما يئس العليل منها وفقد اصطبارهُ معها . واننا محيطون بها بوجهٍ اجمالي وهي

ادوآء الرجل

ذبول الخصيتين وادوآؤهما المختلفة نظير تورم الصفن المآئي وسرطان الخصية

انسداد المجاري الناقلة أو تمددها

امراض الحويصلتين المنويتين

فساد المنيّ

السيلان المنويّ

امراض البروستاتا والاحليل

تشوهات القضيب

ضيق الاحليل والناسور وخلاف علل

انتفاخ مجرى البول من فوق أو من اسفل

ضيق القَلفة

ارتخآء أو شلل عضلات الانتصاب

المزاج البارد جدًّا الذي يسبب العنّة

المزاج المتقد جدًّا الذي يسبب دآء الشبق احياناً

امراض المخيخ والنخاع الشوكي .... وهلمّ جرًّا

ادوآء المرأة

امراض المبيضين . فساد البويضات . ضيق أو انسداد البوقين الخ ....

طول البظر المفرط يشير عموماً الى رحمٍ ومبيضين قليلة النموّ ، والى عدم الميل الى الرجال ، والى اميالٍ غير طبيعية وجمود الاعضآء التناسلية

ضيق المهبل وانسداده أو اتساعه المفرط

قلوية سائل الرحم المخاطي أوحموضة سائل المهبل المخاطي المفرطتين هما اسباب العقم المتواتر

ناسور المهبل البوليبوس (وهو ورمٌ لحمي ليفي في المهبل) الخ ...

قلة اتساع الرحم أو ذبوله أو انسداد عنقه

نزيف الطمث أو نزيف الدم

انقطاع الطمث

الهيستيريا والغلمة

وفي التالي بعض احوالٍ تتعلق بتركيب المرأة

القسم الثاني

في معالجة تشوهات اعضآء الرجل التناسلية وادوآئها المختلفة

ضعف الخصيتين — اذا لم يكن الضعف ناشئاً عن نقصٍ عضوي فيمكن شفاؤه بواسطة حماماتٍ نصفية مهيجة وتبخيرات عطرية وضماداتٍ نشادرية وزرنوخية وصب المآء المطيب عليهما واخصه

في جانب القضيب متى كان الدآء ناشئاً عن عفةٍ طالت مدتها جدًّا . ذلك لان قلة التمرين تقلل نشاط وظيفة العضو وتجعلهُ اخيراً عديم النفع بالكلية

ورم الصفن المائي وسرطانه الخصية واشباهه — اذا لم تكن هذه الادوآء سبباً للعقم المطلق فهي من الجائز ان تعيق المباشرة الجنسية وتجعلها غير وافية وبدون نتيجة . ولمَّا كانت هذه الادوآء من متعلقات الجراحة فلا سبيل الى شفآء العليل الاَّ بها

انسداد المجاري المنوية — تندر هذه العلة ويعسر تشخيصها وانهُ بالنظر الى جملة اطبآء ان التهابات الخصيتين المتكررة هي من نتائجها . ذلك لانهُ لمَّا تكون المجاري المنوية مسدودةً فالمنيّ الذي انضجتهُ الخصيتان لا يستطيع الانتقال الى الحويصلتين المنويتين فينتج عن ذلك العقم . لاسيما وان الوسائل المستعملة لازالة الانسداد لم يتأكد مفعولها أيضاً . ومما يظن بان لبخاً محللة على الخصيتين وحمامات موضعية ودلك بمرهم عطري أو بمرهم زئبقي يخفف من هذه العلة الخطرة ويحسن حالة المبتلى بها

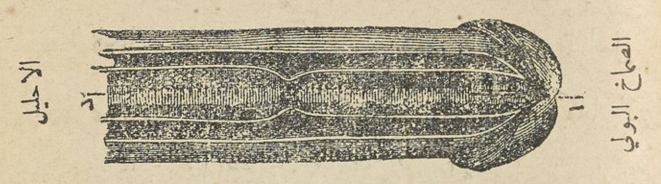
ادوآء الحويصلتين المنويتين — تعثر بالمثل معرفة هذه الادوآء ويتعذر على الطبيب الحاذق تشخيصها . لا سيما وان بعض الاعراض التي لاحظوها عليها كان العقم مرافقاً لها دائماً . ولمَّا كانت وسائل المعالجة لم تأت بفائدة لذلك قلَّ من اهتم لها وشغل ذاتهُ بها .

غير انهم يشيرون ببعض الوسائل العمومية وهي نظير الحمامات الكاملة أو النصفية والحقن الملينة والمشروبات الملطفة والمستحلبات .....

فساد المنيّ — يتسبب عن نقص عمومي أو موضعي تمكن معالجتهُ بالوسائل الصحية والعلاجات الطبية وهي من متعلقات الطبيب. ويزعم ذاكياس بانهم غير اهل للتناسل اولئك الاشخاص الذين زرعهم المنوي حاداً جدًّا أو محرقاً وهو الذي يترك على الملابس بقعاً ضاربة الى السواد . أو ان يكون بارداً جدًّا و بدون قوةٍ أو كثير الرطوبة أو اليبوسة . وان السائل المنوي لكي يكون ملقحاً يجب ان يكون ابيض ثقيلاً ويسقط الى اسفل الماء

السيلان المنوي — هو من العلل الخطرة التي يجب الاهتمام لها بدون انقطاع . ويتسبب السيلان المنوي بوجهٍ عام عن الافراط بالفعل الجنسي أو جلد عميرة التي تضعف الاعضاء المعدَّة لخزنهِ وقذفه. ويحصل السيلان تارةً عند ما يبول المرء أو يغوط وطوراً بالاستنوام الليلي المتكرر جملة مرارٍ في الليلة الواحدة . واحياناً لم يُستوفَ نضجهُ فيخرج من الحويصلتين المنويتين ويمر بالقناة القاذفة ويسقط من الاحليل خارجاً بدون ان يشعر العليل . بل يُشاهد البول مختلطاً ما قلَّ او كثر بالمنيّ — ويتسبب من ثمَّ عن عفةٍ مطلقة وعن الاشغال التي يزاولها المرء وهو جالس ابداً . وعن الامساك العادي والاكثار من الحقن المهيجة والافراط بالشاي والقهوة والجعة . . . بحيث ان

جميع هذه الاسباب في امكانها ان تحدث سيلاناً منوياً . غير انه يكون في مثل هذه الحالات اقل خطراً ويزول حالاً عند منع السبب . ويتطلب السيلان المنويّ الناشيء عن الافراط الجنسي وضعف الجهاز التناسلي معالجةً بالنظر الى حالتهِ وخطورته



الرسم : ٢٥

امراض البروستاتا والاحليل — وهي نظير ضيق وناسور وتلحم فطري بوليبوس (ورم لحمي ليفي) ... فهذه لا بدَّ لها من معالجةٍ جراحية . لا سيما وان الجراثيم المنوية يحصل قذفها مع بعض سوائل البروستاتا التي تُسمى بالمزي وهي نظير ناقلٍ لهذه الجراثيم . فكل مرضٍ تبتلى بهِ هذه الغدة يكون سبباً من اسباب العقم في الرجال . ويتسبب العقم ايضاً عن ضيق الاحليل وقلَّ من يهتدي اليهِ لانهُ غير ظاهرٍ ولا يمنع المباشرة الجنسية . وهو علّةٌ متواترة الحدوث جداً كما هو معلوم من جرآء الامراض التناسلية وسقطات الشبيبة . وييأس كثيرٌ من الازواج الشبان والاشدآء من الحصول على النسل مع انهم يأتون الفعل الجنسي مكملاً وينسبون ذلك بغير حق الى الزوجة . مع ان السبب يكون في الاحليل كما تشاهد في الرسم (٢٥) وفي امكان الطبيب الاختصاصي معالجة ذلك وشفاءه

تشوه الصماخ البولى — وهو انهُ عوضاً من ان تكون فتحة الاحليل في رأس الحشفة تكون في افق القضيب او في قاعدتهِ او في وسطهِ من اسفل . وقد شوهد بعض الاشخاص الذين كان لهم صماخٌ واحدٌ للبول والآخر للمنيّ ، نظير ما كان لمحامي في بادوفا الذي اورد قصتهُ فيزال . فامثال هوءلآء هم في الغالب غير اهلٍ للتناسل

تشوه القلفة — وهي ان تكون الحشفة مغطاة باكملها بالقلفة ولا يمكن قشرها . فهذا التشوه يمكن علاجهُ بعمليةٍ جراحية سهلة للغاية

ارتخاء وشلل عضلات الانتصاب — تلزمها معالجةٌ داخلية مقوية وذلكٌ منبه او التقريص الذي سبقت الاشارة اليه

المزاج الشديد البرودة — يمكن تعديلهُ بواسطة غذآءٍ مهيج واستعمال جملة وسائل موصوفة في فصل معالجة العنّة

المزاج الشديد الحرارة — يمكن تعديلهُ بملازمة غذآءٍ مضعف تصحبهُ بعض مجهزاتٍ من خصائصها منع التهييج

امراض المخيخ والنخاع الشوكى — تتعلق معالجتها باالطب العالي وانما اوردناها على سبيل الاشارة اليها

ادوآء التهيج كالانتصاب الموءلم والشبق — سيأتي الكلام عن معالجتها في الفصل التالي

الربالة او السمن المفرط — هي بوجه التقريب الدليل على

الانحطاط التناسلي وفاتحة عدم المقدرة على التوليد . وكأن القوة الحيوية قد فارقت في الرجل السمين جهازهُ التناسلي لتجتمع في جهازهِ الدهني . وكذلك في عالم النبات لا تصير الزهور عقيمةً الاَّ لان اعضاءَها الذكرية قد انقلبت الى وريقاتٍ لفرط العصارات المغذية فيها . وذلك ما يختبرهُ البستانيون في كل يومٍ وهو خير ممثلٍ لعقم الرجال الربلين . ويُعالج هذا العقم بالوسائل التي بها تتوزع بكيفيةٍ متساوية على جميع اقسام الجسم العصارات المغذية التي تذهب الى النسيج الدهني وتستقر فيه

القسم الثالث

﴿ في اسباب عقم المرأة وطرق علاجها ﴾

سبق و بينا ان آلة المرأة التناسلية تشغل مكاناً اوسع مما تشغلهُ آلة الرجل . لذلك هي اكثر عرضةً للادوآء المتواترة التي تسبب العقم ، وان منها مايقبل الشفآء وسواها لاسبيل لها اليه . ومع كلّ لا يجب ان تيأس المرأة من معالجةٍ طبية او صحية لا تأتيها بفائدة ، لأن الطبيعة وهي الاكثر اقتداراً من علم الطب تمنح في بعض الاحيان الى المرأة خاصة التناسل التي كانت محرومةً منها . وامامها امثال ابراهيم وسارة، ويعقوب وراحيل، وكثيرين خلافهم

البظر — ان طول هذا العضو المفرط ليس هو سبب العقم على الاطلاق متى كان تركيب باقي الاعضاء التناسلية جيداً . الاَّ انهم قد لاحظوا على العموم ان نموّ هذا العضو نمواً مفرطاً يجعل النسآء لا يبالين بمباشرة الرجل بل يبحثن بتلهفٍ عن مجتمعات النسآء . وكان الاقدمون يلقبون امثال هؤلآء النسوة بالساحقات وهنَّ اللواتي تولّد الشهوة البظرية في مخيلتهنَّ سرساماً متواصلاً حتى يصرن كثيرات الدعارة في ملاعبهنَّ الحبية . ويجمعن حولهنَّ بعض الوصيفات ويتخلقن بالغيرة الفائقة الحد . وقد كانت رذيلة السحاق اكثر شيوعاً فيما مضى عما هي عليهِ اليوم . ويحفظ التاريخ جملة اسمآء من اولئك النسوة اللواتي نمسك القلم عن ذكرهنَّ وعن ايراد حوادث فحشهنَّ . لا سيما وان اكثر امثال هؤلآء النسوة اللواتي تفترسهنَّ شهواتهنَّ التناسلية يقمن في العواصم الكبيرة ، حيث يستسلمن الى الالعاب المنكرة فيكتسب بظرهنَّ لداعي جذبهِ المتواصل بضع عقدٍ من الطول حتى يشاكل العضو الذكري . واذ ذاك ينفرن من خصائص جنسهنَّ فيترجلن ويبحثن عن الخليلات ليروين ظمأ شهواتهنَّ القبيحة

وقد ذكروا انهُ كانت في باريس من جملة سنوات امرأةٌ قد شاكل بظرها بطولهِ وغلظهِ القضيب الذكري . ولمَّا كانت على جانبٍ عظيمٍ من الثروة وذات شهوةٍ مفرطة ، فكانت تستأجر وصيفاتٍ وتتعبهنَّ وتتلفهنَّ في زمنٍ قليل . لاسيما وانها كانت تفضل البنات الفتيات ، واذا لم تجد مرغوبها فكانت ترضى بالنسآء المزوجات

ومما اكدهُ هؤلاء النسآء ان هذه الفاحشة كانت تفعل نظير الرجل لكنها كانت اكثر شهوةً واطول مدةً منهُ جداً . وقد دفع حب الاطلاع جملة نسآء الى الذهاب الى منزل هــذه المرأة التي كانوا يسمونها بالخنثى لمشاهدة تشوه اعضآئها التناسلية . وكنَّ يخرجن من عندها وقد جمعن بين الخبر والعيان

امَّا بالنظر الى ماسبقت الاشارة اليهِ انهُ اذا كان نموّ البظر الهائل يجعل المرأة قليلة الاستعداد او غير اهلٍ للتناسل . فقطع هذا العضو يعيد الى المرأة اميالها الطبيعية عادةً ويجعلها مستعدةً للحمل اذا لم يكن فيها سببٌ آخر داعٍ للعقم

يقرأ المرء في التاريخ الروماني الحادث التالي وهو بنصه : تزوج احد ولاة الرومان بامرأةٍ ذات بظرٍ طويل و بعد مضي مدةٍ على زواجهِ ايأسهُ عقمها وعدم تأثرها بالمباشرة الجنسية . لكنهُ فاجأها في احد الايام في طابقٍ من منزلهِ عارية تأتي الالعاب الذكرية مع امآئها العاريات ايضاً . وقد دفع الروماني وهو في ثورة الغضب باب الغرفة وقبض على زوجتهِ وقطع بحد مديتهِ بظرها . ومن ذلك الحين فقدت هذه الفاحشة اميالها الغير الطبيعية وصارت امّاً واحبت زوجها وولدت لهُ جملة بنين

وقد اورد الدكتور موندا حادثاً يقرب شبهاً لما تقدم . وذلك انهُ تزوجت فتاةٌ من جملة سنوات وما زالت عقيمةً الى اليوم الذي جاءته فيهِ واعلمتهُ بانها قد أَلِفت منذ صباها عادة الإلطاف الرديئة . وهي تفضل الملاذ السرية على الملاذ مع زوجها . امَّا الدكتور موندا

فباتفاقهِ مع الاستاذين ديبوي وبيلّيتان اجرى لها عمليـة قطع بظرها وكانت هذه سبباً لان تصير هذه الزوجة اماً بعد تسعة اشهر

جمود اعضاء المرأة التناسلية — اذا جاز للحدة التناسلية ان تكون سبب عقم المرأة فالحالة المناقضة لها اي عدم الميل الى الملاذ الحبية تنتج في الغالب ذات المفعول — واذا كان ارتخاء قضيب الرجل هو سبب ضعف الباه ، فالمرأة ذات المزاج البارد جدًّا العديمة الشهوة والتي بظرها ومهبلها ساكنان وعنق رحمها عديم التمدد وليس لبوقيهِ انتصابٌ فلا شك بانها عقيمة . بحيث قد تبين من مقابلة هذه الاعضاء في كلا الجنسين ان وظيفتها متشابهة وهي اخلاء الممر للزرع المنويّ . فاذا كان انتصاب القضيب هو ضروري لقذف المنيّ في المهبل فانتفاخ عنق الرحم وانغلاقهِ هما ضروريان لمرور هذا السائل . وكذلك انتصاب البوقين هو لازمٌ ليذهب المنيّ نحو ثلثيهما العلويين حيث تتلقح البويضات

امّا الوسائل المفيدة لمقاومة العقم الناتج عن جمود اعضاء الانثى التناسلية فهي : غذاءٌ مقوي ومهيج ، وحمامات بحرية في الصيف ، ودلك منبه على اسفل البطن والعجان واعلى الفخذين ، وحقن المهبل بالحقن المنبهة ، والوضوء الموضعي الحارّ بضع دقائق قبل الفعل الجنسي ، وبالتالي المشروبات وانواع المجهزات المنوه عنها في فصل المنبهات

ضيق المهبل وانسداده — وهو ان يكون ضيقهُ متناهياً

ناشئاً عن ندوبٍ ولحميةٍ وغلاظة وتصلّب اطراف المهبل . وهي التي تحول دون ولوج القضيب وتمنع التلقيح . — ويكون بعض المهابل متصلبة ومتحجرة من جراء فرط حقنها بالمواد القابضة . حتى ان ادق الاجسام لا يمكن ادخالهِ فيها — وينسد المهبل باغشيةٍ زائدة أو تقرحٍ او تصلب او ناسور ..... يعيق المباشرة والتلقيح ما قلّ او كثر — ويُعالج هذا التجعد والتلاحم باستعمال ممدّدات تدريجيـة وهي مكونةٌ من اسفنج مضغوط . وذلك بادخال قطعة الاسفنج في المهبل التي تتشرب رطوبتهُ وتتضخم وتحدث في بضعة ايامٍ في المهبل التمدد المرغوب . ثمَّ يقتضي لاخراجها منهُ حمامٌ كامل او موضعي

واذا كانت حالة المهبل في عكس ذلك اي ان اتساعهُ متناهٍ واخصهُ عندما يكون طافحاً دائمـاً ابداً بالسائل المخاطي او السوائل البيضاء فهذا ممايعيق التلقيح . بحيث تكون اطراف المهبل مرتخيةً ليس في امكانها ان تعانق العضو وتحفظ المنيّ الذي يعود سائلاً من الفرج حالاً عوضاً من ان يتجه نحو عنق الرحم . وان الدواء الوحيد هو في تقليل سعة المهبل وتقليل السائل الفرجي (راجع فصل التبرج السري)

قلة تجويف الرحم وانسداد عنقه — هما بالضرورة من اسباب العقم . وكذلك النزيف الحيضي او عسر الطمث وجميع ادواء الرحم المتنوعة عموماً هي من جملة اسباب العقم . اذ لا بدَّ للتلقيح من ان يكون الجهاز الرحمي صحيحاً تام التركيب وان كل داءٍ يبتلى بهِ يضر بالتلقيح اقل او اكثر . ولا يساعد المقام على ايراد ادواء الرحم

المتعددة . بل انهُ يجب على المرأة التي تبتلى باحدى العلل الرحمية ان تلجأ الى طبيبٍ ماهرخصيص بمعالجة امثال هذه العلل

ومجمل القول انهُ كلّما ابتعدت اعضآء الرجل والمرأة التناسلية عن الصفات الخاصة بها أو كان نموها غير كافٍ ، كلّما تعذر التلقيح واستحكمت حلقات العقم

وعليهِ فالرجل الذي توقفت خصيتاهُ عن النموّ أو ذبلتا بالكلية أو فقدها لسببٍ ما ، تفارقهُ صفات الرجولية حتى لم يعد ينمو شعر ذقنهِ بل يسقط من تلقآء ذاته ، وتصير نبرة صوتهِ رفيعة وحادّة ، ويزداد حجم ثندوتيهِ وتستديران . اذن فهو يتأنث — والمرأة التي يستمرّ مبيضاها أثريين أو التي فقدتهما على اثر علةٍ ما ، أو تلك التي رحمها مسدود أو في آلتها التناسلية نقصٌ كبير فانها تفقد خاصة التأنيث . اذ ينبت شعر ذقنها ويتفخم صوتها ويذوب ثدياها ويفقدان استدارتيهما ويكتسبان شكلاً اشبه بالزاوية . اذن فهي تترجل

نزع ريولان مبيضي امرأة في الثالثة والعشرين من عمرها بدون ان يصيبها اقل تغيير في صحتها . غير انهُ قد انقطعت عادة الحيض منها بالكلية وفقدت نهديها الكبيرين وزالت غضاضة اديم بشرتها وكانت تسير مع مرور الايام والشهور نحو التذكير . وقد بلغت باقل من سنةٍ حالة امرأة مترجلة بالكلية

وذكر بوديلوك قصة امرأة عديمة المبيضين بطبيعتها كانت لها لحيةٌ في ذقنها وهي تشمأز من اعمال جنسها . اذ انها كانت ترتاض

في اكثر اوقاتها بانواع الاسلحة وتزاول الفروسية والصيد

أمّا جان دارك ، وجان هاشيت ، وتيروين دي مريكور ، وتريز فيكار اللواتي امتشقن الحسام واتين الجهاد والثورات . وجملة نساء محاربات خلافهنّ اللواتي فضلن ملابس الرجال على ملابس النساء ، فهؤلاء وامثالهنّ كانت اعضاؤهنّ التناسلية ناقصة ولم يكن يأتيهنّ الحيض الشهري . وقد اقرّ الطبيبان اللذان كلفتهما الحكومة الانكليزية الى فحص بكارة جان دارك بانهما وجدا ضيقاً هائلاً في قناة مهبلها لا يمكن قضاء الفعل الجنسي معها

ذكر الدكتور ماتيه في تاريخهِ الخاصّ بفيسيولوجية المرأة ، ان فتاةً مصابة بانسداد الرحم استمرت تشعر مدة سبع سنوات بآلام شديدة متأتية لها عن انحباس دم الحيض فيها . ونحو سن السادسة والعشرين من عمرها ذبل مبيضاها ونبت في شفتها العليا شعر الشاربين وفقد نهداها استدارتهما وزالت نعومة اديم بشرتها واصبح صوتها حادًّا وجافاً . وبعد بضع سنوات تمثلت فيها جميع ملامح النساء المترجلات

لاحظ بعض الاطباء انّ من جملة ادواء الرحم داء نادراً جداً وهو من اغرب ما يمكن اطلقوا عليهِ اسم الداء الرحمي العصبي التشنجي . وهو ناشيء عن انفجار غازٍ اشبه بالقرقرة التي تحدثها غازات المعدة والامعاء عند خروجها من البدن . وقد دعوا ذلك بالتجشؤ الرحمي واعتبروا تشنج الرحم سبباً له . وهو ان بعض النساء المبتليات

بالهيستيريا اللواتي يحركهنَّ الخيال وتهزهنَّ الاميال التناسلية فيرتعش جهازهنَّ التناسلي، ويتهيج ويتمدد المهبل وعنق الرحم فيهنَّ، وينفتح وينغلق الفرج، ويغور الهوآء الخارجي في تجويفهنَّ الرحمي، فمتى هبط التشنج عقبى ذلك يأخذ الهوآء الداخل فيهنَّ بالخروج رويداً رويداً مع حدوث القرقرة التي أشرنا اليها

فالمرأة التي يحدث معها مثل ذلك يجب عليها بدون تمهلٍ ان تستشير في أمرها طبيباً ماهراً. فاذا لم تعالج حالاً هذا الانتفاخ الرحمي فيرافقهُ في القريب او البعيد التهاب نسيج العضو او غشآئهِ المخاطي. ويسبب هـذا الالتهاب في الغالب النزلة الرحمية. وهي علةٌ عسرة الزوال وقلَّ من النسآء المبتليات بها شفين منها

وتسبب في النسآء سن الشيخوخة التي ينشأ عنها ذبول المبيضين والرحم تغييراتٍ عامّة متشابهة، وهي اقل او اكثر وضوحاً فيهنَّ. ويفعل ذبول خصيتي الرجل لداعي سنهِ تغييراتٍ في بنيتهِ ليست هي اقل ظهوراً مما يحدث في المرأة. بحيث انهُ لمّا يتقدم الرجل والمرأة في السن لم يعدا يتصفان بالصفات التي يتميز بها جنساهما. بل كأنهما يتغيران ويختلطان ويتمثلان في مخلوقٍ مختاط ليس هو برجلٍ ولا امرأة

ان نوعين من انواع العقم هما اكثر تواتراً مما كانوا يظنونهما حتى يومنا هـذا. اولهما قلوية سوائل الرحم المخاطية. وثانيهما حموضة سوائل المهبل المخاطية. وقد اظهرت التجارب المتعددة حقيقة الحال وهي ان القلويات والحموضات تقتل الجراثيم المنوية. لانها اذا دخلت في

المهبل واتصلت بالرحم تموت في الحال اذا كانت السوائل التي تطرّي هذه الاعضاء كثيرة القلوية او الحموضة . فاذا احست المرأة باحتراقٍ في فرجها ونزول سائلٍ حرّيفٍ على فخذيها فيكون ذلك نتيجة حموضة افرازات الرحم او المهبل . لكنهُ توجد وسيلة بغاية البساطة وتأتي بالفائدة دائماً ، وهي حقن المهبل والرحم قبل المباشرة بمغلي الردة (النخالة) بعد تصفيتهِ بقطعة نسيج — فعلى الزوجين العقيمين استعمال هذه الوسيلة التي هي من انواع الوضوء التناسلي . امّا من خلف او بالكيفية العادية . وذلك ان تضع المرأة تحت صلبيها وسادة

ويتسبب العقم في بعض الاحيان عن تشنج عنق الرحم في اثناء المباشرة حتى يمنع دخول السائل المنوي . وان ابسط وسيلةٍ لمنع هذا التشنج هو ان تقيم المرأة في حمامٍ نصفي حارّ و بعد نصف ساعةٍ تُباشر برفقٍ أي بدون شوقٍ متقد . اذ نتج عن استعمال هاتين الوسيلتين فائدة كلية في حالتي العقم السالفتين

ومن اسباب العقم ايضاً الحمية الزائدة التي ترافق ايام الزواج الاولى ، حتى تستمر المباشرة فيها عقيمة . اذ يكون الزرع المنوي سائلاً جداً ونضجهُ غير وافٍ لا يحوي سوى جراثيم ناقصة من فرط المباشرة المتواترة . واذا اتفق واثمر فيأتي الثمر ضعيفاً كما نوهنا عن ذلك في فصل التلقيح

ويُسمى العقم خاصاً اذا كان الزوجان عقيمين لكنهما ينسلان اذا اقترن كلٌّ منهما بسواه . ومن الشواهد على ذلك نابوليون

الاول وزوجتهِ جوزفين وهي التي رزقت من زواجها الاول بالفيكونت دي بوهرني ولديها اوجين واورتنس . واستمرت عقيمةً مدة زواجها بنابوليون . مع انهُ لمّا اقترن نابوليون بماري لويز رزق منها ابناً

ويفسرون هذه الحالة الغريبة بوجود نقصٍ خفي في احد الزوجين يعظمهُ الزواج الاول ويصلحهُ الزواج الثاني . اويجوزان يكون ناشئاً عن تغيير العلائق الجنسية او عن اختلاف في الميل المتبادل بين الزوجين . مع ان الميل ليس لهُ اقل تأثير على التلقيح كما هو معلوم . وتشهد حاشية نابوليون انهُ كان يحب جوزفين اكثر من حبهِ ماري لويز . ونسب البعض ذلك الى حالةٍ كيماوية وهي ان بويضة الانثى تتشربها الجراثيم المنوية في بعض الاحوال اسهل من سواها . غير ان جميع هذه البيانات افتراضية ولم تزل الحقيقة الى الآن غامضة فيما يختص بالعقم الخاص

القسم الرابع

﴿ في الخنوثة ﴾

يتسبب العقم عن الخنوثة التي يندر حدوثها في الجنس البشري وهي اجتماع الجنسين في شخصٍ واحد . غير ان هذا الاتحاد ما هو الاَّ ظاهري فقط ، ذلك لان الخنوثة البشرية لا تكون تامّة ، ما عدا

بعض الشواذّات المشكوك بها جداً التي ذكرها بعض الفيسيولوجيين .
وانهُ بناءً على ما اظهرهُ البحث التشريحي دائماً ان الخنوثة البشرية ما هي الاَّ نقصٌ او شواذ في تكوين الاعضاء التناسلية ، وهي لا تُشاهد تامّة على الاطلاق الاَّ في العالم النباتي وفي الحيوانات الدنية وتكون مفقودةً في التي تشغل الدرجات العليا في السلم الحيواني

احدثت الخنوثة الظاهرية في الجنس البشري الناشئة عن شواذّ الاعضاء التناسلية جملة تغييراتٍ في سجلات المواليد . فقد ذكروا جملة حوادث من هذا القبيل وهي ان مواليد تسجلت اسماؤها بكونها من جنس الاناث صارت فيما بعد ذكوراً . وخلافها كان يُظن بانها من جنس الذكور انقلبت دفعةً واحدة الى اناثٍ في سن البلوغ

لم تكن الخناث المتعددة التي عرضوها في المدن الكبيرة ليشاهدها الناس وهي بين سن السادسة عشرة والخامسة والعشرين سوى نساء او رجالٍ تشوهت اعضاء تناسلها ولها الشبه بجنسين متحدين . فمنهم من كان لهم في وسط الصفن الخالي من الخصيتين فاقٌ مستطيل على شاكلة الفرج ، وغورٌ في العجان يدعو الى الظن بوجود مهبل — والبعض من كان لهنَّ بظرٌ هائل شبيه بالقضيب يصحبهُ انتصابٌ شديد . وتتدلى بشكل شبيه بالخصيتين تحت الفلق الفرجي الثنية الغشائية التي يتكون منها الشفران الصغيران . وبناءً على ذلك قسم البحث التشريحي خناث الجنس البشري الى ذكورٍ واناث

امَّا الخناث الاناث او النساء ذوات البظر الطويل فانهنَّ يمتلكن

بوجهٍ عامّ الثديين والرحم والمبيضين القليلي النموّ . وتكون عانتهنَّ منبسطة ووركاهنَّ ضيقين وشكلهنَّ نحيفاً وجهازهنَّ الصفراوي وافراً والشعر نابتاً فوق شفتهنَّ العليا وصوتهنَّ جهورياً وتختص جميع ملامحهنَّ بملامح المرأة المترجلة . ولا يشعرن بادنى ميلٍ للرجال . بل يبحثن بعكس ذلك على بنات جنسهنَّ ليأتين معهنَّ مباشرات الذكور . فضلاً عن كونهنَّ عقيماتٍ على التقريب دائماً

امَّا الخناث الذكور او الرجال المشوهو اعضاء التناسل أولئك الذين استمرت خصيتاهم في معدتهم ولم تسقطا ، فتكون فيهم جملة علاماتٍ شبيهة بالنسآء . وهي انهم يمتلكون شبه فرجٍ وشبه مهبلٍ ويزداد نموّ ثندوتي البعض منهم . وتكون من ثمَّ ملامحهم مستديرة وصوتهم رفيعاً وشعر ذقنهم قليلاً . وليس عندهم للحب تأثيرٌ بل يستمرون ذابلين عنّينين الى ان تدفع الطبيعة بما لها من القوة خصيتيهم خارج معدتهم بعد أن كانتا مختفيتين فيها واذ ذاك يصيرون رجالاً

اخبرنا احد الثقاة انهُ ولدت ليوسف بك مينا قاضٍ مصري في القاهرة ابنةٌ سماها فيكتوريا ولم يعش لهُ بعدها مولودٌ . وكان كل ما يتمناهُ ان يكون اباً لمولودٍ ذكر . امَّا ابنتهُ فيكتوريا فلم يكن لها اعضآء تناسلية سوى ثقبٍ فقط للبول . ولمَّا كبرت ارسلها والدها الى كلية البنات في القاهرة بصفة تلميذةٍ داخلية . غير انهُ لمَّا كانت تستحم البنات لم تكن هذه الابنة تستحم امامهنَّ وقد شكاها البعض منهنَّ الى رئيسة المدرسة لعدم استحمامها معهنَّ . ولما ناهزت سن السادسة عشرة ابتدأ

بان ينبت لها زغبٌ في شفتها العليا الأمر الذي جعل رئيسة المدرسة تشتبه بامرها. وقد ارتها الى الدكتور هيس فاجابها بانها ذكر وقد عمل لها عمليةً جراحية ظهرت بها اعضآؤها التناسلية الذكرية باكملها. ومن ذلك الحين انقلبت الى فتى واطلقوا عليهِ اسم ابرهيم

اورد ابراويز بارّي قصة فتاةٍ تناهز سن السادسة عشرة انقلبت شاباً ذكراً بقفزها فوق صخرة. ثمَّ شاهد مونتاين عند مروره بمدينة ڤيتري هذا الشاب وسمع هنالك انشودةً مشهورةً كانت تنشدها الفتيان وبها تحذر البنات من القفز والخطى الواسعة لئلا ينقلبن صبياناً نظير ما انقلبت ماري جرمان. وهو الاسم الذي كانت تُسمى بهِ هذه الخنثى.

يشاهد المرء في رومية تمثالاً رخامياً من عهدٍ قديم يمثل خنثى لها اعضاء الجنسين وهي في تمام الوضوح

ذكر بلينوس في تاريخهِ الطبيعي ان الخناث في زمانهِ كانت مرغوبةً جداً وكانوا يعدونها من جملة الملاذ والتفوق في الفخفخة

واورد غارنيه في مؤلفهِ تفصيل خلقة رجل يُسمى باجيتي دقيق البنية مربوع القامة مفتول العضلات لهُ ذقنٌ شمطاء الشعر وافية الكثافة كان يناهز ٦٨ ربيعاً لمّا دخل الى مستشفى لودي في ١٢ اغسطس سنة ١٨٧٨ على أثر نزلةٍ خطرة اصابتهُ فتوفي بعد ٢٤ ساعة على دخوله. وعند تشريح جثتهِ وجد الجراحان اريغو وفيوراني انهُ عوضاً من ان يكون رجلاً فقد كان امرأةً، فضلاً عن مظاهر الرجولية التي اتصف بها. ذلك انهما وجدا فيهِ قضيباً واضحاً ولكنَّ مركزهُ

مرتفعٌ تحققا انهُ كان بظراً كبير الحجم جداً و بدون صماخ . وتحته فلقٌ فرجيّ ضيّق وفيهِ الصماخ البولي . ويذهب هذا الفرج الى رحمٍ بكرٍ لهُ جسمٌ وعنقٌ كامل التكوين يتصل بهِ بوقان ، ولهُ مبيضان بكران ليس للبويضات والحيض أثرٌ فيهما . وعلى ذلك انهُ عوضاً من ان يكون رجلاً فقد كان امرأةً بذقن بدون ثديين و ببظرٍ كبير الحجم

وقد اوردنا في كتابنا تاريخ الانسان الطبيعي تواريخ الخنثات الاكثر شهرةً فليراجعها في محلها من يبغي الوقوف على بيان تكوينها الشاذّ وخلقاتها الغريبة . واننا نختم فصل العقم والاسباب التي ينشأ عنها بقولنا : ان من جملة انواع العقم الاختياري بين طبقات الامم المتمدنة يوجد عقمٌ ناشيٌ عن الخوف من التناسل وهو الذي يحسب لهُ بعض الحكومات وتخشى من استفحال امره . ذلك انهُ عوضاً من ان يخلف الزوجان خمسة او ستة اولاد ومافوق فانهما لا ينسلان غير واحدٍ او اثنين فقط لداعي الانانية التي تنمو فيهم متوالياً بنموّ المدنية . حتى يقال ان معدل النسآء العقيمات بين المتزوجات في انكلترا عشرة في المائة وفي اميركا الشمالية عشرون في المائة وفي فرنسا ما يقارب ذلك او اكثر . حتى ان رجال الجمهورية الفرنساوية في يومنا هذا في حيرةٍ من قلة المواليد التي ينقص معدلها من يومٍ الى آخر وهي نتيجة العقم . وذلك امّا لان بعض النسآء يتعمدن العقم خوفاً من الحمل والولادة اللذين يقللان من جمالهنّ وغضاضة اجسامهنّ كما يتوهمن باطلاً (١) وامّا

(١) قال ابن سينا واعلم ان المرأة التي تحبل وتلد اقل امراضا من العاقر

لداعي انتشار الفحش الذي يدعو غالب الفتيات الى استعمال بعض الوسائل لمنع الحبل او الاسقاط وبهذا يتعطل جهازهنَّ التناسلي ولم يعد قابلاً للحمل

امَّا العقم فلا يجب الاَّ اذا كان حوض المرأة صغيراً ، لانها اذا حملت فامَّا تضحية المولود أو شق بطنها بالعملية المعروفة بالقيصرية . وفي ذلك من الخطر على المولود والوالدة ايضاً ، فضلاً عما توصل اليهِ فن الجراحة من التقدم والارتقاء

لم يكن مباحاً للرومانيين بعقد الزواج بدون ان يقسموا باعلى صوتهم امام القضاة برغبتهم في التناسل . وان كل امرأةٍ ثبت غشها في الفعل الجنسي كانوا يعدونها مرذولةً وتضطر الى التكفير عن ذنبها بتضحية تيسٍ وحضورها وقت الضحية منثورة الشعر عارية الكفل

ومما يتلاحظ على العقم ويُعد من توابعهِ وملحقاته — اولاً : ان ثمر الزواج الباكر هو العقم بالذات لان النسل يأتي ضعيفاً هزيلاً ليست لهُ القوة الكافية لثباتهِ في ميدان الحياة الدنيا . وعليهِ يجب ان لا يتزوج الرجل الاَّ متى اكمل سن الثلاثين والابنة سن الحادية والعشرين — ثانياً : ان زواج الفقرآء هو عادةً اكثر نسلاً من الاغنياء غير ان النتيجة هي واحدة تقريباً . وذلك لما يموت من مواليد الفقرآء لقلة الاعتناء بهم وعدم توفر ضروريات الحياة لديهم . وان عدد وفياة الاولاد في القطر المصري من المدهشات المحزنات — ثالثاً : لا تقدر قوة الدولة بعدد سكانها بل بصفاتهم ومميزاتهم ، وليست العبرة بعدد سكان

البلد بل بكيفية معيشتهم ومدة كيانهم. وما الحياة السقيمة المعتلة الاّ حياة العدم تقريباً . ومما قالهُ الدكتور كواي انـهُ ليس الخوف من كثرة السكان بل الخوف من وفرة الاعضاء الغير العاملة كالاولاد الهمل المتشردين الذين لا يستطيع والدوهم ان يعولوهم و يعلموهم. فضلاً عن الامراض التي تصيبهم وتفتك بهم ونظيرهم المتسولون وامثالهم ..... وماذا تغني كثرة تعداد المواليد اذا كان بينهم كثيرٌ من المكسحين والمبتلين بالخنازيري والسل وخلاف علل التي تقضي على حياتهم باكراً . لا سيما وان العبرة ليست بعدد الامة بل بمتوسط حياتها . وان مليونيّ سويسري مثلاً لافضل كثيراً من ستة ملايين ايرلندي

الفصل الثالث والعشرون

﴿ في بعض الادوآء الحبية ﴾

وهي التي يشترك بها كلا الجنسين وتعتبر كانها سبب العقم

نورد في هذا الفصل بيان الادوآء الخمسة الرئيسية التي يبتلى بها الجهاز التناسلي وهي : الجنون الحبي ، والهيستيريا ، وداء الانتصاب ، والشبق ، والغلمة . واننا مبينون الفرق الكائن بين هذه الادوآء والى القرآء ذلك

يكون مركز الجنون الحبي أو السرسام العشقي في الرأس خاصة . ومركز اربعة الادوآء الاخرى في الجهاز التناسلي والمخيخ . فاصحاب الهيستيريا والغلمة والشبق هم مبتلون باختباطٍ يعبر عنهُ بكثرة التهيج وضخامة الاعضآء التناسلية . امّا المدلهون أي مجانين الحب فهم دائماً العوبة خيالهم السرسامي ، وهم مع ذلك عفيفون في مظاهر حبهم واخراجهِ من القوة الى الفعل . وذلك بعكس الشبقين ذوي المقاصد القبيحة والنوايا الشريرة ، اولئك الذين يندفعون الى فعالٍ تُندى لها جبهة الأدب خجلاً وحياءً

١

في الجنون الحبي

يصيب الجنون الحبي أو السرسام العشقي كلا الجنسين بلا تمييز ولا تخصيص ، ويهيم الداله بامرٍ حقيقي أو خيالي لا يحلم الاَّ بهِ ولاً يفكر بغير الحب والسعادة والملاذ الحلوة التي تشغل مخيلته . وتلقاهُ مشتعلاً دائماً بالنار المتقدة في فؤَادهِ يقدم الى الشخص المعبود عبادتهُ المحرقة . وتكون عيناهُ تارةً حادّتين ومتقدتين وطوراً ذابلتين وطافحتين بالكآبة نظراً الى حالة الأمل او اليأس التي يكون حاصلاً فيها . ثمَّ يزداد السرسام العشقي فيهِ قريباً فيسقط العليل في ذهولٍ عميق يتكلم في اثنائهِ ويأتي بالاشارات والحركات ويتبع اغرب الاحلام . لا سيما وان الفكر المخصوص الذي يلازم مخيلتهُ دائماً يضيمهُ ويضنيهِ شيئاً فشيئاً . ولكي لا يشغل بالهُ بغير محبوبهِ فهو يترك الانسباء ويتخلى عن الاصدقاء ولم يعد يلتفت الى الاشخاص الذين يحيطون به . بل يحتقر الجميع وينعكف معتزلاً في خلواتهِ وفلواتهِ ويظهر كأنهُ اهلٌ لاغرب الامور . غير انهُ يكون عفيفاً في مظاهر حبهِ كما تقدم لان جميع نشاطهِ الحيوي يتجمع في دماغهِ ومن النادر ان يتصل باعضائهِ التناسلية واليك شاهدٌ على ذلك

كان شابٌّ يناهز سن الرابعة والعشرين مقيماً عند تاجرٍ بصفة كاتب . هام في احد الايام فجأةً بزوجة سيده . لكنهُ رسخ في ذهنه هذا

الاعتقاد وهو انهُ يكون نذلاً اذا خان من يعاملهُ نظير ابنهِ الخاص" .
وقد دفعت رقة شعورهِ ما لديهِ من الحب الى اعماق قلبه . بحيث كان الغرام يزداد فيهِ سريعاً . ويفترسهُ ليلاً ونهاراً ويتهددهُ باختباط عقله . وكذلك كانت مطالعتهُ القصص العشقية تزيدهُ بلآءً على بلآء . واذ لم يعد اخيراً في امكانهِ كتم غرامهِ واحتمال اهوآئه . لذلك جآء منطرحاً على قدمي سيدهِ وهو يذرف العبرات الحارّة بقولهِ له : اقسم لك يا سيدي باني لم ارتكب حتى اليوم أمراً معيباً وان عفة زوجتك هي برهانٌ على ما ادعيه . غير انهُ لم يعد في امكاني البقآء على هذه الحالة ولم تعد لي قوةٌ على احتمال الحرب الهائلة القائمة فيَّ بين الحب والواجب . واني مائتٌ لا محالة اذا كنتَ لم تقصني عن مشاهدة زوجتك . على انهُ لا داعي لبيان ما اصاب التاجر من الدهش والاستغراب اذ ذاك ، وهو الذي ابعد على الفور هذا العاشق المجنون عنهُ اجتناباً لما يمكن ان يحصل لهُ من الضرر ان هو ابقاهُ في خدمته

اذا اتفق ولم يستفد المبتلى بالجنون الحبي من الزواج فيجب ان يستعملوا لهُ حمامات فاترة على مدةٍ طويلة ويعطوهُ المشروبات الملينة والاغذية النباتية . . . . . ويشغلوا افكارهُ بالملاهي والاسفار والاعمال البدنية والصيد والفروسية والرياضة وجميع التمرينات التي تحرك قواهُ الجسمية ويلهو بها عقلهُ باهتمامهِ بها متواصلاً . أو أن يتولد في الشخص ميلٌ آخر لا مضرة منهُ كالميل الى الموسيقى والرسم والتصوير الشمسي وخلافه . فمتى اتجه الفكر الى جهةٍ اخرى فيزول اذ ذاك الجنون العشقي

ومن انواع هذا الجنون هو ان يبتلى المرء بهوى شخصٍ ما فجأةً بدون سابق معرفةٍ بهِ او حبٍ لهُ او إِلفةٍ او تناسبٍ بينهما. فيضحي في سبيله شرفهُ وثروتهُ والمقام الذي لهُ بين أسرتهِ وعشيرته. وربما تخلى عن وُلدهِ وفلذات كبدهِ اذا كان متزوجاً ليلتحق بمالك لبهِ وسالب عقلهِ الجديد . والشواهد على ذلك عديدة وفي غالب الايام نسمع بامثالها واليك الشاهد الذي أوردهُ الدكتور اندريجيني

تأدبت فتاةٌ تأدباً صارماً و بعد ذلك وقعت بهوى شابٍّ لم تستطع الاقتران بهِ لقلة ثروته . ثمَّ تزوجت في سن الثامنة عشرة برجلٍ لم تكن تميل اليهِ ورزقت منهُ على التعاقب ستة بنين كانت تحبهم حباً مفرطاً . وانهُ لشدة تقاها وفرط حيآئها كانت تغطي ثديها عند ارضاعها اطفالها ولو انها في حضرة انسبآئها المقيمين معها

ففي احد الايام جاء صانع نجارٍ الى بيتها لعمل بعض التصليحات وكان فتىً اشقر اللون صغير السن لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره. فوقعت تلك الزوجة بحبهِ على الفور ولم يعد يهدأ بالها نحوهُ لا نهار ولا ليل . وطفقت بعد ذلك تجتمع بهِ متوالياً. الاَّ انها بعد ما كانت تتردد على الكنائس ولا تقطع صلاتها ابداً وهي تركع قبالة صور وتماثيل القديسين ضارعةً مبتهلة فقد تركت كل هذا وانقلبت الفاظها واشاراتها قبيحةً قذرة

ولمّا شعر زوجها بتعلقها بهذا الشاب منعهُ من الدخول في بيته . الاَّ ان زوجتهُ أخذت تكاتبهُ وتراسلهُ وفي التالي تركت منزلها واولادها

ومنهم طفلٌ كانت ترضعهُ والتحقت بمن تهواهُ وهي تقول انها لم تعد تعرف احداً سوى محبوبها الجديد الذي قضت باقي حياتها معه

٢

في الهستيريا

تنشأ الهيستريا عن تهيّج الرحم وآلامهِ ومن المحتمل عن عدم قضآء ضرورياته . ويمتد هذا التهيّج بسرعةٍ الى الاعصاب الفقارية الرأسية الأمر الذي جعل بعض الاطبآء يعتقدون بكون منشأ الهيستريا هو الدماغ . امَّا ما خلا بعض الاحوال الشاذة للغاية فمركز الهيستريا بالحقيقة هو الرحم ومنهُ تشع في الدماغ

لا تتغلب الهيستريا على الشخص الاَّ بعد سن البلوغ، ولا تنتهي منهُ عادةً الاَّ في سن اليأس، وذلك دليلٌ قاطع على مفعول الرحم في هذا الدآء . لا سيما وقد اظهر تشريح جثث النسآء المبتليات بالهيستريا حالة اختباطٍ في جهازهنَّ التناسلي . وقد تبين أيضاً من ان الهيستريا لا تختص ببنيةٍ معلومة وليست لها علاماتٌ ظاهرة خاصة بها . ومما قالهُ الدكتور بريكه في ذلك ان هذا الدآء يصيب النسآء كيفما وجدها مع عدم الالتفات الى حالة بنيتها وصفات تركيبها

تأتي الهيستريا على الف نوعٍ من الادوار العصبية الى النوب الهائلة الشبيهة بدآء الصرع . وذلك ان غالب هذه الاضطرابات العصبية والغموم وانحطاط القوى التي تشعر بها النسآء النحيفات الجسم بدون

ادنى سبب تتعلق بالهيستريا . وكذلك خفقان القلب والتنفسات الحارّة والاكلان الفرجي وقرقرة المعدة وتوعك المزاج والتنهدات التي بدون داعي هي من انواع الهيستريا التي تتفشى كثيراً بين نسآء المدن الكبيرة وهنَّ اللواتي يعشن في محيطٍ تستمر فيهِ الحواس والتصورات في تهيجٍ دائم

ومن اكثر اسباب الهيستريا مزاج المرأة بالذات وجميع البواعث الداخلية او الخارجيـة التي تزيد حيوية الرحم . وكذلك الافراط التناسلي او الاميال المضغوط عليها والتهيج الدماغي المتكرر، امَّا بالمطالعة غالباً وامَّا بالنظر الى الاشيآء المهيجة . ثمَّ الحب بدون ان يقضي المرء وطرهُ منهُ ، والعزوبة مع الرغبة في الزواج، والافراط بالحمامات الحارَّة وزيادة التدفئة والجلوس الطويل المدة ، وضغط المشد وعدم انتظام الحيض وهلمَّ جرًّا . . . . . وعلى الاخص الافراط بالمهيجات العصبية التي في مقدمتها المؤثرات الادبيـة الفعالة والورع الديني والمخاوف الخرافية الباطلة والتأملات النسكية التي تولد الوسواس والذهول ودآء الجمود ودآء الغيبوبة .....

وقد ارتأى معظم الاطبآء المحققين ان العيش النسكي والآداب الرهبانية المتجاوزة حدود العقل والامتناع عن الزواج مع الرغبة فيـهِ هي اسباب الهيستيريا الاكثر شيوعاً . بحيث انهُ اذا لاحظت جيداً عقل هوءلاءِ النسآء فانك تكتشف فيهنَّ تفوقاً في خاصيتهنَّ الخيالية وانحطاطاً في حكمهنَّ على الامور . فهنَّ على العموم مخلوقاتٌ عصبيات

جداً نمت فيهنَّ البساطة وسرعة التصديق منذ حداثتهنَّ

كان ديدرو يستشيط غيظاً من التأدب السيء الذي يؤدبون بهِ البنات الفتيات وهو يقول « ان المرأة تصحب في داخلها عضواً يحرك في مخيلتها كل انواع الخيالات ويسبب لها اعظم التشنجات ، وان المرأة المبتلية بالهيستريا تكون متعبدةً في صبوتها وغير محتملة في شيخوختها »

تحتوي المؤلفات الطبية على حوادث وشواهد شتَّى هي كبراهين قاطعة على ما سبقت الاشارة اليـه . وقد اتفقت جميع الاشخاص الذين كتبوا عن الهيستريا بقولهم ان ادوار هذا الداَء التي تحصل للراهبات والمتعبدات والبنات العازبات يصحبها في غالب الاحيان هزيان وذهول تهيجي . ذلك لان الرحم يؤثر بشدةٍ على الدماغ

وتنتهي ادوار الهيستريا عادةً بتثاؤبٍ وتمطي واشاير أخرى من الانحطاط العصبي . امَّا اوضح علاماتها فهي الافراز القليل او الكثير الذي تفرزهُ الغدد الفرجية والمهبلية . لا سيما وان القسم الاكبر من النسوة المبتليات بالهيستريا اللواتي يتغلب عليهنَّ الحيآء وهو طبيعة فيهنَّ ، فانهنَّ يخفين حتى في اثناء النوبة شعورهنَّ التناسلي . امَّا ما يساررن بهِ صديقاتهنَّ واحياناً اطباَءهن فهو كبرهانٍ كافٍ على الدور الهامّ الذي يمثلهُ الجهاز التناسلي في النسآء الهيستريات

في معالجة الهيستريا — تفيد الوسائل الصحية في معالجة الهيستريا اكثر مما يفيد تعاطي العقاقير الطبية التي لا تأتي بفائدةٍ

تذكر . ذلك لانهُ متى كان سبب الهيستريا الهيام بأمرٍ لا يمكن تحقيقهُ والبلوغ اليهِ فلا أمل بشفآئها الاَّ بواسطة الملاهي والاسفار والرياضة البدنية وجميع الوسائل التي في استطاعتها ان تسدل على مصدر العلة حجاب النسيان التام — ومتى كانت الهيستريا مدعمة بالتصور الغير المنتظم وبالمخاوف الوهمية التي تنميها الافكار الخرافية او بالعيش التاءملي . . . . فيجب اذ ذاك ان تكون المعالجة عقليةً صرفة والاستعانة بالطب العقلي عليها — امَّا الهيستريا العمومية وهي ما كان الباعث عليها الاشتهآء الجنسي والملاذ التناسلية فتشفى على التقريب بالزواج اخصهُ اذا جآء طبقاً لمراد المرأة الهيسترية

٣

﴿ في دآء الانتصاب ﴾

يحصل هذا الدآء بانتصاب العضو الذكري انتصاباً شديداً وموءلماً وفي غالب الاحيان بدون اشتهآء تناسلي ، وقلما يشعر الشخص المصاب بهِ بلذةٍ في المباشرة الجنسية . بل ان الذي يجنيهِ هو التعب والألم ، واحياناً يعقبهُ سيلان دم موجب الخطر

ومتى لم يكن دآء الانتصاب ناشئاً عن علةٍ في المخيخ فهو امَّا من تهييج العضو مباشرةً او من جرعاتٍ محرقة تدعى بالمنبهات يتضخم العضو المتقد من مفعولها وينتصب انتصاباً موءلماً

ولكي يقضي بعض ضعفاء الباه ملاذهم الجنسية فهم يتجرعون تلك البلع الفسفورية او الزرنوحية ولا يحسبون لها حساباً فيصابون عادةً بداء الانتصاب الاليم الذي يهلك المبتلى بهِ اذا كانت هذه المواد القتالة هي المسببة له

٤

﴿ في داء الشبق ﴾

يندر لحسن الحظ وجود هذا الداء القبيح ، وكيفيتهُ حصول تهيجٍ متواصل في الاعضاء التناسلية يرغب المصاب بهِ ان يقضي بدون انقطاع شهواتهُ الجنسية . ويغلب على الظن بان مركز هذا الداء هو المخيخ ومنهُ يتصل بالجهاز التناسلي . وانهُ متى تسلط على هذا الجهاز فتتغير حالة المبتلى بهِ وتصبح مخيلتهُ لا شاغل لها سوى الهواجس والتصورات الفسقية . وتغلب على نومهِ الاحلام المهيجة فيتقطع بالاستنوام المتواتر . امَّا في اثناء اليقظة فيكون جسمهُ منهوكاً وتزداد اميالهُ شدةً ويصبح لون وجههِ احمر وفمهُ مزبداً وعيناهُ متقدتين وعلى ذلك يشتعل جسمهُ اتقاداً وتلازمهُ الرغبة في المباشرة التي لا تروى ولا تعرف الشبع . لهذا يندفع الرجل الشبق بمقاصدهِ القبيحة وافعالهِ المرذولة باحثاً باي وسيلةٍ من الوسائل على اطفاء غليل شهواتهِ البهيمية

يذكرون من جملة اسباب داء الشبق المزاج الصفراوي الدموي والعفة

الطويلة المدة والمطالعات والمحادثات المهيجة والنظر الى الاشيآء الفسقية وبعض ادوآء جلدية وهي الجرب والقوبا وعلى الخصوص البرص. بحيث تلاحظ ان المبتلين بالقوبا والبرص كانوا يشعرون بنعظٍ شديد يسبب لهم انتصاباً متواتراً واحياناً قذف المنيّ. وان ادوآء الحصاة أو المواد المنبهة وجميع ما من خصائصهِ تهييج نشاط الاعضآء التناسلية يسبب دآء الشبق للاشخاص الذين عندهم استعدادٌ له — وامامنا شاهدٌ مقتطف من معجم الطب يبين لنا حالة الميل السرسامي للمباشرة الجنسية الذي يتخلق بهِ الاشخاص الشبقون وهو هذا

ذهب الدكتور كايرول لعيادة رجل مسكين من اورغون اصيب بدآء الشبق الاشد هولاً. وقد علم منهُ بانهُ تجرع باشارة عجوز جرعةً مركبة من بزر الانجرة (١) والنصل (٢) ودرهمين زرنوح (٣) وقد اثرت فيهِ هذه الجرعة وجعلتهُ هكذا متهيجاً وميالاً للمباشرة. بحيث اقسمت زوجتهُ المنهوكة القوى بانهُ باشرها ثلاثين مرة في ليلتين. وفضلاً عن ذلك فقد استمنى هذا التعس ثلاث مرار في حضور الطبيب حتى احزنهُ هذا المشهد جدًّا. وانهُ فضلاً عن العلاجات التي اسرع في اسعافهِ بها ليطفي فيهِ هذا الاتقاد السرسامي فقد قضى نحبهُ عقبى عيادتهِ اياهُ بقليل

---

(١) القرّاص (٢) نوع من البصل (٣) الذباب الهندي

٥

﴿ في داء الغلمة ﴾

يكون داء الغلمة أو الهياج الرحمي في المرأة نظير داء الشبق في الرجل ما عدا هذا الفرق . وهو انهُ لمَّا كانت المرأة مقيمة اكثر من الرجل تحت سلطان جهازها التناسلي فقد تلاحظ ان الغلمة هي اكثر حدوثاً من الشبق

كانوا فيما مضى ينسبون الهياج الرحمي الى نشاطٍ مقيم في جهاز الفرج والمهبل والبظر العصبي لكنهُ قد اتضح بوجهٍ عامّ ان هذه العلة الشنيعة تنشأ عن نشاط المخيخ المتناهي ونشاط حيوية الاعضاء التناسلية معاً

امَّا الاسباب الداعية للغلمة فهي العزوبة الاجبارية والرغبة في الملاذ التناسلية بدون امكان قضائها ، والتذكارات الشهوانية المقيمة في الذاكرة دائماً واستعمال المهيجات التناسلية ، والقوبا في جوار وداخل الفرج او حيال باب المستقيم وطول البظر الهائل وهلمَّ جرًّا ..... واعراضها الكآبة والاعتزال وتضخم ونعظ الاعضاء التناسلية ..... وتجتهد المبتلاة بالغلمة في بادىء بدء ان تقاوم الشهوات المحرقة التي تضيق عليها. غير انها لا تستطيع التسلط عليها ولهذا ترغب في العزلة لقضائها . الاَّ انهُ متى كانت في حضرة رجل فاذ ذاك يضيع صوابها ويغيب حياؤها وتعدم ارادتها وتقتحم جميع الظروف ولم يعد شيء

يزجرها ولا تقف حركاتها وعباراتها عند حد . واذ ذاك تنتفخ اعضاؤها التناسلية وتلتهب ويسيل منها سائلٌ نتن . لا سيما وان التنميل الذي تشعر بهِ اعضاؤها التناسلية وتجاذب المهبل يسببان افراز سائلٍ لبني يفرزهُ الغشاء المخاطي والغدد الفرجية والمهبلية

اظهر تشريح جثث المبتليات بالغلمة تضخماً ملتهباً في المبيضين والرحم . وشاهدوا في كثيراتٍ منهنَّ التهاباً عاماً في اغشية التناسل المخاطية مع افراز خلطٍ صديدي . وكانت اعضاؤهنَّ التناسلية متمددة تمدداً متناهياً وجملة جهاتٍ منها ممزقة تشير الى الوسائل العنيفة التي كانت تتخذها المبتليات بالغلمة لقضاء شهواتهنَّ الاثيمة

ذكر الدكتور كوكوره عن امرأةٍ لم يكن في استطاعتها احتمال التنميل الذي تشعر بهِ في اعضائها التناسلية . فكانت تستعمل الالطاف متكرراً حتى تشعر باللذة ست عشرة مرة في الليلة الواحدة

اورد غالّ عن امرأةٍ ذات مزاجٍ رحمي اصيبت برعشةٍ عقبى وفاة زوجها ببضعة ايام . فكان رأسها وسلسلتها الفقارية تميل الى خلف كانها مصابة بالكزاز (تيتانوس وهو داء تتصلب بهِ العضلات) وكانت تنتهي نوبتها هذه الهائلة بعد خمس وعشرين أو ثلاثين دقيقة بغشيةٍ شهوانية تفرز في اثنائها اعضاؤها التناسلية افرازاً وافراً . وفضلاً عن صون هذه المرأة وعفتها فهي كانت تفقد كل حياء في مدة نوبتها بحيث تلتهب عيناها وتتقلص ملامحها وينفتح فمها قليلاً ويكون لتنفسها صفيرٌ وهي تتلفظ بكلماتٍ قبيحة تصحبها اشاير الدعارة والفحش

واخيراً كان يهمد فيها هذا الفوران التناسلي وينتهي بسائلٍ مخاطي يسيل من فرجها . وعند انقضآء نوبتها هذه كانت تختفي خجلةً من حالتها ولا تظهر لانسان . غير انها شفيت بالكلية من علتها هذه بزواجها الثاني

كانت فيما مضى النسآء التعيسات اللواتي يتخيلن انهن يمن مع العفاريت او اللواتي يتصورن انهن يحضرن محافل الجن الفسقية او تصورات أخرى خلافها . ومن امثالهن بعض النسآء في القطر المصري اللواتي يعملنَ الزار ، هن على العموم مصابات بالهيستريا او بالغلمة الدورية المتقطعة . وان من جميع الشواهد التي لاحظوها على ذلك قد استنتجوا ان هذا الدآء العصبي التناسلي هو اعم في الاناث من الذكور وما الشبق سوى تصغير الغلمة بالنظر الى شدة اعراضها

امَّا النسآء اللواتي يمتلكن تركيباً تناسلياً قوياً ويقمن متواصلاً تحت تأثير فكرة المباشرة الجنسية ويبحثن بدون نتيجةٍ عن قضاء الشهوة التي تفترسهن ، فهؤلاء يتهددهن الهياج الرحمي . فاذا قضين شهواتهن فلا يظهر عليهن المرض اصلاً . لانهُ من المشاهد ان الغلمة لا تصيب البنات اللواتي يطاوعن اميالهن الحبية ويطلقن سبيلها . لذلك يجب على المرء ان يبحث عن المبتليات بالغلمة بين البنات المضغوط على شهواتهن بعنفٍ وعلى مدةٍ طويلة

ولسنا في حاجةٍ الى ايراد الشواهد المتعددة على هذا الدآء القبيح . فان من يبغي الاطلاع على حالة الادوار الشهوانية التي تمثلها المبتليات بالغلمة فما عليهِ الاَّ ان يراجع كتابنا تاريخ الانسان الطبيعي فيجد فيهِ البيان الوافي

امَّا كيفية معالجة الغلمة والشبق فهي واحدة تماماً وتقوم على العموم باستعمال الوسائل الصالحة لتعديل وتقليل نشاط الاعضآء التناسلية الحيوي ومكافحة التهيج المقيم فيها. وبالتأثير بشدةٍ على مخيلة العليل وتحويل فكرهِ عن الامور التي يمكن ان تحفظ او توقظ الشهوة. وعليهِ متى كان الشبق والغلمة ناشئين عن فرط النشاط التناسلي فليعتمدوا على الفصادة او العلق والحمامات الفاترة الطويلة المدة ووضع الجليد على الصلبين ويلتمسوا المشروبات المسكنة وهي نظير مصل اللبن والليمونادة مع حمض الكبريتيك والمستحلبات بالاربعة بزور الباردة والافيون... وفي التالي بتناول المأكولات النباتية وبالتخلي عن كل مأكولٍ او مشروبٍ معروفٍ بكونهِ من المهيجات. ومتى كان التهيج بعكس ذلك محدودًا في اعضآء التناسل مع ان باقي الجسم في حالة هزال وضعفٍ تامّين فيفيد استعمال المقويات. لكنهُ متى كانت الغلمة نتيجة عفةٍ اجبارية مع الرغبة الشديدة في الفعل الجنسي فالزواج هو العلاج المفيد والوافي بالمرام. والى القارئ القصة التالية المأخوذة من بين عددٍ كبير من امثالها فهي برهانٌ قاطع على فائدة الزواج في مثل هذه الحالة.

دُعي الدكتور أليبار صاحب مؤلفٍ في فيسيولوجية الآلام الباطنية لعيادة فتاةٍ اريستوقراطية أصيبت من زمنٍ بدآء الغلمة. ولمَّا حضر أخذ آل الفتاة يشرحون لهُ مرض ابنتهم وحالتها المحزنة. بحيث انها كانت في ادوارها المرضية تقلع عنها ستر الحيآء وتستسلم الى الدعارة والفجور وهي في منتهى حالات التهيج والاضطرام. الأمر

الذي دعاهم الى حبسها في طابقٍ من منزلهم لتنفرد فيهِ وتمتنع عن مرأى الذكور . ذلك لان نظرة واحدة كانت تقع منها على رجل لحرية بان تثير فيها التهييج التناسلي وتجعلها في اسوأ الاحوال . ولما رقي الدكتور أليبار الى الطابق الذي كانت تقيم فيهِ هذه الفتاة المنكودة الطالع كان شاهداً عياناً على الحالة التعيسة التي شخصوها لهُ عنها . بحيث انهُ لم يقع نظرها عليهِ حتى طفقت توجه نحوهُ الكلمات والاشارات الاكثر قبحاً واشمئزازاً . واستمرت على ذلك الى حين ما فارقها وتوارى عن ناظريها . واذ ذاك خاطب الدكتور أليبار أهلها بقولهِ لهم ان الدآء المبتلية بهِ ابنتكم قد احدث فيها اضراراً جسيمة وحالاتٍ خطرة لكنَّ هذه لم تبلغ الدرجة التي بها يكون الدآء عقيماً لا يرجى شفاؤه

امَّا بالنظر اليَّ فاني ارى ان الزواج هو العلاج الوحيد لها . ويجب عليكم أن تسعوا اليهِ جهدكم وباقرب ما يمكن لان الآلام التي تنتاب ابنتكم تسير فيها متأصلةً من يوم الى آخر ، حتى يعود من الصعب استئصالها منها ، فهمّوا لذلك ولا تتوانوا اذا كنتم ترغبون في خير ابنتكم ونجاتها . ولمَّا كانت العليلة تتصنط من خلف الباب وقر في اذنيها ما اشار اليهِ الطبيب فعزمت على نفسها عزماً ثابتاً وهو انهُ في اليوم ذاتهِ اركنت الى الفرار تاركةً منزلها الابوي بدون أن يشعر بها احد . ولمّا علم ذووها بفرارها طفقوا يسألون عنها و يفتشون عليها واستمروا على ذلك جملة اسابيع ذهب فيها تعبهم ولم يقفوا لها على اثر

ولما كان الدكتور أليبار مجتازاً عند منتصف الليل احد مفارق

الطرق في باريس وقع نظرهُ على الفتاة الاريستوقراطية فعرفها لساعتها فضلاً عن تنكرها وتبديل ازيآئها . وهي كانت تتبخطر على الرصيف محترفةً حرفة المومسات . وقد ابتدرها الطبيب بلهجةٍ قاسية بقولهِ لها ماذا تفعلين هنا يا تعسة ؟ فاردفت عليهِ الفتاة بقولها لهُ اني قد اتبعت أمرك يا جناب الطبيب وقد نلت الشفآء

وبالحقيقة كان لها ذلك لانهُ بعد ان أمضت شهرًا من الزمن على تلك الحالة اروت فيها ظمأ غلمتها وأخمدت نيرانها المستعرة عادت خجلةً الى آلها وقد شفيت تقريباً. فما عتم هؤلآء حتى بادروا في الحال وعقدوا لها زواجاً شرعياً أحرزت بهِ البرء والشفآء التام

يستمر احياناً بعض الزواجات عقيمةً لداعي كراهة ونفور أو عدم امتزاج اعضآء الزوجين التناسلية . فاذا مضى على ذلك بضع سنوات وكان الزوجان راغبين في النسل ولم ينالا الى ذلك الحين مرغوبهما فيأخذان بمشاورة الاطبآء والقوابل . واذا لم تحصل النتيجة فيقصدان اذ ذاك الدجالين والمشعوذين ولكن على دون جدوى . غير ان العلاجات التي وصفوها لهما لا بدَّ من انها قد أضرت بصحتهما ولم يعد في الامكان شفاؤها فيندمان اذ ذاك على ما فرط منهما ولات ساعة مندم . غير انهُ لو اقتصرا على مشورة طبيبٍ فيسيولوجي حاذق لربما اوقفهما على سبب عقمهما ولم يكن داعياً لالقآء نفسيهما بين أيدي أولئك الدجالين الاغرار الذين قد أضروا بصحتهما وما لهما . وكذلك لو انهما لجأا الى الطلاق الذي أصبح مباحاً عند بعض الامم المسيحية

المتمدنة وتزوج كلٌ منهما زواجاً ثانياً لربما بلغ الاثنان مرادهما . ولهما اكبر شاهدٍ في زواج نابوليون الكبير بزوجتهِ جوزفين الذي سبقت منا الاشارة اليهِ ونحن نشفعهُ هنا بالشواهد التالية ايضاً

ذكر ديجينيت الطبيب الذي تجول في القطر المصري بين مذكراتهِ شاهداً عن زوجين استمرا عقيمين مدة سبع سنوات . ثمَّ خلفا نسلاً عقبى ان عملا تبديلاً رضي بهِ الاثنان . وذلك ان السلف تزوج بزوجة اخيهِ وحملت منهُ ، وحملت امرأة هذا بزواجها بسلفها وخلفت منه . وقد استنتج الدكتور ديجينيت من هذين الشاهدين ان الكره التناسلي هو الذي كان سبب العقم في الزواجين الاولين

وذكر شومل وهو طبيبٌ مشهور شاهداً يقرب شبهاً مما تقدم وقد استنتج ذات النتيجة وكذلك الفيسيولوجيون الذين درسوا مسألة كره بعض الاعضاء التناسلية وعدم امتزاجها يفكرون بمثل هذا

القسم الاول

﴿ في جلد عميرة والالطاف وهما من اسباب العقم ﴾

ان شهوة الملاذ السرية التي يأتيها كلٌّ من الجنسين هي سبب العقم اكثر تواتراً مما يظن اخصهُ متى كانت هذه الشهوة قد افترست الشبيبة واذبلت الاعضاء . ولا نعلم باي كيفيةٍ نبين للوالدين العلامات

التي تلوح على ابنآئهم البالغين الذين يندفعون الى هذا الفعل المعيب

وتفعل هذه العادة القبيحة اضرارها غالباً في المدن الكبيرة والمدارس والاديار وهلمَّ جرًّا . . . ويُشاهد الشبان في هذه الاماكن مندفعين الى هذه الرذيلة وهم يهربون من الهيأة الاجتماعية ويبحثون عن الوحدة لقضاء شهواتهم السرية . وعليهِ تراهم شاحبي اللون مخبلين كسولين جبناء بلداء منحطين عقلاً وجسماً . بحيث يتحدب جسمهم ويضطرب سيرهم وتغور عيناهم وترق ملامحهم وتقرأ في محياهم العديم اللون علامات التعاسة والشقاء . واذا تزوجوا ولم ينجهم الزواج من هذه العادة القبيحة فيبتدئ منيّهم بعد قليل بان يسيل منهم بدون انتصاب واذ ذاك يغتم صدرهم ويزول لون شفتيهم وتنطفي ذاكرتهم ويفسد عقلهم . ويسقطون في حالة هزالٍ لم يعد ينجع فيها دواء . فينطفئون على مهلٍ مغمومين بهذه العلة الشنيعة التي يدعونها محقاً وفناء

وتحصل ذات المفاعيل في المرأة التي تستسلم الى الالطاف اذ يفقد زهاء لونها ويذبل نهداها وتضعف السوائل البيضاء النتنة بنيتها فتسقط في هزال مخيف . امَّا جهازها العصبي الذي يهتز متوالياً من جرآء الدغدغات الشهوانية فيفقد في التالي شعورهُ ويتطلب وسائل اكثر تأثيراً . ومجمل القول ان العذارى والنسآء اللواتي قد تملكت فيهنَّ هذه العادة المرذولة هنَّ اعضآء معتلة في الهيأة الاجتماعية ، اذا لم يستئصل الزواج او خلاف وسيلةٍ رئيسية هذه الشهوة القبيحة منهنَّ

امَّا الوسائل الموصى بها والمستعملة لهدم كيان هذه العادة القتالة

في الاولاد فقلما تأتي بفائدة . ذلك لان الخجل والخوف والتهديد والقصاص لا يمكنها ان توقف هذا الميل متى كان متأصلاً في الشخص. فضلاً عن ان جميع الوسائل التي اتخذوها فيما مضى نظير الاحزمة والاخزمة والاكياس التي بها كانوا يقيدون الاعضاء التناسلية لم تأتِ بفائدةٍ ما . وان خير وسيلةٍ هي ان يعدوا الولد المبتلى بهـذه العادة بجائزةٍ لقاء رياضةٍ بدنية يعملها قبل النوم . كأن يسحب ماءً من البئر او يطحن بناً او يدير دولاباً الى ان يحل فيهِ التعب . ومتى قال الولد انهُ تعب فليشحذوا همتهُ ليداوم العمل ايضاً وذلك بمضاعفة الجائزة . فاذا تعب جداً لم يعد يفكر بعادتهِ بل انهُ يسقط على فراشهِ وينام نوماً عميقاً . واذا تمكنوا من الاحتيال عليهِ بتوزيع الجوائز لملازمتهِ رياضةٍ كهذه مدة بضع اسابيع فاذ ذاك تحصل النتيجة المرغوبة

الفصل الرابع والعشرون

﴿ في السن والمزاج المسببين للعقم ﴾

في السن — يحدّون المدة التي فيها تستطيع المرأة التناسل على العموم بالحيض الشهري ، لانهُ قبل ظهور الطمث و بعد انقطاعهِ لا تملك المرأة خاصية التوليد بل تكون محرومةً منها بالكلية ما خلا بعض الحوادث الشاذّة . ويُشاهد العقم عادةً في النسآء المتزوجات في عمرٍ فتيّ جدًّا أو متقدم جدًّا. وهذا برهانٌ كاف على ان العمر الانسب لثمر الزواج هو من سن العشرين الى الخامسة والثلاثين

وتستمر على العموم الزوجات الفتيات جدًّا اي المتزوجات بعد سن البلوغ بزمن قليل عقيمات في اثنآء السنوات الاولى لزواجهنَّ ومتى اكتسب فيما بعد جهازهنَّ الرحمي نموّهُ فيصرن امهات . ثمَّ إن نسآءً كثيراتٍ اللواتي يتزوجن من سن الخامسة والثلاثين الى الاربعين يستمرنَّ عقيمات فضلاً عن النشاط الذي يتمتع بهِ ازواجهنَّ . ولا شك بان في هذا اشارةً الى الراحة الطويلة المدة التي استمرت فيها اعضآؤهنَّ

التناسلية بدون تمرين ، وعلى الخصوص المبيضان اللذان لم يعدا يمتلكان الحيوية الضرورية للتوليد . غير ان هذا العقم يمكن شفآؤهُ بسهولةٍ بواسطة المشروبات الحديدية والغسولات المهيجة والمقوية الموجهة الى المهبل والرحم . وكذلك باستعمال رشاشاتٍ (دوش) كبريتية على الصلبين والفخذين والعانة وان توضع المحمرات والمروخات المنبهة على هذه الجهات . ويشار خصوصاً على المرأة العقيمة لداعي ضعفها او ارتخاء رحمها ان تتخذ غذآءً مقوياً وان تستسلم الى الفعل الجنسي بضعة ايام قبل عادة الحيض أو في اثنآئهِ أو في اليومين التاليين لغيابه . اذ يكون الرحم في هذه الايام مركزاً لتهيجٍ ملائمٍ للحمل جدًّا . وذلك ان جملة نسآء عقيمات صرن امهات باستعمالهنَّ هذه الوسائل

فى المزاج — اثبت مؤخراً علم الفيسيولوجيا والاختبار ان مزاج المرأة الليمفاوي الدموي هو الاكثر ملائمة للحمل والتوليد . وان النسآء ذوات المزاج البارد جدًّا او الليمفاوي الصرف. وكذلك النسآء ذوات التركيب المتقد والبنية الرحميـة او العصبية هنَّ الاوفر استعداداً للعقم

وتتميز النسآء الباردات باشكالهنَّ السمينة الرخوة ، وبنسيج بنيتهنَّ المشبع بالليمفا (١) وبلونهنَّ الوردي الفاتح أو الاغبر ، وبجهازهنَّ الشعري النادر ذي اللون الاشقر الفاتح ، وبعينيهنَّ العديمتي الحرارة

(١) وهو السائل الذي تحويه الاوعية الليمفاوية

وبمنظرهنّ الساكن الخالي من الرمز والاشارة . واللواتي حرا كاتهنّ وعباراتهنّ في منتهى التواني . ويلوح عليهنّ عدم المبالاة بالمباشرة الحبية . فمتى كانت جميع هذه العلامات بليغة فيهنّ فيجوز للمرء ان يرجم على العموم بعقمهنّ

وكذلك اذا كانت اعضاء المرأة الرئيسية في برودةٍ ورطوبةٍ متناهيتين وكان رحمها مرطباً جداً بالدهن الذي على اطرافهِ ، وكانت خاصرتاها مشدودتين ومعدتها ضيقة وليس لها شعرٌ في جسمها غير الذي في رأسها ، فلا تحفظ الزرع الذي يفاض فيها ابداً ولهذا لا تحمل مطلقاً . واذا تلقحت صدفةً فيختنق الجنين لوفرة رطوبة اعضاء امهِ ويسقط قبل ميعاده . وان امرأةً هذه حالتها لا ترزق مولوداً ما لم تصلح هذه الشوائب الكبيرة وهي التي يستحيل على التقريب اصلاحها

امّا النساء المتممات فعلاماتهنّ عكس ذلك لان اشكالهنّ ضعيفة اكثر منها سمينة ، وان تكن عضلاتهنّ بارزة . ويكون جهازهنّ الشعري وافراً اسود اللون ، وعيناهنّ كبيرتين حادتين براقتين ، والمنخران مفتوحين ، والفم واسعاً ، والشفتان حمراوين كثيفتين وفي بعضهنّ متدليتين والثديان عاليين وقليلي النموّ ، والحوض ضيقاً ، وجبل الزهرة ضعيفاً ، والبظر كثير الانتصاب ، ومباشرتهنّ في منتهى الحمية كانهنّ لم يعشن الاّ لقضاء اميالهنّ الحبية

امّا سبب هذين المزاجين المتطرفين فاولهما نقصٌ في حيوية الاعضاء التناسلية ، وثانيهما بعكسهِ زيادة النشاط فيها . ويعالجان

بالحصول على التوازن الفيسيولوجي وذلك بتهييج المزاج الكثير البرودة وتسكين حدة المزاج الشديد الحرارة

وبالطبع ان المزاج المعتدل المتوسط بين هذين المزاجين المتطرفين هو الاوفر استعداداً للحمل . وكذلك قدٌ متوسط ولون بشرة جميلة وعينٌ نيرة ومحيا بشوش وقلبٌ طلق للاميال الطيبة والاخلاق الطاهرة وعلى الخصوص رغبةٌ معتدلة في الملاذ الشهوانية كل ذلك رمزٌ لحملٍ جيد وبديع

وتحتمل هذه القاعدة بعض الشواذات اذ تُشاهد نسآءٌ صافيات اللون هزيلات ضعيفات يحملنَ حملاً بديعاً مع ان خلافهنَّ قد تخلقنَّ باجمل بنيةٍ في الظاهر وهنَّ مع ذلك محروماتٌ من لذة البنين فما ذلك الاَّ من قبيل الشواذّ فقط

على ان للعقم اسباباً أخرى لم نذكرها لانهُ لا يُعرف حتى وقتنا الحاضر الا القليل منها . وذلك ان شخصين ذوي استعداد تامّ للتوليد لا يستطيعان ان ينسلا معاً . فمن المحتمل ان سبب ذلك مضادة تناسلية تعارض خاصة التلقيح او نفورٌ بين مزاجي وصفات الزوجين ينشأ عنها كرهٌ وعدم ميل أو برودة تلازمهما عند تأديتهما الفرض الزوجي

وان خير وسيلةٍ لمعالجة هذه الاحوال هي ايجاد الموافقة التي لا بدَّ منها بين اعضآء الجنسين التناسلية . أي ان الزوجين اللذين يندفعان الى مباشراتٍ حادّة يجب عليهما ان يبذلا غاية جهدهما لتعديلها . واللذين بالعكس يبديان برودةً زائدة في مباشراتهما يلزمها

ان يتخذا مهيجات المخيلة و يستعملا بعض منبهات ٍ مناسبة لقضاء الفعل الجنسي . وبذلك يجوز ان تحصل موافقة الاعضاء و يتم الحمل

ومتى لم يكن ادنى تشوهٍ أو اقل ثلمة في الجهاز التناسلي واستمرَّ مع ذلك العقم مستحكماً فليس من المحتّم ان يستمر الشخصان عقيمين دائماً . ذلك لان بعض الحوادث وهي نظير العمر وتغيير كيفية المعيشة والمكان والحالة الصحية واحوالٌ اخرى قلما يُهتدى اليها تحدث في البنية ثورة . و بينما يكون الزوجان عقيمين يصبحان فجأة اهلاً للتناسل . ويذكرون من هذا القبيل شواهد عديدة عن اشخاص من كلا الجنسين بعد ما استمروا عشر أو خمس عشرة سنة عقيمين امكنهم ان يخلفوا اولاداً

استمر زواج هانري الثاني بالدوقة دوريان عقيماً مدة عشر سنوات . ولمَّا كان الزوجان على اهبة الطلاق احضر الملك اليهِ بناءً على مشورة بعض اصحابهِ جان ڤرنل الطبيب المشهور . فلما امتثل بين يديهِ قال لهُ الملك وهو ضاحكٌ اتستطيع ان ترزق زوجتي اولاداً ؟ فاجابهُ الطبيب بقوله : انهُ يجب عليك يا جلالة الملك هذا العمل وما عليَّ الاَّ ان اوافيك بما عند فن الطب من الوسائل لذلك » ولقد استطاع ڤرنل ان يجعل مثمرًا زواجاً استمر حتى ذلك الحين عقيماً . بحيث رزقت الملكة عشرة بنين على التعاقب ومجازاةً لڤرنل على الخدمة العظيمة التي صنعها معها فقد كانت تهبه الفين ريال (ريال ذلك الوقت) كلما وضعت مولوداً

وكذلك جانّ دوتريش كما يذكر التاريخ خلفت من لويس الرابع عشر عقبى عقم دام معها خمس عشرة سنة

كان يقص الاستاذ بودولوك احياناً على اصحابهِ خبر رجل وجيه تزوج منذ عشر سنوات ولم يستطع ان يرزق من زوجتهِ أو خليلاتهِ نسلاً . ثمَّ اضطر الى مغادرة فرنسا للقيام بمهمةٍ سياسية امضى لاجلها سنتين خارج مملكته . وبعد رجوعهِ اليها بعشرة اشهر رزق مولوداً من زوجته . ثمَّ مضت على ذلك اربع سنوات بدون ان يخلف مولوداً آخر . واذ ذاك اسندوا اليهِ مهمةً ثانية تغيّب لاجلها فكان تغيير المناخ داعياً الى ان تحمل امرأتهُ منهُ ثانية . وبناءً على مشورة الاستاذ بودولوك اضطر هذا الرجل الى الرحيل في كل سنةٍ لينال خاصية التناسل التي كان يفقدها تحت سماء باريس . وقد افادتهُ هذه الطريقة افادةً كلية اذ اصبح والداً لاحدعشر مولوداً منهم خمسة بنين وست بنات

مما يقرأ في معجم العلوم الطبية ان امرأةً تزوجت منذ سبع عشرة سنة برجلٍ حسن البنية لكنها لم تستطع ان تحمل منهُ ، وانهُ عقبى مرضٍ عضال اصبحت بهِ على قيد شبرٍ من القبر حملت وصارت امّاً لجملة بنين

اورد ابن زُهر الطبيب العربي المشهور عن ذاتهِ بقوله : انهُ لم يكن يستطيع ان يخلف في زمن شبيبته . ثمَّ انهُ انسل بكل سهولة عقبى ان اصابتهُ حمى حادّة طرّت احشاءَهُ وجعلتهُ كفوءاً لتخليف البنين

يتبين لنا مما اوضحناهُ عن اسباب العنّة وضعف الباه والعقم في الفصول السابقة والوسائل الصالحة لعلاجها ، ان المعالجة الطبية الصرفة لا تستطيع شفآء العقم ابداً . وكذلك لا يستطيع جميع العقاقير التي يصفونها لمثل هذه الحالة الاَّ ان تبعد الغاية التي يبغون الوصول اليها . فاذا كان العقم لا يقبل الشفآء فكل ما يصفونهُ لهُ هو عديم الفائدة لا بل انهُ مضرٌ ايضاً . واذا كان قابل الشفآء فعلى الجراحة ان تعيد الى الاعضآء شكلها وسيرها الطبيعيين اذا كان في التركيب حاجزٌ او تشوه . وكذلك بالتعويل على قانون الصحة واستعمالهِ بالضبط لتقوية الاعضآء وانتشالها من خمولها ، وانمآء أو تعديل حيويتها ونشاطها . وذلك بواسطة التدابير الصحية والاغذية والرياضة والحمامات ..... وبكل وسيلة تُرجى منها فائدة . هذا هو اعتقاد جمهور الاطبآء وعلمآء الصحة والفيسيولوجيين في عصرنا الحاضر

الفصل الخامس والعشرون

﴿ في المسكنات والمنبهات ﴾

ذكرنا فيما سبق انهُ يلزم للاعضاء التناسلية لتقوم بوظيفتها حسب النواميس الفيسيولوجية ان تمتلك نشاطاً مناسباً . وانهُ بزيادة النشاط أو نقصانهِ تتضرر هذه الوظائف الخطيرة . لانهُ متى اختلت الموازنة التي عليها مدار الحالة المألوفة فيحتوي الطب على نوعين من المعالجة لاصلاحها اولهما المسكنات أو المبردات ومن خاصيتها تخفيف واطفاء الحدّة التناسلية . وثانيهما المنبهات او المهيجات ومن مفعولها ايقاظ الشهوة الجنسية

كانت امثال هذه المجهزات فيما مضى كثيرة الاستعمال في اوربا وما زالت مستعملةً في الشرق حتى يومنا الحاضر . لكنهُ مما تجب ملاحظتهُ ان خصائص القسم الاكبر من هذه المواد المستعملة لاشعال أو اطفاء نار الحب ما هي الاَّ وهمية . وان المواد ذات الخصائص الفعالة هي في الغالب خطوة يجب ان لا يتعاطاها المرء الاَّ باذن الطبيب

القسم الاول

﴿ في المسكنات ﴾

او العلاجات الصالحة لكبح الحب الجنسي

من المسكنات التي يعدونها في المرتبة الاولى ، الفصادة والمأكولات المضعفة المكونة من الخضر والاثمار المائية العديمة اللذة والمخدرة قليلاً والقليلة . التغذيةوهي نظير البطيخ واليقطين (القرع) والخيار والخس والهندباء والسبانخ والبقلة (رجلة) ...والمشروبات المرطبة أوالمسكنة وهي نظير الليمونادة والمستحلبات ومغلي البذور الباردة وعصارات الحشائش الحامضة التي باضعافها مجموع البنية لا بدَّ من ان تقلل نشاط الاعضاء التناسلية الحيوي . وكانوا فيما مضى يجبرون بعض الكهنة المصريين الذين قضت عليهم رووءساوءهم بالعزوبة الدائمة ان يقتصروا على مثل هذه المأكولات المسكنة . وانهُ بالنظر الى ما اوردهُ ديوسكوريدس ان هذا الترتيب الغذائي الذي كان يصحبهُ مجهز الشوكران (١) كان يقوم مقام الخصي

وكانوا فيما مضى والزمن ليس ببعيدٍ جدًّا عنا يفرضون في الاديرة المعالجة المبرّدة على النساك والناسكات الفتيان لتسكين نشاطهم الذي يولدهُ فيهم السن والمزاج . وكانوا يجرون هذه المعالجة على اشدها وهي التي يجوز لنا ان ندعوها قتالة ومن جملتها الفصادات الوافرة

---

(١) نوع من النبات سام شبيه بالبقدونس وشوكوان لفظة دخيلة في العربية

ومما ذكرهُ احد كتبة تلك الاعصر بقوله : « انني لمَّا كنت اتصور ما يبذلهُ بعض الروساء والرئيسات من الجهد في تلك الاماكن التي حُبس فيها اولئك الاشخاص الفتيان الناذرون على انفسهم العزوبة لكي يطفوا نيران المتقدي المزاج منهم . فكان يخال لي ان اولاداً يلقون ذرات رملٍ في سبيل ماءٍ سريع الجريان ليوقفوا سيله . وعلى ذلك فالعلاجات التي يستعملونها لهذه الغاية لا يمكن ان تغيّر المزاج بل انها تضر بالصحة وتقتل انفساً عديدة

امَّا البزور التي زعموا بانها باردة وكانت شهرتها كبيرة في كل زمنٍ باماتة الحدّة التناسلية فهي ثمانية . اربعة منها اوليّة وهي بزر الخيار والبطيخ واليقطين (القرع) والكوسا . واربعة ثانوية وهي بزر الخس والبقلة (رجلة) والهندباء والشكوريا (الهندباء البرية) . وتستعمل الاربعة الاولى بالاستحلاب وتؤخذ الاربعة الثانية مغلية . ولكي تكون اشد تسكيناً يجوز ان يضاف اليها بعض حبات كافور

وابتدعوا النينوفر والبيارون والبشنين [١] نظير مبرداتٍ فعالّة وكانوا يستعملونها بكثرة في الطوائف التي كان فيها نذر العفة الزامياً

وكانوا يتعاطون النينوفر على انواع مختلفة تارةً مسحوقاً وطوراً نقيعاً يمزجون بهِ المأكولات والمشروبات واحياناً بشكل مربى ولعوق ومما يخال ان خاصية هذا النبات المبردة كان مبالغاً فيها جداً

---

(١) النينوفر او النيلوفر والبيارون والبشنين اسماء بعض النباتات . ويسمي ابن البيطار اولها بعرائس النيل وثانيها بيارون او شقائق ابيض وثالثها بذات الاسم

وكان الافيون وتوابعهُ المستعملة ككمادٍ للاعضاء التناسلية تميت حدّتها ونشاطها . وقد تأكد الدكتور لاريّ اثناء اقامتهِ في القطر المصري ان متعاطيّ الافيون يشعرون اولاً بتهيجٍ تناسلي ثمَّ يسقطون بعد زمنٍ قليل في سكونٍ تام

على ان جملة نباتات نظير الخس والهندباء والشكوريا والحمَّاض. وعلى العموم جميع الخضر المائية العديمة اللذة أو الحامضة هي مبردةٌ متى اقتصر المرء على غذائهِ منها . وقد ذكر العالم بويرهاف عن رجل اقتصر مدةً طويلة على غذاء نباتي كان يتناول من جملتهِ الخس والحمَّاض في كل وجبة . فلما شعر من ذاتهِ انهُ غير قادرٍ على اكفاء رغائب زوجتهِ اضطر من ثمَّ الى ان يتعاطى غذاءً مهيجاً حتى امكنهُ بهِ ان يستعيض قواهُ التناسلية

واستمر الفقد (١) زمناً طويلاً معدوداً من المسكنات . وكانت كاهنات كورش يمن على فرشٍ محشوةٍ بورقهِ ليقصين عنهنَّ الاحلام المهيجة . وكانت كاهنات ديانا يتمنطقن بمناطق من ذات ورقهِ ليتجنبن الشهوات الحبية ويحافظن على عفتهنَّ . امَّا اليوم فقد ثبت بطلان هذه الخاصية المبالغ فيها التي نسبوها اليه

وكان لزنبق النينوفر صفةٌ خاصة لاطفاء الشهوات الحبية وبناءً على ما اوردهُ بلينوس انهُ اذا تعاطاهُ الشخص مدة اثني عشر يوماً

---

(١) نوع من النبات يسمونه ايضاً بزعفران اليمن

فانهُ يمنع تولّد المنيّ. واذا تعاطاهُ مدة اربعين يوماً فلا يشعر ابداً بحركات الحب

وكان الاقدمون يتعاطون الشوكران لاطفآء الشهوات الغرامية وهو نباتٌ سامٌّ كما تقدم عنهُ القول. وعليهِ فامَّا ان يكون الشوكران على انواعٍ أو انهم كانوا يأخذون منهُ مقادير قليلة جدًّا. وقد اورد القديس باسيليوس في موعظتهِ السابعة «انهُ ليس فقط الكهنة الاثيناويون كانوا يتعاطون الشوكران ليقمعوا مزاجهم الحبي وليمحوا من مخيلتهم الافكار الفحشية، بل ان النسآء المبتليات بالتهيج الرحمي كنَّ يشفين بالكلية لمَّا يتعاطينهُ باعتدال

وكذلك ملح البارود هو من المسكنات المفيدة بنآءً على الشاهد التالي وهو من جملة الخرافات الطبية. وتحرير الخبر انهُ كان لباكون نوعٌ من الميل لهذا الملح حتى كان يعتبرهُ كدوآءٍ عامّ. وقد بذل غاية جهدهِ ليعمم تعاطيهِ وقد كلف جميع اطبآء انكلترا ليجروا مجراه. وانهُ بالنظر الى كلمةٍ قالها رجلٌ عظيم نظير باكون اصبح تعاطي ملح البارود أمراً دارجاً وكانوا يصفونهُ لجميع العلل حتى انهم يتخذونهُ في حالة الصحة كعلاجٍ واقي. غير انهُ تلاحظ للنسآء ان هذا الملح قد احدث بعد قليل من الزمن في ازواجهنَّ مفاعيل رديئة حتى صاروا غير ميّالين للملاذ الحبية ولم يعد في استطاعتهم القيام بالفرض الزوجي. فاتهمن باكون بالسحر ووجهن اليهِ ضروب اللعنات

ويؤخذ الكافور على العموم كمسكنٍ وقد سبق وبينا بالنظر الى

ما ارتآهُ الدكتوران تيسّو وهوفمان انهُ اذا وضعت حبة كافور في الفم وذابت فيهِ ببطء فانهـا تسكن الانتصابات التناسلية الشديدة. واذا لم تكفِ حبةٌ فيجب اتباعها بثانية أو ثالثة. ويعتبر جملة اطباء آخرين ان مفعولهُ هذا وهمي

تسبب القهوة مع الزمن الطويل بالنظر الى ما ارتآهُ جملة اطباء تأثيراً رديئاً على النشاط التناسلي ونورد الخرافة التالية كبرهانٍ على هذا الرأي

كانت ملكةٌ من ملكات فارس تطلّ من شرفة قصرها المذهبة على بضعة عساكر في اسطبل الملك كانوا يبذلون جهدهم في تسكين هياج حصانٍ شديد الشراسة ولم يستطيعوا كبح جماحه. وقد سألت الملكة ضباطها عن الغاية التي يبتغونها من هذا العمل. وبعد ان احتاط هؤلاء كثيرًا في كلامهم اجابوها بان هذا الحصان يشرس ولم يعرف رادعاً متى شعر بانثى. لهذا يجب تقييده. واذ ذاك صاحت الملكة قائلةً وهي تبسم لماذا كل هذا العناء اسقوهُ مدة بضعة ايام قهوةً وهو لم يعد يبالي بالحب نظير الملك صاحبهِ الذي اصبح كذلك من حين ما ابتدأ بتعاطي هذا المشروب الكريه

لم يشأ ڤيذيت ان يذكر العلاج الذي كانت تتعاطاهُ فوستين ابنة الامبراطور انطونيوس الحليم لتخفف الحب المتناهي الذي كانت تشعر بهِ نحو احد المصارعين. حتى تأكد للامبراطور الذي كان يحبها حباًّ شديداً انها مسحورة. لانهُ لم يكن يخطر على بالهِ ان امرأةً تتخلى

عن زوجٍ يمتلك اجمل الصفات الا وهو انطونيوس الفيلسوف لتحب مصارعاً . الأمر الذي جعلهُ يبعث يشاور المنجمين الذين اجابوهُ بانهُ يلزم لفوستين ان تشرب من دم الذي تحبهُ وتضجع من ثمَّ مع زوجها لتبغض بغضاً تاماً ذلك الذي تهواه . وبالفعل قد أمر الامبراطور بتنفيذ هذا الرأي وجاء من ثمَّ انطونيوس كومّودوس مولوداً من هذه المباشرة وكان يتلذذ في زمانهِ بالقتل نظير ما كان القتل علة وجوده

ومما تجب ملاحظتهُ انهُ ليست جميع الامزجة واحدة بحيث ان بعض العلاجات تنقص الدم وتقلل من المنيّ في فريق من الناس وتفعل عكس ذلك في الآخرين . ومما قالهُ ڤينيت ان الاختبار قد دلنا على ان الخس والهندباء مثلاً وهما النباتان اللذان يمنعان بوجه التقريب في جميع الرجال توليد المنيّ اذا اكل منهما البعض عند المساء يفيض فيهم المنيّ حتى انهم يستنومون في اثناء سباتهم . ويعلمنا الاختبار ايضاً ان البهار والزنجبيل اللذين يحركان شهوة من يتعاطاهما يفعلان عكس ذلك في سواهم

امَّا سبب هذه المفاعيل المتعاكسة فلا يمكن اسنادها الاَّ الى اختلاف امزجة الرجال . ذلك لان الخس الذي يجعلنا نتوانى عادةً عن الحب بالنظر الى شهادة جميع الاقدمين فهو بعكسهِ يجعل البعض اوفر حباً وذلك بتعديل حرارتهم ويبوستهم المتناهيتين بواسطة برودتهِ ورطوبته . فاذا اعتدل مزاج اعضائهم فاذ ذاك تكتسب نشاطها

وان البهار وامثاله يفعل في البعض عكس مفعوله

لا يثق الطب الحديث بالمواد المعروفة بالمسكنات الا ثقة محدودة . ويرتأي الاطباء العصريون ان غالب هذه المواد اذا اخذت وحدها لا تستطيع ان تلجم حدة المزاج التهيجي . ويعتبرون الفصادة والمأكولات المضعفة التي سبقت الاشارة اليها هي اصلح لمقاومة الثوران الحبي المجتمع في الاعضاء التناسلية . وفي الوقت ذاته يشيرون الى مقدار الاضرار التي تصيب الصحة من جراء المعالجة بالفصادة التي يتركونها الى اصابات داء الشبق . ويوصون مع ذلك بان لا يلجأ اليها الا في اشد حالات هذه العلة

اما الترتيب الذي يشير به الطب على الاشخاص الميالين جداً الى الملاذ الجنسية فيقوم بتعاطي العلاجات المسكنة والمضعفة قليلاً وبالاكثار من تناول الخضر المائية والمبردة والابتعاد بالكلية عن المأكولات المهيجة والمشروبات المنبهة وتجنب جميع الظروف التي يمكن أن توقظ الشهوات اخصها البطالة . وان يلهو المرء بعمل جسمي يكرره جملة مرار في اليوم . ذلك لان البطالة واللحم الجيد هما مصدر الاميال الشهوانية كما اشار الى هذا احد المؤلفين الاقدمين . لانك اذا منعت البطالة كسرت قوس الحب واطفأت شهابه

اما الرجل البطال فان كل شيء مهيء له وذلك بعكس سواه . اذ ان تصوره اكثر استعداداً للحب من الذي يجهد جسمه بالاشغال الشاقة . لا سيما وان الشبان الذين يقضون اوقاتهم في البطالة والترف

يكون فكرهم متجهاً دائماً نحو الملاذ الجنسية اكثر من خلافهم . وتراهم يبحثون متواصلاً عن الوسائل التي تبلغهم اليها . حتى يصح القول ان من الرفاه والبطالة يتولد المزاج الشهواني وانحطاط الاخلاق

وعلى ذلك ان ترتيباً غذآئياً مناسباً ، ورياضةً جسمية بحكمة ، وشحذ الفكر بالامور المخالفة للحب بالكلية هي خير الوسائل لمكافحة النشاط الجنسي . ومتى لم تفدمزاولةهذهالوسائل فيتحتم الزواج ويصبح من الضروريات جداً ، منعاً لنتائج الشهوات المهلكة المضغوط عليها ، والعفة الاجبارية التي تنتهي بدآء الشبق والغلمة

القسم الثاني

في المنبهات

او المواد الباعثة على الحب

ليست الغاية من كتابة هذا القسم تعليم القرآء الافراط بالحب الجنسي والتهافت على الملاذ التناسلية . لانهُ لو كانت هذه غايتنا لكنا من اكبر المساعدين على الفساد واتلاف صحة الرجال . بل انما الغاية منهُ منفعة الازواج الضعفاء من جرآء شوائب طبيعية أو سوء سلوكهم السالف أو على أثر دآء طويل المدة الم ّ بهم وهم الذين لا يمتلكون القوة الكافية لينسلوا البنين أو يقوموا بالفروض الزوجية حق القيام

فاذا اتخذ الاغرار والجهال ذلك ذريعةً للافراط بالشهوات لغير مصوغ فيكونون هم الجانون على انفسهم والباحثون على حتفهم بظلفهم. لا سيما وانهُ ليست الارض هي سبب افراطنا بالمسكرات لانها تنبت في كل سنةٍ النباتات التي نستخرج المسكرات منها . وليست هي المسببة لنا الموت لانها تخرج لنا الحشائش والمواد السامّة . بل ان الملام على اولئك الذين يتعاطون الاشياء في غير محلها وبدون تمييز ولا تروي

تُطلق لفظة المنبهات خاصةً على انواع المواد الغذائية أو الطبية الصالحة لايقاظ أو انماء الشهوة التناسلية ، امّا بتهييج البنية عامّةً أو بتهييج الاعضاء التناسلية مباشرةً . لاسيما وان كثيراً من هذه المواد هي خطرةٌ جداً وبعض الاحيان قتالة . وانهُ فضلاً عن اخطارها هذه نرى معلولي وعجزة هيكل الزهرة يفتشون في كل زمن على الوسائل التي بها يهيجون ذواتهم ويوقدون نيران الحب الطبيعي التي خمدت أو انطفأت بالكلية فيهم

وكان في القديم كثير من الصفات التي تدعى بالمنبهات يحتوي البعض منها على خاصياتٍ حقيقية والبعض وهمية . وان القسم الاوفر من هذه الصفات كان يتركب من موادٍ مختلفة . وذات اضرار متباينة حتى كان البعض منها سموماً بحتة . وان الشواهد المتعددة التي يحويها التاريخ القديم والحديث لا تدع ادنى شكٍ بذلك

نرى بالنظر الى ما اوردهُ اوفيد الشاعر أن معاجين الحب كانت تخبط العقل وتسبب الغضب والتهيج . وذكر جوفينال عن ازواج

كثيرين اصيبوأ بنوبات جنونية هياجية وابتلوا بالصرع من اشباه هذه المشروبات . ولعن بترون النسآء اللواتي يسمنَّ جسمهنَّ بواسطة عقاقيرهنَّ المهيجة للتناسل. ومما اورده في ذلك ان دآء الكلب الذي اصاب كاليغولا سببهُ منبهٌ ناولتهُ اياهُ سيزوني

وذكر اوزيب ان التعته الذي تسبب لغالّوس كان من جرآء تناولهِ منبهاً . وان لوكولّس الشهواني ولوكراس الشاعر قضيا نحبهما وسط هياجٍ جنوني اصابهما عقبى تناولهما مشروباتٍ منبهة

اورد امبراويز باريّ عن محظيةٍ دبرت لعاشقها جرعـةً زرنوخية لتضاعف ميلهُ لها . فاصيب المسكين بدآء الانتصاب وتوفي بنزيف الدم الاحليلي . وكذلك تسبب موت موله الممثل عن جرعةٍ نظيرها

جُنَّ فريقٌ عسكري بغرام ممثلةٍ ولـكي يبرهن لها على نشاطهِ الجنسي وان نارهُ لم تخمد فيهِ بعد . فقد ذاق الموت بتجرعهِ جرعـة فسفورية

ومن السهل تعداد كثيرٍ من امثال هوءلآء الشهدآء وذكر اسمآء لفيفٍ من الشيوخ الفساق المنهوكي القوى الذين قضى عليهم جنونهم بان يقتبسوا من الزرنوح والفسفور نيران الغرام والنشاط التناسلي الذي لم يعد من نصيبهم ومخصصات سنهم

يرتأي البعض ان الزرنوح وبعض الجعلان والافيون والداتورة والفطر الـكاوي ونباتات اخرى سامّة كانت تدخل في تركيب العلاجات المنبهة التي كان الاقدمون يتعاطونها . ولـكي يمنعوا

تعاطي امثال هذه السموم فقداصدروا في رومية قانوناً يقضي بالقصاص على باعة المعجونات واللعوقات وامثالها

واذ قد جردت في يومنا الحاضر الاختبارات النباتية والكيماوية المادة الطبية من كل ما كان فيها غير مفيد أو مهلك فاصبح في امكان المرء ان يتعاطى بدون خوف مواداً معروفة بالمنبهات ما خلا البعض منها التي لا يجب اخذها الاَّ باذن الطبيب

استخلص العالم فيراي في مذكرة لهُ عن المنبهات ما يلي

انهُ يمكن ترتيب المنبهات في عشر مراتب وهي : ١ً مدرات الطمث والمضادات للتشنج ٢ً — المواد العطرية البهارية ٣ً — المنبهات الحريفة ٤ً —المهيجات ٥ً — مدرات البول والمخرجة الارياح ٦ً — الاطعمة المولدة للارياح والغازات ٧ً —المقويات ٨ً —مهيجات الجهاز الجلدي ٩ً —المواد المقوية والمجهزات الحديدية ١٠— المواد الحادة المسمة الكاوية وهي نظير الزرانيح والفسفور وهي مواد محرقة يجب منعها

امّا الزرانيح فهي الافضل والاكثر تنبيهاً من جميع المنبهات لو انها لا تسبب للمعدة والمجاري البولية تلك الاضرار المخيفة . بحيث انهُ من المستحيل ان يتعاطى المرء المجهزات الزرنوحية بدون ان يكفر عن تلك اللذة الوقتية التي يلتمسها منهـا . فالمعجونات والملبسات التي يجهزونها في الشرق وعلى الخصوص في القطر المصري اساسها هذه الذبابة المضرة . ومما قالهُ الدكتور شويتون ان المرء يرتجف لدى نظرهِ تلك اليد التي تحمل مادةً سامّة لقضاء لذةٍ بهيمية

ولعل الدكتور المشار اليهِ مرّ عند غروب الشمس ببعض احياء الوطنيين المعلومة في القاهرة وشاهد احد باعة المنبهات وقد ازدحمت عليهِ بعض الاغرار وكلٌّ منهم يمد اليهِ يدهُ فيضع لهُ فيها ملبستين أو اكثر فينقدهُ الثمن المتعارف ويذهب في حال سبيله . ثمَّ يتقدم خلافهُ ويفعل نظيرهُ وهي حالهٌ تستوجب التأسف والتحسر

وانهُ لجواز تعداد الزوجات عند المسلمين لذلك تراهم على العموم يتعاطون هذه المنبهات اكثر من سواهم . فالرجل المتزوج باكثر من واحدة والجاهل بالطبع يرى ذاته مضطراً الى ارضاء زوجاتهِ بان يستعين بمثل هذه المنبهات وهو غير عالم بانها تزيدهُ ضعفاً على ضعف

ليس الفسفور باقل خطراً من الزرنوح ، ذلك لان جميع الذين اختلَّ عقلهم بتعاطيهِ قضوا نحبهم بآلامٍ مبرحة أو انهم اصيبوا باضرار خطرة في المجاري الهضمية ولم يعودوا يشفوا منها بتاتاً . وقد ذكر ألفونس ليروي شاهداً عن امرأة توفيت بانسداد المعي من جراء جرعةٍ فسفورية . ولمَّافتحوا جثتها وجدوها مضيئة في داخلها حتى ان يدي الجراح ريال الذي قام بتشريحها كانت ايضاً مضيئة بعد غسلها . فمن الضرورة اذن منع تعاطي هاتين المادتين من الداخل لكونهما من السموم القتالة

لما كانت الاسباب التي ينشأ عنها داء الشبق وضعف الباه كثيرة كما بينا ذلك في الفصل الثامن عشر فمن البديهي عدم جواز معالجة ضعف الباه باي نوع من المنبهات . ذلك لان التي تفيد الواحد ربما

اضرت الآخر واهلكته. اذاً من الضروري اختيار المناسب منها وهذا لا يمكن الاّ بتطبيقه على سبب ونوع العلة. فمثلاً ان ضعف الباه المتأتي عن عفةٍ مستطيلة لا تمكن معالجته بالطريقة التي يعالج بها ضعف الباه الناشيء عن الافراط الجنسي والفحش. وكذلك العنّة المسببة عن الافراط بالاطعمة الحارّة والمشروبات المهيجة تلزمها مداواة على عكس مداواة العنّة الناشئة عن مأكولٍ بارد ومضعف. وهذا أمرٌ واضح لا يقبل ادنى ريب. وكذلك بالمثل لجميع انواع العنّة بحيث ان الذي تجب مقاومته هو السبب فمتى زال عادت القوى التناسلية الى الظهور

ولسنا في حاجةٍ الى تكرار ما سبق وبيناه في الفصل العشرين والحادي والعشرين بل اننا ننتقل الى بيان المواد التي يعزون اليها الخصائص المنبهة؟ .....

القسم الثالث

في المنبهات النباتية

عرفوا الجزر بين العلاجات القديمة والحديثة نظير منبهٍ جيد للاعضاء التناسلية المتخدرة. وكانوا يستخدمونهُ في الزمن القديم كما هو مبين عنه في كتب الاقدمين الطبية

وكذلك السعتر والنعناع المفلفل والرشاد وكثير من النباتات من طائفة ذات الشفاه هي مهيجة جدًّا ويفيد تعاطيها في العنّة الناشئة عن ضعف أو ارتخاء . وكان للكرفس والخرشوف والهليون من هذا القبيل شهرةٌ كبيرة من قديم الزمن

ويظهر ان حشيشة الهرتمي شهوةً جنسية مفرطة في هذا الحيوان ويقال انها تفعل بالمثل في الرجل ؟

حبق الراعي — خاصيتهُ كأنهُ مكثر المنيّ ؟ ويؤخذ جميعهُ ما عدا الاصل . وكذلك الحشيشة المباركة وجوزة الطيب والبهار والقرنفل وجميع البهارات ذات العطرية المفرطة تؤهل الشخص للملاذ الجنسية

وذكروا عن الثانيل والكاكاو في جميع القرابزينات كأن لهما تأثيراً جيداً على الجهاز التناسلي

وكان للجنسينغ [1] شهرة عظيمة بصفة كونهِ منبهاً فائقاً حتى انهم سنوا قانوناً يقضي بالعقاب الشديد على من يشحنهُ من بلاد الصين

ويُعد السحلب من جملة المنبهات اذا خُلط بموادٍ غذآئية اخرى ولهُ مفاعيل فائقة اخصهُ في حالتي الضعف والارتخاء

يذكر التاريخ ان طيباريوس قيصر وهو اكثر القياصرة فحشاً ودعارة كان يجلب كل سنة الكراوية من المانيا لهياجهِ التناسلي مع نسآئه

وكذلك الساتيريون وهو نبات من فصيلة السحلب يجهزونهُ في باريس على اشكال متنوعة ويربونهُ بالسكر ويباع عند جميع باعة العقاقير

---

(١) نوع من النبات يرد من الصين ويسمونه ايضاً بابي فخذين والجذر الآدمي

ويسقون في بلاد فارس في الخمارات مشروباً لزجاً مجهزاً من نباتٍ من نوع الساتيربون ويسمونهُ مشروب الثعلب لان بصلات هذا النبات تشبه خصيتي هذا الحيوان. وقد ظن البعض بانهُ هو ذلك النبات المسمى بحشيشة تيوفراست الذي كان ارسلهُ ملك الهند اندروفيل الى انطيوخس الملك، ومن خاصيتهِ تهييج الرجال تهيجاً مفرطاً للفعل الجنسي

ويعدون بعض النبات الخفي الزهر في مرتبة النباتات المنبهة وهي نظير الكمأة الزكية الرائحة والفطر البرتقالي وعش الفار والفطر الانبوبي وفطرات اخرى يقال بانها توقظ النار الخامدة وتؤهل الشخص الى الشعور الشهواني. لا سيما وان للكمأة سمعة تنبيهية عامّة لكن البعض يؤكدونها والبعض ينفون منها هذه الخاصية. وقد استنتج بريلاًّ ساڤاران الاستاذ الشهير في فن المأكولات عقبى بحثهِ في أمر الكمآت وذكرهِ بعض خرافات عنها ان الكمأة ليست منبهاً ايجابياً مطلقاً بل قد يجوز في بعض الاحوال ان تجعل النسآء اكثر انعطافاً والرجال اوفر غراماً

اعتبر بويرهاف الزعفران كمحرك فعّال للقوى الحيوانية واعتبرهُ باكون نظير مادةٍ تطوّل الحياة. وتمزجهُ جملة شعوبٍ في زماننا الحاضر باطعمتهم بصفة كونهِ مهيجاً ومنبهاً

ويتعاطى الشرقيون الافيون من انواع المنبهات وهو يسبب لهم ذهولاً مدهشاً وذغذغة شهوةٍ لا تقبل الوصف، ويعتبرونهُ كأنهُ مفتاح

السمآء . لا سيما وقد اظهر الاختبار في كل يوم ان استعماله على مدة طويلة ينتهي اخيرًا بابادة الخصائص التناسليـة بالكلية ويجعل متعاطيه في حالة البلادة والبله التامين

وكذلك لبلسم مكة والبيرو والبخور الجاوري خاصية منبهة زائدة فاذا تعاطاها المرء شرباً فهي تهيج القناة الهضمية والاعضآء التناسليـة معاً . واذا استعملها في شكل لزقةٍ على الصلبين والعجان فهي تقوي الآلة التناسلية وتؤهلها الى الفعل الجنسي

القسم الرابع

﴿ في المنبهات الحيوانية ﴾

لاحظ غالب البشر من قديم الزمن ان الغذآء اليومي المكون من السمك والمحار ينمي ثوراناً في الاديم وتهيجاً في الجهاز التناسلي . وقد تحققوا ايضاً ان الشعوب التي تغتذي بالاسماك يكثر حمل نسآئهـا وتكون رجالها اميل الى المباشرة الجنسية ؛ لا سيما وان التحليلات الكيماوية التي اجراها فوركروى وفانكيلان اظهرت ان لحم الاسماك والمادة البيضاء الرخوة التي في ذكورها تحوي مقداراً من الفوسفور وهي المادة التي المعنا اليها فيما تقدم كونها من اقوى المنبهات ، وبهذه الكيفية فسروا تفوق القوى التناسلية في أكلة الاسماك ؛ وكذلك

الحيوانات القشرية وهي نظير السراطين و براغيث البحر والحيوانات الرخوة والصدفية والمحار وامثالها هي ايضاً في مرتبة الاطعمة المنبهة . وكان الاقدمون يعرفون جيداً خصائص هذه المأكولات المهيجة . فقد اورد اتينه وديوسقوريدس من هذا القبيل ان الصبيادج الصغيرة والفتية والليبا كانت مكرسة الى الزهرة لانها تحرك الى الحب

و يعتبر الطبيعيون العنبر السنجابي نظير مادةٍ افرازية من حيوان الكاشالو ولهُ رائحةٌ طيبة جدًّا كثيرة الانتشار وهو من مهيجات الجهاز التناسلي

ومن رأي بوزويل ان ٣٠ قمحة عنبر سنجابي اذا اخذها المرء جرعةً واحدة تكفي لاسراع النبض وانماء القوى العضلية واستعداد الشخص بنوعٍ خاصٍّ للملاذ الحبية ؛ وكان الاقدمون يستعملون هذه المادة كثيراً في ضعف الباه المسبب عن الافراط التناسلي . وكانوا يعزون اليها خاصية ايقاظ القوى الحيوية الراقدة واعادة النشاط الى العضو الذكري الذي اذبلتهُ السن أو الافراط . وأيّد الدكتور شوميتون رأي الاقدمين بهذه الجملة وهي « ان استعمال العنبر السنجابي قد تكلل اكثر من مرةٍ باكليل النجاح . ويمكنني ان اؤكد خاصيتهُ بشواهد قانونيةً . » امّا في القطر المصري فالقسم الكبير من المنبهات التي تباع فيهِ اساسهُ العنبر حتى انهُ لا يخلو جهازٌ منبهٌ منه . ويتعاطونهُ على حدةٍ وبافراطٍ ويطيبون بهِ نوعاً من لفائف التبغ ويبيعهُ بعض الاولاد في الطرق العمومية بصفة حبوب فلاشك بانهُ يحوي بعض خصائص منبهة

الزبد والجندبادستر والمسك هي موادٌ ذات رائحة مفرطة يفرزها الزباد والجندباستر (كلب الماء) وغزال المسك . وتستعمل هذه الطيوب في الطب كأنها مضادة للتشنج وبناءً على انتشارهـا السريع فهي تشع بسرعة في الاعضاء التناسلية وتنبهها بكيفية خاصّة . ويمكن تجهيز هذه المواد الثلاث امّا للداخل بصفة مسحوق أو حبوب وامّـا للخارج كضمادٍ أو مرهم او لزق . . . . وتفيد خصوصاً متى كانت العنّة وضعف الباه ناشئين عن ارتخاء الاعضاء التناسلية

وتوجد موادٌ اخرى قد اشتهرت بالمنبهات ومفعولها خطرٌ جدًا ومنها الزرنوح التي سبقت الاشارة اليـهِ والجعل المقدس وهو جعل قدماء المصريين وكلا الاثنين يسببان للآلة التناسلية تهيجاً شديداً وخطراً كبيراً . وانهُ بالنظر الى ما اوردهُ باريزه ان الجعل المقدس هو من اشد المنبهات وقد عرف المصريون القدماء خاصيتهُ هذه بحيث يُشاهد رسم هذه الحشرة محفوراً على مدافن طيبـة وهي ترسل من خيشومها سائلاً في فم رجل منتصب القضيب يقذف اولاداً صغارًا وان التراجمة الذين يدلون السياح في تلك الاماكن يبيعون لمن يرغب اكسيرًا أو صبغة جعل كحهولية لمعالجة ضعف الباه الناشيء عن الافراط التناسلي وهي ذات رواج كبير . لا سيما وان مسحوق هذا الجعل اذا نقع في الكحول فلا يختلف عن صبغة الزرنوح الاَّ قليلاً

ويبحث الشرقيون بتلهفٍ عن سائر النباتات والعقاقير التي تؤثر على الجهاز التناسلي . ذلك لانهُ تنتهك قواهم التناسلية باكرًا امّا لداعي

المناخ أو تعداد الزوجات كما تقدم . فلهذا نرى الرجال منهم متهافتين على انواع شتى من الصفات التي يسمونها بالمنبهات والمنزولات والتي يتعاطونها متواتراً وغالبها قليل الفائدة . وكذلك يتهافت النسآء منهم على مجهزات متعددة الاشكال يدعونها بالمسمنات وقد اوردنا في كتابنا تاريخ الانسان انموذجاً من مجهزات السمنة التي يجهزها العطارون في القطر المصري للنسآء . واننا نأتي هنا بانموذج صغير من نماذج المنبهات على سبيل الدلالة وايقاف المطالع على كون الخصائص المنبهة فيهِ صادرة عن الذبابة الهندية (اي الزرنوح) والفسفور وهما من المواد السامة القتالة التي يجب تجنبها ونحن ذاكروها باسمآئها المعروفة بها في مصر

زيت لوز نقي	٢٠٠	غرام
شمع ابيض	٣٠	»
خلاصة عطر القرنفل	٣	»
سانتال سايل	٥	»
مانستر كريم	١٠	»
عطر ورد	١٠	»
قنب	٥	»
دبانة	٢٠	»
فسفور	١	»

على اننا نرجع ونكرر الى اولئك الاغرار الذين يرجون من الزرنوح أو الفسفور أو الجعل نشاطاً هو ابن يومه . ان يراجعوا حوادث

التسمم المسببة عن هذه المواد المحرقة التي لا بدَّ من ان يتضرر الشخص الذي يتعاطاها ويكفّر جسمهُ عنها . ذلك لان ادخالها في البنية يسبب اضطراباً خطراً يعقبــهُ على العموم دآء تقرح المثانة وداء الانتصاب وهما من العلل القتالة

نصائح الى الشيوخ — متى قرعت الساعة المؤذنة بسبات العضو التناسلي الآخير فمن الغرور ان يرجو الشيخ الولهان من المنبهات نشاطهُ الجنسي الذي انطفأ بالكلية ولم يعد لهُ من معاد . ولا يقتصر ذلك على غروره فقط بل انها تسبب لهُ ادوآءً خطرة تضيع في سبيلها صحتهُ وماله . فكم كان الاولى بالمال الذي يجود بهِ جزافاً على الخليلات والمومسات اللواتي يسخرن منهُ ويهزئن بهِ من خلفه ، لو انفقهُ وجاد بهِ في سبيل البر والاعمال الخيرية

فعلى ضعفآء الباه والعنّينين لداعي سنهم ان يراجعوا ما سبقت الاشارة اليهِ في بدء هذا المؤلف عن حركة الانتصاب فلا شك بانهم يقتنعون بضياع مجهوداتهم في تحقيق امانيهم . ذلك لانهُ من المستحيل ان تستعيض الاعضآء حيويتها ونشاطها في جسمٍ رثٍ وشائخ ومن الجنون ان يعلق المرء آمالهُ بالمستحيلات

الفصل السادس والعشرون

﴿ في الصفات المنبهة ﴾

اظهرت العلوم الكيماوية والاقرباذينية والفيسيولوجية التي ارتقى بها الطب الحديث ارتقاءً باهراً عدم كفاية صفات الطب القديم . حتى ان الاطبآء المتعلمين في عصرنا هذا لا يعلقون ادنى اهمية على غالب خصائص تلك المواد التي كانت مشهورةً فيما مضى بكونها من المنبهات . غير ان للبعض منها تأثيراً على الاعضآء التناسلية والبولية مباشرةً لكنها تضر على التقريب دائماً بمن يتعاطاها لذلك لا يجب ان يلجأ اليها الشخص الاَّ عند الضرورة القصوى و بكل تحفظ

سبق وذكرنا ما قالهُ ابن سينا في علاج ضعف البـاه وهو ان الاعتماد كلهُ على الاغذية ومنها تتوقع غزارة المادة . وعلى ذلك ان خير المنبهات ما كانت في الترتيب الغذآئي المقوي المحتوي على المواد المغذية والمشروبات المنبهة التي يتخذها المرء باعتدال .. وكذلك في الوسائل المختلفة التي سبقت الاشارة اليها وهي نظير الدلك والجلد

والحمامات الباردة .... وسائر الوسائل التي هي من محتويات قانون الصحة فهي الانسب والافعل من كافة المنبهات والمقويات

ومع ذلك فاننا موردون في هذا الفصل بعض الصفات التي اثبتها اطباء مشهورون وهم نظير بو يرهاف وسيدنهام وهوفيلان وتيسّو وأليبار وفيراي وموندا .... اولئك الذين قد اشتغلوا خصيصاً في ضعف وارتخاء الاعضاء التناسلية وكانوا فيها من الاطباء الماهرين . ولكن مما تجب معرفتهُ هو ان اكثر هذه المجهزات هي من المنبهات الفعالة والمهيجات الشديدة التي لا يجب اتخاذها بدون مشورة احد الاطباء

خمر منبه

عيدان الفانيل	٣٠ غرام
قرفة	٣٠ «
جينسينغ	٣٠ «
راوند	٣٠ «
خمر ملقا	١ ليتر

تذاب هذه المواد مدة خمسة عشر يوماً في الخمر وذلك ان ترج في كل يوم ثم تُصفى الخمر ويضاف اليها ١٥ نقطة صبغة العنبر

اكسير منبه

عنبر سنجابي	٢ غرام

صبر	٦	غرام
بخور جاوري	١٢	«
مسك	٢	سينتغرام

يسحق الجميع معاً ويفرغ فوقها كحول ٍ بمقدار كافٍ بكيفيةٍ يغطس المسحوق. ثمَّ يُنشف في حمام الرمل ويُصفى في زجاجةٍ وتُسد سدًّا محكماً

ويؤخذ منهُ في كل مرة اربع أو خمس ملاعق في المرق

وانهُ بالنظر الى ريفيار ان هذا الاكسير يحوي مفاعيل مهيجة ومدهشة وهو افضل من اكسير المروَّة

شراب منبه

اصول الجنسينغ	٣٠	غرام
خشب الروديولا (أو حشيشة النجارين)	٣٠	«
كمأة سوداء	٦٠	«
ورق حشيشة الهر	٣٠	«
عيدان الفانيل	١٥	«
بزر حبهان	٣٠	«
سكر ابيض	١	كيلوغرام
عنبر سنجابي	١	غرام

مسك أو زبد	٢	سنتيغرام
خمر ملقا	٣	ليتر

يعمل ذلك حسبما يقتضيه عمل الشراب

نبيذ ابو قراط

قرفة مدقوقة	٣٠	غرام
زنجبيل	٣٠	»
قرنفل	٨	»
ڤانيل	٣٠	»
سكر مدقوق	١	كيلو
خمر ملقا	٣	ليتر

تنقع هذه المواد في الخمر مدة خمسة ايام ثمَّ تصفى وتفرغ الخمر في قمع في اسفلهِ صرة داخلها عشرة سنتيغرامات عنبر سنجابي وسنتيغرامان مسك مسحوق باربعة غرامات سكر نبات . لا سيما وان هذه الخمر ما عدا مفعولها المنبه فهي مقوية للمعدة وتؤخذ الجرعة بمقدار ٣٠ غراماً

جرعة منبهة

آس ممسك	٨	غرام
ترنجان (١)	٤	»

(١) مفرح قلب الحزين في مفردات ابن البيطار

جرجير	٤	غرام
جوزة الطيب	٢	«
قشر نارنج	٢	«

تجهز هذهِ المواد كما يلزم وتضاف اليها ملعقة غَول المالسيا (١) وتؤخذ هذه الجرعة في الفراش

مربى منبه

زبدة الكاكاو	٢٥	غرام
منّ فصوص	٣٠	«
لودنوم سائل (٢)	١٢	«
ماء زهر	٤٠	«
شراب بلسم الطولو		مقدار كافي

يعمل من هذه مربى كما يجب له

حبوب الجنسينغ

مسحوق الجنسينغ	٣٠	غرام
ڤانيل	٦٠	«
صبغة العنبر	٢	نقطة
روح القرفة	١٠	«

(١) غول بقلة الضب او كروان (٢) روح الافيون

سكر مسحوق	٥٠٠ غرام
لغاب النبات	مقدار كافي

يُجهز ذلك كما تجهز الحبوب وقيل بان لهذه الحبوب مفعولاً مهيجاً جداً ينعش قوى الاعضاء التناسلية الراقدة

مسحوق منبه

مسك	٥	سنتيغرام
زنجبيل	٤	غرام
جوزة الطيب	٤	»
فلفل	٤	»
قرفة	١٢٥	»
سكر	١٢٥	»

تصنع هذه المواد مسحوقاً كما يجب

ضماد منبه

بلسم كافوري	٦٠	غرام
زيت الزنوح	٤	»
زيت الروديولا (أو حشيشة النجارين)	٨	»
روح القرفة	٤	»
مسك	٥	سنتيغرام

عنبر سنجابي	٥٠ غرام

يصنع من ذلك ضماد

ضماد فوسفوري نشادري

فوسفور	٢٠	سنتيغرام
زيت الابهل	٦٠	«
نشادر كاوي	٢٠	«

يعمل من ذلك ضماد ويستعمل للدلك على القضيب واطراف الفرج مع الاعتناء بعدم وصولهِ الى الداخل

تنبيه — يجب ان يتجنب العليل استعمال العلاجات التي يدخلها الفسفور أو الزرنوح بدون اذن الطبيب كما سبق وكررنا مراراً

صفة هندية

ذات شهرة بكونها من المنبهات الفعالة

طين مختوم (أوطين الكاهن)	٥٠٠	جزء
كهرمان	٢٥٠	«
مسك	٣٠	«
عنبر سنجابي	٣٠	«
خشب الصبر	١٦٠	«
كربونات المانيسيا	٣٣٠	«
خولنجان	٣٠	«

قرفة	٣٠	جزء
راوند	٣٠	«
هندي شعيري	٣٠	«
افسنتين (شيبة)	٣٠	«
فصوص مصطكي	٣٠	«

يسحق جميع هذه المواد ثم تُرش

بخمر جوز الطيب	٥٠٠	غرام
وبماء ورد	٢٥٠	«

ثمَّ تخلط جيداً ويضاف اليها

سكر	٢٤٠٠	غرام
صمغ الكثيراء	كمية وافية	

وتجهز حبوباً كل ستة غرامات حبة ويوخذ منها بضع حبات في اليوم

صفة حبوب نابولى المنبهة

سكر	٥٠٠	جزء
مصطكى	١٢	«
زعفران	٨	«
مسك	١	«
زنجبيل	٢	«
قرنفل	٢	«
عنبر سنجابي	٤	«

منقوع البزهفنج [١]	مقدار وافي	

تصنع من ذلك حبوب من ٥٠ سنتيغرام الى غرام واحد الحبة ويؤخذ منها اربع او خمس في اليوم

لزقة منبهة

لزاق يابس	٦٠	غرام
بخور جاوري	٤	«
بلسم البيرو	٤	«

يخلط هذا في حمام ماريا ويحول عن النار ويضاف اليهِ

عنبر	٢٠	سنتيغرام
مسك	٥	«

واذ لم تزل هذه المادة في حالة السيلان يمد منها على قطع اديم غشائية كثافتهُ بضع مليمترات وتلصق على الصلبين أو العجز لتستمر بضعة ايام

حمام منبه

جوز الطيب مدقوق	٥٠	غرام
حصالبان [٢]	٥٠٠	«
شلبية [٣]	٥٠٠	«

---

(١) Marnm بزهفنج في مفردات ابن البيطار او ريحان الشيوخ
(٢) اكليل الجبل في مفردات ابن البيطار (٣) قويسة ناعمة سواك النبي مفردات ابن البيطار)

سعتر	٥٠٠	غرام
نعناع	٥٠٠	«
زهر البابونج	٥٠٠	«
ماء غالي	٣	ليتر

تنقع هذه المواد مدة اثنتي عشرة ساعة في الماء وبعده يضاف اليه

صبغة العرعر	١٠٠	غرام
« القرنفل	١٠٠	»

غسولات ودهونات منبهة

تستعمل الغسولات المنبهة للاعضاء التناسلية بالماء المثلج والماء المملح والماء المطيب وقد ابرأ جنسر وشبتال قضياً مرتخياً من ثلاث سنوات بواسطة تغطيس الاعضاء التناسلية المتكرر في مغلي بزر الخردل

واثبتوا ايضاً فائدة دلك القضيب والبظر بالزغب المستخرج من داخل ثمر النسرين بحيث ان الرعيان الذي يحدثه هذا الزغب يسبب الحك . ويحصل احياناً انهُ بواسطة الحك المتكرر يشعر ضعيف الباه بتهيج يعقبهُ اشتهاء — ثمَّ ان الغسولات المهيجة والدلك والوخز الخفيف والجلد على الردفين هي من الوسائل التي لا يجب اهمالها

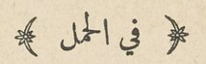
فهذه هي التدابير التي اثبتوها كونها اكثر مفعولاً في ضعف الباه والعنّة والعقم . لكنهُ يتوقف هذا المفعول على السلوك والغذاء الصحيين ، ولهذا فالاشخاص المصابون باحدى هذه العلل يلزمهم بعدان يستنيروا

بمطالعة هذا المؤلف ان يسيروا في اثنآء تداويهم برأي احد الاطبآء الاختصاصيين

اوردنا في الفصل الخامس المعالجة اللازمة لحصول الانتصاب وبينا ان الاحليل يساعد كثيراً على ذلك . بحيث ان ورود الدم الى جسم العضو الكهفي وان نفخهُ جيداً ، مع هذا يستمر الانتصاب مترهلاً اذا كان الاحليل فاقداً خاصيتهُ الانتصابية . لذلك يقتضي للحصول على انتصابٍ مناسب ان تعاد الى الاحليل الحيوية التي تنقصهُ . ويتوصلون احياناً الى ذلك بواسطة حقن مقوية وتغطيس العضو في مغلي الخردل . ويجب ان تعمل هذه الحقن بمآء مثلج أو بمغلي السعتر المبرد أو النعناع المطيب بالمسك . (راجع ما اوردناهُ في فصل ضعف الباه) غير انهُ اذا حصل ضعف وارتخاء القضيب نحو سن الاربعين الى الخمسين وكان ناشئاً امّا عن افراطٍ في الملاذ التناسلية او عن بنيةٍ معتلة فالمعالجة المحلية لا تفيد الّا اذا تقدمها ترتيبٌ غذآئي مقوي ، وهوآء الضواحي ، وراحة تناسلية ، ورياضة عضلية تتوصل بها البنية الى حالة النشاط الكافي

ونشير في الختام الى انهُ من الضلال والغرور ان يظن الشيوخ الذين ناهزوا سن الستين وما فوق بان خمراً أو حبوباً أو مرهماً منبهة تعيد اليهم قوى شبيبتهم التناسلية الماضية . لان العقل والنقل والاختبار ينقض ذلك ولا يقر به . ونرجع ونكرر ما اوردناهُ مراراً ان بين الصفات التي ذكرناها بعض موادٍ كاوية لا يجب ان يتعاطاها المرء بدون اذن الطبيب

الفصل السابع والعشرون



في الحمل

يستمر الرجل الى اليوم الذي تحمل فيهِ امرأتهُ مشغوفاً بعقلها وجمالها ومفتوناً بظرفها ودلالها ، فاذا حملت فيجب عليهِ ان يضاعف انعطافهُ نحوها واهتمامهُ بشأنها . لا سيما وانهُ بالحمل ينتهي دور البنوة ويبتدي دور الامومة . وكذلك بالنظر الى الرجل ايضاً عليهِ ان يتخذ لهُ مسلكاً جديداً مع امرأته . فانهُ ما خلا الانعطاف الذي كان يشملها بهِ ، عليهِ ان يزيد اهتمامهُ بها الآن ويخصها بالعناية والملاحظة اللتين يقتضيهما ويتطلبهما مقام الام

على الرجل ان يعلم الآن بان امرأتهُ تحمل في احشآئها شخصهُ الثاني ، وهو ثمرة حبهِ الذي يراهُ مولوداً بعد تسعة اشهر منها . ويبسم فمهُ الجميل بعد قليل في وجههِ ويمد ذراعيهِ الصغيرتين لمعانقته . فاي سعادةٍ اعظم من هذه يوم يرى ذاتهُ قد اصبح اباً واحرز لقب الوالدين . غير انهُ يلزمهُ ان يعلم جيداً بان الطبيعة مقابل تقليدهِ هذا اللقب تفرض

عليهِ في الوقت ذاتهِ واجباتٍ يلتزم بايفآئها للام والمولود معاً . فعليهِ اذاً بمحبة هذه الوالدة وبذلهِ نحوها كل انواع التودد والانعطاف اللذين تستحقهما . فضلاً عن كونهِ لم يلقَ في الفعل التناسلي غير البسط واللذة . امَّا هي فتضطر الى تحمل اتعاب الحمل وآلام المخاض وحدها

القسم الاول

﴿ في صحة المرأة الحامل ﴾

يُستدل على حصول التلقيح في بعض النسآء العصبيات بتشنج اعضآئهن التناسلية وبهزةٍ غير اختيارية في مجموع بنيتهنَّ وما ذلك الاَّ من الشواذات النادرة . لان جميع النسآء بوجه التقريب يحملن بدون ان يعلمن بوقت التلقيح ، فاذا جاءت مدة الحيض وانقطع سيلان الطمث استدلين على كونهنَّ حاملات

تبتدي وظائف الامومة وفروضها بابتدآء الحمل بمعنى انهُ متى تأكدت المرأة حملها فوقتئذٍ لم تعد تحيا لنفسها بل عليها ان تكرس كل لحظةٍ من مدة حملها الى الثمرة التي تحملها في احشآئها . وباوضح تعبير يلزمها ان تمتنع عن الملاذ العالمية المتعبة وهي نظير المراقص وحفلات التمثيل والاماكن التي يشتد فيها الزحام وتجتنب السهر والاتعاب على انواعها . ذلك لان الطبيعة قد جعلتها اماً لتنيلها سعادة جديدة ،

فيلزمها ان تحيا خصيصاً للجنين الذي يتحرك عن قريب في احشآئها

ويزعم الدكتور ڤينيت بان المرأة الحامل هي اميل للحب في بدء حملها ويشغل اعضآءها التناسلية دمٌ اوفر . فاذا بوشرت في هذه المدة فيكون ذلك نظير المآء الذي يرشون بهِ كور الحداد كلَّما رشوا نارهُ كلما زاد اتقاداً

يتمنى جميع النسآء ان يلدن اولاداً جميلين وهذا ميلٌ غريزيٌّ فيهنَّ لكنهُ مع الأسف لا تسلك النسآء سبيلاً تبلغهنَّ هذه الامنية السعيدة . ذلك لان غالبهنَّ لا يزلن متبعاتٍ ذات الخطة التي كنَّ سائراتٍ عليها قبل الحمل، وباحثاتٍ على ذات الملاهي وعين الملاذ . وهنَّ يجهلن أو يتجاهلن الرابطة الكائنة بين حياة الام وجنينها . بحيث ان جميع الاضطرابات والاتعاب التي تصادف الام يرن صداها في بنية جنينها الغضة . حتى يجوز ان الانفعالات الشديدة التي تصاب بها لام تشوه الجنين . فاذا كان الوالدان يحسبان نفسيهما تعيسين بتخليفهما مولوداً هزيلاً ومشوهاً . فكم تكون تعاسة هذا المخلوق المسكين اعظم وهو الذي يحمل في جميع مدة حياتهِ تلك العلامات الرديئة التي سببها لهُ والداهُ بسلوكهما المعوج

يجب على المرأة العاقلة ان تتخلى من بدء حملها عن المشدّ وعن جميع انواع الملبوسات التي تضغط على خصرها ومعدتها . ولتكن ملابسها مصنوعة بكيفيةٍ تترك الحرية التامة لنمو رحمها الذي يزداد حجمهُ بنموّ الجنين من يومٍ الى آخر . ذلك لان سهولة الوضع وحيوية بنية

المولود وجماله تتوقف على العناية الصحية التي تتخذها الام وعلى تيقظها في حفظ راحة جسمها وعقلها

وتفيد لفظة حامل في اللغة اللاتينية أي المرأة التي بدون حزام . فالنسآء الرومانيات كنَّ يتمنطقن بحزامٍ يسندن بهِ حشاهنَّ . اما في مدة الحمل فكانت الشريعة تقضي عليهنَّ بترك هذا الحزام . وان التي تخالف ذلك كانت تستوجب العقاب . ومما اشترعهُ ليكورغ ايضاً انهُ يجب على النسآء ان يلبسن اثواباً عريضة خالية من الروابط والاحزمة من اول ظهور علامات الحمل

تجوز قسمة زمن الحمل الى مدتين تشتمل الواحدة على الاربعة الاشهر الاولى ، وتختص الثانية بخمسة الاشهر التالية . ففي المدة الاولى يتوفر الدم في غالب النسآء بسبب انقطاع الحيض الشهري . فاذا استمرت الحامل تأكل نظير الماضي وتتناول اطعمة كثيرة المواد فيسبب لها فيضان الدم الاغمآء الذي تقتضي لهُ الفصادة وهي عمليةٌ خطرة في اثنآء الحمل . غير ان الطبيعة الحكيمة تساعد على التقريب دائماً اولئك النساء القليلات الفطنة . بحيث ان الحامل التي تأكل اكثر مما يلزمها تشعر بغثيان (قرف) وتتقيء الاطعمة الفائضة التي تمنع التغذي الزائد . وفي بعض الاحيان ان الصداع وألم المعدة وفقد القابلية .... التي تصيبها تضطرها الى ملازمة طعامٍ لطيف . فضلاً عن عناية الطبيعة البديعة التي خصت كل عضو من البنية بغريزةٍ خاصة بهِ ، تصلح عادةً ميزانية مجموع البنية بدون مساعدة طبيب

تكون المرأة في اشهر الحمل الاولى معرضةً لجملة توعكات خفيفة نظير الغثيان والارتخاء والارق وكسل المعدة وهبوط القوى وعسر الهضم والاشمئزاز من الطعام والتقيء والتواني والتعب ... بحيث يجب لهذه الحالات غذآءٌ لطيف لكنهُ مغذي تُستثنى منهُ المأكولات المالحة والمتبلة أو المدخنة وبالمثل المشروبات المهيجة . ولا بدَّ للحوامل من ان تكون معدتهنَّ مطلقة ويأخذن نصف حقن اذا توانت معدتهنَّ عن الخروج . وكذلك يتعاطين المشروبات المبردة . امَّا المسهلات او خلاف علاجات فلا يجب عليهنَّ تعاطيها بدون اذن الطبيب

يظن اكثر الحوامل وهنَّ في اشهرهنَّ الاولى بانهُ يلزمهنَّ ان يملئن جوفهنَّ بالاطعمة ليقدمن الى الجنين الغذآء الضروري له . وذلك ان تأكل الواحدة غذآء اثنين والاَّ تضرر الجنين كما تقولهُ العجائز الدجالات . ولكي ندحض هذا الزعم نقول ان التصوير الجنيني في الشهر الثاني لا يبلغ حجمهُ بيضة الحمام . وانهُ من نهاية الشهر الثاني حتى آخر يوم الشهر الرابع ينمو هكذا ببطىءٍ حتى لا تشعر بثقلهِ الام . فعلى المرأة الحامل ان تفتكر قليلاً وتقلع عن مخيلتها هذا الاعتقاد الباطل . ولتعلم بان ادنى افراطٍ تفرطهُ في طعامها في مدة اشهر حملها الاولى على زعمها بضرورة تغذية الجنين يسبب لها ضرراً في صحتها ويزعج نموّ الثمر الذي تحملهُ في احشآئها

ومتى بلغت مدة الحمل الثانية تدخل المرأة في طور جديد . فالعمل طي الرحم الذي كانت حتى الساعة بالكاد تشعر بهِ يأخذ بالظهور

بعلاماتٍ لا شبهة فيها . لانهُ متى جاز الجنين الشهر الرابع يبتدي يمو نموًّا سريعاً جداً . ووقتئذٍ تضطر الام الى عصاراتٍ مغذية اوفر من ذي قبل . بحيث تنبه الطبيعة فيها شهوة الطعام وتشير اليها بانهُ يلزمها ان تزيد غذاءَها . ولم تعد المعدة تشعر بغثيان ولا اغماء وتسير الوظائف الهضمية فيها بسرعةٍ وسهولة . وفي هذه المدة يضر التفريط بالغذاء بالام وثمرها معاً نظير ما كان الافراط مضراً بهما في المدة الاولى

واننا ننبه الحامل بنوع خاص الى ان تتجنب جميع المؤثرات الشديدة كالمخاوف والمفاجئات والافراح السرسامية والاحزان المفجعة واخصهُ أدوار الغضب . وجميع الاحوال التي تزعج جهازها العصبي وتحدث الاضطراب في حواسها . أي ان تكون هادئة جسماً وعقلاً

ونحول من ثمَّ نظر الزوج مرةً اخرى لينتبه اشد الانتباه لتلك التي ستجعلهُ عما قريب والدًا . فيجب عليهِ والحالة هذه ان يشملها بكل انواع العناية والكرامة والملاطفة ويوجه اليها على التوالي عنايتهُ وانعطافهُ ويسايرها ويتودد اليها في كل أمرٍ ويطيب خاطرها اذا ما ابتليت باحد المكاره والرزايا

لا تنمو المعدة في الشهر الاول بل انهُ من بعد مرور ثلاثة اشهر ونصف يبتدي بروزها بانتظام حتى نهاية مدة الحمل اذ يصبح اديم المعدة متمددًا ومعلماً بعروق ضاربة الى السمرة . وتشعر المرأة بعسر في السير وهي تنحني الى خلف لتحفظ موازنة جسمها

وتنشط في الحامل الدورة الدموية التي تزيد النبض وتقويه

وترتفع فيها درجة الحرارة . وتتحمل النسآء الحوامل البرد اكثر من سواهنّ ويكون تنفسهنّ اغزر وبولهن اوفر وهو مختبطٌ تعلوهُ رغوة ولهُ راسب بعد بضعة ساعات في الوعآء . ويزداد فيهنّ ايضاً سائر الافرازات الاخرى واخصهُ اللعاب حتى ان بعض النسآء يبتلين بسيلان اللعاب من بدء الحمل حتى الوضع . واني اعرف امرأةً في القاهرة من حين ما تحمل الى اليوم الذي تضع فيهِ يستمر معها سيلان اللعاب متواصلاً . فاذا كانت في بيتها وضعت في جانبها متفلةً واذا خرجت اخذت معها جملة مناديل وقد لازمها هذا الدآء في اثناء ستة حملان حملت بها على التعاقب

متى دخلت الحامل في شهرها السادس فمن الجائز ان اقل ضغطٍ على خاصرتيها ومعدتها يجرح الجنين أو يعيقهُ عن تطوره . فعلى المرأة ان تمتنع عن الملاذ الجنسية ولا تسمح لزوجها بها اذا لم يكن هو عاقلاً ومدركاً يعلم مضارها ويتجنبها من ذاته . ومما هو معلوم ان احياناً كثيرة يتسبب عن الملاذ الجنسية في هذه الاثنآء نزيف الدم وتقرح وتصلب الرحم والوضع الشاقّ وشوائب تركيب الجنين

وبالحقيقة ان ضغطاً أو ملامسةً قد يؤثرا في الرحم ويقلقا عمله . وكذلك التشنج العضلي الشديد والرعشة القوية قد يمكن ان يغيرا اتجاه عظام الجنين التي تكون في الحالة الهلامية تقريباً ، ويسببا تشوه رأسهِ وتحدب عامودهِ الفقاري أيضاً . فالحامل الصحيحة الجسم والتي تملك جميع الشروط المقتضية لايلاد مولودٍ جيد التركيب اذا استمرت

حكيمة وهادئة في مدة حملها فلماذا يا ترى تلد مولوداً مشوهاً وهزيلاً ؟ فعلى الزوجين ان يتفكرا ملياً في هذا الموضوع الذي هو في منتهى الاهمية والخطارة

وتستفيد الحامل من الرياضات القصيرة المدة والملاهي اللطيفة لانها تنبه شهوة الطعام فيها وتسهل عليها الهضم . بحيث يلزمها في هذه المدة غذاء اوفر من ذي قبل كما تقدم . لانهُ وان لم تعد تفقد شيئاً بالحيض الشهري فذلك لا يكفي . لان انقطاع الطمث لا يعادل مطلقاً مقدار العصارات المغذية التي تفقدها في تغذية الجنين . وهي التي تزيد كلما كان هذا اكبر عمراً واقوى عافية . فاذا فتر تغذي الام فيكون ذلك داعياً على الاطلاق لتأخر نموّ ثمرها وامتلاء بنيته

١

غذاء الحامل — يجب ان يكون غذاء الحامل التي بلغت شهرها السادس من نوع الاطعمة المغذية وان تأكل قليلاً في كل مرةٍ وتضاعف عدد الوجبات وليكن مقدار الطعام وعدد الوجبات بالنظر الى قابليتها وقوى معدتها الهاضمة . وان تقصي عن مائدتها اللحوم المقددة والمتبلة والمعجنات وسائر الاطعمة الحارّة لانهُ يحصل معها على العموم في هذه المدة امساك . ولتسهيل وظائفها المعوية وانطلاقها يصفون لها عادةً الاغذية الهلامية ونصف حقنٍ ملينة

٢

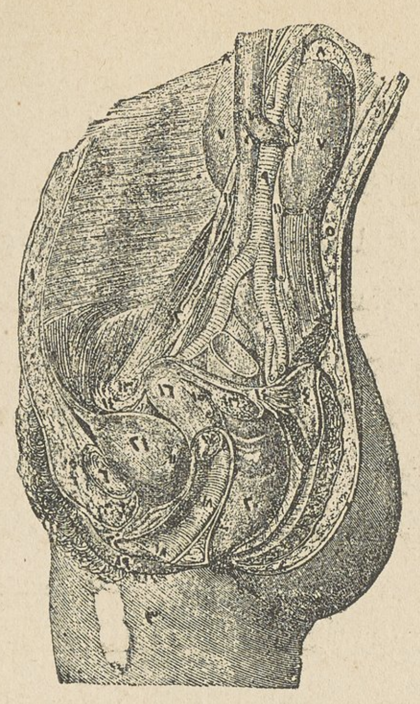
استحمام الحامل — يجب ان تمتنع النسآء الحوامل ذوات البنية الرخوة والليمفاوية المفرطة عن الاستحمام الكامل قدر الامكان ويستعضن عنهُ بالغسولات والوضوآت الخفيفة المطيبة . غير انهُ متى كانت المرأة ذات مزاج عصبي فالحمل يزيد في حدتها عادةً والحمامات الفاترة هي اكبر مساعدٍ لها . ويمكن اعتبارها في جملة حالاتٍ نظير خير وسيلةٍ لمقاومة التشنج واخصهُ في شهري الحمل الاول والاخير . اذ تبدد في الاول التشنج وتخفف تهيج الرحم . وتلين في الاخير الاعضآء التناسلية وتؤهلها الى زيادة الامتداد وتقي توتر عنق الرحم وتساعد على تمدده

ان لحموم الرجلين مفاعيل جيدة في الاحوال اللازمة لها ولا تضر الا اذا استعملت من دون الضرورة اليها

يجب على الحامل ان تغتسل دائماً بالمآء الفاتر وان تتجنب باحتراس الانتقال الفجآئي من الهوآء الحارّ الى البارد

وتلزمها الحقن متى كانت لا تخرج معدتها مرةً في اليوم ذلك لان المسهلات هي مضرةٌ لها وكذلك المقيئات هي خطرة يجب منعها

ولا يجب عمل الفصادة لداعي الوهم أو التعود عليها بل يجب قبل فتح وريد الحامل مشاورة طبيبٍ مولد . ولا تستعمل الفصادة الَّا متى كان فيضان الدم في حالة تستوجب ذلك



الرسم ٢٦

الة الانثى التناسلية وعلاقتها بالاعضاء المجاورة لها قبل الحمل

(١) جدار المعدة الخارجي (٢) الجهة الانسية للعجيزة اليمنى (٣) الجهة الانسية للفخذ الايمن (٤) سطح عظم الحوض المفصلي (٥) مقطوع السلسلة الفقارية (٦) سطح عظم العانة المفصلي (٧) الكليتان (٨) اربطة الكليتين (٩) الوريد الابهر (١٠) وريد الجوف السفلي (١١) مجاري الحالب (١٢) الاوعية المبيضية اليمنى (١٣) المبيضان (١٤) بوقا الرحم (١٥) مقطوع الرباط المبروم الايسر (١٦) الرحم (١٧) عنق الرحم ويشاهد مدخله في وسطه (١٨) القناة المهبلية (١٩) الفرج (٢٠) المستقيم (٢١) المثانة (٢٢) الصماخ البولي

ان بين المعدة والرحم علائق وثيقة يرتبط بها هذان العضوان بميل طبيعي يظهر في ظروف مختلفة بحالات في منتهى التنوع (انظر الرسم ٢٦) بحيث يسبب احياناً تشنج الرحم اختباطاً في اعضاء الهضم وغثياناً وتقيئاً وفساد شهوة الطعام . حتى تتطلب المرأة ان تأكل مواداً غير مألوفة بالكلية نظير المأكولات الاشد حادية والتي يشمأز منها الذوق . ويتجه فكرها في بعض الاوقات الى الاشياء الغريبة أو الممتنعة الوجود وتشتهي الحصول عليها

امّا هذه الشهوات الغريبة في بابها والمستعجلة فهي على العموم اعراض داء عصبي في المعدة أو نوع من المانيا ناشيء عن اختلال المخيلة الوقتي . وانهُ في هاتين الحالتين يجب ان يلجأ في المعالجة الى الطب العقلي

علاج مجرب لمنع تقيء الحوامل وهو من بين جملة علاجات موصوفة لمقاومة هذا الداء

ملح القلي	٢ غرام
شراب الكوداين «قلي الافيون»	١٠ غرام
عصير الليمون	١٥ »
ماء	١٢٥ »

تؤخذ منهُ ملاعق لتجنب التقيء

الفصل الثامن والعشرون

﴿ في تأثير تصور الحامل على الجنين ﴾

نسبوا في كل عصرٍ الى مخيلة الحامل سلطةً قوية على جنينها ، واعتقد بذلك رجال العلم في الاعصر الغابرة بدون ان يفحصوا المسألة أو يتروّوا فيها . حتى انهم نقلوا بشهادة السواد الاعظم قصصاً من هذا القبيل اقل أو اكثر غرابة

امَّا الاعتقاد الذي كان سائداً وقتئذٍ فهو ان تصور الام في امكانهِ ان يزيد أو ينقص ويعدل أو يغير ويقطع أو يفقد اعضاء الجنين ويغير شكله . حتى ان افلاطون ذكر في جملة مواضع ان التصور يحرك الاجسام ويغير اشكالها . فاستنتجوا من ذلك ان التصور باستطاعتهِ ان يغير شكل الجنين . واذا كانت عبارة افلاطون مبهمة وكلامهُ في التاريخ الطبيعي غير فصيح فهو مع ذلك رجلٌ عاقلٌ ليس من المحتمل ان يأتي مبالغةً كهذه

ذكر شنيكوس استاذٌ مشهور في جامعة يانا (Yena) ان امرأةً

وضعت مولوداً لهُ شبهٌ عظيم بجنية الجحيم . وذلك انهُ في يومٍ من ايام المرافع كان زوجها متلبساً بزي شيطان وقد باشرها بقولهِ لها انهُ يرغب ان يصنع لها شيطاناً صغيراً

اورد ديتريو المتعصب وهو من المفتشين المهولين في ديوان التفتيش اموراً بعيدة التصديق . منها ان امرأةً نزيهةً خافت جدًّا لمَّا كانت حاملاً من خلدٍ دخل تحت اثوابهـا مختفياً . وعلى ذلك وضعت مخلوقاً شبيهاً بهذا الحيوان . وذيّل احد الاشخاص القليلي التصديق ذلك بقوله : انهُ اذا كان الخوف ناشئاً عن كركدن أو فيل فكم يكون الوضع شاقاً على المرأة

وذكر ڤان سويتن عن فتاةٍ جميلة الطلعة اتت الى عيادتهِ لغازاتٍ في معدتها فشاهد على عنقها دودةً هكذا طبيعية حتى انهُ مدَّ يدهُ ليسقطها . فابتدرتهُ الفتاة قائلةً وهي تبتسم . ان هذه العلامة تسببت لها عن دودةٍ سقطت على عنق والدتها وهي حاملٌ بها فاحدثت فيها خوفاً شديداً

اورد غاهرليب حادثاً مفصلاً عن امرأةٍ حامل سمعت ضجةً في السوق المقابل لقصرها فتقدمت نحو النافذة وقد ذُعرت لمشاهدتهـا رجلاً انبترت يمينهُ بالسيف بينما كان يتقي بها الضربات الموجهة اليه . ولمَّا اتى زمن ولادتها وضعت مولوداً تنقصهُ اليد اليمنى . وبينما كان غاهرليب يبحث ليبين الكيفية التي بها وضعت اميرةٌ تركية ابناً اسود على أثر الذعر الشديد الذي اصابها بالتقائها بزنجيٍّ على غير انتظار منها . في الوقت ذاتهِ قذف احد الباشوات بزوجتهِ في البحر لانها

ولدت مولوداً خلاسياً . ولا شك بان الباشا المشار اليهِ كان اكثر تعقلاً من غاهرليب . لانهُ ارتأى ان قوة التصور لا تتصل الى تغيير لون الجنس البشري ، ولا بدَّ من ان المولود الخلاسي هو برهانٌ على جريمة زوجتهِ وهي من النوع القوقاسي

اورد ملبرانش وهو من ارباب الخيال قصة مولودٍ وضعتهُ امهُ مهشم الاعضاء وقد برهن على ذلك كون تهشمهِ هذا لم ينشأ لهُ الاَّ عن رعشةٍ هائلة شعرت بها الام لدى نظرها عقاب العجلة الذي كانوا يقاصّون بهِ احد المجرمين . امَّا بالنظر الى ملبرانش فانهُ قد يجوز ان يكون فيلسوفاً عظيماً لكنهُ لا يعلم شيئاً من أمر الفيسيولوجيا والتيراتولوجيا

وذكر أكريل شاهداً عن امرأةٍ اسوجية استمرت كل مدة حملها تزين صدرها بوردةٍ بين نهديها . ولمَّا اقبل الشتاء وانقطع الورد شعرت برغبةٍ قوية في الورد واسفت أسفاً مفرطاً على انقطاعهِ ، واستمرت هزيلةً من جراء ذلك الى يوم وضعها . اذ وضعت طفلاً يحمل بين ثدييهِ غدةً مقسمة الى قطعٍ تشبه وريقات الورد . وكانت هذه الغدة تفتح في كل ربيع نظير زهرة الورد

على اننا اذا رمنا ان نقتطف اشباه هذه الشواهد فلا يكفينا لدرجها جملة مؤلفات برمتها . فضلاً عن اننا لا نتردد في قولنا بان معظم هذه الحوادث لاشك بانها مكبرةٌ ومحرفة عن اصلها ويجب علينا ان نعدها من الروايات القصصية

غير انهُ من حين ما كشف علم الفيسيولوجيا والتشريح الباتولوجي

جانباً من الستار الذي كان يختفي وراءهُ علم التيراتوجنيزيا (١) فقد اصبحت قوة تصوّر الحامل اوضح بياناً وادق تحديداً واضيق نطاقاً من ذي قبل . لاسيما وقد تقرر في عصرنا الحاضر بوجه الاجمال ان تصور الام وبمثلهِ الافكار المحدودة وسائر حركات النفس الهيامية تعجل وتؤَخر أو تكيف وظائف الاعضاء وعلى الاخص وظائف الآلة الرحمية التي هي في اثناء الحمل مركزٌ للنشاط والحمية . ومما هو معلوم ان الافكار تفعل في بنيتنا تغييراتٍ مختلفة ، فهي تنمي جملة افرازات وتحدد بعض الحركات وتولد بعض الاحساسات الأمر الذي يحصل في كل يوم معنا . لكنهُ لم يتبين حتى الآن من ان التصور في استطاعتهِ ان يتسلط على القوة الممثلة ويكيف الجنين بالاشكال الغريبة التي تتخيلها الحامل . ومما لا يقبل انكاراً ان تصوراً مختلاً وفكراً محدوداً وشعوراً محزناً اذا تسلط على بنية المرأة الحامل قد يجوز ان يكيف شكل الجنين . غير انهُ يجب لذلك ان يستمر الفكر والتصور مدةً طويلة ويحدث زعزعةً عميقة في اعضاء الام . ويقتضي ما عدا ذلك ان يكون الجنين سهل التكيّف بكيفيةٍ متناهية واحوال خصوصية . ذلك لان التصوير الجنيني يحتمل عادةً مفعول التصور ولا يتأثر بهِ الاَّ في ظروفٍ نادرة وحالاتٍ شاذّة ، فكم بالاحرى اذا صار جنيناً . غير انهُ متى زعزع التصور تركيب البنية وأثر في الجهاز الرحمي فالرحم يمثل دورهُ اذ ذاك مباشرةً ويجعلهُ يتحمل التغييرات التي اصبح مركزاً لها

---

(١) علم تكوين شواذ الخلق

امَّا الاسباب التي تضر بالجنين فيجب علينا ان نعد منها اولاً الضغط الدائم الذي تضغط بهِ بعض الملابس على معدة الحامل ، والتي تضايق نموّ أي طرفٍ كان من اطراف الجنين — وكذلك الضرب على المعدة ، لانهُ فضلاً عن المآء الرهلي الذي يحويهِ الغشآء الامنيوسي قد يجوز ان يجرح الضرب الجنين من الجهة المقابلة له — وبالمثل سقطات الام التي تضر دائماً ضرراً بليغاً بثمرها

امَّا المخاوف الفجائية والانفعالات الشديدة والتشنجات وهلمَّ جرًّا ..... فهي اسبابٌ فعاَّلة قد تحدث توقفاً في نموّ الجنين وبقعاً مختلفة اللون وغدداً وتشوهاتٍ وكسوراً .... بدون ان يحتاج الأمر لتوسيط ماتدعوهُ العامَّة بالوحمات

وكذلك بقع الاديم والانسجة الناتئة المخالفة للمألوف ، والغدد ذات العنق أو ذات القاعدة العريضة التي بالنظر الى شكلها ولونها قد شبهوها بأثمارٍ وخضرٍ مختلفة . وهي نظير الكرز والفرصاد (فراولة) وعنب الثعلب (كشمش) والمشمش والبرقوق (قراصية) والتين واللوبيآء والفطر وهلمَّ جرًّا ..... أو التي شبهوها بالدود والعناكب والسرطانات والاسماك .... أو بفنطيسة الخنزير وفم الارنب وزغب القط والثور. أو ان تكون بعض الاعضآء مقطوعة . الى غير ذلك من التشوهات المتعددة التي تنسبها العامّة الى وحمات الام وما هي بالحقيقة الاَّ نتائج مرضية ناشئة عن ادوآءٍ داخلية أو نكباتٍ مختلفة عاكست العمل الرحمي

واذا اكتسب اديم الجنين لداعي صدمةٍ أو حركةٍ غير منتظرة

في بقعةٍ منهُ نموًّا في حجمهِ وتضخم على شكل ثمرةٍ حمرآء اللون لداعي احتقان الدم فيها فيكفي ذلك لان تشبهها العامة بكمثراةٍ أو تينة أو فرصادة .... واذا اكتسب الزغب تغذيةً زائدة ونما الشعر وتضاعف ، فالنسآء الجاهلات يلاحظن في ذلك اديم دب أو بعض شبهٍ بحيوان آخر

وما خلا هذا ان جميع الشوائب والتشوهات تتولد فعلاً امَّا عن تهيج مركزي أو سيلان اخلاطٍ غزيرة جدًّا ، وامَّا عن افراطٍ حيوي أو ضعف احد الانسجة .... فبقعة الخمر مثلاً هي نتيجةٌ مرضية لتهيج أو رشح دموي في نقطةٍ من نقط الرحم . وانهُ بانتشارها في نقطة الجنين المقابلة لها تحدث فيها تمدداً في الشبكة الشريانية أو الوريدية . وتنشأ بقع القهوة أو الشكولاتا عن فسادٍ في الخضاب الاديمي المسمى بيغمانتوم (١) وسببهُ فساد مرضي ايضاً . وكذلك ينمي التهيج الموضعي الاورام الليفية والغدد ذات الاشكال المختلفة التي يجيء بها الطفل . وهذا هو الشرح الفيسيولوجي الاوفق الذي يمكن تعليلهُ وبيانهُ فيما يختص بالوحمات

ومما ذكرهُ ڤينيت من هذا القبيل قولهُ : لم يستطع احدٌ الى تاريخهِ ان ينقض ما للتصور من التأثير على الحمل حتى ان الحيوانات التي تصورها هكذا ضئيل يفعل على قلة مفعولهِ في نسلها . بحيث انهُ لو لفوا عنق الطاووسة الحاضنة بمنديلٍ ابيض أو دهنوا بجملة الوان بيض دجاجةٍ حاضنة ، فيأتي جميع فراخ الطاووسة بيض اللون وفراريج الدجاجة مرقشة . ولمَّا كان تصور المرأة اشدّ جدًّا من تصور الحيوانات فهي

---

(١) هي المادة التى منها يكتسب اديم البشرة لونه

توصّل تصورها الى نسلها . حتى انها لو فكرت بمحبوبها أو بخالها أو بجدها بشدةٍ عند حصول التلقيح ، فالمولود الذي تلده ُ يأتي مشابهاً لاحد هؤلآء الاشخاص . ومما زاد عليهِ بقوله : انهُ كم من الفراريج المرقشة تنقف كل يوم في افران مصر ولم تكن بيوضها مدهونـة من قبل فلا بدَّ من ان تصور الدجاجات هو سبب اختلاف الوان ريش فراريجها

ولا احدٌ يجهل القصة الواردة في سفر التكوين (ص ٣٠) وهي ان يعقوب اخذ قضباناً خضراً من لبني ولوز ودلب وقشر فيهـا خطوطاً بيضاً كاشطاً عن البياض الذي على القضبان ، واوقف القضبان التي قشرها في الاجران في مساقي المآء ، حيث كانت الغنم تجيء لتشرب تجاه الغنم لتتوحم عند مجيئها للشرب . فتوحمت الغنم عند القضبان وولدت الغنم مخططاتٍ ورقطاً و بلقآء ....

يزعم العلامة بارداخ بان بين اعضآء الام واعضآء حملهـا المقابلة لها شركة هكذا متفقة حتى انهُ متى شعرت اعضآء الام بثلمةٍ أو اذى فيجوز ان تتحمل اعضآء الحمـل تغييراً مشابهاً في ذات الشكل والتركيب . وقد اورد جملة شواهد على ذلك مؤيداً بها زعمـهُ ومن جملتها ما يأتي

اصيبت بقرةٌ بضربة دبوسٍ (١) في جبهتها فولدت عجلاً في جبهتهِ ذات الشائبة — واصيبت اربيةٌ (٢) بطلقٍ ناري في جهة رأسها اليمنى فجآء ظبيها وفيهِ ذات العلامة في الجهة عينها — انهرس ذنب

(١) هراوة على شاكلة الدبوس (٢) من انواع الغزال

هرّة في اوايل مدة نتاجها فولدت خمسة صغار اربعة منها مهروسة الذنب — عض كلبٌ امرأةً من اعضآئها التناسلية فولدت ابناً في حشفته علامة عضة — ولما كانت اخت برداخ الفيسيولوجي حاملة هالها جداً حريق عمارةٍ كبيرة وكان يخال لها متواصلاً انها تنظر لهيباً امام عينيها . ثمَّ ان المولود الذي ولدتهُ فضلاً عن كون تركيبهِ جيداً فقد جآء مع ذلك مدموغاً في جبهتهِ ببقعةٍ اشبه باللهيب

تبرهن امثال هذه الحوادث على ان بين الام وجنينها علائق باطنة وان جميع الادوآء التي تصيبها يبتلى بها الجنين في الغالب . غير انهُ لا يحتمل ان امرأةً اذا اشتهت في مدة حملها أكل رأس عجل فمن الضرورة ان تلد مولوداً لهُ اذان و بوز العجل . أو ان التي تشاهد رجلاً كسيحاً يجب ان تضع مولوداً اشل أو اعرج . أو اللواتي فزعن من وعل أو بقرة وحشية يجب ان يضعن اولاداً يشبهون هذه الحيوانات

فلو كان الأمر كذلك وفعل وحم النسآء الحوامل في مواليدهنَّ هذا الاختباط الذي يتغلب على الاشكال التي قررتها الطبيعة . فماذا يا ترى يحصل في الجنس البشري ؟ لا شك بانهُ لا تمضي بضعة اجيالٍ حتى لم يعد احدٌ يُشاهد الاَّ مناظراً قبيحة ومضحكة واشكالاً غريبة ومشوهة . ذلك لانهُ قلَّ من النسآء الحوامل اللواتي لا يصادفن مخاوف وشهوات . وندر من لا يوجهنَّ فكرهنَّ الى شيءٍ من الاشيآء . واذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يشوه جميع النسآء اللواتي يشتهين مدة الحمل اجسام ابنآئهنَّ ؟ وفي التالي اذا كان

تصور الام هذه المقدرة العظيمة فتعود مسألة الاذكار والإيناث أو التحكم في جنس المولود سهلة الحل جدًّا . ولم يعد يلزم لذلك سوى أن تشتهي الحامل بحرقة ابناً أو بنتاً لتحصل على مرغوبها . مع اننا لم نشاهد حصول شيء من هذا القبيل

يُستنتج من كل ما تقدم ان اختباط التصور وتعيين الفكر في شيء ما والمحركات الفعالة والاضطرابات والمخاوف الفجائية وجميع العواطف المحزنة والشديدة والتهيج العصبي والافراط بالمأكولات وسوء السلوك والافراط بالعمل أو الراحة والهوآء المفسود والضرب والسقطة ..... وجميع الاسباب التي هي مخالفة لقانون الصحة . وكذلك الحالة المرضية التي قد يجوز ان تكون الحامل فيها . فهذه جميعها تسبب شوائب البنية أو الادوآء التي يصاب بها الجنين في احشاء امه والتي يصحبها معهُ عند مولده . وقد اشار بلوندل الى ذلك بقوله : انهُ ليس في امكاننا ان نشك بعدم تعرض الجنين الى التأثيرات المرضية التي تتسلط على الوالدة . أليس من الغرابة وعدم الامكان ان جسماً هكذا غضٌ نظير جسم الجنين ومستعدٌ لقبول اقل تأثير يصادفه . يأتي الى هذا العالم بدون ان يجلب معهُ المفاعيل الرديئة لعدد كبير من الانحرافات او الادوآء او الاهوآء التي اصابت الام في مدة حملها

الفصل التاسع والعشرون

﴿ في شهوات الحوامل وهل يجب قضآؤها ؟ ﴾

يتهيج الجهاز العصبي احيانـاً في مدة الحمل وتشترك المسالك الهضمية معهُ بهذا التهيج فتتولد من جرآئهِ في المرأة اغرب الاميال والشهوات . بحيث تُشاهد نسآء تقضم فحماً وطباشيراً وجبساً ..... وغيرهنَّ يبدين شراهةً فائقة للحوامض والاثمار الفجة والمأكولات العفنة والنتنة . حتى قد يجوز احياناً أن تبلغ الشهوات درجةً يخشى معها من التعته العقلي . واننا موردون هنا بعض نماذج من هذه الاذواق الغير المألوفة التي تبتدي دائماً باضطرابٍ عصبي

اصبح من قبيل المثل الدارج عند بعض طبقات الهيأة الاجتماعية انهُ من الواجب ان تُقضى شهوات الحوامل خوفاً من ان تصورهنَّ المتواصل لهذه الشهوات يبصم طابعها في اديم المواليد . حتى ان عدداً ليس بقليل من الازواج المساكين يتضايقون وينفقون ما يحتاجون اليهِ ليشتروا بهِ مأكولاتٍ واثمارًا في غير اوانها باثمانٍ غالية .

وكثيرون سواهم يتلفون مالهم في مشترى حليّ ومجوهرات تكميلاً لرغبات نسآئهم . وذلك لينجو المولود العتيد من التشوهات الرديئة التي تطبعها في جسمهِ شهوات الام . فاذا علم الازواج الطوّع بان هذه المخاوف ما هي الاَّ وهمية لا اساس لها لاقنعوا نسآءهم بتعديل شهواتهنَّ وتناسيها ، متى كان قضآؤها عسرًا وكثير الكلفة . امَّا اذا كان الشيء المرغوب لا يضر بصحة الام ولا بثمرها ولا يتأذى منهُ الزوج أو سواهُ فلا مانع من اجابة مطلبها وقضآء مرغوبها . وبعكسهِ يخطىء الزوج لو كمل لها رغبةً توجب عليهِ الملامة وتسبب لهُ الندم فيما بعد

يدعي بعض النسآء بانهنَّ مدفوعاتٌ من جرآء حملهنَّ الى السرقة . ويزعم غيرهنَّ بانهنَّ محمولات على القتال والخصام وسواهنَّ على الشره واولئك على السكر .... وقد شاهد بورلي حوامل تلتذ بشرب مآء نتن يسيل من مزبلةٍ ويبللن خبزهنَّ في دمٍ مفسود ويأكلن لحماً نتناً وجبناً مفسودًا حتى وبرازًا — واورد فورستيه انهُ شاهد كثيرًا من الحوامل يفترسن سمكاً وسراطين حية . وان حاملاً وقع نظرها في المطبخ على ارنبةٍ مقطعة اربع قطع لطبخها فما كان منها الاَّ انها مدت اليها يدها وابتلعت القطعة بعد الاخرى والدم ينقط منها . وذكر ايضاً عن حاملٍ أخرى ما وقع نظرها على جلد خروف بعد سلخهِ حتى أخذت تقطعهُ سلخاً سلخاً وتبتلعها بوبرها وا كملت ابتلاعهُ في يومٍ واحد ؟ لكنهُ لم يذكر لنا اذا كان قد اصابتها

تخمة او عسر هضم بسببه .... هذا ما خلا الاوحام العديدة المتنوعة التي هي اقل او اكثر غرابة وكراهة والتي يجب على الزوج بما لهُ من السلطة ان يقاومها اذا لم تفد في ذلك نصائحهُ وارشاداته . امَّا بالنظر الى الوحام الذي يعكر الراحة العمومية فمن الواجب زجرهِ حالاً وتقييد حرية بعض النسآء المختلات الشعور وهنَّ لحسن الحظ من النوادر . اولئك اللواتي يأتين في اثنـآء وحامهنَّ افعالاً بربرية وقساوة فظيعة

علم اكثر اهل باريس بقصة تلك المرأة التي لم يكن لها اكبر لذة في مدة حملها سوى ان تجلب الاولاد الصغار الى قبوهـا لتنخز اوردتهم وتمتص منها الدم — وتلك التي ذكر عنها غولار انها اشمئزت من جميع انواع المأكولات في الشهر الخامس من حملهـا واشتهت فجأةً على اكل اللحم البشري . وقد اشتدت فيها هذه الشهوة حتى انها اغتنمت مدة رقاد زوجها فذبحته . وبعد ان اكلت قسماً من جثتهِ في بضعة ايام ملحت الباقي وحفظتهُ باعتنآء . ولمَّا تبدد عنها هذا الوحام الفظيع ندمت على ما جرى منها وذهبت معترفة بجريمتها ؟

فامثال هؤلآء النسآء الغبيات يجب الحجر عليهنَّ ومراقبتهنَّ باحتراس في اثنآء حملهنَّ حذراً من النتائج الرديئة التي قد يمكن ان تنشأ عن وحامهنَّ الجنوني

غير انهُ لحسن الحظ وراحة العموم ان امثال هذه الحوادث هي نادرة وان وحام النسآء ينحصر على التقريب دائماً في بعض مأكولات

او اثمار او ازهار .... من السهل جلبها لهنَّ . الاَّ انهُ ما خلا هذه الشهوات الطبيعية يشاهد خلافها فريدةً في نوعها ومضحكة للغاية حتى يقف الازواج متحيرين في قضآئها او رفضها . مثال ذلك ان تشتهي الحامل اشتهآءً شديداً ان تقبل زوجها من قذالهِ او كعب رجلهِ عوضاً من ان تقبلهُ من وجناته . واني اعرف زوجةً متنورة من الخاصة في مدينة حلب كانت في كل مدة وحامها تلتذ عند النوم من وضع جوارب زوجها المتسخة على الوسادة بجانب رأسها . فهذا وان يكن امراً غريباً مع ذلك لا ينشأ عنهُ ضررٌ واذا وحمت ان تضربهُ أو ترمي رأسهُ بحجر أيجب ان يسمح لها بذلك او يتجاوز عنه . فهذا سؤَال يتطلب تفكراً . واننا نورد من هذا القبيل الشاهدين التاليين وهما من جملة النوادر الطبية

كان العالم كاميراريوس يردد في غالب الاحيان بقولهِ ان الحمل يسبب للنسآء في بعض الاوقات اموراً فريدة في بابها وانهُ من الرأي ان لا نعارضهنَّ كثيراً فيما يرغبن فيهِ من هذا القبيل . وقد ذكر عن زوجتهِ انها عادت في بعض الايام من السوق ومعها سلةٌ مملوءَة بيضاً . وقد دخلت في الغرفة التي كانت تقضي اعمالها فيها وانخرطت في البكآء واذ خفَّ ليسألها عن سبب بكآئها أجابتهُ بعد هنيهةٍ بان من بضعة ايامٍ تتنازعها شهوةٌ متواصلة وهي ان تفقي بيضاً على وجهه . ولمَّا كان كاميراريوس شغفاً بحب زوجتهِ فانهُ تناول جملة فوط بكل سكينةٍ وغلف بها رأسه . واذ ذاك عدت الزوجة نفسها سعيدة لانهُ قد استجاب

طلبها . بحيث طفقت ترشق وجههُ بالبيضة بعد الاخرى الى ان افرغت كل ما كان في السلة من البيض . وقد تلوث زوجها بالبيض من رأسهِ حتى قدميه . وذهب بعدئذ يغتسل وشفيت امرأتهُ من هذا الوحام الذي كان ملازماً لها وعلى اثرهِ زاد تعلقها بزوجها

امَّا الشاهد الثاني فلا يقل عن الاول غرابة وهو هذا

تزوجت فتاةٌ من اسرةٍ كريمة بقاضٍ شاب متخلقاً بالاخلاق النبيلة التي يعزنظيرها . وحينما اصبحت حاملاً كان يلاحظها ويعتني بها اشد العناية ويقضي لها ما تتطلبهُ وتشتهيهِ باسرع ما يمكن . فضلاً عن انها كانت ربة منزلها المطلقة التصرف فيهِ ولم يكن احدٌ يخالف لها أمراً . حتى ان زوجها كان طائعاً لها طاعة العبد لسيده . وانهُ فضلاً عن هذه السعادة والهناء اللذين كانت متمتعةً بهما فقد اصبحت فجأةً حزينة مقطبة الوجه وعبوسة . وكان زوجها السيء البخت يضاعف اعتناءهُ بها ويبالغ في التقرب منها ويركع امامها ضارعاً اليها لتبوح لهُ بما يضيرها ويحزنها . حتى اعلمتهُ اخيرًا بانها تتوحم كسائر الحوامل، ولكن وحامها شديدٌ وخارق العادة وهي تفضل الموت على ان تبوح لهُ به . وبعد ان امضى جملة ايامٍ متوسلاً اليها لتطلعهُ على ما تشتهيه . فقد اعلمتهُ اخيرًا بانها تتوحم ان يضربوها ؟ ..... وليس باليد او بالرجل بل بالسوط . اي ان يجلدوها بعنفٍ ليزول عنها هذا الوحام الغريب . امَّا الزوج فقد دهش عند سماعهِ ذلك من زوجتهِ وظنَّ بانها مصابة بمسٍ من الجنون . ولمّا رأت الزوجة انهُ لم يجب طلبها انطرحت في

الفراش ولاح عليها كأنها مبتلاةٌ بمرض خطر . وقد احضروا الطبيب لعيادتها فلما وقف على جلية أمرها قرر لها ان تجلد بالسوط وهو الدوآء الوحيد لشفآء مرضها هذا العقلي . غير انهُ اوصاهم بان لا يضربوها الاَّ على ردفيها لان الضرب على خلاف جهةٍ لا يخلو من خطر يلحق بها وقد صمم زوجها نيتهُ على تنفيذ ما اشار بهِ الطبيب . وذلك انهُ انتهز يوماً كانت زوجتهُ فيهِ سيئة الخلق فتناول سوطهُ وجلدها جلدًا موْلماً على عجيزتها . ومن تلك الساعة طابت نفسها وشفيت من وحامها هذا الغريب

كانت امرأةٌ شابة جميلة الطلعة تسير بمعية زوجها وهي في الشهر الرابع لحملها ، فوقع نظرها على سمكةٍ حنكليس حية تتحرك في حوض سماك . ولمَّا كان زوجها يعلم بوحامها فقد رغب في شرآئها لها . غير انها اجابتهُ بكونها لا تشتهيها مطلقاً . ولمَّا عادت الى منزلها ما عتمت حتى خرجت منهُ في الحال واسرعت بدون ان تعلم زوجها واشترت السمكة وافترستها حيةً . وقد سألها زوجها عند عودتها اذا كانت قد اشترت سمكة الحنكليس التي رأتها فردت عليهِ باعلى صوتها بالانكار وهي تتأفف . وقد احمر وجهها بدون ان تدري بان شفتيها ما زالتا ملوثتين بالدم تنمان على كذبها . ثمَّ انهُ بعد مضي بضعة ايام على ذلك فاجأها زوجها وهي تبتلع فروخ سمك البسارية وهي نيئة بدون ان تخشى من ان يؤذيها شوكها

اورد موْلف مشاهد العصر الغابر رسالةً في الوحام نقتطف منها ما يلي

كتب شخصٌ الى صديقٍ لهُ هذه الرسالة ، وهي ان زوجتهُ في كل حمل ينتابها وحامٌ من اغرب ما يمكن ولسوء الحظ انهُ مجاب الفاقة . فتارةً تتطلب مني زوج خيلٍ وعربةً من ابدع العربات ، وطوراً اواني خزفية من صنع اليابان واحياناً تجديد جميع اثاث بيتها . ولمَّا كان وحامها هذا متكرراً فلم تعد ثروتي كافية لقضآء شهواتها . لكنهُ لحسن الحظ قد تحول وحامها في حملها الثالث الى اكل لحم الصيد . ثمَّ الى جلدٍ قديم مراكشي اكلت قسماً منه . ثمَّ في مرةٍ اخرى جثت على ركبتيها لتقتلع بسنانها اذني خنوصٍ مضموم في سيخ وهو يدور على النار . امّا انا فقد كنت اقضي لها جميع ما يشتهيهِ ميلها ولم اكن اتململ عند ما تتوحم اثماراً في غير اوانها . بل ان الذي كان يحزنني هو انها كانت تحم جبساً ، زاعمة بانهُ سيكون اديم ولدها اشد بياضاً . وكانت تطلب مني ان أكل معها ، الأمر الذي لم يكن في امكاني ان اجيبها على طلبها . غير انهُ لمَّا كانت عائدةً امس من النزهة في العرآء شاهدت جملة غربان تأكل من جيفة مطروحةٍ هنالك . وقد اشتد فيها الميل لنيل حصةٍ منها بدون ان تستطيع مقاومة هذا الميل . وأمرت الحوذي بان يوقف الخيل وطلبت منهُ بالحاح ان يذهب ويقطع لها قطعةً من الجيفة . فامتثل الحوذي أمرها مرضاةً لها . ولمَّا بلغت المنزل وقعت على القطعة تأكلها بتلهفٍ وهي تلتهمها التهاماً وكان مشهدها من اشنع المشاهد

امَّا انا فلست اعلم الى اي شيء ينتهي وحامها ، واني اخشى من

ان تحم اشيآء غالية او مرذولة لاطاقة لي عليها . فاذا كنت تعلم ياصديقي بوسيلةٍ لشفاء اوحام الحوامل التي هي ضربٌ من الجنون فاسرع بافادتي عنها . واني أؤكد لك ايها العزيز انهُ اذا قُضي عليَّ ان اتزوج ثانيةً فاني سأضيف شرطاً على عقد الزواج وهو ان يكون والد الفتاة متكفلاً بوحام ابنته

مما يتلاحظ عرضاً ان نسآءً كثيرات لا يشعرن بالوحام الاَّ لانهنَّ مقتنعاتٌ بان الحامل يجب عليها ان تتوحم ولا بدَّ لهـا منهُ في بدء حملها . فامثال هؤلآء النسآء من المستطاع قطع دابر وحامهنَّ باقناعهنَّ بالوهم الطارئ على مخيلتهنَّ . واننا نختم تاريخ الوحام بشاهدٍ آخر فريدٍ في نوعهِ وليس لهُ شبيهٌ بين حوادث النسآء الحوامل

اغترت أمرأةٌ مشهورة من نسآء العصر برأي عجوزٍ تفتح الفال بالورق . فضلاً عما تحلت بهِ هذه السيدة من الادب والمعرفة اللذين كان يجب ان لا يدعا سبيلاً لتؤثر في مخيلتها مزاعم نسآء العامة . والى المطالع ما تنبأت لها العجوز بهِ وهو من اغرب الغرائب بقولها لها

انهُ يلزمها للحصول على حمل سعيد ووضعٍ سهل ان تأكل في كل يوم ذنب جرذ مكبوساً في الخل ومتبلاً بالبهار وان يقدموهُ لها في كل صباحٍ فتقضمهُ نيّاً بعد رشهِ بالزيت والخل نظير ما تقضم الخرشوف والفجل

ولقد استطاعت هذه الزوجة الفتاة الحصول على هذا الفطور مدة شهرٍ من الزمن بدون ان تلاقي تعباً . الاَّ انهُ اعوزتها في التالي اذناب الجرذان ! . . . . فتكدرت اشد الكدر من هذه الازمة ورغبت في

مشترى الاذناب ولو أخذت ثقلها بثقل الذهب . امّا الشخص الذي كان يقدم لها الاذناب فقد دفعهُ حب الكسب الى التفتيش على اذناب الجرذان بأي وسيلةٍ كانت وقد تعذر عليهِ الحصول عليها اخيراً فخطر لهُ انهُ من السهل خداع هذه المرأة وذلك بتقديمهِ اليها اذناب فئران كبيرة . الاَّ انهُ ما وقعت عينها عليها حتى ادركت الغش واستشاطت غضباً وطردتهُ من عندها . ذلك لان الذي يقتضي لها هو ذنب جرذٍ ذكر . ولمّا لم تستطع في ثاني يوم الحصول على مأكولها الخاص بفطورها فقد اصابتها ملنخوليا سوداء وانطرحت في الفراش ولازمتها الحمى

امّا بالنظر الى زوجها فانهُ كان يجهل كل ما تقدم ولمَّا بلغهُ ان زوجتهُ مريضة عاد في الحال الى منزلهِ لملاحظتها . واذ سألها عما يؤلمها فاردفت عليهِ بصوتٍ متقطع ان حملي سيكون تعساً ووضعي مؤلماً ايضاً . ثمَّ عادت الى هزيانها وملنخوليتها . وعلى ذلك ارسل يستدعي الطبيب لعيادتها . ولمّا عادها الطبيب لم يستطع ان يقف منها على غير الجواب الذي اجابت بهِ زوجها . الا انهُ قد توصل في التالي بحذقهِ ومهارتهِ بعد التوسل و بذل غاية الجهد الى كشف القناع عن هذا السر الخفي

امّا زوجها المسكين فانهُ فضلاً عن الغم الذي كان يشعر بهِ لداعي مرض زوجتهِ لم يستطع ان يتمالك من الضحك لمّا اسر لهُ الطبيب بواقع الأمر . و بعد ان تداولا معاً بالوسائل التي يجب اتخاذها لشفاء هذه الملنخوليا ، فقد وافق الزوج على الخطة التي رسمها لهُ الطبيب ونام في تلك الليلة مستريحاً

ولمّا جاء اليوم الثاني قدموا الى السيدة المشار اليها ذنباً بديعاً وفي اثناء ما كانت طربةً ومستعدةً لاكلهِ دخل الطبيب فجأة وصاح بصوتٍ هائل توقفي ايتها السيدة شفقةً على جنينك . فذعرت المرأة لدى سماعها هذه الكلمات ورمت الذنب من يدها . واذ ذاك اردف الطبيب عليها بقولهِ

— اسرّيت ايتها السيدة بقولك لي انك قد أكلت ثلاثين ذنباً مثل هذا الذنب . فهذا افراطٌ منك ولكن مع ذلك لا خوف عليك منها . امّا الضرر ففي الذنب الحادي والثلاثين ... طالعي ايتها السيدة قانون العلاجات تجدي انك اذا أكلت الحادي والثلاثين فتميتين جنينك

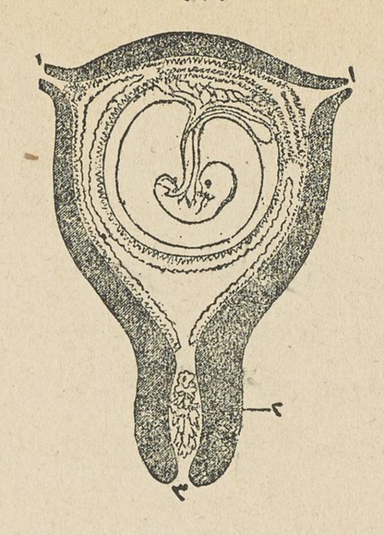
ولمّا سمعت هذه الزوجة ذلك من الطبيب صرخت صراخ الخوف ورمت عنها بعيداً الذنب والصحن الخزفي المذهب الذي كان يحويه. فوقع على العتب وانكسر وتطايرت شظاياه . ومن ذلك الحين انقطع منها وحم الاذناب . لكنهُ حلت مانيا اخرى محلهُ ليست باقل غرابة منهُ وما زالت ملازمةً لها . وهي انهُ كل مرةٍ رأت هذه المرأة شيئاً يذكرها بذلك الذنب كانت تغرب في الضحك وتشعر بالألم

على اننا لم نقصد من ايراد هذا الشاهد الواقعي وامثالهِ تفكهة القرآء بل انما غايتنا من ذلك تفهيم من يهمهم الأمر الكيفية التي بها يتصرفون مع زوجاتهم في اثناء الحمل والوحام

الفصل الثلاثون

﴿ في الحمل — والاجهاض — والوضع ﴾

كلما تقدمت المرأة في حملها كلما اصبحت اكثر تأثراً واقتضى ان يشملها زوجها والاشخاص المقيمة معهم بافضل العناية والملاطفة . ذلك لان الحامل تتأثر لاقل أمرٍ وتهتز وتحزن لادنى معاكسةٍ تصيبها . ومما يعجب لهُ المرء ما كان يبذلهُ اولئك الحكمآء الاقدمون من الجهد ليكملوا رغائب نسآئهم الحوامل و يشملوهنَّ بانواع المسرات والملاهي اللطيفة التي كانوا يشاركونهنَّ بها ، ليجلبوا لهنَّ فرح القلب وصفآء النفس . وهي امثولةٌ حكيمة فيما يختص بالحب الزوجي يجب على رجال هذا العصر أن يقتدوا بها و ينسجوا على منوالها . لا سيما وان القسم الاكبر منهم لا يبالون اذا خلفوا نسلاً هزيلاً ومشوهاً بل نجدهم يهتمون اشد الاهتمام في تحسين انواع خيلهم وكلابهم . والظاهر انهُ لم يحن الوقت بعد لشمول الجنس البشري بالعناية والتيقظ اللذين يخصون بهما انواع الحيوان والنبات عند ما يبغون الحصول على النتاج والثمر والغلة الجيدة



الرسم ٢٧

ابتدآء نموّ الجنين في الرحم

(١) اتصال البوق والمبيض بالرحم (٢) عنق الرحم (٣) المهبل

ألمعنا فيما سبق الى ان المرأة تتطلب من الشهر الخامس الى التاسع من حملها غذآءً وافراً ومغذياً لتمد الجنين بما ينفقهُ من العصارات المغذية الوافرة . لا سيما وان بعض النسآء يشعرن دائماً بالجوع حتى ساعة النوم . فيجب على هؤلآء النسآء ان يخترن المأكولات الجيدة ويزدن عدد الوجبات كي لا يحمّلن معدتهنَّ مأكولاً وافراً يسبب لهنَّ هضماً ثقيلاً وعسراً

ولا بدَّ لنا من الاشارة الى ما يحدث في بعض النسآء في اثنآء حملهنَّ اذ يهزل بعضهنَّ شيئاً فشيئاً ويستحكم فيهنَّ الضعف ومتى

مضين مدة الحمل يخلفن اولاداً سماناً واصحآء . ويسمن البعض منهنَّ بعكس ذلك ويكنَّ ممتلئات صحةً ونشاطاً وانهُ فضلاً عن ذلك يضعن اطفالاً صغاراً ونحافاً الذين لا يعيشون احياناً وهو الأمر الذي ربما استغرب بهُ المرء والذي يفسرونهُ بالتعليل الآتي

اذا ضعفت الحامل في الحالة الاولى ولاح عليها كانها على وشك التلف فذلك لان الجنين الذي تحملهُ في احشآئها يمتلك قوةً عظيمة ماصَّة يحوّل اليهِ كميةً وافرة من العصارات المغذية التي يكتسب بها نمواً فايقاً ويحرم منها امه . حتى شوهدت نسآءٌ هزيلات في الظاهر كنَّ يضعن اطفالاً يزن الواحد منهم من عشر الى خمس عشرة ليبرة

امَّا الحامل التي تسمن في الحالة الثانية ويضعف ثمرها فيكون ذلك امَّا لداعي فرط قوتها بالمقابلة مع جنينها ، وامَّا لان جنينها لا يملك قوةً ماصّة كافية بها يكتسب الكمية الوافية من العصارات المغذية التي تحفظها الام لها

فيستدل اذاً من هاتين الحالتين على ان النسآء اللواتي يهزلن في مدة حملهنَّ الاخيرة (بدون ان يكون ضعفهنَّ ناشئاً عن علةٍ ما) فهؤلآء يرزقن اولاداً سماناً واقويآء . واللواتي يسمنَّ يخلفن عكس ذلك

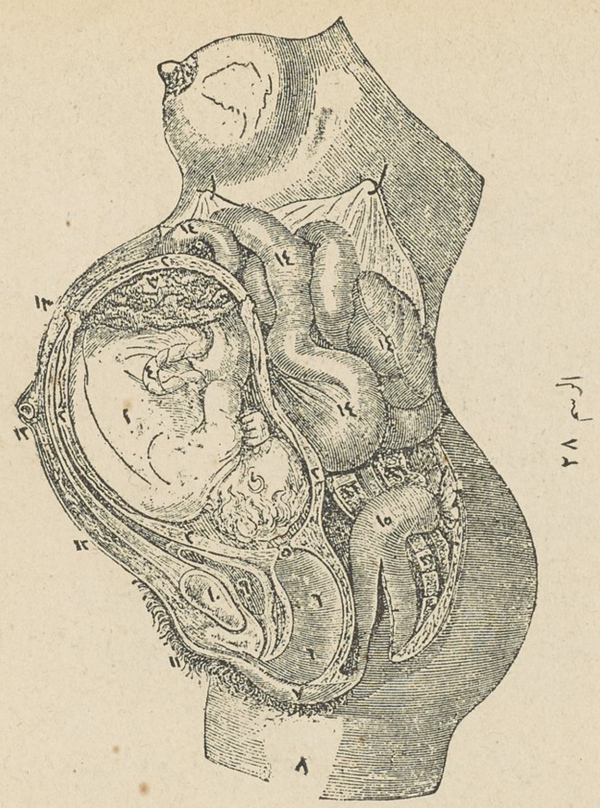
على انهُ كلما اقترب زمن الوضع كلما اقتضى للحامل ان تحسب للطوارئ حساباً وان تكون حكيمةً متيقظةً في سلوكها . ذلك لان الصدمات الخارجية او السقطات او الافراط في المأكول والمشروب

على اقله او اختلاف الطقس فجأةً . . . . تضر بالجنين ما عدا بعض الاسباب الادبية التي لا يقل ضررها بهِ عما تقدم وهي انفعالات الفرح والحزن الشديدة وخيبة بعض الآمال او تحققها والخوف والفزع الفجائيين . . . وعلى الخصوص الغضب والخجل .... بحيث ان الغضب يزيد حركة القلب التي تتصل بجميع الاعضاء . فيندفع الدم الى الرأس وتزداد ضربات النبض او تقف ، وتكثر الافرازات او تقل ، وتتقلص العضلات ، ويهتز الهيكل العظمي ، وترتجف وتقشعر البنية بجملتها . ولا بدَّ من ان يحتقن او ينقطع بعض الاوعية الدموية . وانهُ بالنظر الى كيفية هذا الغضب ليس من المحتمل ان لا تتعرض النساء الغضوبات لجملة احوال يكون النزيف الرحمي اشدها خطراً . فضلاً عن ان الحامل التي تجهض مرةً تصبح مجهاضاً اي تتعرض للاسقاط متوالياً

القسم الاول

﴿ في الاجهاض او الوضع قبل المدة الطبيعية ﴾

الاجهاض او الاسقاط كما هو معلوم هو اخراج الجنين قبل المدة التي حددتها الطبيعة لخروجهِ ، اي قبل ان يكون قد جاز التطور الذي يجعلهُ قابل الحياة . ويمثل ذلك الاثمار الغير الناضجة التي اذا اصابها الموت وهي على الغصن فانها تسقط لاقل هزة . وكذلك ينفصل الجنين عن الرحم بالمثل متى فقد الحياة



الرسم ٢٨

وضع الجنين المألوف في الرحم البالغ تمام حمله وكيفية مجاورة بعض الاعضاء له

١ — الجنين ٢ — جداران الرحم المتسعة اتساعاً هائلاً وعلها يشاهد تمزق الغشآء الامنيوسي الذي يغلف الطفل ٣ — المشيمة او الخلاص ٤ — الحبل السري ٥ — عنق الرحم وهو المخرج الذي يجتازه الطفل عند الوضع ٦ — المهبل الذي يخرج منه الطفل ٧ — الشفر الكبير الايمن ٨ — الفخذ الايمن ٩ — المثانة المنبسطة بضغط الطفل ١٠ — عظم العانة ١١ — العانة او جبل الزهرة ١٢ — جدار المعدة ١٣ — سرة الام ١٤ — الامعاء المدفوعة بنمو الرحم ١٥ — نهاية المستقيم او الدبر ١٦ — عظم العجز وعظم العانة اللذان يتكون منهما الممر العظمي الذي يجتازه الطفل

زعموا بان السقوط الاناث اكثر من السقوط الذكور ويفسرون ذلك امّا لان التلقيح الانثوي اضعف من الذكري وامّا لصعوبة تمييز جنس السقط في الاسابيع الاولى وهو الارجح

امّا اسباب الاجهاض فعددها وفير وتقسم الى اسباب عقلية وجسمية

في اسباب الاجهاض العقلية — لا يحتاج الأمر الى ايراد سلسلة الاسباب العقلية التي تسبب الاجهاض بل يكفي القول ان جميع الانفعالات النفسية الشديدة كالفرح او الحزن ، وادوار الحسد والغضب والمخاوف الفجائية والمفاجئات الخطيرة ، والغموم الملازمة والملنخوليا ، وبالتالي جميع الاميال والكوارث التي تغم الحياة وتضيق عليها الخناق قد يجوز ان تسبب الاجهاض . وهذا أمرٌ طبيعيٌّ اذا فكر المرء بان رحم المرأة الحامل هو الذي يتحكم في مجموع البنية ويشع في سائر اعضآء الجسم

اما اسباب الاجهاض الجسمية — فهي كثيرة واننا نقتصر على بيان الرئيسية منها

السن — ان النسآء اللواتي يحملن وهنَّ فتياتٌ جداً او كهلاتٌ يكن ذوات استعدادٍ للاجهاض . ففي الفريق الاول لم يكن الرحم قد بلغ تمام نموّه . وفي الفريق الثاني يكون قد فقد جانباً من حيويتهِ ومرونته

المزاج — تضر الامزجة المتطرفة بالحمل بحيث يكون المزاج الدموي عرضةً للاحتقانات الدموية — والعصبي الى فرط الشعور

والهيستريا — والصفراوي الى الاصابات العقلية والمالنخوليا — والليمفاوي الى الارتخاء والترهل

الملابس — اشار المولد غارديان الى ان الملابس الضيقة جداً نظير المشد وخلاف ازياء مؤذية تسبب في الغالب حملاً شاقاً ينتهي مع الأسف بالاجهاض . واذا اتم الجنين مدة الحمل فيأتي هزيلاً اومشوهاً . وكذلك توجد مشدات مخصوصة للحوامل محتوية على قضبان وشرائط مرنة تستعمل من ابتداء الشهر الرابع او عند كبر البطن وبعض الاطباء لا يسمحون بها وسواهم لا يرون ضرراً من استعمالها . ويقال بان في بعض الاحوال تلجىء الضرورة اليها

الغذاء — يضر الغذاء بالحمل اذا كان بافراطٍ متناهٍ او غير كافٍ او من صنفٍ رديٍ بحيث شوهدت سقوطٌ على أثر عسر هضم او قلة غذاء

الراحة او العمل المفرطانه — ان الجلوس الدائم او كثرة النشاط والحركة وعيش الترف والافراط بالسهر وحضور المراقص ودور التمثيل والمجتمعات والولائم تؤثر بكيفيةٍ رديئة على نموّ الجنين

الافراط بالملاذ الجنسية — قال جالينوس ان الثمر ينفصل بسهولةٍ كلّما كان انضج او اغض وعلى ذلك منعت مجامع آباء الكنيسة المباشرة الزوجية عند بداية ونهاية الحمل. وعليهِ فالافراط بالملاذ الجنسية هو خطرٌ جداً على الجنين اخصهُ في اشهر الحمل الاولى وفي مدة الشهرين

الأخيرين . اذ قد يجوز ان ينشأ عن تهيج اعضآء الحامل التناسلية نزيفٌ تتلف بهِ الالتحامات التي تلصق الجنين بالرحم . وقد يسبب التشنج الشهواني تقلصاتٍ رحمية توقف نموّ الجنين وتصيره مشوهاً . ويرتأي الاطبآء المولدون ان الفعل الجنسي المترادف في مدة الحمل وعلى الخصوص مع النسآء الشهوانيات يسبب لهنَّ الاجهاض . ويعزون غالب السقوط الوقتية الى الافراط بالمباشرة . ومما ذكرهُ مارك وخلافهُ ان من ماية مومس بالكاد تضع واحدة منهنَّ مولوداً متممامدة الحمل

الوراثة والعادة — تلاحظ للبعض ان النسآء اللواتي اجهضت امهاتهنَّ او جداتهنَّ جملة مرار يكون فيهنَّ استعدادٌ للاجهاض . وتندر النسآء اللواتي ابتدأ زواجهنَّ بسقطٍ ان لا يسقطن مرةً اخرى . والظاهر انهُ يصير في الرحم ميلٌ لتكرار ما بدأ به

الادوآء الباطنية او العمومية — جميع الامراض الخطرة التي تصيب البنية يخشى بها من وضعٍ قبل اوانه

الادواء الموضعية — جميع ادوآء الرحم كالالتهاب والنزيف والعصبي وميل عنق الرحم والسوائل البيضآء الغزيرة والاورام والرضوض وهلمَّ جراً . . . . هي اسبابٌ قد يخشى معها من وضعٍ قبل اوانه

وكذلك المشروبات المثلجة وتغطيس الرجلين في المآء البارد متى كان الجسم رطباً وتعريض الذراعين والصدر الى هوآءٍ بارد كل هذا مضرٌ بعمل الحمل . لان مفاعيل البرد او الحر الفجائيين من الجائز ان تسبب

الاجهاض . فعلى الزوجات المولعات بسهر الليل وحضور المراقص ودور التمثيل ان يلاحظن ذلك ولا يتغاضين عنه

وفي التالي نشير الى ان شوائب تركيب الحوض وضغط الملابس وتهيج المعي الغليظ وامساك المعـدة المستعصي وبذل الجهد متكرراً في التغوط ، والضربات والسقطات والرياضة العنيفة اوالراحة المطلقة والرقص والغناء وركوب الخيل والسير الطويل ، والاتعاب المفرطة ورجة عربات الركوب والصراخ والعطاس والتمطي ، وعلى العموم كل ماينشأعنهُ اهتزاز البنية هو من اسباب الاجهاض — ثمَّ يضاف الى ذلك الجلوس المتواصل وعلى الخصوص اقامة الحامل المرتبطة بمهنةٍ ما امام المـكتب او المنضدة القسم الاوفر من يومها . وبالمثل قلة تجدد هوآء المنازل في فصل الشتآء وثقل هوآء محلات الاجتماع المفسود بالابخرة المنبعثة من الاجسام ، يسبب الاجهاض لقلة ورود الاكسيجين الـكافي الى الدم . لا سيما وان الريفيات اللواتي يستنشقن الهوآء النقي ويعشن في الهوآء الطلق قلما يبتلين بادوآء الحمل

وكذلك ليس من الرأي ان يقصد الزوجان عقبى زواجهما الارتحال الذي يسبب لهما الاتعاب والاضرار ، واكثر ما تتضرر من ذلك المرأة . فكم من سقوط سببتها تلك الرحلات وكانت الباعثة على الاجهاض المتوالي . يقولون بان هذا شهر العسل ولا بدَّ من تمضيتهِ خارج الوطن . فنجيبهم على ذلك ان الزوجين العاقلين يؤملان بان تكون جميع ايامهما شهورعسل ولايقتصرهنآء زواجهما على شهرٍ واحد

كانت الكنيسة الغربية قديماً تفرض ثلاثة صيامات على كل امرأةٍ تجهض قصاصاً لها . واذ لم يكن في امكانها التمييز بين المجرمة اوسواها فهي كانت تقضي بذلك بدون استثنآء . وبمثل ذلك كانت الكنيسة اليونانية تفرض كفارةً على المرأة من هـذا القبيل . وفي زعمها بان الباري تعالى لم يسمح بفقد الجنين الاَّ قصاصاً عن بعض الخطايا التي ارتكبها الوالدان

وبناءً على ما تقدم يجب على كل امرأةٍ عاقلة ان تتجنب في مدة حملها اسباب الاجهاض التي ذكرناها وتدرك مضارهاوتشمل ذاتها بجميع التحوطات الصحية لتضمن لشخصها حملاً سليماً ووضعاً سعيداً

القسم الثاني

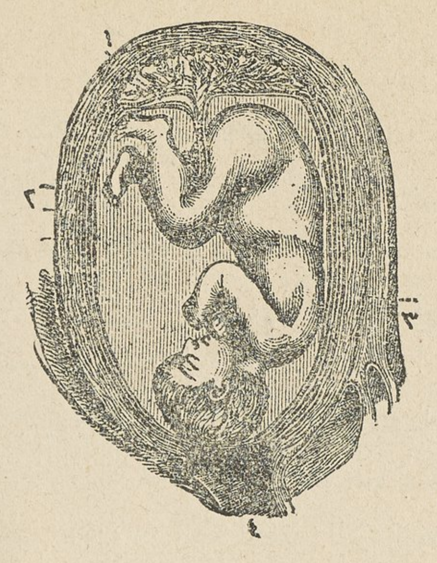
﴿ في الوضع ﴾

لا بدَّ لوظيفة الحمل من الوضع فاذا كان الوضع في المدن شاقاً ومؤلماً على الغالب فيجب توجيه الملام في ذلك الى مدنيتنا وعاداتنا . لان نسآء البادية يضعن بسهولةٍ ولايلزمهنَّ مولد . لان الطبيعة التي هي اعلم من فن الطب تنجز الوضع بآلام طلقٍ سريعة

يقسم الوضع الى وضعٍ باكر ومتأخر اي قبل اوانهِ او بعده والى وضعٍ طبيعي وهو في وقتهِ ولا نتكلم الاَّ عن هذا الاخير فقط

نرى كل مخلوقٍ مرتبطاً ومتسلسلاً في الطبيعة الحية لابدَّ من من امتثالهِ لناموس هذا الارتباط . حتى انهُ لم يعد احدٌ يشك في يومنا الحاضر بالانتقالات الوراثية . بحيث تتأثر المواليد ماقلّ او كثر من بنية والديهم . فاذا كانت الحامل ابنة والدين بنيتهما جيدة ولم يتشوه صدرها ومعدتها بضغط المشد متواصلاً . واذا سارت في مدة حملها على المبادئ الصحية المسطرة في هذا المؤلف . فنؤكد لها سلفاً ان آلام وضعها ستكون خفيفة وسريعة . وكذلك افتكارها بانها ستحيا حياةً جديدة في حياة خلفها تجعلها ان تحتمل آلام الوضع بسهولة . لا سيما وان الزوجة التي قضت مدة حملها بحكمةٍ عليها ان تقصي عن مخيلتها الفزع من آلام المخاض المبرّحة ومن الطوارئ الخطرة . فاذ ذاك تسير الطبيعة نحو غايتها بدون ان تلاقي عقباتٍ امامها . وتجازيها على احتمالها متاعب الوضع بتلك اللذة التي تشعر بها بولادة ابنها

يكمل نموّ الجنين في الرحم الى آخر الشهر التاسع ويكتسب النموّ اللازم ليعيش خارجاً عنه . ويقيم الجنين طي الرحم في الحالة المألوفة منحنياً ومربعاً على ذاتهِ الى الامام ورأسهُ هابط على صدرهِ كما يشاهد (في الرسم ٢٩) . وكانوا يظنون فيما مضى بان الجنين يستمر في شكلهِ المرسوم ولكنهُ مرتفع الرأس الى فوق وفي الشهر السابع فقط ينقلب رأسهُ الى الاسفل ويرتكز عليهِ ليتقدم الى الولادة . غير انهُ لمَّا كان رأسهُ هو الاثقل من باقي جسمهِ ثبت لهم ميلهُ الى الاسفل دائماً



الرسم ٢٩

وضع الطفل المألوف في الرحم

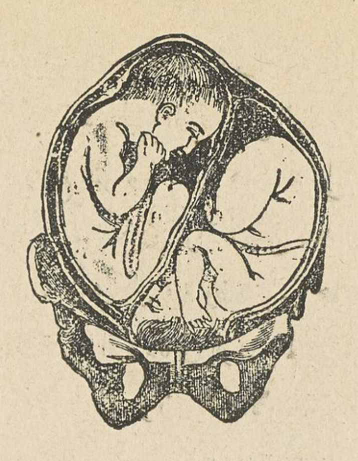
(١) المشيمة (٢) الاغشية الامنيوسية او الكيس المآئي (٣) جدار المعدة الداخلي (٤) المهبل

وقد يتفق احياناً ان يكون وضع الطفل في الرحم ومجيئهُ على غير الحالة المألوفة . اي ان يكون ظهرهُ للامام او الخلف او احد الجانبين وهلمَّ جرًّا . وكذلك مجيئهُ بمقعدتهِ اوكتفهِ او وجهه . ومما ذكرهُ بينار ولبياج ان في كل ١٠٠ ولادة منها ٩٧٫٠١ يجيءُ الطفل بقمة رأسهِ و٢٫٢ منها بمقعدتهِ و٠٫٤٧ بالكتف و٠٫٣٢ بالوجه . . . . . وفي هذه الحالات لا بدَّ من مولّدٍ حاذق ليحوّل الطفل الى وضعٍ آخر يكون

خروجهُ بهِ اسهل . ومتى تمت هذه العملية في وقتها مع الدقة والاحتراس والشروط المقتضية فالولادة سليمة العاقبة على الوالدة والمولود معاً

هذا ما خلا الوضع التوامي الذي هو بناءً على مباحث الدكتور دونكان اكثر تواتراً لمَّا تكون المرأة في سن ٢٥ الى ٢٩ وانهُ بالنظر الى احصاآت المواليد ان في كل ٨٠ وضعاً يأتي حمل توامي. وانهُ من ٣٦ الف وضع في مستشفى الولادة في باريس لم يأتِ منها سوى اربعة اوضاع مكونة من ثلاثة توائم . وان وضع الاربعة توائم هو هكذا نادرٌ حتى انهُ من ١٠٨٫٠٠٠ وضع حصلت مدة ستين سنة في مستشفى اوتيل ديه وفي مستشفى الولادة في باريس لم يأت من هذا ولا واحد وقيل بان كل ٤٠٠٫٠٠٠ وضع يأتي منها واحدٌ باربعة توائم . وقد وضعت امرأةٌ في حي المناصرة في القاهرة في ٩ سبتمبر سنة ١٩٠٨ اربعة اطفال منهم ذكر واحد وثلاث اناث . وقد اوردنا بيان هـذا هذا الوضع في كتابنا تاريخ الانسان الطبيعي في الفصل الثالث والعشرين فليراجعهُ من يبغي الاطلاع عليه . وكذلك لم يشاهد وضعٌ بخمسة توائم سوى عشرة اوضاعٍ فقط ويشكون بصحتها ايضاً

وتخيب الظنون على الغالب بمعرفة الحمل المزدوج وتستطيع الحامل بتوأمين ان يكون عندها بعض الظن بحملٍ مزدوج وذلك بالتغيرات التي تلاحظها في ذاتها وبشكل معدتها وحركات الارتكاض التي تشعر بها . لا سيما وانهُ اذا تصنط احد الاطباء المولدين على المعدة بدقة في ايام الحمل الاخيرة قد يستطيع ان يلاحظ اختلاف ضربات قلب



الرسم ٣٠

الطفلان التوأمان ووضعهما المألوف في الرحم

الجنين في جهتين متعاكستين وبذلك يتأكد جيداً الحمل التوأمي

امَّا كيفية وضع الحمل التوأمي فالاغلب ما يشاهد في (الرسم ٣٠) اي رأس من اعلى ورأس من اسفل . وكذلك يكون رأسان في جهة واحدة الى غير ذلك من الاوضاع المختلفة النادرة المثال المنصوص عنها في مؤلفات فن الولادة

وكانوا لا يعلمون بالكيفية التي يغتذي بها الجنين في الرحم وكم من نظريات ارتآوها من هذا القبيل . منها انهُ يتشرب من اديمهِ الماء الذي يحيط بهِ نظير ما نحن نستنشق الهوآء -- وغاية ما علم بالحقيقة ان غذاءَهُ متوقف على الدم الذي يأتيهِ من المشيمة بواسطة الحبل السري الذي يعود منهُ بعد تغذيته . ويقررون ايضاً بان المشيمة تمثل للجنين

دور رئتي الانسان وبها ينتعش الدم من جديد ويأخذ أوكسيجينهُ باتصالهِ بدم الام الذي يأتيه بخصائص حيوية جديدة (انظر الرسم ٣١)



الرسم ٣١

كيفية غذآء الجنين

(١) الوريد السري (٢) أذين القلب اليمنى (٣) القناة الشريانية (٤) البطين الايمن (٥) الوريد الابهر (٦) الاوردة السرية (٨) الحبل السري (٨) المشيمة (٩) اغشية البويضة

في الوضع الطبيعي أو الوضع في اوانه

يحصل الوضع الطبيعي بعد مضي تسعة اشهرٍ كاملة على اليوم الذي تمَّ فيهِ التلقيح اي بعد مايتين وخمسة وسبعين يوماً

وتستعد الطبيعة المدهشة في جميع اعمالها مدة عشرين الى ثلاثين يوماً قبل وضع الجنين . وان اول علامات استعدادها تبسّط المعدة عقبى آخر طور من اطوار الجنين وابتلآء الحامل بقلق الفكر وانحطاط القوى والارتعاش وسيلان الفرج بالسوائل المخاطية القليلة أو الغزيرة و بالامساك أو الاسهال وعسر البول او تسلسله وثقل متعب في العجز وارتعاش في عنق الرحم ..... ونحو ايام الحمل الاخيرة تشير العلامات الاربع التالية الى ان مدة الوضع قد اقتربت فاولها الاوجاع وثانيها تمدد عنق الرحم وثالثها سيلان المهبل بمخاطٍ زلالي ممزوج بدم ورابعها انفجار الماء الامنيوسي

١ً : تنتج اوجاع الوضع عن تقلصات الرحم وتكون في الاول خفيفة وقصيرة المدة ولا تشعر بها الحامل الاَّ بين فترة واخرى . ثمَّ تشتد هذه الاوجاع وتقصر برهات الراحة وتئن الحامل وتصرخ

٢ً : ينشأ تمدد عنق الرحم الذي لا بدَّ منهُ عن تقلص الرحم واذ ذاك يحكم المولد أو المولدة بقرب مدة الوضع بناءً على حالة التمدد

٣ً : ينتج الزلال المخاطي الممزوج بدم عن الافرازات المخاطية التي يفرزها الرحم والمهبل وعن انقطاع بعض شريانات المشيمة

٤ً : يكون انقطاع غشآء المآء الامنيوسي هو آخر حادث يتقدم مجيء الجنين فاذا انقطع الغشآء عند مدخل عنق الرحم ينفلت المآء منه مندفقاً ، ويخرج الطفل بسهولة . ومتى انقطع في نقطة بعيدة عن مدخل الرحم فلا يخرج الاَّ جزءٌ من المآء ويتأخر الوضع ويتكون احياناً غشآءٌ جديد يجب على المولد ان يقطعهُ باصبعه

القسم الثالث

﴿ في اعمال التوليد الاصلح للوضع ﴾

يحصل وضع الجنين في الاغلب بجهد الطبيعة فقط وقد تكون الولادة شاقة وذات عوائق واذ ذاك يستطيع فن الولادة توقيها والاستظهار عليها . سيما وان المولد البارع يقصر اوجاع المرأة الماخض ويسهل عليها الولادة

واننا نبسط للمطالع سير عمل الولادة متتابعاً ونبين لهُ وجيزاً الوسائط التي اقرها الاختبار بكونها الاصلح لها

في المدة الاولى — تشعر المرأة بقلق وغثيان وضعف ، وتتنفس بجهدٍ وتشعر باوجاع الكليتين وتقاصٍ رحمي ويبتدي عنق الرحم بالانتفاخ

وتلازم الحامل لدى ظهور هذه الاعراض غرفتها وتقيم في

الفراش الذي ستضع فيهِ وذلك بان تحل جميع احزمة وازرار وعرى ملابسها لان اقل ضغط يضرها جداً . ويجب ان لا تتجاوز حرارة الغرفة عشرين درجة ولا تقل عن عشر درجات . واذا كانت الحامل لم تذهب من مدة طويلة الى المستراح فيجب ان تنحقن لتفريغ المعي الغليظ

في المدة الثانية — تتضاعف اوجاع الماخض وقد تمدد عنق الرحم وتصدر الغشآء الامنيوسي عند مدخلهِ وهو يضغط بثقلهِ على المثانة ويجعل الماخض تشعر بضرورة البول متوالياً

وقد يتفق ان لا يتمدد عنق الرحم تمدداً كافياً في النسآء البكريات اللواتي قد ناهزن سن الخامسة والثلاثين الى الاربعين وانهُ فضلاً عن الاوجاع المتوالية يستمر صلباً . فتقتضي اذ ذاك فصادة في الكتف وحمام مجلسي ملين ينشأ عنهما التمدد الضروري لمرور الجنين

ومتى فترت الاوجاع واستمر التمدد ناقصاً فيقتضي لذلك وسائل اخرى . وقد اشاروا بالحقن المهيجة والمقيئات والمعطسات ..... وقد افادت هذه الوسائل في بعض الاحيان الاَّ انها على الغالب خطرة يقتضي ان لا ترضى بها المرأة مطلقاً . امَّا اذا كان ضعف تقلص الرحم ناشئاً عن ضعف الشخص فمرقة جيدة و بضع ملاعق مشروب مقوي ينعش القوى حالاً واذا لم تحصل بذلك فائدة محسوسة فيجب ان يجهز مسحوق الجودار (١) في كوبة مآء محلى بالسكر ويكون في

(١) Seigle ergote هو نوع من القمح

الجرعة الواحدة من ١٢ الى ١٥ سينتغراماً على اربع دفعات كل ثمان دقائق . ومن النادر ان لايتنبه تقلص الرحم من مفعول هذا المسحوق ويفضل جملة اطباء المشروب التالي على المسحوق السابق الذكر

جويدارين (١)	١	غرام
شراب زهر البردقال	٣٠	«
ماء مقطر	١٠٠	«

تؤخذ من ذلك ملعقة كل ربع ساعة

ويسبب الاضطراب الشديد والصراخ الغير معتدل اللذين يأتيهما كثيرٌ من النساء المواخض انتهاك وضعف قواهنَّ فيجب على المولد والحالة هذه ان يبذل منتهى فصاحتهِ لتخفيفها . وذلك بان يقنعهنَّ بعبارات لطيفة كون زيادة اضطرابهنَّ قد يضر بالمولود ويعرض حياتهُ للخطر . ويكفي هذا في غالب الاحيان لتشجيع الماخض على احتمال الاوجاع بصبر

في المرة الثالثة — تتوالى على الماخض الاوجاع بسرعة ويبتل المهبل بالمخاط الزلالي الممزوج بدم، ويتم تمدد عنق الرحم ويتصدر الغشاء الامنيوسي عند مدخله . واذ ذاك يتقطع التنفس وتحتد العينان والوجه ويحصل رد فعلٍ عام . بحيث يبتل الوجه بالعرق وفي وسط هذا الاضطراب يتقلص الرحم تقلصاً شديدًا يقطع عادةً الاغشية ويسيل منها الماء وتهبط المعدة ويشير كل ذلك الى انتهاء عمل المخاض

(١) Ergotine

ويتفق احياناً ان اغشية الوعاء الامنيوسي أو الرهلي تحتمل تقلصات الرحم لذلك يتأخر الوضع فيجب قطعها في الحال ولكن بكل تيقظٍ واحتراس

امَّا كيفية فتحها فمن اسهل ما يمكن اذ يكفي الضغط عليها في الغالب بالسبابة . واذا لم تنقطع بهذه الوسيلة فيستعمل لذلك ميلٌ او مقص يكون دليلهُ الاصبع لعمل خط سطحي تقتضي لهُ دقةٌ زائدة . وعلى المولد ان يلازم الحامل بعد فتحهِ الوعاء الامنيوسي وسيلان الماء منهُ لانهُ يجوزان يحصل الوضع بين برهةٍ واخرى

المدة الرابعة — يزداد الوجع ويشتد اكثر من الاول ، ويدخل رأس الجنين في مدخل الرحم وتتضاعف التقلصات ويجتاز الطفل المضيق السفلي ويرتد العصعص وينبسط العجان وينفتح المهبل قليلاً ، وينفصل الشفران الكبيران والصغيران ليتسع الفرج ، وتتمسك المرأة بفراشها وتبذل منتهى مجهودها ، ويظهر رأس الجنين على مساواة الفرج . فاذ ذاك يجب على المولد ان يسند بيدهِ العجان ليقيهِ من التمزيق وهذه النقطة في منتهى الاهمية . لانهُ اذا تمزق العجان فشفآؤهُ عسرٌ جداً ويستمر فيهِ تشوهٌ غير مقبول بعد ذلك . فعلى المولد ان يسند العجان بيدٍ ويقابل بالاخرى خروج رأس الطفل برفق . ومتى جاوز الرأس الفرج يزلق الوجه على احد فخذي الام وتتخلص الذراعان . ثمَّ يتقلص الرحم تقلصاً اخيراً وهو اشد واطول مدةً وبهِ يخرج جسم المولود باكملهِ من القناة الرحمية والمهبلية . وعند هذا التقلص الاخير تصرخ

الوالدة وهي مرتعشة صرخةً فتجيبها عليهــا صرخة استهلال المولود الجديد . . . . التي يرتعش لها جسم الوالدة بجملتهِ وبها تسكت اوجاعها وتنتسى ويسود البشر والسرور وقد صارت الزوجة اماً

تضع في بعض الاحيان الحامل وضعاً فجائياً وذلك ان تشعر بضرورة التبريز فهي لا تكاد تجلس في المستراح حتى ترى الطفل هبط دفعةً واحدة بدون ان يسبق ذلك مخاض ولا وجع ولا مقدمات الوضع وهي تلد مولوداً كاملاً صحيح الجسم والشواهد على ذلك عديدة

خرج الطفل من الاحشاء التي غذتهُ تسعة اشهر لكنهُ لم يزل مرتبطاً بالرحم بالحبل السري . واذ ذاك يقطع المولد هذا الحبل بمقصٍ على بعد بضعة سنتيمترات من السرة ويربطهُ بخيطٍ مشمع وعند الوضع تتوطد حالاً وظيفة رئتي الجنين وتبتدئ الحيـاة خارج الرحم . غير انهُ لم تنتهي الام تماماً من آلام الوضع بل عليها ان تحتمل ايضاً خلاص المشيمة وخروجها . اذ تشعر باوجاعٍ خفيفة ومعها تنفصل المشيمة من تلقاء ذاتها . واذا تأخر خروجها فيعجل المولد عليها وذلك بجذبهِ قطعة الحبل السري التي هي خارج الفرج جذباتٍ خفيفة بكل دراية ليجتنب حصول تمزيقٍ يصحبهُ نزيف او انقلاب الرحم وكلتا العلتين خطرتين جداً . ثمَّ انهُ بعد تخليص المشيمة تماماً يعمل المولد دلكاً خفيف على المعدة لمساعدة الرحم على الرجوع الى مركزهِ المألوف وفي التالي تغتسل الوالدة وتبدل ثيابها وتنتقل الى فراش آخر وتحزم معدتها برفق بفوطٍ مسخنة . وهذه التحوطات هي في غاية الاهمية لاعادة اديم المعدة

المتمدد تمدداً زائداً الى حالتهِ الاولى وازالة كل أثرٍ من أثار الوضع. وسنعود قريباً الى كيفية تحزيم الوالدة

اختص فصل الربيع واوائل الصيف بزمن الحب لجميع المخلوقات الحية. ويشعر الجنس البشري بمفعول هذه اليقظة الحبية ايضاً حتى تكون مباشراتهُ الجنسية في البلاد المعتدلة مثلاً اكثر تواتراً في اشهر ابريل ومايو ويونيو [1] من باقي اشهر السنة. فينتج عن ذلك زيادة عدد المواليد في اشهر يناير وفبراير ومارس [2] من باقي ايام السنة. والى المطالع الاحصاء الذي وضعهُ دوفيلار عن المواليد في باريس باستنادهِ على سجلات الحكومة مدة ست سنوات

ولد في يناير	٥٥ر٨٠١
« فبراير	٥١ر٩٧١
« مارس	٥٣ر٥٢٧
« ابريل	٥١ر٣١٤
« مايو	٤٩ر٨٨٥
« يونيو	٤٥ر١١٣
« يوليو	٤٦ر٩٣٤
« اغسطس	٤٩ر٨٥١
« ستمبر	٤٨ر٨٥٠
« اوكتوبر	٤٩ر١٠٣
« نوفبر	٤٦ر١٣٤
« ديسمبر	٤٤ر٩٨٠

ولمَّا كان الفصل الربيعي يبتدئ في مصر قبل ابتدآئهِ في باريس

(١) نيسان وايار وحزيران (٢) كانون الثاني وشباط واذار

لهذا نرى ان الحمل يكثر في مصر في اشهر فبراير ومارس وابريل وهي اوان الفصل الربيعي فيها . وبذلك يزداد عدد المواليد في شهر اوكتوبر ونوفمبر وديسمبر عن باقي شهور السنة . كما يتبين هذا للمطالع من الاحصاء التالي الذي استخرجناهُ من سجلات الحكومة عن مواليد مدينة القاهرة في الخمس السنوات الاخيرة وهي من سنة ١٩٠٧ حتى سنة ١٩١١

ولد في يناير	١٣٫٣٠٦
« فبراير	١١٫٣٤٨
« مارس	١٢٫٧٠٧
« ابريل	١٢٫٣٧١
« مايو	١١٫٨٢٤
« يونيو	١١٫٥٢٨
« يوليو	١٢٫٦١١
« اغسطس	١٢٫٦٢٩
« ستمبر	١٢٫٧٤٦
« اوكتوبر	١٣٫٤٩٧
« نوفمبر	١٣٫٠٩٠
« ديسمبر	١٣٫٥٩٠

الفصل الحادي والثلاثون

﴿ في صحة الوالدة والمولود ﴾

يقتضي لاعضاء الوالدة التناسلية المتهيجة من جراء التمدد والجذب الشديدين اللذين تحملتهما ان تُغسل وتُرش برفق بماء الخبازي الفاترة او بمغلي الكزبرة او بالبيدة البيضاء ثمَّ تلف بفوطٍ كثيفة تتشرب السائل النفاسي

وتلف المعدة ايضاً بفوطٍ حارّة تُشد برفق ليحصل ضغطٌ خفيف على الجهات التي مددها الحمل . ويجب تعهد هذا الرباط متوالياً وشدهُ كلّما ارتخى . لانهُ بهذه الكيفية البسيطة تتقي النساء تقطع الياف اديم معدتهنَّ وتمنع تلك التجعدات المتعددة التي تفقدها اللين والمرونة . واليك الكيفية التي يستعملها اليونان ليحولوا دون التمدد الجسيم الذي يبتلى بهِ غشاء المعدة وليعيدوا شكلها الى حالتهِ الاولى

يُذاب في مقدارٍ كافٍ من الماء البارد ٧٥ غراماً نشاءً و٢٥ غراماً دكسترينا (خلاصة النشاء) بكيفيةٍ يحصل بها مذوبٌ ضارب

الى الصفرة نظير مذوب اللبن الكثيف . ثمَّ يوضع في وعآء على نار خفيفة ليفتر ويحرك في اثنآء ذلك بشدةٍ ويضاف اليهِ ٣٠ غراماً من السمك ويُحرك من جديد الى ان يذوب فيه . ويحوّل اذ ذاك عن النار وتُغطس في هذا المجهز فوطٌ رقيقة وبها تلف معدة النفسآء وتشد

امَّا الغرفة التي تقيم فيها النفسآء ومولودها فيجب ان تكون واسعة وتهوى متوالياً وتكون درجة حرارتها معتدلة وتستمر كلة السرير مفتوحة دائماً ليجول الهوآء فيهِ مطلقاً . ويجب تجنب الضجيج وعدم ايجاد نور وهاج وان تسود النظافة التامة فيها

لا تخاص المشيمة بدون ان ينقطع بعض الاوعية الرحمية وذلك نتيجة السائل الدموي الذي يسيل من الفرج عقبى الوضع . ويستمر هذا السائل مدة يوم أو يومين وفي اليوم الثاني أو الثالث يكون مزيجاً من الدم والمصل الاشقر اللون . وفي اليوم الرابع وما يليهِ يصير السائل زلالياً ضارباً الى البياض وينقطع في اليوم العاشر الى الخامس عشر . امَّا السوائل التي تفرزها النفسآء فهي ضرورية لتطهير الرحم من الافرازات الوافرة الطافحة فيه . فاذا انقطع سائل النفاس فيجب تنبيههُ بالوسائل العلاجية ومتى كان انقطاعهُ ناشئاً عن حمى اللبن فلا داعٍ للقلق لانهُ يعود الى الظهور متى زالت الحمى . ثمَّ انهُ من الضرورة تجديد البياضات (الاثواب البيضآء) التي على النفسآء أو على فراشها كلما ابتلت بالسوائل

يأتي المولود مغشى الاديم بمادةٍ لزجة وصمغية وباقذار أخرى

التي يجب في الحال تنظيفها . ويُستعمل لذلك مح بيضة مخفوق بقليل من الزيت البارد وبهِ يطلى اديمهُ وينشف بفوطةٍ ناعمة ومتى زال هذا الدهان عنهُ يغسل الجسم جميعهُ بالمآء الفاتر وبعد تنشيفهِ جيداً يُلبَّس الطفل قميصاً من الفلانلا الخفيفة اذا كان الطقس بارداً لوقايتهِ من ملامسة الهوآء ويغطى رأسهُ بعصابة . ويجب ان ترش باعتنآء قطعة الحبل السري المربوطة بمسحوق النشآء وتغلف بنسيجٍ رقيق وتوضع على جانب المعدة . وبعد اتمام هذه التعليمات يوضع المولود بجانب والدته

زعم البعض بان الاقدمين كانوا يغطسون الطفل عند ولادتهِ في المآء البارد أو في مآء الانهر . ولا بدَّ من انهم كانوا يستعملون ذلك كبرهانٍ وليس كوسيلة صحية . بحيث انهُ اذا لاحظنا وسائل التدفئة التي تتخذها جميع الحيوانات ذوات الدم الحار لتدفئَ بها صغارها واذا تأملنا درجة الحرارة التي يكون الجنين فيها مدة الحمل . ثبت لدينا بدون ترددٍ صحة هذه الغريزة الطبيعية في الحيوانات . ولمَّا كان الجنين البشري غير مخالفٍ لها في طبيعتهِ فليس من الحكمة ان نعرضهُ الى تأثر بردٍ شديد ونحملهُ اقوى ما يحتملهُ مخلوقٌ سواه

وعلى ذلك يجب اجتناب المآء البارد وان يغسل الطفل بمآء تناسب حرارتهُ درجة حرارة الجسم . وكذلك يجب ان لا يُغسل بالعرقي او بالخمر الممزوج بالمآء لان زعمهم بان هذا يقوي الطفل هو زعم خرافي محض قد يمكن ان تكون عواقبهُ وخيمة

قد يصادف بعد وضعٍ شاقّ ان يأتي الطفل في حالة الاختناق ومظاهر الموت بادية عليه . فاول ما يجب عملهُ هو نفخ الهوآء في الرئتين وذغذغة الحنجرة وتغطيس المولود في ماءٍ حارّ. وفي التالي دلك الظهر والصدر. واذا لم تأتِ هذه الوسائل بالفائدة فيجب استدعآء الطبيب في الحال

تحتوي امعآء المولود على مادةٍ لزجة تسمى بالعقي [١] يزيلها باكورة لبن الوالدة . ومتى تأخر براز العقي زمناً طويلاً فيلعقونهُ بعض ملاعق مآء فاتر محلى بالسكر او شراب الهندبآء يضاف اليهِ قليلٌ من زيت اللوز الحلو. لا سيما وان لبن الام المصلي يكفي على التقريب دائماً لازالة العقي من الامعآء

اذن من الضرورة ان ترضع الام طفلها مدة ثلاثة الايام الاولى لتنظيف امعآئهِ اولاً ولتخفيف ثدييها ثانياً . وان السيدات اللواتي يرفضن تأدية فرض الامومة المقدس يلزمهنَّ بعد الارضاع ببضعة ايام ان يغطين ثدييهنَّ بلبخٍ ملينة ، وان تجدد جملة مرار في اليوم . ثمَّ انهم يعزون الى القصب (الغاب) خاصة تقليل اللبن ويشيرون باستعمال بعض المسهلات الملحية نظير كبريتات السودا والقلي والمانيسيا التي تزيل الامساك الشديد في بعض النسآء . ويجب بالمثل منع جميع المشروبات المهيجة وهي نظير نقيع الشيبة [٢] والبابونج والنبيذ والمشروبات الروحية . ومتى أخذ الاحتقان بالهبوط فيستعاض عن

---

(١) العقي براز الطفل المولود حديثاً (٢) الافسنتين

اللبخ الاولى بلبخ قابضة أو برفادات مغطسة في نقيع ورق لسان الحمل او الورد او بقلة الضب (١) والعوسج في كل المدة المسماة بحمى اللبن مع ملازمة الحمية التامة

قاعدة عمومية — يجب على النفسآء ان تلازم الراحة الى حين ما تعود الاعضآء التناسلية الى حالتها الطبيعية . وليس ثمة داعي لاقامتها في الفراش واضجاعها فيهِ على ظهرها وقد صار غير صحي لفرط الروائح والتصعدات التي تنبعث منها والسوائل التي تفرزها ، اخصهُ اذا كان الطقس حارًّا . ويرتأي جملة فيسيولوجيين ان الاقامة في الفراش من ستة الى ثمانية ايام تكفي لكل نفسآء متمتعة بصحة جيدة وفي اليوم التاسع يمكنها ان تقوم بدون خوف وتسير في غرفتها وتجلس على مقعد ثمَّ تعود الى فراشها متى شعرت بتعب . وتستمر على ذلك من اليوم العاشر الى الخامس عشر . ثمَّ انهُ يمكنها في اليوم السادس عشر ان تترك تماماً فراشها وتباشر اعمال بيتها متجنبة مجاري الهوآء واختلاف الطقس . وتفيدها نزهة قصيرة المدة في الحديقة في الايام التالية اذا كانت السمآء مشرقةً والهوآء معتدلاً . وبعد خمسة وعشرين الى ثلاثين يوماً تستطيع ان تعود الى سابق عيشها وتتفرغ الى اعمالها

---

(١) ماليسيا

القسم الاول

﴿ في المولود ﴾

يختلف الطفل عند مولده اختلافاً بيناً وذلك بالثقل والحجم . وكذلك يختلف طوله من ٢٠ الى ٥٠ سنتيمتراً وثقله من ٧٠٠ غرام الى ٥ كيلو غرامات . وقد عملوا احصاءً من واقع سجلات المواليد في باريس عن ٧٠٧٧ مولوداً ظهر لهم الاختلاف التالي

٣٤	مولوداً	يزن كل منهم		٧٠٠	غرام
٦٩	«	«		١	كيلو غرام
١٦٤	«	«		١٥٠٠	«
٣٩٦	«	«		٢	«
١٣١٧	«	«		٢٥٠٠	«
٢٧٠٩	«	«		٣	«
١٧٥٠	«	«		٣٥٠٠	«
٤٦٣	«	«		٤	«
٨٢	«	«		٤٥٠٠	«
٣	«	«		٥	«

فاذا تكررت امثال هذه الملحوظات في طبقات الهيأة الاجتماعية وعند امم المعمور على اختلافها فقد يمكن تعيين اختلاف الانواع البشرية والاستدلال على بعض الاسباب الباعثة على ارتقائها او انحطاطها

آخذ شوراتز يزن ابنهُ من حين مولدهِ الى بلوغهِ الشهر السادس من عمره . فتحصل من ذلك على الارقام التالية

يوم مولده		كان طوله	٤٥	سنتيمتراً	وزنه	٣	كيلوغرام
بعد	ثمانية ايام	«	٥٠	«	«	٤	«
«	ثلاث اسابيع	«	٥١	«	«	٤ر٢٥٠	«
«	اربع «	«	٥٢	«	«	٤ر٥٠٠	«
«	خمس «	«	٥٢ $\frac{١}{٣}$	«	«	٤ر٧٥٠	«
«	سبع «	«	٥٣	«	«	٥	«
«	تسع «	«	٥٣ $\frac{١}{٢}$	«	«	٥ر٤٢٥	«
«	احدى عشر اسبوعاً	«	٥٦	«	«	٥ر٦٦٠	«
«	ثلاث عشرة «	«	٥٦ $\frac{١}{٢}$	«	«	٥ر٨٨٠	«
«	خمسة اشهر «	«	٦٣	«	«	٦ر٤٥٠	«
«	ستة اشهر «	«	٧٤	«	«	٧ر٠١٥	«

ولمَّا اتمَّ الحول كان طولهُ ٨٢ سنتمترًا ووزنهُ ١٠ كيلوغرامات وهكذا على التوالي حتى بلغ على التقريب في سن الثالثة من عمرهِ ضعف طولهِ السابق . وأخذ بعد ذلك يتدرج في الطول باعتدال

ان ارضاع الام لطفلها في مدة اشهرهِ الاولى ما عدا بعض الشواذات هو الانسب له . ثمَّ يأتي بعد ذلك لبن المرضع الواضعة حديثاً . امَّا الرضاعة الصناعية فهي ناقصةٌ في حدّ ذاتها ، ذلك لان لبن البقر يحتوي على قشطةٍ ازيد من لبن المرأة وهو ثقيل جداً على معدة المولود الجديد لذلك يمزجونهُ بماء مغلي الشعير

القسم الثاني

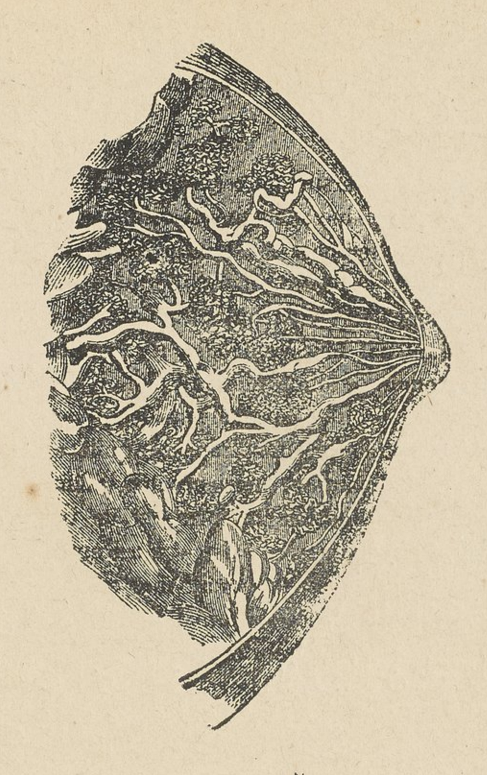
في ارضاع الام

يشترط على الام ان ترضع طفلها لتنجو من جملة انحرافات حاضرة وادوآء مستقبلة وذلك حفظاً لصحتها وغضاضة جسمها . وعليها ان تطالع بكل انتباهٍ ما نبينهُ لها ولا يشرد عن ذا كرتها

يتجهز اللبن في الحامل في مدة ادوار الحمل لتغذية المولود العتيد ويغزر افرازهُ بعد الوضع منتظراً فم الطفل ليتدفق من الثديين ويفاض فيه . فضلاً عن الافضلية المزدوجة التي تتمتع بها الوالدة بارضاعها طفلها. بحيث يفيدها اولاً لان ثدييها اصبحا مركزاً لفيضانٍ يستجلب النشاط المجتمع في الرحم مدة الحمل والوضع . وان هذا التحويل الذي جعلتهُ الطبيعة في الثديين يخلص من الرحم النشاط الزائد فيهِ ويعيدهُ في بضعة ايامٍ الى حالتهِ المألوفة . فاذا كان الطفل لم يرضع الثديين ويفرغ منهما اللبن الغزير المتدفق فيهما فيستمر التهيج بطبيعة الحال مقيماً في الاعضاء التناسلية . وعن ذلك تنشأ انحرافات الصحة والامراض والادوآء التي تبتلى بها الامهات اللواتي لا يجارين ناموس الارضاع الطبيعي . فضلاً عن ان جميع الامراض التي تنسبها العامّة الى فيضان اللبن يُعبر عنها بهذه النظرية الفيسيولوجية — امَّا الوالدات اللواتي في احد اعضآئهنَّ استعدادٌ او تغيرٌ ما فليتأكدن انهُ عما

قريب يعتل عضوهنَّ هـذا اذا كنَّ لا يرضعن — وان الذريعة الوحيدة لاتقاء العلة المحتمة هي ان تكون الام مرضعاً — امَّا الوالدات اللواتي يرفضن الارضاع وتكون جميع اعضآئهنَّ في صحةٍ تامّة فيستمر رحمهنَّ مدةً من الزمن مركزاً للنزلات . وان ادنى سببٍ قد يمكن ان يحدث التهاباً في هذا العضو و يسبب النزيف الدموي والسوائل البيضآء او الصديدية وتقرحات الرحم والفساد السرطاني . . . . غير انهُ لحسن حظ هؤلآء الامهات ان الطبيعة تستدرك ذلك وتعيـد الموازنة الى وظائف بنيتهنَّ . فهي تجلب الى الاعضآء المفرزة زيادة النشاط المقيم في الثديين . بحيث ان انتقال التهيج الى الكليتين ينشط الافراز البولي ومتى انتقل التهيج الى اوعية المسام الجلدية فيسبب اعراقاً غزيرة . واذا لم تستطع الطبيعة في بعض الاحوال المتعددة ان تحول الادوار الحيوية المقيمة في الرحم او الثديين فتبتلى الوالدة باضرارٍ رديئة . وانهُ بنآءً على هذا البيان الوجيز يسهل علينا ان نحكم بالاخطار التي تتعرض لها الواضع التي ترفض ارضاع طفلها

امَّا افضلية رضاعة الطفل من ثديي امهِ فهذه مما لا تقبل الشك ايضاً . ذلك لان الطبيعة قد خصصت لبن الام نظير الغذآء الاولي والوحيـد له . والبرهان على ذلك ان الولد يرفض احياناً كثيرة لبن مرضعٍ غريبة ولا يقبلها اخيراً الاَّ لكونهِ مدفوعاً بدافع الجوع . ومما يبرهن ايضاً على ذلك ان طفلاً يصير على قلة لبن امهِ سميناً ورخصاً مع انك لو اعطيتهُ الى مرضعٍ اغزر منها لبناً يهزل و يفقد بايامٍ قليلة



الرسم ٣٢

تركيب الثدي وفيه تشاهد الغدد المفرزة والمجاري اللبنية
التي تتصل بالحلمة

غضاضتهُ و بشاشته . ومما قالهُ فرنك ان هؤلاءِ الاطفال الذين القاهم ذووهم بين ذراعي مرضعٍ غريبة وحرموهم من عصارات امهاتهن المغذية. فانهم يقاسون ادواءً عديدة تنتهي بالموت احياناً . وانهُ يمكن تشبيههم بنباتٍ اقتلعوهُ من ارض منبتهِ وغرسوهُ في تربةٍ غريبة عنهُ فيتأصل

فيها ضعيفاً ويذبل ثمَّ ييبس ويموت اذا تغيرت عليهِ حالة طبيعته

يرفض كثيرٌ من الزوجات الفتيات المترفهات ارضاع بنيهنَّ حذراً من ان يفقدن ثبات وغضاضة ثدييهنَّ، فقل عن هؤلآء النسآء الجاهلات انهنَّ لفي ضلال مبين . ذلك لان الذي يذبل ويرخي الثديين هو امتلآء الغدد اللبنية باللبن الذي لم يجد لهُ مخرجاً طبيعياً فيجوز ان تتيبس هذه الغدد من جرآء ذلك وتصاب باعراض رديئة — وكذلك ضغط هذا الملبوس المضني المسمى بالمشد فاننا نكاف أولئك السيدات المشددات الخصور اللواتي لم يلدن البنين ولم يرضعن ان يقابلن صدورهنَّ بصدور النسآء اللواتي ارضعن جملة بنين فلا بدَّ من ان هؤلآء يفضلن على أولئك لدى المقابلة . وقد اظهر الاختبار من ثمَّ ان اثدآء المراضع تكون سليمةً من تلك التعقدات الداخلية وتلك الجلطات الغير المستوية التي يشعر بها من يلمس اثدآء النسآء اللواتي افقدن لبنهنَّ ولم يرغبن في الارضاع

نرى النواميس الطبيعية ثابتة في سيرها ومطلقة في نتائجها وان ورود اللبن الى الثديين هو نتيجة الحمل والوضع . وان الوسيلة الطبيعية لسيل اللبن المتدفق في هذين العضوين هو الارضاع . بحيث ان كل امرأةٍ تصير امّاً عليها ان ترضع مولودها متى كانت بنيتها وصحتها تسمحان لها بذلك . ولايخالف هذا الناموس الطبيعي الاَّ المتطرفات في المدنية . ومتى عمَّ امثال هذا التطرف في أمةٍ فيكون دليلاً على قرب انقراضها . وان اول اشارةٍ بدت من اشاير انحطاط الامبراطورية

الرومانية كانت بتخلي الوالدات عن ارضاع اطفالهن . حتى كان يشير غازي اقوام الغول بقوله : ألم تعد السيدات الرومانيات يلدن اولاداً ؟ اني لا ارى بين ذراعيهنّ الاّ هررةً وكلاباً وهذا القول يجوز اطلاقهُ اليوم على النسآء الباريسيات .

طلب ديموستينوس قصاص احدى نسآء اتينا لانها كانت ترضع ولدها بواسطة مرضعٍ غريبة

وفي قانون اسبارطة شريعةٌ تقضي على كل رجلٍ يمر امام والدةٍ ترضع ابنها بان يحييها ويوسع لها ممرًّا

كتب أولوجيل في مؤلفهِ المسمى بالليالي البديعة بقوله : أتتألمين أيتها السيدة من ان تكون ابنتكِ أمّاً لولدها بمعنى الكلمة ؟ اذاً ما هذا الازدرآء بالطبيعة وفقدان شعور الامومة وهو أن تضع الام مخلوقاً بريئاً في عالم الاحيآء ثمَّ تلقيهِ في الحال بعيداً عنها ؟ يجب أن تعلمي أيتها السيدة بان هذين النهدين الفتانين اللذين يتزين بهما صدر بنات جنسك لم تكونهما الطبيعة لمحض الزينة والفتنة بل لكي يكونا منهلاً للمولود الجديد .....

كان يرغب مارس اوريل في ان جميع النسآء ترضع اطفالها ليكنَّ امهات كاملات وليس نصف امهات . وكان انطونيوس الصالح يحيي النسآء اللواتي يعطين الثدي الى اولادهنَّ ويوزع عليهنَّ مكافآت

وكان جميع الامهات في عصر الملكة بلانش يرضعن اطفالهنَّ

لان هذه الملكة كانت بذاتها مثلاً لهنَّ . واستمر هذا الفرض المقدس متبعاً الى عصر فرنسيس الاول ومن ذلك الحين ابطلت نسآء الاسرة المالكة ارضاع اطفالهنَّ وتبعتهنَّ على الاثر نسآء الاعيان والمثريات . حتى صارت هذه الطريقة عادةً متبعة في عاصمة الفرنسيس ومنها امتدت الى جهاتٍ اخرى

ولم يصدر لويس الرابع عشر أمراً يوقف بهِ هذا التيار لذلك زادت عادة ارضاع المراضع في مدة حكم خلفهِ زيادةً فاحشة . ولم يكن الاَّ نحو منتصف القرن الثامن عشر يوم قام ذلك الفيلسوف العظيم جان جاك روسو وجأر بصوتهِ ضد هذا التفريط والاهمال ونبه النسآء الى واجباتهنَّ بصفة كونهنَّ امهات . وقد احدث بفصاحتهِ المعهودة في الامهات ميلاً قوياً لارضاع اطفالهنَّ وعلى الأثر أخذ جميع السيدات العظيمات بارضاع اطفالهنَّ وقد درجت هذه العادة الى سائر اطراف المملكة . غير ان عادة ارضاع الام ولدها هي نظير ازيآء الملابس قصيرة المدة . بحيث انهُ لم تبطئ عادة ارضاع المراضع حتى عادت الى سابق عهدها

امَّا في يومنا الحاضر فان مهنة الارضاع منتشرة غاية الانتشار في البلاد المتمدنة أو التي احرزت قسطاً من المدنية . بحيث لم تعد سيدة نبيلة او عاملة او صاحبة حرفة الاَّ وتبحث لها على مرضع لتتخلص من عنآء الامومة . وانهُ من الجهل الفاضح ان تعتقد النسآء المترفات ان الارضاع يضنيهنَّ . وانهُ يجب لحفظ صحتهنَّ وغضاضتهنَّ ان لا

يرضعن . امّا الحقيقة فهي عكس ذلك واعتقادهنّ هذا هو عين الغرور . ذلك لان الوالدات المراضع تنجو من جملة امراض تنتابهنّ مع ان بعض الغيرَ والعلل تتهدد اللواتي لداعي قلة مروَّتهنّ او فرط دلالهنّ يمتنعن عن ارضاع اطفالهنّ . وهذا أمرٌ اتفق عليهِ جميع الاطبآء . ويزعم من ثمَّ هوڤيلان ومورتون بان الام التي ترضع تصان من سائر الادوآء العصبية ومن دآء الانحطاط (اي الهزال المتوالي)

فتأملي ايتها السيدة في هذه الحقائق الراهنة التي لا يخلو تكرارها من فائدة . وهي ان اول واجب تفرضهُ الطبيعة على الام هو ان ترضع طفلها متى امكنها ذلك وساعدتها قوتها . ولا يقتضي ارضاع المرضع الاَّ في الحالة التي تكون فيها الوالدة مبتلاة بالتسمم النوعي (Virus) او بعلة وراثية . وما عدا هذه الاحوال الشاذة فارضاع الام هو افضل للوالدة وولدها معاً . ذلك لان باكورة لبنها المصلي القليل المحتويات والمسهل على نوع ما ، هو السائل الانسب لتنظيف مجاري المولود الهضمية من العقي أو الطلآء اللزج الذي يسدها اولاً ، ولفائدة صحة شخص الوالدة ثانياً . لاسيما وان الطبيعة لم تفض اللبن في ثديي الواضع حتى تجففهُ بالوسائل الصناعية الاقل والاكثر مضرة

يضر تجفيف اللبن على التقريب دائماً بالعضو الذي يفرزهُ ويؤثر ما عدا ذلك بصحة البنية عموماً . وان النتائج الاوفر شيوعاً من جرآء هذا التجفيف الشاق يظهر مفعولها بالادوآء المعروفة بسيلان اللبن ، و بتضخم أو تصلب الثديين ، وبالخراجات التي تطلع في نسيجهما .

ومن ثمّ بالاورام الصلبة والقرح ، وفي بعض الاحيان بتلك العلة المخيفة وهي السرطان التي ليس لها دواء

اما الواضع التي لاحد الموانع الخطيرة لا تستطيع ارضاع طفلها فعليها قبل ان تنفصل عنهُ ان ترضعهُ مدة ثلاثة ايام اولاً لتفرغ ثدييها من اللبن المصلي الذي بهِ تتنظف امعاؤهُ من طلآء العقي . ومن ثمّ تستعمل اللبخ المضادة اللبن وهي التي اشرنا اليها سابقاً . وان تلازم الحمية بدقةٍ اذا كانت ترغب في تبديد لبنها بدون علة

ونرجع ونكرر انهُ لا عذر للام التي تمتنع عن ارضاع طفلها متى كانت تمتلك قواها وحائزةً على وسائل الارضاع وليست هي مصابة بادنى مرض وراثي . وان اعطآءها ابنها الى ثديي مرضع هو ايلام الطبيعة والعقل وباعثٌ على الامراض التي تبتلى و يبتلى بها طفلها فيما بعد

ومن ثمّ ان احتقارها فرض الامومة المقدس وهو الفرض الغريزي الذي يحافظ عليهِ جميع الحيوانات بدون استثنآء وعدم مبالاتها ببنيها وهو ما يفعلهُ بعض النسآء المترفات الجميلات . مع ان البهيمة تظهر حبها الوالدي لصغارها بجملة علاماتٍ فعالة . كل هذا جعل ذلك الفيلسوف العظيم روسّو ان يطلق عنان قلمهِ معنفاً اولئك النسآء بقوله

على الرجال ان لا يغتروا ولا يثقوا مطلقاً بود اولئك النسآء اللواتي مع استطاعتهنَّ يتهاونَّ في أمر ارضاع بنيهنَّ و يقطعن اواصر الطبيعة المقدسة التي تربطهنَّ بهم . ذلك لان الحب الزوجي لا يمكن تأصلهُ في فؤاد زوجة لا تشعر بالفروض الوالدية

غير انهُ ما عدا الموانع التي سبقت الاشارة اليها وهي نظير شوائب التركيب والهزال العام والامراض الوراثية والادوآء الزهرية والخنزيرية والمهنة والسكن الغير الصحيين والظروف المخالفة لقانون الصحة كارتباط النسآء باحدى الوظائف التجارية أو خلافها في ميادين المدنية وهلم جراً ..... التي تجبر الام بالرغم عنها ان تتخلى عن اجمل فرضٍ من فروضها وهو ارضاع ولدها . فلا عذر للمرأة ما خلا ذلك اذا امتنعت عن الارضاع

امّا النفسآء التي ارتعش جسمها لاول استهلال استهل بهِ طفلها اذا تركت جانباً دواعي التبرج والغرور ولم تصغ الاَّ الى غريزتها الوالدية فيستحيل عليها ان ترضى بتفويض أمر العناية بهذا المخلوق الغض الى سواها . غير ان المدنية تولد الانانية والانانية تخفت صوت الطبيعة

الفصل الثاني والثلاثون

﴿ في غذاء وسلوك الوالدة التى لا تستطيع ارضاع طفلها ﴾

اذا لم تستطع الواضع ارضاع طفلها فيتوقف القسم الاكبر من العناية التي تلزمها على الترتيب الغذآئي الذي تعتمد عليه . وذلك ان تلازم الحمية التامة وتقصي عن فكرها ذلك الزعم الباطل وهو انهُ لا بدَّ لها من الامتلآء بالمأكولات لتستعيض بها قواها السابقة . ذلك لان الشراهة تسبب لها على التقريب دائماً جملة ادوآء منها التهاب الصفاق (البريتون) وهو من الامراض الخطرة

امَّا غذآء النفسآء فيجب ان يكون لطيفاً ومعتدلاً ويتألف من مرقات الطيور الاهلية وكريمات (قشطات) الارز والدشيش والحسآء (الشوربة) الخفيفة وذلك في مدة الايام الاولى . وتنتقل فيما بعد الى اللحوم البيضآء وهي نظير لحوم الفروج والعجل البيضآء ومن ثمَّ الى الاضلاع (الكوستلاتا) وفي التالي تأخذ في تناول غذآءها الاعتيادي . ويجب تقدير الغذآء على العموم بنسبة سن ومزاج النفسآء وقواها

الهاضمة . بحيث انهُ ليس من الضرورة ان تقتصر المرأة القوية على تناول المغليات والمرقات كما يجب ان تحترس النسآء الضعيفات من الغذآء المضعف الذي لا يعمل الا على زيادة هزالهنَّ . لانهُ اذا شعرت الواضع بسوائل النفاس الغزيرة والاعراق الوافرة فيجب تقويتها باطعمة مغذية متى كانت معدتها تهضم جيداً ، وتقليل الاغذية أو منعها متى اصبح هضمها شاقاً . وربَّ سائل يسأل بقولهِ لماذا تقوم نسآء البادية هكذا سريعاً بعد الوضع مع ان نسآء الحواضر يتأخرن عن القيام ؟ فالجواب على ذلك هو لكون اولئك لا يتبخطرن بالرياش والحرير ويخلدن الى الراحة والسكينة بل انهنَّ يأخذن بمزاولة اعمالهنَّ واستنشاق الهوآء الطلق على قدر مساعدة قواهنَّ . مع ان السيدة الحضرية تستمر محبوسةً في مضجعها المظلم في وسط هوآء مشبع بالابخرة المضرة والروائح المؤذية . وتخشى كثيراً من ان تتعب اعضاءها النحيفة وتوجه الى رئتيها هوآء طلقاً . فيا أيتها السيدات الحضريات اللواتي يمضين اوقاتهنَّ في محيط الزينة والعيش الرغيد اعلمنَّ بان الراحة المستطيلة على فراشٍ وثير ، والعناية المفرطة التي يشملونكنَّ بها على أثر الوضع هي بعض اسباب انحراف صحتكنَّ . لان الوضع ليس هو مرضاً بل هو عملٌ طبيعي تزول اتعابهُ في بضع اسابيع

———

القسم الاول

﴿ في غذاء وسلوك الوالدة المرضع ﴾

يجب ان تعتني جداً الوالدة المرضع بأمر صحتها لان اقل انحراف يصيبها يؤثر بمقدار وصفة لبنها . وعليها ان تجتنب الهوآء المفسود. والانتقال من هوآء بارد الى هوآء كثير الحرارة وبالعكس . ويلزمها ان تتدثر في فصل الشتآء جيداً وتحفظ ثدييها من البرد وان يكون ملبوسها في فصل الصيف اخف . الاّ انهُ يلزمها ان تجتنب رطوبة الصباح والمسآء التي يجوز ان تضرها

ومما يظهرهُ ويؤيدهُ الاختبار في كل يوم ان جودة ورداءة نوع اللبن تتوقفان على الغذآء الذي تتعاطاهُ المرأة . بحيث ان الطفل الرضيع يكون دائماً عرضةً للافراط والخطأ اللذين ترتكبهما مرضعه . وانهُ لدى تحليل اللبن الذي يفرزهُ ثديا المرضع تُشاهد فيهِ خصائص شبيهة بالمواد التي تناولتها . فاذا اكلت أو شربت مواداً مسهلة فينسهل الرضيع ، واذا شربت اي مادةٍ مرّة فيحتوي لبنها على عنصرٍ مرّ . حتى يظهر من هذه الاحوال التي لا تقبل الشك العلاقة الشديدة الكائنة بين الاطعمة وافراز اللبن ووجوب التدقيق فيما يختص بمأكول المرضع والعلاجات التي يصفونها لها

اذاً لا بدَّ للمرضع من ان تجتنب المأكولات الحرّيفة والمملحة

والقابضة وكذلك المشروبات الفعالة والكحولية . وان افضل طعامٍ لها هو الخبز المخبوز جيداً واللحوم المشوية ذات العصارات ، والقشطات (الكريمات) المعمولة باللبن وبمح البيض ودقيق الشعير والسكر ، والمشروبات والخضر الطريئة ، واثمار الفصل الناضجة جيداً وهلمّ جرًّا . ومن ثمَّ على المرضع ان تتجنب اعطآء ثديها الى الطفل بعد الاكل حالاً وبعد قيامها برياضةٍ متعبة

ولكي تحفظ المرضع مقدار لبنها وجودتهُ عليها ان تتجنب الانفعالات الشديدة وهي نظير الخجل والغضب والحسد والخوف... وقد ينقطع او يتغير لبن المرضع اذا صادفها خوفٌ فجائي او ثورة غضب . ويلزمها ان تتجنب التعب والبطالة والراحة المستطيلة جدًّا . وتفعل جيداً نسآء الطبقة الوسطى بعدم ملازمتهنَّ الحفلات الليليـة كالمراقص ودور التمثيل وخلاف مجتمعات مضرة حيث يكثف الهوآء ويفسد بابخرة المجتمعين . لا سيما وانهُ لا بدَّ للوالدة المرضع من النوم لتعوض بهِ قواها التي فقدتها اثنآء النهار بعنايتها برضيعها . وكذلك يجب عليها ان تلاحظ دائماً أمر نظافة جسمها وملابسها الداخلية التي لا بدَّ من تبديلها متواتراً بنوعٍ خاص . وان تكون معدتها مطلقة بانتظام لان الامساك والاسهال هما مضران بلبنهـا . وان تمتنع عن الملاذ الجنسية مدة الارضاع لان التهيج الناشيء عن هذه الملاذ من الجائز ان يسبب الحيض الشهري . ومن ذلك الحين لم تعد تستطيع ان تكمل وظيفة الارضاع لان لبنها يفقد في كل يوم من كميتهِ وصفته .

غير انهُ اذا كانت المرأة شديدة ولم يؤثر ظهور الحيض على جودة وغزارة لبنها واذا حملت فتستطيع والحالة هذه ان تداوم على الارضاع في الاشهر الاولى اذا ساعدها لبنها على ذلك وقد جآء في الحديث «انني هممت ان انهي امتي عن الغيلة (١) حتى علمت ان فارس والروم تفعل ذلك باولادها ولا تضيرها» . فيمكنها والحالة هذه ان تداوم على الارضاع والاَّ يجب اعطآء الطفل الى مرضعٍ اخرى أو فطامهِ اذا كانت بنيتهُ تساعد على ذلك

ومتى كان افراز اللبن غزيراً والثديان طافحين بهِ فيجب تلافي ذلك بواسطة ترتيبٍ غذآئي مناسب لهذه الحالة. وذلك نظير الاطعمة النباتية المكونة من الهندبآء والسبانخ و بقول اخرى ، ومن اثمارٍ مطبوخة ومربيات ..... ويكون مشروبها نظير عرق الانجيل وتكفي بضعة ايام على هذا الترتيب الغذآئي لتعديل افراز اللبن . وان ما يشيرون بهِ وهو ان تعطي المرضع ثديها الى كاب صغير ليرضعهُ او ان تستعمل الممصات لاخراج اللبن الفائض منهُ فهاتان الوسيلتان هما مضرتان وتأتيان بعكس المقصود . ذلك لان العضو كلَّما تهيج كلَّما زاد افرازه وكذلك الثدي كلَّما زاد تعريضهُ للرضاعة كلما زاد افرازاً . لهذا يجب التخلي عن هاتين الوسيلتين ونظيرهما المروخات واللزق القابضة التي يضعونها على الثدي فهي مضرةٌ جدًّا . وان اللبخ المحللة هي التي تستعمل لهذه الغاية وترجى الفائدة منها . امَّا الملحوظات الخاصة

---

(١) الغيلة بالغين المعجمة هي ان ترضع الام طفلها وهي حامل

بحلمة الثدي مدة الارضاع فيمكن حصرها في البيان الآتي وهو — ان النسآء اللواتي لم تبرز حلمتاهنَّ اصلاً أو ليس نموهما كافياً فيتداوى هذا النقص فيهنَّ بواسطة ممصات زجاجية أو محاجم جاذبة أو ان تمصها كلاب فتية — وان الحلمة الشديدة الاحساس تُغطى بغلاف من الشمع اللين وتغسل بخمر حديدية ممزوجة بالمآء متى كانت مترهلةً وعديمة الانتصاب — ويستعمل زيت اللوز الحلو والمرهم البسيط والزبدة الطريئة كدهانٍ متى انسلخت الحلمة أو تشققت من جرآء رضاعة الطفل. ولا بأسَ من تغليفها بقبعة معي مزيتة لوقايتها من ملامسة الهوآء والملابس

ثمَّ انهُ متى رأت المرضع لبنها متناقصاً فعليها ان تستشير الطبيب بذلك لكي يبحث عن العلة ويزيلها . امَّا اذا دبَّ النقص في اللبن بدون ادنى تغير في الصحة فلابدَّ من الالتجآء الى الترتيب الغذآئي . بحيث ان الاغذية المقوية والمرقات الدسمة واللحوم اللذيذة الطعم ... والنزهة في الهوآء الطلق والرياضات المتنوعـة في البيت وهدو البال والملاهي اللطيفة تفعل اكثر من جميع الصفات المدرة اللبن . ومع كلّ فاننا نذكر الصفة التالية المختبرة المفعول من بين جملة صفات من امثالها وهي

مسحوق لاكثار لبن المرضع

شمر	١	غرام
قشر البردقال	١	»

كربونات المانيسيا	٤	غرام
سكر	٢	»

يدق جميع هذه المواد معاً وتؤخذ على ثلاث دفعات في المرق أو اللبن أو الشوكولاتا

القسم الثاني

﴿ في تركيب اللبن ﴾

ان اللبن كما هو معلوم سائلٌ ابيض ذو طعم مقبول وكثافةٍ تفوق كثافة المـاء قليلاً ويتكون من ثلاث مواد رئيسية وهي

١ً الزبدة

٢ً الجبنة

٣ً المصل ويحتوي على السكر وجملة املاح منحلة فيه

لدى فحص اللبن بالمجهر تُشاهد كرياتٌ تسبح في سائلٍ وهذه الكريات التي غلافها المادة الجبنية تحوي في داخلها المادة الدسمة أو زبـد اللبن . وقد اظهر التحليـل الذي اجراهُ مؤخراً رينيول البيان الآتي

ماء	٦ر٢٨
مادة جبنية واملاح غير منحلة	٩ر٣
زبد	٦ر٢
سكر اللبن واملاح منحلة	٩ر٤

وعليهِ فاللبن يحتوي على جميع المواد الصالحة للغذآء الكامل وهي مواد دسمة ومواد سكرية وملح وماء . ويمثل الجبن الغذآء الازوتي والزبد والسكر المادة الكربونية (الفحمية)

جدول

في مقابلة لبن المرأة مع لبن بعض الحيوانات

	المرأة	البقرة	العنزة	الاثانة
ماء	٨٨ر٦	٨٧ر٤	٨٢ر	٩٠ر٥
مادة جبنية الخ	٣ر٩	٣ر٦	٩ر	١ر٧
زبد	٢ر٦	٤ر٨	٤ر٥	١ر٤
سكر اللبن الخ	٤ر٩	٤ر٢	٤ر٥	٦ر٤

ويجوز ان تختلف ارقام الاجزآء التي يتركب منها اللبن لانهُ يتوقف أمرها دائماً على تركيب الاطعمة المهضومة . اذ بواسطة الغذآء النباتي تزداد المادة المائية الكربونية ، وبالغذآء الحيواني تتغلب المادة الازوتية . ويُشاهد في بعض الاحيان مراضع صحيحات الجسم غزيرات اللبن ومع ذلك يهزل الرضيع معهنَّ وينحط . فهذا يتأتى في الغالب عن زيادة المادة الزبدية ونقص المادة السكرية فيه . وان خير وسيلة لاعادة الموازنة هي الاغذية المتوفرة فيها المادة السكرية

القسم الثالث

﴿ في غذآء الطفل ﴾

نكرر ثانية ان لبن الام هو خير غذآء يعطى للطفل وهو غذآؤهُ الطبيعي، و يشير الطفل بصراخهِ بعد مولدهِ ببضع ساعات الى انهُ محتاجٌ الى الرضاعة . فعلى الوالدة ان تقدم لهُ ثديها ليرضع منهُ باكورة لبنها وهو مسهلٌ خفيف يزيل العقي او الطلآء اللزج الممتلئ في امعآئه كما اسلفنا . وانهُ في مدة الايام الاولى يرضع الطفل قليلاً ومتكرراً وعقبى ثمانية أو عشرة ايام يصير اللبن اكثف قواماً واوفر تغذيةً، فوقتئذٍ تقل رضاعات الطفل لكنهُ يكفي ذلك لاقلاقهِ راحة الوالدة . فعليها اذاً منذ الاشهر الاولى ان تعوّد رضيعها تدريجاً على الرضاعة في اوقاتٍ منظمة و بدون ازعاج صحتهِ، اذ في امكانها تعويدهُ على طلب الثدي متى شعر بالحاجة اليه . لان الطفل مهما كان صغير السن يسعى الى الحصول بصراخهِ على ما يظن انهم يرفضونهُ له . فاذا طاوعتهُ الام على مطالبهِ الصغيرة فتضطر فيما بعد الى احتمال مطالبهِ القهرية

يُعطى الطفل في الحال بعد مولدهِ قليلاً من مآء محلى بسكر ليتقيء بلغماً، و بعد خمس أو ست ساعات يُعطى الثدي . ومما هو مألوف ان يرضع كل ساعتين اثنآء النهار ودفعتين او ثلاث دفعات

في الليل فقط . وقد قدروا كمية اللبن التي يشربها الطفل في كل رضاعة بخمسة واربعين غراماً . وان طفلاً في الشهر الثالث من عمرهِ قد يبلغ مشروبهُ حتى ٧٥٠ غراماً في الاربع وعشرين ساعة

ويجب ان يكون اللبن هو الغذآء الوحيد للطفل في المدة المقررة للرضاعة . امَّا مغليات الدقيق ولبن البقر وهي الطريقة المستعملة قديماً على زعم ان لبن الام هو غير كافٍ ، فهذه تجعل الاولاد نهمين وتثقل على معدتهم وتنفخها وتسبب لهم عسر الهضم . واذا استمروا يحشون معدة الطفل بالمغليات فتظهر فيهِ الالتهابات المعوية ويهزل عوضاً من ان يسمن . لا سيما وان كثيراً من الاولاد يموتون من تأثير هذه التغذية . والذين يسلمون من ذلك تظهر عليهم في غالب الاحيان علامات الكساح . وقد اتفقت جميع لاطبـآء على ترك المغليات والتعويض عنها بحساء (شوربة) الخبز المعمولة بالكعك أو بقشر الخبز أو بلبهِ الميبس في الفرن والمدقوق . وذلك في الحالة التي يكون فيها لبن الام غير كافٍ لقابلية المولود . لاسيما وان الام المتنورة تدرك بالبديه ان ولدها يكون اجود صحةً لو اقتصر على لبن الثدي وانه يتضرر اذا اعطي طعاماً اوفر تغذيةً مما يقتضي له

القسم الرابع

في انواع الرضاعة

رضاعة المرضع — ان لبن المرضع هو على العموم اقل صلاحاً لاعضاء الطفل من لبن امه . ذلك لان ثدي المرضع لم يفرزهُ لاجله . وسنشاهد فيما يلي كم هو عسرٌ اختيار المرضع الحائزة على جميع الشروط المقتضية للرضاعة

الرضاعة من الحيوان — يتفق احياناً انهُ اذا لم يتيسر الحصول على مرضع فتدعو الضرورة الى اختيار عنزة وهي الحيوان الانسب لارضاع الطفل . بحيث شوهدت عنزاتٌ وعلى الخصوص ذات اللون الابيض تتعلق بالطفل وتذهب لصراخهِ وتضع بذاتها حلمة ضرعها في فم الطفل المضجع في مهده

الرضاعة الصناعية — يقوم نوع هذه الرضاعة بتغذية الطفل بلبن البقرة الجديد الحلب والممزوج بمآء الشعير أو الجريش على نصف مقدارهِ والمحلى بالسكر قليلاً . ويعطى للطفل بواسطة رضاعةٍ صناعية . ثمَّ يجب ان يكون اللبن فاتراً دائماً ولا داعي لغليهِ مطلقاً لان المغلي هو عسر الهضم . وكذلك لا لزوم لمزجهِ بالمآء متى كانت معدة الطفل في امكانها هضمه . ومتى اقترب وقت الفطام اخيراً فيأخذوا في تعويدهِ على حسآء الخبز كما تقدم

اختيار المرضع — جآء في ذيل تذكرة داود الانطاكي عن الرضاع ما نصه : ان الام اولى بالرضاع لمناسبة لبنها ما كان يغتذي بهِ الجنين . حتى لو لم ترضعهُ وجب ان تتعاهدهُ بالقام ثديها ففيهِ نفعٌ عظيم . فان تعذرت اختير من يقاربها وتكون صحيحة المزاج والتركيب معتدلة البدن واللون والسحنة ، لحمية صلبة المجس مكتنزة الثديين شابة واسعة الصدر حسنة الخلق خلية عن الحيض والمكدرات والجماع ، مرضعة لذكر تقارن ولادتها ولادة من اريد ارضاعهُ .... وعليهِ ان اختيار المرضع الجيدة لفي منتهى الاهمية لان عليها تتوقف صحة الطفل فلا بدَّ من ان تكون ذات صفات طبيعية وادبية يندر اجتماعها في واحدة . فضلاً عن انهُ ليس في الامكان الحكم على جودة المرضع الاَّ بعد اختبارها جيداً وتحقيق مفاعيل لبنها الجيدة في صحة الرضيع . ومن الحكمة ايضاً عرض المرضع التي يراد استئجارها على طبيبٍ حاذق ، ذلك لان المرضع التي تكون مبتلية بدآء جلدي أو بعاهةٍ أو تشوهٍ في بنيتها لا بدَّ من ان تنقل مرضها الى رضيعها

وقد زاد بعض الاطبآء على ذلك بقولهم أن شوائب الخُلق يرضعها الطفل مع اللبن ايضاً . واليك باختصار الصفات والشروط التي يجب ان تمتلكها المرضع

تمتاز قبل كل شيءٍ المرضع الواضع حديثاً على من سواها ذلك لانهُ لا يلائم ان يعطى للطفل المولود حديثاً لبن قديم جدًّا . ومن ثمَّ ان تفضل المرضع السمرآء على الشقرآء وان لا تكون حمرآء اللون

اصلاً . لانهُ ينبعث من جلد الحمرآء في بعض الاحيان رائحة زخمة ينفر منها الطفل

وان يكون عمر المرضع من اربع وعشرين الى ثلاثين سنة — ومزاجها دموياً أو صفراوياً دموياً أو لمفاوياً دموياً — واديم بشرتها رخصاً صقيلاً خالياً من الندب والاحمرار والابخرة القوية — واسنانها بيضآء وتنفسها طلقاً وشفتاها حمراوين — ومحياها بشوشاً وصدرها عريضاً وحجم ثدييها معتدلاً وليس هما غليظين جداً. بل يكونان ممتلئين بالاوردة الصغيرة الزرقاوية وحلمتاهما متوسطتي الحجم لان المراضع ذوات الحلم الغليظة لا يجب قبولهنَّ — ويقتضي أن يكون اللبن ابيض سماوي اللون وحلواً وكثافته جيدة . واذا وضعت منهُ نقطةٌ على الظفر سالت ببطءٍ وتركت عليهِ أثراً دهنياً ضارباً الى البياض. وكذلك ان تكون اخلاقها دمسةً وذات مودةٍ وانعطاف تتعلق بالطفل رضيعها — وهي ذات هندام نظيفة نشيطة وحسنة السلوك . فهذه هي الصفات التي تطلب من المرضع ويجب ان تتحلى بها

على ان خير وسيلةٍ لمعرفة صفات المرضع الطبيعية هي امتحان ذات طفلها اذا كانت صحتهُ جيدة ام رديئة . غير ان كثيراً من المراضع اذا طلب البعض من احداهنَّ مشاهدة طفلها فتأتي بولدٍ غير ولدها وتدعي بانهُ ابنها لتوهمهم بقرب وضعها وان طفلها متمتع باتم الصحة والعافية . فعلى اولي الشأن ان يتحروا جيداً زعم المرضع ويتأكدوا اذا كان الطفل الذي ارتهم اياهُ هو بالحقيقة ابنها

وعليهم ايضاً ان يراقبوا اذا كان الطفل الذي يفوض اليها أمر ارضاعهِ يأخذ ثديها باشتهآء . لانهُ اذا كان يأخذ الثدي ويتركهُ وهو يصرخ . ثمَّ يسعى لأخذهِ ثانيةً ويتركهُ ايضاً . فهذا دليلٌ واضح على ان لبن هذه المرضع لا يوافقهُ فلا بدَّ من اختيار سواها

١

﴿ في المرضع التي ترضع في منزلها ﴾

يجب اختيار المرضعة البيتية من بين النسآء المتوسطات الحال نوعاً وهنَّ اللواتي يسكنَّ جهةً صحية ومنزلاً تسود فيهِ النظافة . ومن ثمَّ ان لا يكون زوجها شهوانياً ذلك لانهُ في اثنآء الرضاعة يجب عليها ان تقلل ما امكنها المباشرات الجنسية مع زوجها

يلزم للرضيع البعيد عن حضن امهِ ومنزلهِ الوالدي عناية فايقة وذلك لخير مستقبله . فعلى الوالدين ان يزورا متواتراً طفلهما ليتأكدا بذاتهما اذا كانت المرضع تلاحظهُ باعتنـآء وتهتم بأمره . ولزيادة طمأنينتهما لا بدَّ لهما من ان يفاجئا المرضع ويزورا ولدهما في وقتٍ لا تعلم المرضع بقدومهما

امَّا انتخاب المراضع فعلى العموم من اصعب ما يكون لان البعض منهنَّ يخدعن الطبيب بالذات لكثرة ما يأتينهُ من التمويه والتصنع . فمنهنَّ من يكذبن في حقيقة سنهنَّ وزمن وضعهن . ويقدم

سواهنّ اطفالاً اصحاء جميلين ليسوا هم بابنآئهنّ ولم يرضعنهم. ويجوّع البعض رضيعهنّ ليبرزن موقتاً ثدياً فائضاً باللبن . امّا شوائب المرضع الادبية فهي اعسر اكتشافاً من الشوائب الجسمية لذلك يقتضي لها بحثٌ ونظرٌ دقيقان . وليس من النادر ان يصادف المرء مراضع غضوبات حقودات شقيات سكيرات . حتى انهم كانوا فيما مضى يعلمون جيداً بالادوآء الناتجة عن مرضع رديئة . فقد اورد ديودور ان نيرون الشرير ارضعتهُ امرأةٌ سكيرة . وقيل ان مرضع كراكلاً الملعون كانت من عادتها ان تبل حلمة ثديها بالدم ليزداد رضيعها تعلقاً بها

٢

﴿ في المرضع التي ترضع في بيت الطفل ﴾

ان المرضع التي يستأجرونها للارضاع في بيت الطفل تفوق المرضع التي ترضع بالاجرة في منزلها . ذلك لانهُ في امكان الام ان تلاحظ بدون انقطاع ولدها فتضطر المرضع ان لا تهمل شأن رضيعها . غير انهُ لا يخلو الأمر في مقابل ذلك من بعض المحذورات التي يجب الانتباه اليها . وهي ان المرضع التي تركت مسكنها وانتقلت الى منزل الطفل قد تغير عليها كل شيء فيما يختص بالغذآء والعادات وهي التي تؤثر كثيراً على صفة لبنها . فضلاً عن كونها قد انتقلت دفعةً واحدة من الفقر والتقتير الى الرفاه وسعة العيش . ومن العمل المتواصل الى

الراحة التامة. ومن غذآء على التقريب نباتي صرف الى غذآء حيواني مغذي مشبع بالتوابل وهلمَّ جرًّا ..... فامثال هذه التغييرات لا تلائم المرضع لان قواها الهاضمة لا تستطيع في بعض الاحيان ان تفي بمقدار الاطعمة التي تتناولها . فهي عوضاً من ان تزيد نشاطاً تضعف فيهـا التغذية ويحمى دمها ويفقد الافراز اللبني اهم مزاياه . وانهُ لتلافي هذه المحذورات يجب على المرأة الموسرة التي تتخذ لها مرضعاً في بيتها ان تستفهم منها عن سلوكها وعاداتها ومألوف غذآئها وتلزمها بالمداومة عليها . فذلك افضل لصحتها وصفات لبنها

كانت حرفة الارضاع معروفةً من قديم الزمن وان قصة ابنـة فرعون وقولها الى ام موسى اذهبي بهذا الولد وارضعيهِ لي وانا اعطيك اجرتك لاكبر دليلٍ على ذلك . ودخلت حرفة الارضاع في فرنسا في دورهـا القانوني سنة ١٢٣٤ اذ كانت المراضع تمتثل الى مراقبة اربعة نسآء تنتدبهن الحكومة . وقد احدث المسيو سارتين سنة ١٧٧٠ أول مكتب للمراضع في باريس وقد كثر عددها جدًّا في يومنا الحاضر والحكومة تراقبها مراقبة دقيقة . امَّا في مصر فانهُ لسوء الحظ لم تفتكر الحكومة بعد بأمر المراضع ولم تسن لهنَّ قانوناً يجرين بموجبه . ولا شك بان هذا اهمالٌ كبيرٌ منها بالنظر الى اهمية الرضاعة . عساها ان تتلافى ذلك وتسد هذه الثلمة في القريب العاجل

٣

﴿ في العناية اللازمة للمولود ﴾

تجب ملاحظة المولود متواصلاً اخصهُ فيما يتعلق بأمر نظافتهِ اذ لا بدَّ من تغييرِ لفائفهِ وملابسهِ كلما اتسخت . وكذلك تقليل درجة الحرارة التي جعلوهُ فيها في ايام مولدهِ الاولى وهي الذريعة لتعويدهِ باكراً على احتمال تغيّرات الطقس . ولا بدَّ من ان تكون ملابس الطفل دافئة وعريضة لتسهل عليهِ حركات جسمهِ وان يلبسوا رأسهُ طاقيةً خفيفة يستبدلونها فيما بعد بقبعةٍ من القش لتقيهِ صدمات سقطاته

ومتى خرج الطفل من حجر امهِ فتلزمهُ الحركة واللعب لتقوية عضلاته . فمن الضروري ان يتركوهُ حرًّا في حركاتهِ وتقلباتهِ ولا يضيقوا عليهِ بملابس كنزة ومشدودة . ولا بأس من تركهِ في بعض الاوقات على بساط يستطيع ان يلعب فوقهُ براحة ملاعيبهُ الصغيرة . والى الوالدات ما خطهُ يراع رسّو في هذا الصدد بقوله : من حين ما يأخذ الطفل بالتنفس خارج اغشيتهِ الرحمية على الوالدة ان لا تضايقهُ بلفها اياهُ باغشيةٍ اخرى اضيق من تلك . اذ لا داعي للعصائب والطواقي والاحزمة والربائط والاقمطة واللفائف بل تلزمهُ الملابس العريضة التي تدع اعضاءهُ في اتم حريتها بدون ان تكون ثقيلةً او مدفئة جدًّا تحول دون شعورهِ بمؤثرات الهواء . ولتضجعهُ امهُ في مهدٍ واسعٍ محشوٍ جيداً حيث يستطيع ان يتحرك فيهِ مرتاحاً بدون تعب .

ومتى تقوى فلتدعهُ يجول في الغرفة ويبسط اعضاءَهُ الصغيرة فهو ينشوء ويقوى من يوم الى آخر . »

امَّا الاوايل الصناعية التي يتخذونها في بعض الاحيان لتدريج الطفل على المشي فهي مضرة لان الطفل اذا كان لم يستطع السير لوحدهِ فلانهُ لا يملك بعد القوة الكافية لذلك . فعلى الوالدين ان ينتظرا عليهِ قليلاً الى حين ما تكتسب اعضاؤُهُ السفلى القوة اللازمة لحمله . وليحترسوا ايضاً عندما يمسكونهُ بذراعهِ لنقلهِ من جهة الى سواها لان الجذب الشديد قد يسبب خلع ذراعه

يضطر الطفل الى النوم في ايامهِ الاولى ويتسلط عليه النوم حتى لم يعد يلزمهُ الهز لينام . بل ان هزهُ متواصلاً وعلى مدةٍ طويلة يسبب لهُ احتقاناً في دماغه . فاذا صرخ الولد ولم ينم فلا شك بانهُ مزعوجٌ في سريرهِ او متألم في جسمه

ولا بدَّ للطفل من النظافة التامة وتبديل ملابسهِ في الحال كلَّما اقتضى الأمر . وان الوضوء والحموم هما افضل وسيلة لحفظ صحتهِ ونظافة اديم بشرته

—⊰✻✻✻⊱—

القسم الخامس

﴿ في الفطام والتدابير اللازمة له ﴾

يجب على الوالدة ان لا تفطم طفلها دفعةً واحدة لان ذلك يضر بصحتها وصحة مولودها ايضاً . وانهُ لا شيء اضرّ من ايقاف وظيفةٍ في اتم نشاطها . اذ من الجائز ان ينشأ عنها ضررٌ لا يستهان به . فعلى المرضع التي ترغب في فطامة رضيعها ان تحتاط لذلك قبل شهرٍ من الزمن وتأخذ في ارضاعهِ في الاسابيع الاولى ثلاث مرار في اليوم فقط عوضاً من خمس أو ست مرار — وفي الاسبوع الثانية مرتين في اليوم — وفي الثالثة مرة واحدة في اليوم — وفي الرابعة تعطيه الثدي مرةً في اليوم ثم تترك يوماً وترضعهُ في اليوم الذي يليه. وهكذا يتعود الطفل شيئاً فشيئاً على نسيان ثدي مرضعه

ويستعاض في اول اسبوع الفطام عن لبن الثدي بلبنٍ ممزوج ومحلى بالسكر . وفيما بعد يعطى مرق الفروج أو الضان أو العجل بعد ازالة دهنه . غير انهُ متى كانت اعضاؤهُ الهاضمة تتطلب غذاءً اقوى فيعطى لهُ مسحوق الكعك مرشوشاً على اللبن أو المرق الخالي من الدهن أو لب الخبز المحمص في الفرن والمدقوق والمخفوق باللبن بكيفيةٍ يجهز منهُ مغلي لطيف هو غذاء خفيف وموافق للطفل جداً . ثمَّ بعد ذلك يمكن اعطاؤهُ طعاماً اوفر تغذيةً وذلك ان يتدرج متوالياً

على المأكولات الاقوى فالاقوى الى ان يُعطى اللحوم البيضآء من الفراريج والعجول، والاثمار الناضجة نضجاً تاماً، والبيسكوتات الطريئة وهلمَّ جرًّا .....

امَّا اللحوم الحمرآء وجميع الاطعمة المهيجة فيجب حذفها من مأكولاته. وكذلك المآء الممزوج بالخمر والخمر المحلى بالسكر اللذين يسقي بعض المراضع الطفل منهما في أمل تقويتهِ فهما مضران وفي بعض الاحيان رديئان لانهما يهيجان معدته . وان المآء القراح هو خير مشروب للاطفال ويجوز مزجهُ قليلاً بخمر بوردو اذا كان الطفل هزيلاً أو مبتلياً بالخنازيري وعسر الهضم

امَّا بالنظر الى المرضع فيلزمها ان تخفف مقدار ما تتناولهُ من الاطعمة في اليوم وان تختار منها المأكولات الاقل غذآء حتى انها تحول دون افراز اللبن . وذلك ان تأكل كثيراً من الخضر الخضرآء والاثمار المطبوخة والمربايات وقليلاً من اللحم . وان تتعاطى مشروبات مدرَّة للبول . وكذلك مآء القراصيا اليابسة (الاجاس) أو منقوع التمر الهندي فهما موصوفان لطلاقة المعدة . واذا استمر اللبن فضلاً عن هذه التدابير يكثر ورودهُ الى الثديين فيشيرون اذ ذاك ببعض مسهلات او معرقات بالنظر الى مقدار نشاط الافراز اللبني . وتختار المسهلات من بين كبريتات المانيسيا أو السودا أو البوتاسا ونقيع شاي الصيدلية المسهل المسمى شامبار فان لهُ مفاعيل جيدة ولا يتعب المعدة — وكذلك نقيع زهر البلسان ولسان الثور المأخوذ حاراً جدًّا

يكفي على العموم للتعريق . فاذا استعملت هذه الوسائل البسيطة جداً تتوصل المرضع الى استنزاف اللبن وايقاف وظائف الاوعية اللبنية بالكلية ...

القسم السادس

﴿ في التسنين الاول ﴾

تُشاهد حويصلةٌ صغيرة مقيمة في اسفل السنخ (منبت السن) بصفة رحم للسنان تفرز عصارةً عظمية تتكاثف طبقاتها متنضدة الواحدة فوق الاخرى الى ان يتكون السن منها . لا سيما وان هذا العمل يأخذ مبدأهُ منذ ولادة الطفل

ويبتدي اول تسنين على العموم منذ الشهر السادس الى الثامن وتظهر اعراضهُ بالتهابٍ في اللثة وسيلان اللعاب قليلاً وعطاس ..... ويضع الطفل اصابعهُ متواصلاً في فيهِ ويضغط عليها بين فكيهِ الصغيرين كلما أُعطي شيئاً في يده . ويشتد احمرار وجنتيهِ ثمَّ تكمدان وتتضخم لثاهُ والغدد التي تحت فكيه

ويُشاهد بضعة ايام بعد ذلك في وسط اللثة نقطة صغيرة بيضاء هي قمة السن التي لا تتأخر كثيراً عن البروز

امَّا بروز الاسنان فيحصل على هذا الترتيب . يظهر في الاول

القاطعان السفليان ثمَّ بعد اسبوعين أو ثلاث اسابيع تظهر الثنيتان العلياوان ثمَّ تأتي بعد ذلك الاسنان الملاصقة وهي السفلاوان والعلياوان وفي التالي الاضراس والانياب . امَّا الصعوبة التي تلاقيها الانياب في انتصابها فانها تزعج في الغالب نظام الاسنان. غير ان الاسنان لا تخرج جميعها على التتابع في الحال بل يتخالل بروزها برهاتٌ من الزمن تقصر او تطول . اي لا يسير التسنين دائماً بانتظام وفي اوقات معينة . بحيث شوهدت اولاد طلع فيهم سائر اسنان اللبن في الشهر الخامس عشر أو الثامن عشر مع انها لم تظهر في خلافهم قبل سنتين او ثلاث سنين

ترافق اعراض الحمى زمن التسنين الاول دائماً وتبتدي في اللثتين اولاً . ثمَّ يتصل التهييج الى الجهات المجاورة لها ويمتد اخيراً الى الجسم عموماً وعنها تنشأ تلك الانزعاجات التي يبتلي بها الطفل وهي نظير الرعشة والتقيء واليقظة الارتعاشية والاسهال والامساك والمغص والسعال الجاف .....

وان اول ما يجب عملهُ لتخفيف هذه الاعراض معاينة فم الطفل وفرك لثتيهِ وضغطها خفيفاً بالاصبع او بجسم مطاط ليس بصلبٍ أو رخوٍ جدًّا . واذا ازعجت الحمى جهاز الطفل الهضمي فتجب حميتهُ وان لا تثقل معدتهُ بمقدارٍ من اللبن أو الطعام الذي لم تعد لها القوة الكافية على هضمه . وليس للعلاج الطبي عمل في مثل هذه الحالة وما على الطبيب الاَّ ان يساعد عمل الطبيعة بدون ازعاجها . لا سيما وان

الادوية الوحيدة التي يجوز اعطآؤها الى اطفال هذه السن تقوم بفرك خفيف وحقن صغيرة ملينة وحمامات قصيرة المدة وبعض ملاعق شراب الصمغ او الهندباء وحزام فلانلا .... لا سيما وان الام الزكية المدركة تعلم اكثر من الطبيب بما يناسب طفلها . فضلاً عن نظافة جسمهِ وملابسهِ التي لا بدَّ منها وهي احد الشروط التى تقوم عليها صحته

القسم السابع

﴿ في ادوآء الاطفال العمومية ﴾

وهي نظير المغص والاسهال والامساك والقلاع

متى نشأ المغص عن عسر هضم اللبن فلا بد من ايقاف الرضاعة وان يسقى الطفل كل ربع ساعة ملعقة مآء صمغي محلى بالكودين (وهي مادة تستخرج من الافيون) وفرك معدتهِ خفيفاً بقطعة فلانلا وتغطيتها بها — ومتى كان المغص نتيجة اسهال فتلزم المعالجة ذاتها ويضاف اليها حقنة صغيرة بمآء الارز — ومتى كان المغص متأتياً عن لبن المرضع فاول ما يجب عملهُ هو اختيار مرضع اخرى لتقوم مقامهافي المدة التي تتعالج فيها ليعود لبنها الى حالتهِ الطبيعية

ويعالج امساك معدتهِ بمآء الشعير المحلى بالعسل واذا لم يأتِ بفائدة

فيستعاض عنهُ بشراب زهر الخوخ او الهندبآء . ولا بأس من استعمال حقن صغيرة ملينة اذا الجأت الضرورة اليها

امَّا القلاَّع فكيفيتـهُ ظهور حبوب صغيرة ضاربة الى البياض في سطح الفم الداخلي وفي الشفتين واخصـهُ في الاولاد الذين يرضعونهم بالرضاّعة الصناعية — وان اول ما يجب عملهُ هو ان ترضع مرضع اخرى الطفل المصاب بالقلاع . ثمَّ تفرك الحبوب الصغيرة بفرشة ناعمة مغطسة بمغلي الشعير يضاف اليهِ بعد ترويقهِ ذرة شب أو بورات السودا أو كبريتات النحاس اذا لم يفعل العلاجان الاولان . وفي التالي ان يعطى بعض ملاعق مسهل خفيف لطلاقة معدته

لمَّا يأخذ الطفل بالمشي وحدهُ يجب ان تترك لاعضآئهِ الحريـة التامة . ولاتقآء سقطاتهِ لابدَّ من ملاحظتهِ في اثنآء خطواتهِ الاولى . لا سيما وانهُ كلما تحرك الولد وارتاض كلمـا عملت وظائفهُ الغذآئية بنشاط . لهذا يجب على الام ان تساعد ولدها على حركاتهِ الغريزية ولا تعارضهُ في ذلك — ولكي ينمو الطفل نموًّا جيداً يجب كما اسلفنا ان يكون مطلق الحرية في حركاتهِ وسكناتهِ وان يوضع على بساطٍ وهو مرتدي بقميصهِ فقط حيث يستطيع التحرك حسب رغبتهِ لان القماط هو دائماً مضرٌّ بنموّه

ويضاف الى ملاعب الحدث البالغ سن الخامسة الى السادسة بعض الالعاب البدنية اللطيفة وان يرغبوهُ في ممارستها بجوائز متنوعة

لان هذه الالعاب وامثالها هي من افضل الذرائع التي تساعدهُ على نموّ جسمهِ بانتظام وتقيهِ لفيف الادوآء والانحرافات الصحية التي تعرض لسن الحداثة عادةً

القسم الثامن

﴿ في حالة المرأة بعد الوضع ﴾

نرجع الى البحث في حالة الوالدة بعد الوضع فنقول . انهُ اذا اتبعت الواضع بدقةٍ في اثنآء حملها و بعد الوضع الوصايا المنوه عنها في هذا المؤلف فهي لا تخشى أمراً يضر بصحتها وصحة طفلها او يتلف بهجتها ورونقها وغضاضة جسمها . بل بعكسهِ يكون ذلك داعياً الى هنآئها وسعادتها

امَّا عمل الحمل فقد زاد قوة الرحم زيادة كلية وجذب اغشية المعدة ومدد القناة الفرجية والرحمية ، ووسع الاعضآء التناسلية وسعاً هائلاً ليفسح ممراً للمولود . وكل ذلك يشير الى ان الطبيعة قد بذلت غاية جهدها لتهب الحياة الى مخلوقٍ جديد . فضلاً عن الوضع الذي شوه موقتاً جمال المرأة السري الذي تصلحهُ عن قريب الطبيعة والفن الخاص بذلك . لتعود الصحة والغضاضة والمسرة الى محيا الوالدة الفتية فتبدو ثانية في عيني زوجها باجمل منظرٍ وتظهر تجاه معارفها وقومها بمحيا افتن من ذي قبل

شبه البعض الفتاة العذرآء بزر الورد والمرأة بالوردة المتفتحة وهذا تشبيهٌ تام في محلهِ . لان الابنة الفتاة هي نظير الزهرة الملتفة باكمامها والتي لم يزل شذا طيبها مختفياً في اسفل كأسها فلابدَّ اذاً لزهآئها وبهجتها من ان يمرَّ بها نسيمٌ حارٌّ فيبعث على تفتيحها . وكذلك المرأة الفتاة فهي كالزهرة الزاهية التي تفتحت وريقاتها بقبلات وانفاس زوجها اللطيفة ليفوح منها شذا محبةٍ ولذة . وقد كمل الزواج نموَّ خصائصها وصفات بنيتها فجمعت كل ما هو بهجٌ وفتان ولم يعد ينقصها شيء

الفصل الثالث والثلاثون

﴿ في بلوغ المرأة سن اليأس ﴾

تطرأ الغير على كل مخلوقٍ يمر على وجه الارض سائراً فيها حثيثاً وبدن انقطاع نحو الفناء والتلاشي . تلك هي سنّة الطبيعة ولن تجد لسنّة الطبيعة تبديلاً . فسن الحداثة مثلاً تعقبها سن البلوغ ، وسن النشاط التناسلي ومدة الحمل تعقبهما مدة الراحة . ويعبر فيسيولوجياً عن هذه المدة الاخيرة بسن اليأس أو الكهولة أو الرجوعِ أو انقطاع الطمث وخلافه ..... ذلك لان المرأة قد استمرت عاملةً في مداومة النسل مدة خمس وعشرين الى ثلاثين سنة . امّا اليوم فقد انتهى دورها وصارت غير اهلٍ للتوليد

ومما ارتآهُ الاستاذ دوبي ان بين سن اليأس وسن الرجوع هذا الفرق . فالاولى تختص بالمدة التي فيها يسبب انقطاع حيض المرأة بعض الانزعاجات في صحتها . والثانية تشير الى المدة التي تتجدد فيها صحتها ولم تعد تتأثر من مفاعيل الحيض الشهري . ومجمل القول ان سن الرجوع تشير الى احد ادوار الحياة الذي فيهِ تستعيض المرأة

صحتها وغضاضتها بعد ان تكون قد جازت ادوآء سن اليأس . ولم يعد جهازها التناسلي هو العضو المتسلط على بنيتها . بحيث يكون الطمث قد انقطع منها بالكلية وذهبت العصارات المغذية متوزعةً على الاعضآء الاخرى من جسمها وخصوصاً على نسيجها الدهني . وقد اكتسب ثدياها الاستدارة والثبات حتى يخال لرائيها كأن سن الشبيبة عادت اليها . الأمر الذي دعاهم الى تسمية هذه المدة بسن الرجوع

غير ان صفات هذه الشبيبة ما هي الاَّ مظاهر صورية لا ثبات لها . بحيث يتلبد عن قريب في كل جهةٍ من بنية المرأة دهنٌ فائض ومترهل وتفقد تقاطيع بنيتها ظرفها وتناسبها ، ولم تعد لقامتها تلك الرشاقة واللطافة في حركاتها وخطراتها ، ولا لعينيها رموزها السابقة ، ولا لصوتها تلك النبرات الرقيقة . لا سيما وقد ابتدأ الزغب الخفيف المغطي شفتها العليا بالغلظ والطول نظير ما للذكور وقد انطفأت نار الغرام من قلبها بالكلية بعد ما كانت متقدةً ومتأججةً فيه .... فبيانٌ كهذا وان هال المرأة وارعد فرائصها فهو مع الاسف أمرٌ واقعيٌ لا مناص لها منه . وفي كل يوم ترى الشيخوخة تقترب منها وتتقدم اليها حثيثاً بخطاها الواسعة وسيرها السريع

تأتي سن اليأس باكرةً أو متأخرةً بالنظر الى الاقليم والطباع والعادات . ففي البلاد الحارة جداً ينقطع الحمل من سن الثلاثين الى الخامسة والثلاثين . وكذلك يحصل بالمثل في البلاد الباردة جداً ذلك لان نسآء اللابون والغرونلاند ..... هن نظير الافريقيات يحضن

باكراً ويدخلن في سن اليأس بين الثلاثين والخامسة والثلاثين . امَّـا في الاقاليم المعتدلة فالحيض الشهري ينقطع بين سن الاربعين والخمسين ما خلا الشواذات المتعددة التي تشذ عن هذا التحديد

يشار الى انقطاع الحيض نهائياً بعلاماتٍ تهم معرفتها جداً وذلك لتجنب الغلطات التي تنتج عن تشخيص بعض الاعراض التي يضل الكثيرون في تشخيصها . ذلك آنهُ كم من مرةٍ حسبوا انقطاع الحيض النهائي انقطاعاً عرضياً موقتـاً أو عزوا سببهُ الى حصول الحمل . كأن يلتمس الطبيب القليل الخبرة من العضو ان يفرز سائلاً قد انقطع منهُ بالكلية أو انهُ ينبيء المرأة بكونها حاملاً

١

﴿ في العلامات الدالة على قرب سن اليأس ﴾

يمكن اختصار هذه العلامات بالملحوظات الآتية : اختباط وعدم انتظام ونقص في الحيض الشهري . انفاس حارّة وعسرٌ في الهضم أو اضطراب في الاعضاء الهاضمة . اوجاع في الكليتين . سيلان في الفرج ضارب الى البياض مصدرهُ الرحم وهو شبيهٌ بالسوائل البيضاء . ظهور دم الحيض بمقدارٍ قليل اولاً ثمَّ ظهورهُ في اوقاتٍ غير منتظمة ثانياً . بحيث ينتظر بعض النسآء الطمث شهرين أو اربعة أو ستة اشهر أو اكثر ويظهر مع خلافهنَّ بعكسهِ كل خمسة عشر يوماً او عشرين يوماً . ويفقد البعض منهنَّ دماً قليلاً جداً مع ان حيض سواهنَّ يأتي

كاملاً . وكذلك يبطيء عمل الهضم فيهنَّ وتطرأ على صحتهنَّ بعض الانحرافات ويكنَّ في الليل مضطربات . وتحلم الكثيرات منهنَّ احلاماً هضنية تتعلق بالاعضاء التناسلية . امَّا اوجاع الصلبين التي شعرن بها في اثناء البلوغ ومدة الحمل فانها تعود الى ايلامهنَّ في سن اليأس

وهذه هي الاعراض الفيسيولوجية والمرضية التي تنبيء المرأة على العموم بانقضاء زمن الحمل . ويرتأي كثير من مشاهير الاطباء ان الحيض الذي يستمر سيلانهُ بعد سن الخمسين يشير في غالب الاحيان الى حالة مرضية في الرحم . واذا دامت هذه الحالة فيخشى من تقرح هذا العضو او ابتلائهِ بداء السرطان

اعتبر غالب الاطباء سن اليأس بمدة الحياة الاكثر اضطراباً وتهيجاً ونسبوا اليها سلسلة ادواء يهلع قلب اشجع النساء من ذكر اسمائها . ولكن يظهر ان هؤلاء الاطباء قد تمادوا في الغلو لان الادواء التي ترافق سن اليأس تقل عن الادواء التي تشمل زمن الانتقال من المراهقة الى البلوغ . فاذا كلفوا انفسهم بمراجعة نسبة الوفيات في هاتين المدتين من الحياة لاتضح لهم ان عدد الوفيات في سن البلوغ يفوق عدد وفيات سن الرجوع . ولديهم الاحصاآت النسبية التي اجراها بواستون وشاتونيف ودوفيلار فهي تزيل كل ريب من هذا القبيل

امَّا اذا حاولنا ان نريح بال المرأة من المبالغات التي قيلت عن سن اليأس فاننا لا ندعي مع ذلك بان هذه السن عديمة كل مشقة وخطر . ذلك لان النساء البالغات هذا الدور من الحياة واللواتي تتحمل

بنيتهنَّ تغييرات هامّة في اثنآئهِ يجب عليهنَّ ان يمتثلن الى ترتيب صحي يقتضيهِ انقطاع الطمث فيهنَّ . بحيث ان مداومتهنَّ على شكل عيشهنَّ السابق لا تخلو من خطرٍ يتهدد كيانهنَّ

٢

﴿ في الادوآء التي يمكن ان تسببها سن اليأس ﴾

ان الادوآء التي تنشأ عن سن اليأس امَّا عمومية أو موضعية - وقد عدوا من الاولى نفث الدم والبواسير والانوريزما[١] والرثية ونوب ضيق التنفس[٢] والصداع والشقيقة[٣] والادوار العصبية والهيستريا والشلل . . . . .

امّا الادوآء الموضعية فيكون مركزها الرحم او ما يتبعهُ وهي إلتهاب الرحم الحاد ، والنزيف الرحمي ، والاسكير[٤] ، وتقرحات الرحم ، والبوليبوس[٥] ، وتلف نسيج البوقين والمبيضين ، واستسقآء هذه الاعضآء ، والسوائل البيضآء . . . . التي يجوز ان تعقب انقطاع الطمث وتسير كموكبٍ لسن اليأس . ويظهر ان غالب هذه الادوآء المتعددة تنشأ عن انقطاع الحيض . مع انهُ لو فكر المرء بالاستعدادات العمومية والموضعية المستقرة في البنية وهي التي تنتظر اقل محركٍ مرضي

---

(١) ورم غير طبيعي ينشأ عن تمدد احد الشريانات (٢) دآء الربو
(٣) ألم في جهة من الرأس (٤) ورم صلب سرطاني (٥) ورم لحمي ليفي

لتبرز الى دائرة العمل . لتلاحظ لهُ لاول وهلة انهم عزوا مجاناً الى انقطاع الحيض تلك الادوآء التي قد يمكن ظهورها في الجسم في مدة انقطاع الطمث او بعده

اما ادوآء سن الياس الحقيقية فيحدها الطبيب الفيسيولوجي بالاصابات التالية ، وهي نظير وفرة الدم او حالة التهيج العمومي الذي يجتمع على الغالب في عضو أو جملة اعضاء ويحدث التهاباً موضعياً اقل او اكثر خطراً — ثم انَّ النزيف الرحمي والرشح الرحمي المهبلي والسوائل البيضآء والهيستريا و بعض الادوآء العصبية فهذه جميعها تزول عادةً متى انقضى الثوران الذي سببتهُ سن البأس وعادت موازنة البنية الى سابق عهدها

٣

﴿ في الوقاية من ادواء سن اليأس ﴾

ان الاحتياطات الصحية التي يجب اتخاذها للوقاية من ادوآء سن اليأس تقوم بالتحفظ من وفرة الدم التي تمتد الى العضو الذي فيهِ استعدادٌ لاحدى العلل . فعلى النسآء اللواتي يقتربن من سن اليأس ان يتجنبن المأكولات والمشروبات المهيجة على أنواعها . وكذلك المهيجات العقلية التي تؤثر على الجهاز التناسلي . بحيث يلزم للنسآء ذوات النوم المضطرب الذي تتخللهُ الكوابيس أن يكون طعامهنَّ عند المسآء خفيفاً جداً ، لكي لا تمتلي معدتهنَّ وتتحمل عملاً شاقاً . وكذلك

ان يتجنبن المشروبات الكحولية والشاي والقهوة وسائر المشروبات المنبهة — امَّا الحقن والحمامات الفاترة والمشروبات المحمضة ومصل اللبن ونقيع الزيزفون وورق البردقال فهي من الوسائل المفيدة والواقية

واذا لم تستفد المرأة الفائضة الدم من جميع هذه الوسائل ولم تتحسن حالها وكان احداعضآئها مهدداً بذلك . فتعالج ببعض فصادات تعمل لها في المدة التي كانت تحيض فيها عادة . وتفيد المسهلات الملحية القليلة المقدار مذابة في ماء القراصيا اخصهُ للنسآء المبتليات بالامساك

امَّا النسآء العصبيات فيتخذن غذآءً لطيفاً وملينا ويمتنعن عن المعجنات وعن الاطعمة التي تتخم وتولد الغازات . وتساعدهنَّ مساعدةً مفيدة الحمامات الكلية والنصفية والحقن الملينة والمضادات التشنج . ويتلاحظ على الخصوص في النسآء العصبيات والمتهيجات اعراض الهيستيريا والسوداء والخفقان والغشيان والتشنج والتجشوء والارياح المعوية المتعبة جداً . وقرقرة وتمدد في الامعاء وضيق التنفس وتشنجات في الرحم والمعي الغليظ .... ويرافق هذه الادوآء دائماً غم واختباط عقلي لا تنجع فيهما على التقريب دائماً المعالجة الطبية بل يفيدهما العلاج العقلي فقط ، وان جميع هذه البيانات المتقدمة تنطبق على الرجل ايضاً

لا بدَّ من الرياضة الجسمية للنسآء البالغات سن اليأس وذلك لتتوزع الحيوية التي تتخلى عنها الاعضآء التناسلية على اجهزة الاعضآء المحركة . وعليهِ فالاقامة في الضواحي والنزهة عند الصباح ، والملاهي

اللطيفة والاجتماعات المسرة هي من افضل الوسائل الصحية . وكذلك يجب تجنب الجلوس المتواصل والاماكن المزدحمة بالمجتمعين نظير دور التمثيل والمراقص والسهرات وخلاف اجتماعات عمومية . وكذلك اجتناب الفراش الوثير والحارّ والنوم اكثر من سبع ساعات ، لان هذه جميعها مضرّة بالنسآء اللواتي هنَّ على اهبة سن الرجوع

ولا بدَّ من غروب شمس الحب الطبيعي عن قلب المرأة الى الابد لانها لم تعد تصلح للنسل . بحيث يلزمها ان تتجنب باحتراس كلي جميع الاسباب التي توقد فيها نار الحب . ذلك لان الافكار والشهوات المهيجة من الجائز ان تسبب لها اضطراباً خطراً في اعضآئها التي قضت عليها الطبيعة بالنوم المطلق الابدي . وان الذي يعزي المرأة على ذلك هو تعلقها باولادها واهتمامها بشأنهم وان الذي يبقى لها امتياز سلطتها هو الود والانعطاف والحنو والشعور النبيل التي تنبعث منها نحو اسرتها وأنسبآئها ومعارفها . وكذلك حضورها المجتمعات الودية المؤلفة من الاصدقاء المخلصين المختارين كل ذلك داعٍ لنسيان شهوات الشبيبة وعدم الالتفات اليها

٤

❊ في سن اليأس عند الرجال ❊

يشار من قبل جملة سنوات الى سن اليأس عند الرجال بعلاماتٍ لا يشتبه بها تدل على الانحطاط التناسلي . وهذه السن هي زمن

الاهوآء الباطلة والتأسف والعالل . غير انهُ اذا كان عدد الادوآء التي ترافقها هي اقل من ادوآء سن يأس النسآء ، فهي مع ذلك موجبة التخوف لانها اشد منها خطراً . وهي نظير أمراض المجاري البولية والحصاة وعسر البول والنقرس والرثية .... وفيضان الدم ودآء النقطة

يكون الرجل في اثنآء سن اليأس قلقاً مضطرباً مصاباً بضعف الباه أو بأمراضهِ الخاصة . وعلى ذلك يتغير طبعهُ ويظلم عقله أخصهُ اذا اصابتهُ نزلة على المثانة او كان مبتلياً بالحصاة او ضيق الاحليل التي تحول دون جريان البول . وهذا هو الدآء الذي يجعل العليل أن يتألم بشدةٍ ويزداد غمهُ وقلقه . اذ يصبح كئيباً صموتاً سائراً نحو دآء السودآء . لانهُ اذا كانت ادوآء الرحم مخيفة للنسآء فادوآء المثانة لا تقل عنها قلقاً للرجال حتى يتساوى كلا الجنسين من هذا القبيل

يشير العقل على من يدخل في سن اليأس ان يطرد عن مخيلتهِ كل شهوةٍ غرامية . واذا لازمتهُ بشدةٍ ولم يستطع مقاومتها فليكن ذلك على برهاتٍ طويلة . ذلك لان التشنج الذي تحدثهُ الشهوة يضر دائماً ببنيتهِ وعلى الاخص باعضائهِ التناسلية البولية . فعلى الرجل ان يعلم بان شتآء عمرهِ آخذٌ في تبييض رأسهِ وتخطيط جبهتهِ وحط قواهُ وتخضير اعضائه .... وقد انقضى دورهُ التناسلي ونقلتهُ الطبيعة الى بنيه . ولم تعد قوةٌ من القوى في استطاعتها أن تنجيهِ من ناموس الطبيعة وقضائها المبرم

فعلى الرجل الذي تجاوز سن اليأس ان يكون حكيماً ويتحمل

هذا الناموس الطبيعي لانهُ اذا عمل على مخالفتهِ فلابدَّ من ان تتضرر بنيتهُ بجملتها . اذ يجب على الرجل و بالمثل المرأة اللذين دخلا في سن اليأس ان يمتثلا الى ترتيبٍ قانوني وان لم يكن يشعران في هذه الاثناء بادنى انحراف في صحتهما . وذلك كالاعتدال في الاكل واخصهُ في الشرب وامساك تام عن كل ما من شأنهِ ايقاظ الشهوة التناسلية . وان يلازما الرياضة والنزهة بتواتر وان يقيما في الضواحي اذا امكن . ولا ينقطعا عن الاعمال اللطيفة والملاهي المقبولة ورياضة الفكر المعتدلة . لان حشر الفكر يؤثر بكيفيةٍ رديئة على القوى الهاضمة ويجوز ان يسبب آلاماً معدية وضيق التنفس وخفقاناً ودوخاناً وادوآء عصبية ذات اعراضٍ اشبه بالهيستريا تصبح الحياة من جرآئها حياة تعاسة وشقآء

وفي الختام يجب على القرآء الذين يحلون هذه النصائح محل الاعتبار ان يتأكدوا هذه الحقيقة الساطعة وهي ان المرء يكفر عن سقطات شبيبتهِ فيما بعد . اي ان جميع الامراض التي اصابت سن الرجولية ولم تستأصل القوة الحيوية جراثيمها من بنيتهِ بالكلية تظهر في الشخص من جديد في سن اليأس وتتعلق بهِ وترافقهُ الى ان يواريهِ اللحد

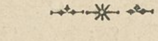
انتهى

فهرست الكتاب

انتهى

اعلان

يطلب قانون الزواج وتاريخ الانسان الطبيعي من محل الانصاف في شارع الغورية بالقاهرة ومن سائر المكتبات الشهيرة في مصر وسوريا وثمن النسخة الواحدة من كلٍّ منهما ١٥ قرشاً مصرياً









لصاحبيه الاخوين غضبان

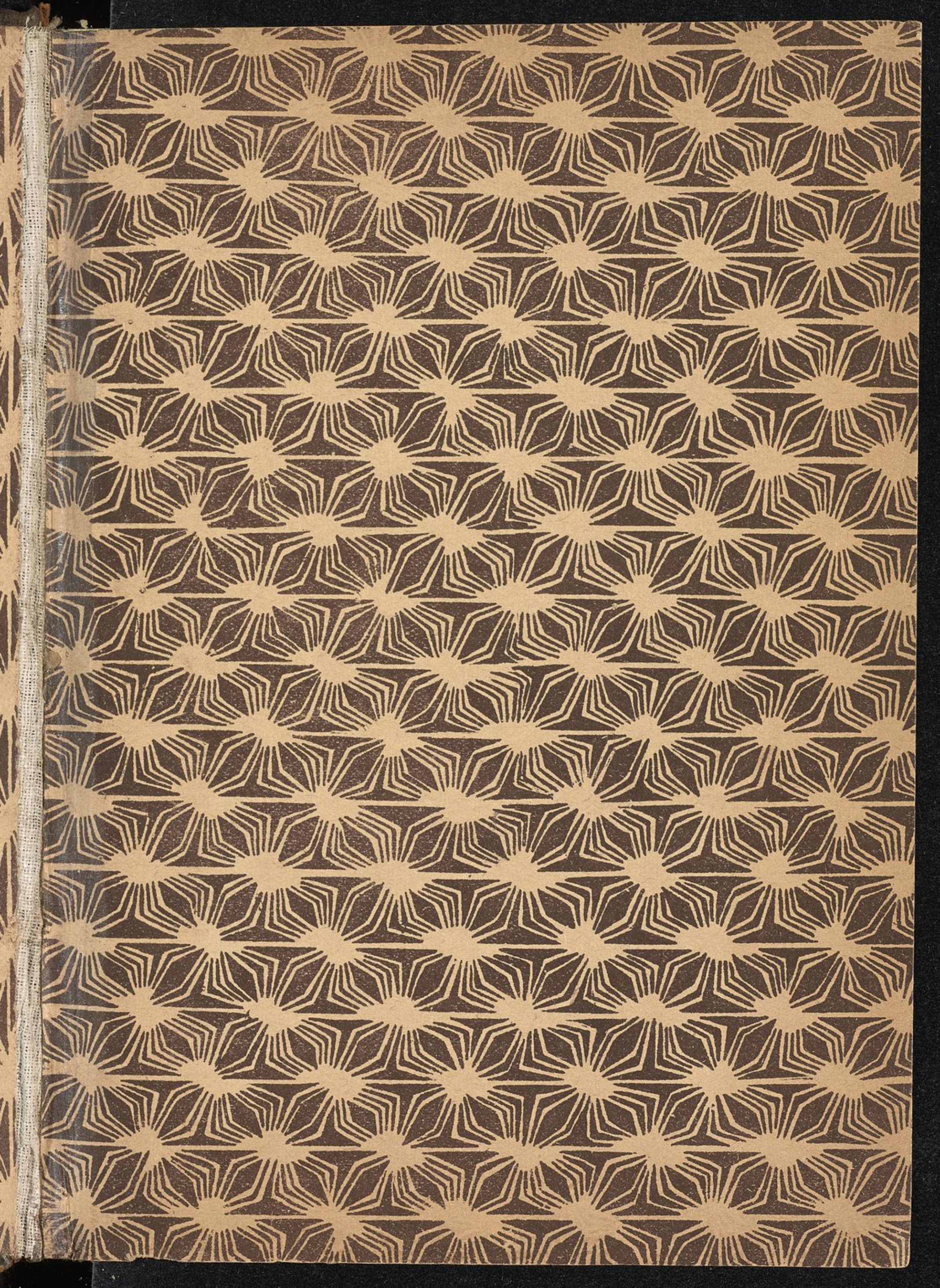
في شارع الغورية بالقاهرة

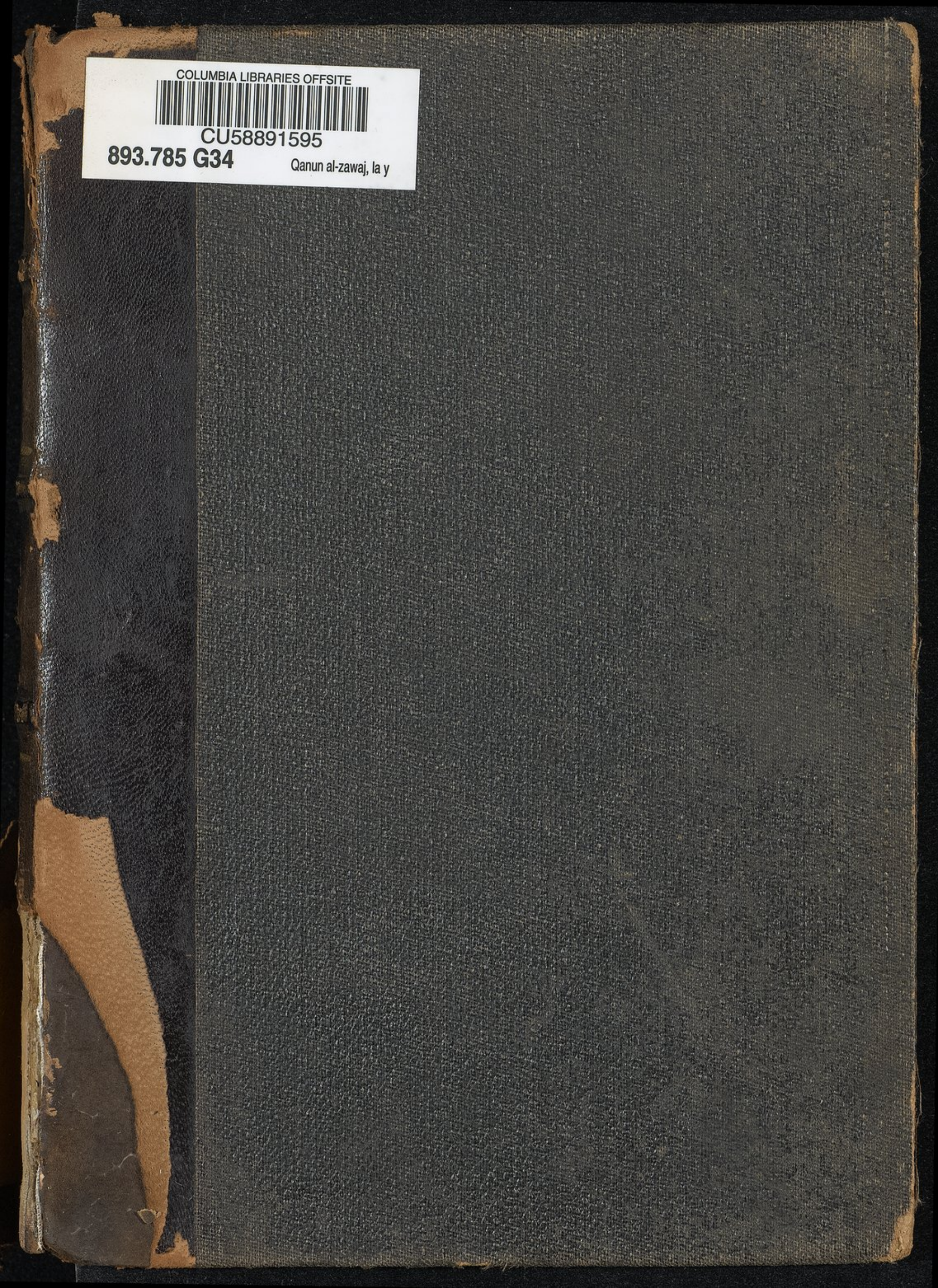
MAISON AL-INSAF

GHADBAN FRÉRES

BD. AL GHOURIEH (CAIRE)

أُنشيء هذا المحل سنة ١٩٠٥ شعارهُ الانصاف واركانهُ النشاط والحزم والامانة والاستقامة ما عدا رأس المال الوافي لمزاولة الاعمال التجارية لحسابهِ الخاص او بالواسطة (قوميسيون) ، ولتسليف النقود ، ولمبيع سائر اصناف السلع (الخرداوات) من قطنية وصوفية وحريرية والاحذية على انواعها والروائح العطرية . . . . لا سيما وان الخطة التي اتبعها في حسن المعاملة وجودة البضائع ومهاودة الاسعار اكسبتهُ اقبال الجمهور عليهِ وارتياحهم لهُ وكللت اعمالهُ باكليل التقدم والنجاح





COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58891595
893.785 G34
Qanun al-zawaj, la y